وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة باتنة 1

كلية العلوم الإسلامية.

قسم أصول الدين

فرع الكتاب والسنة

نيابة العمادة لما بعد التدرج والبحث

العلمي والعلاقات الخارجية

الوَحدة الموضوعية في سورة الأنعام

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في العلوم الإسلامية

تخصص: الكتاب والسنة

إعداد الباحثة:

نبيلة عايسي

إشراف الأستاذ الدكتور:

عبد الحليم بوزيد

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
د. نورة بن حسن	أستاذ محاضر –أ–	جامعة باتنة –1–	رئيسا
أ.د عبد الحليم بوزيد	أستاذ	جامعة باتنة –1–	مشرفا
د. نادية وزناجي	أستاذ محاضر –أ–	جامعة باتنة –1–	عضوا
د. صونيا وافق	أستاذ محاضر –أ–	جامعة الأمير– قسنطينة	عضوا
د. رضوان لخشين	أستاذ محاضر –أ–	جامعة الأمير– قسنطينة	عضوا
د. عادل مقراني	أستاذ محاضر –أ–	جامعة الأمير– قسنطينة	عضوا

السنة الجامعية: [illegible]هـ/ [illegible]م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وفوق كل ذي علم عليم

صَدَقَ الله العظيم

الإهداء

أهدي عملي هذا إلى:

. والديّ الكريمين.

. زوجي وعمي وعمتي.

. أخوالي، وخالتي، وعماتي.

. فلذات كبدي وأحبائي: صلاح الدين، وأشرف، ووصال.

شكر وتقدير

أتممت هذا العمل بتوفيق من الله عز وجل فالحمد لله أولا وأخيرا.

ثم أتوجّه بالشكر والثناء الجميل إلى أ.د. عبد الحليم بو زيد لقبوله الإشراف على هذا البحث، وعلى توجيهاته المفيدة.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدني على إنجاز هذا العمل وأخصّ بالذكر:

د. فائزة محمدي، ود. نورة بن حسن، وصديقة العمر صورية، وكذا ميساء، وصبرينة، وسامية، وس. فطيمة.

دون أن أنسى من شجّعوني ودعوا لي بالتوفيق:

أخواتي، والحاجة نوّة، وكل أفراد العائلة الكبيرة .

فإلى كل هؤلاء فائق التقدير والاحترام.

مقدمة

مقدمة

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الأمة الإسلامية تشهد منذ عشرات السنين -كغيرها من الأمم-، تحولات فكرية واجتماعية كبيرة، كما يشهد العلم أيضا تحولات هائلة وسريعة؛ فهو يتجه نحو النظر في العموميات والكليات واستخلاص النظريات.

وباعتبار أن المسلمين ليسوا بمعزل عن العالم الذي يعيشون فيه، وبما أن القرآن الكريم، كلام الله المعجز الذي لا تنقضي عجائبه بمرور الزمن؛- فهو تنزيل من حكيم حميد يعلَم حاجات العباد، وما يُصلِح حاضرهم ومستقبلهم- فإن العلماء قد وجدوا أنفسهم ملزمين بفهم الواقع، واستحسان الحسن منه، وإيجاد الحلول المناسبة لما يُطرح من اشكالات في إطار المرجعية العليا للمسلمين وأولها كتاب الله العزيز.

وبدأ الباحثون يتجهون نحو دراسة العلوم الإسلامية دراسة تتفق مع ما استجد في العالم، وما حصل من تغيّر وتطور في مجال العلوم. ومما تأثر إيجابا بهذا كله، علم التفسير.

فقد ظهر في خمسينيات القرن الماضي، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم الذي حمل لواءه محمد أمين الخولي، والفراهي الهندي، ومحمد محمود حجازي، وعبد الله دراز وغيرهم. ثم بدأ الباحثون يعتبرونه مجالا خصبا للبحث العلمي؛ فاهتموا بالتأصيل له والبحث في أنواعه الثلاث في دراساتهم الأكاديمية.

واختلفت مناهجهم في ذلك اختلافا كبيرا، وتعددت ألفاظهم التي تدل على بعض المفاهيم وخاصة فيما يتعلق بالدراسة الموضوعية للسورة، فكثر إطلاق مصطلح "الوحدة الموضوعية "عليه، كما استخدم مصطلح " الوحدة العضوية" و "الوحدة الفكرية الأدبية " و " الوحدة المنطقية".

فمفهوم الوحدة مفهوم مركزي في التفسير الموضوعي للسورة، لكنه مع ذلك مصطلح ملتبس يحيط به الكثير من الغموض والاختلاف، وما زال ذلك قائما إلى زمن إعداد هذا

البحث؛ ولعل هذا ما يعطي مبررا للباحثين في بعض اختياراتهم الاصطلاحية، ويبعدهم عن النقد والتخطئة.

وبناء على ما سبق، جاءت هذه الدراسة في نوع من أنواع التفسير الموضوعي، وهو المتعلق بالسورة القرآنية، وبالتحديد لـ "سورة الأنعام" فحمل البحث عنوان:

"الوحدة الموضوعية في سورة الأنعام".

إشكالية البحث:

لمّا كان القرآن الكريم هو المرجعيّة الأولى للمسلمين، وكان منذ نزوله محل طعن من أعداء الإسلام ومن تبعهم من أصحاب القلوب المريضة. وكان من أهم ما اختلقه أعداؤه، عدم صلاحيته لكل الأزمان، وأن سوره عبارة عن أشتات من الأفكار المختلفة عولجت بطريقة غير منظمة. جاء هذا البحث ليجيب عن أسئلة أساسية هي:

- ما موضوع سورة الأنعام الرئيس؟
- هل الموضوعات الفرعية تتآلف وتتناسق لتندرج تحت موضوع واحد يجمعها؟
- ما المناسبات والروابط الموجودة بين الآيات والموضوعات المختلفة في السورة؟

كما يجيب عن سؤالين فرعيين هما:

- كيف يمكن الاستفادة من موضوع السورة لحل بعض المشكلات الواقعية؟
- هل صحيح أنّ مقاطع السورة تربطها نفس العلاقة من البداية إلى النهاية؟

أسباب اختيار الموضوع:

لقد كان لاختيار هذا الموضوع دوافع وأسباب عدة، أهمها ما يلي:

دوافع ذاتية:

- الرغبة في خدمة الكتاب العزيز وإبراز هداياته ووجوه إعجازه لنفع الأمة.
- توافق ميولاتي الشخصية مع ما تَعرِضه سورة الأنعام؛ إذ تعرض الأحكام الاعتقادية والعملية من الناحية الكلية لا التفصيلية.

أسباب منهجية وموضوعية:

- قلة الدراسات في هذا المجال مقارنة بالعلوم الأخرى المتعلقة بكتاب الله.
- عدم دراسة سورة الأنعام دراسة علمية مستقلة –حسب اطلاعي- من جهة وحدتها الموضوعية.
- الرغبة في التحقق من أقوال العلماء السابقين وما توصل إليه الباحثين المعاصرين فيما يتعلق بسورة الأنعام وما تختص به.

أهمية البحث:

تكمن أهميّة دراسة الوحدة الموضوعية في سورة الأنعام فيما يلي:

1- أنها دراسة تتعلق بكتاب الله عز وجل، الذي يعتبر المرجعية الأولى في الإسلام. وتكثيف مثل هذه الدراسات يعزز مكانة القرآن الكريم في حياة المسلمين.

2- زيادة إيمان المؤمن عند بيان إعجاز القرآن من جهة ترتيب وتناسق الآيات والمقاطع في السورة.

3- كون دراسة الوحدة الموضوعية في السورة، لصيق بمباحث التفسير والإعجاز والمناسبة، وعلوم القرآن الأخرى.

4- التأصيل لبعض القضايا المثارة في سورة الأنعام.

أهداف البحث:

تبعا لما جاء في إشكالية البحث فإنّ الدراسة تهدف إلى:

1- تحديد الموضوع الرئيس للسورة.

2- إبراز عظمة القرآن الكريم وإعجازه من جهة ترتيبه؛ من خلال بيان أوجه المناسبة بين جمل وآيات السورة، والوقوف على الارتباط الوثيق بين الموضوعات الفرعية وبينها وبين الموضوع الرئيس.

3- الرد على المشككين في ترابط كلمات وجمل وآيات وموضوعات السورة الكريمة.

4- إبراز موقف سورة الأنعام من القضايا التي أثارتها والاستفادة من ذلك.

5- استنباط هدايات جديدة تخدم المجتمع.

الدراسات السابقة:

أ- الدراسات العامة:

توجد عدة رسائل جامعية تعرضت للوحدة الموضوعية في بعض السورة القرآنية مثل:

- "الوحدة الموضوعية في سورة الحج"، رياض عميراوي، رسالة ماجستير، الجزائر -قسنطينة-، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 1430هـ-2009م.

- "الوحدة الموضوعية في سورة النمل"، يزيد غربي، رسالة ماجستير، الجزائر-قسنطينة-، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 1433- 1434هـ/2012-2013م.

- "التفسير الموضوعي- سورة البقرة نموذجا-"، نورة بن حسن، رسالة ماجستير، الجزائر-باتنة-، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، 1422هـ- 2001م.

وقد استفدت من هذه الرسائل من الناحية المنهجية.

- "دلائل التوحيد وتأثيره في الحياة في القرآن الكريم-سورة الأنعام نموذجا-"، دنيازاد سايغ، رسالة ماجستير، الجزائر-قسنطينة-، جامعة الأمير عبد القادر، علوم الإسلامية، 2006م.

واستفدت من هذه الرسالة في موضوع دلائل التوحيد الذي أثرته السورة وهو العنصر المتكرر فيها. وهو جزئية فقط من جزئيات البحث.

ب- الدراسات الخاصة:

لم أعثر على دراسة علميّة أكاديميّة - رغم بذل الجهد في البحث في المواقع الخاصة- تناولت "سورة الأنعام" من الناحية الموضوعية إلا:

- رسالة قريبة من الموضوع عرضها مركز عربي متخصص بالأردن، تابع لِإتحاد الجامعات العربية، وعنوانها: "سورتا المائدة والأنعام دراسة تفسيرية مقارنة" وهي رسالة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، لمحسن رولي محمد ولم أتمكن من الإِطلاع عليها، ولا التعرف على هيكلها. إلا أنه يظهر من عنوانها أنها مقارنة بين السورتين، وهدفها إبراز الموضوعات المشتركة وما انفردت به كل سورة، وهو بعيد عن هدف هذا البحث.

المنهج المتبع في البحث:

أمّا المنهج المتبع في البحث فهو:

المنهج الوصفي: اتبعت في البحث المنهج الوصفي وذلك عند وصف السورة وسبر ما اشتملت عليه من موضوعات. واحتاج هذا المنهج إلى آليتين:

- **آلية المنهج التحليلي:** وذلك عند تحليل الآيات الموضوعات التي اشتملت عليها السورة، وبيان وجه التناسب بينها.
- **آلية المنهج الإِستنباطي:** لإِستنباط موضوع السورة، وكذا المناسبات المختلفة، والهدايات المستفادة من الآيات.

مصادر ومراجع البحث:

ومن أجل تحقيق الأهداف المسطّرة والإجابة عن الإشكالية المطروحة، اعتمد البحث على **مصادر لها وزنها** في الموضوع و**مراجع متنوّعة** أهمها:

- جامع البيان للطبري، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير؛ **لمعرفة المعاني الإجمالية للآيات.** ومفاتيح الغيب للرازي، ونظم الدرر للبقاعي، والتحرير والتنوير لابن عاشور؛ **لمعرفة التناسب بين الآيات، إلى جانب تفاسير الأحكام.**

- بالإضافة إلى تفاسير المتأخرين: كتفسير القرآن الحكيم لرشيد رضا، وفي ظلال القرآن لسيد قطب، وأيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري، والتفسير الموضوعي لسور القرآن لمحمد الغزالي.

- وكذلك الكثير من المراجع والمقالات والرسائل التي خدمت البحث **في الموضوعات الجزئية التي أثارتها الآيات.**

صعوبات البحث:

اعترى البحث عدة صعوبات كغيره من البحوث الأكاديمية، إلا أن أهمها:

- كون التفسير الموضوعي بأنواعه ما زال في طور التأصيل، ولم يكن في أوّل البحث منهج متفق عليه يسير عليه الباحث، فبُذِل جهد كبير في استقرار الخطة على ما هي عليه.
- طول سورة الأنعام وطول آياتها، وتنوّع أساليبها، وتشابك مواضيعها؛ جعل معرفة موضوعها الأساس ومحاورها وتحديد أجزائها وبعض المناسبات، فيه صعوبة استوجبت طول التأمّل والتدبّر، والكتابة ثم الإعادة.

عملي في البحث:

1- كتابة الآيات من مصحف ورش الإلكتروني، وعزوها إلى سورها وأرقامها في المتن.

2- سار البحث، على الطريقة التالي:

- كتابة اسم الباب، فالفصول، فالمباحث. ثم تجزئتها إلى مطالب.
- يُذكر عنوان كل مطلب مع كتابة الآيات المتعلّقة به، ثم تجزئته بدوره إلى آيات.
- تكتب مناسبة كل آية مع سابقتها، ثم معناها، إلى الانتهاء من الآيات. يُتبع ذلك بعرض الهدايات المستنبطة، فمناسبة المطلب لسابقه، فمناسبته لموضوع السورة.
- بعد الانتهاء من كل مطالب المبحث، تأتي خلاصة له. وبعد الانتهاء من كل مباحث الفصل، تأتي خاتمة الفصل وهكذا. أما خاتمتا البابين فتركت إلى خاتمة البحث.

3- لإعطاء صورة عن محتوى المطالب خاصةً، واستصحاب تلك الصورة عند التعمّق في التفسير، تخلّل البحث خرائط ذهنيّة للفصل مع مباحثه ومطالبه.

4- نُسبت النصوص المنقولة إلى أصحابها في الهامش بذكر اسم المؤلِّف فعنوان الكتاب فدار النشر ثم رقم الجزء والصفحة، وذكرت كل بيانات الكتاب إذا ذكر لأول مرة. وكُتبت عبارة "المصدر السابق" إذا تكرر المصدر واختلفت الصفحة، وعبارة "المصدر نفسه" إذا تكرر المصدر ورقم الصفحة وذلك بالنظر إلى كل صفحة على حدى.

5- الترجمة للأعلام المذكورين في متن الرسالة، والاِقتصار على سنة الوفاة بالنسبة للأعلام المشهورين في مجال اللغة والتفسير وعلوم القرآن.

6- شرح المصطلحات الغريبة في الهامش مع ذكر مصدر الشرح.

7- ذيّل البحث بقائمة المصادر والمراجع، وقد صنّفت حسب العلم المنتمية إليه، ثم على أسماء المؤلّفين.

8- كما ذيّل البحث بفهارس مختلفة تعين الباحث على نيل مراده.

9- وأتبعت الفهارس بملخص باللغة العربية وترجمة له باللغة الإنجليزية، واللغة الفرنسية.

خطة البحث:

قسّم البحث إلى مقدّمة، وفصل تمهيدي، وبابين، وخاتمة:

فأمّا المقدّمة فتناولت إشكاليّة البحث، وأهدافه، وأهميّته، وأسباب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة، والمراجع المستفاد منها، والمناهج المستخدمة، وخطة البحث.

وأمّا الفصل التمهيدي فتطرّق إلى: **معنى الوحدة الموضوعيّة**، وذلك في مبحثه الأوّل. وفضل السورة، واسمها ووجه تسميتها، وزمان ومكان نزولها، وأهم خصائصها، ومناسبتها لبعض السور، وموضوعاتها الفرعية، وموضوعها الرئيس، في مبحثه الثاني المعنون بـ: "**مدخل إلى سورة الأنعام**".

وأمّا الباب الأوّل [من الآية 1 إلى الآية 94] المعنون بـ "**مجادلة المشركين في قواعد التوحيد**" فجاء في ثلاثة فصول. كان **فصله الأول** في مبحثين وهو [من الآية1 إلى الآية17]، وتحدث عن "**استحقاق الحمد لله وحده ومظاهر الاِمتراء والعدول به تعالى**". **وكان فصله الثاني** في مبحثين أيضا؛ وهما عبارة عن تفصيل ثم إجمال لمظاهر قدرته تعالى وعلمه، ويبدأ [من الآية 18 إلى الآية73] ويحمل عنوان "**القدرة الإلهية وعلمه تعالى وحكمته**". **وأمّا الفصل الثالث** فجاء في ثلاثة مباحث؛ تحدثت عن حجة ابراهيم عليه السلام على قومه، فتعدادٌ لبعض الأنبياء وبيانٌ لأحكام الرسالة، ثم بيانٌ لشرك وظلم من أنكر

الرسالة. وهذا الفصل [من الآية 74 إلى الآية94] وعنوانه "**الإستدلال بقصة ابراهيم عليه السلام على التوحيد**".

وأما الباب الثاني فيبدأ [من الآية 95 إلى 165] ويحمل عنوان: "**مجادلة المشركين في أصول التشريع**" وهو في فصلين. جاء **فصله الأول** [من الآية 95 إلى الآية 140] وفيه "**بيان لثلاث مواقف للمشركين والرد عليها**" وكان في أربعة مباحث؛ الأول منها عبارة عن مقدمة للفصل تحدثت عن بعض مظاهر خلق الله الدالة على العلم والقدرة. والثاني عن جعل المشركين شركاء لله من الجن وخرقهم له البنين. والثالث عن قسمهم بالإيمان إن جاءت الآيات. والرابع عن بعض جهالاتهم في الأنعام والحرث والأولاد. أمّا **الفصل الثاني** [من الآية لِسمتر إلى الآية لهلِيتر] فجاء في "**تنويع الحجج في ردّ ما حرمه المشركون، وبيان أصول المحرّمات، وتقرير مهمة الإنسان**"، وهو في ثلاثة مباحث؛ الأول منها كالمقدمة وتحدث عن مظاهر الإنشاء والرزق. وفي المبحث الثاني إبطالٌ لما افتراه المشركون بالحجة وبيانٌ لأصول المحرمات. وأما الثالث فهو احتجاجٌ على المشركين بإنزال القرآن وبيان حقيقة العبودية، وتقرير الاستخلاف.

كما جُعل لكل مبحث من المباحث المذكورة خلاصة، وختم كل فصل بخاتمة.

وأمّا الخاتمة فتضمّنت النتائج التي توصّل إليها البحث، وبعض التوصيات.

وذيّل البحث بفهارس مختلفة تمثّلت في: فهرس للآيات عدا "سورة الأنعام"، ففهرس لأطراف الأحاديث والآثار، ثم فهرس للأعلام المترجم لهم، ثم فهرس المصادر والمراجع وفي الأخير فهرس المحتويات. ثم ملخّص للبحث باللغة العربية، وترجمة له باللغة الإنجليزية والفرنسية.

الفصل التمهيدي

المبحث الأول: معنى الوحدة الموضوعية.

المبحث الثاني: مدخل إلى سورة الأنعام.

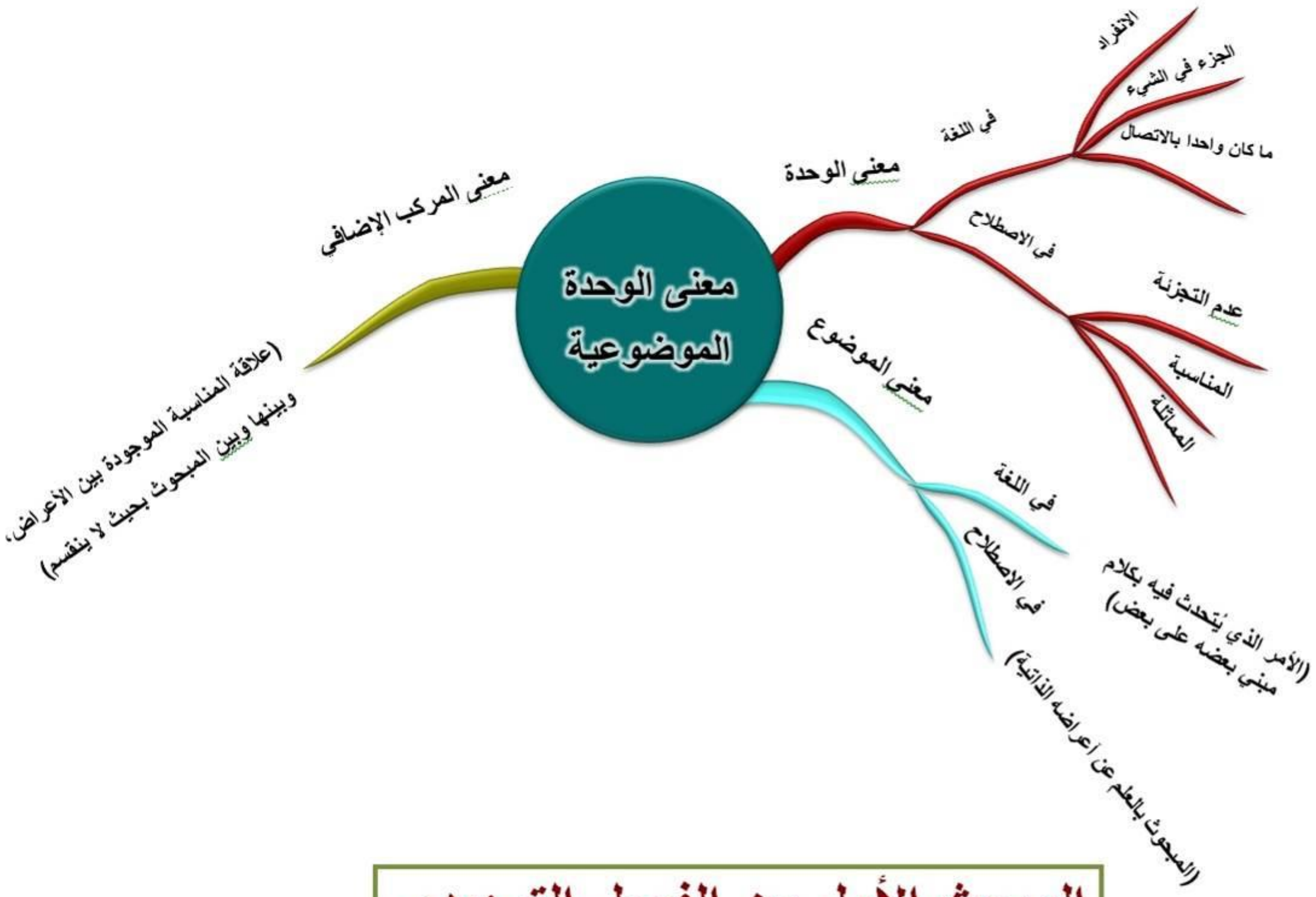

المبحث الأول من الفصل التمهيدي

المبحث الأول: معنى الوَحدة الموضوعية.

المطلب الأول: معنى الوَحدة في اللغة والِاصطلاح.

الفرع الأول: معنى الوَحدة في اللغة.

يقول الفراهيدي(175هـ) في معنى "الوَحدة":" والوَحَدُ: المنفرد. رجلٌ وَحَدٌ، وثورٌ وَحَدٌ... ووَحَدَ الشيء فهو يحِدُ حِدةً، وكل شيء على حِدةٍ بائن".[1]

وجاء في معجم مقاييس اللغة:" الواو والحاء والدال: أصل واحد يدل على الِانفراد... من ذلك الوَحدة، وهو واحد قبيلته، إذا لم يكن فيهم مثله... والواحدُ، المنفرد".[2]

وهذا ما ذهب إليه الجوهري(393 هـ) في الصحاح.[3]

أما الراغب الأصفهاني(425 هـ) فقد ذهب إلى أبعد من هذا إذ يقول:" الوَحدة: الِانفراد، والواحد في الحقيقة هو الشيء الذي لا جزء له البتّة، ثم يطلق على كل موجود، حتى إنّه ما من عدد إلا ويصح أن يوصف به فيقال عشرة واحدة... والواحد لفظ مشترك يستعمل على ستّة أوجه...".[4]

ثم ذكر الأوجه الستّة للفظ "الواحد"؛ منها قوله:" ما كان واحدًا بالِاتصال؛ إمّا من حيث الخلقة كقولك: شخص واحد، وإما من حيث الصناعة كقولك: حزمة واحدة".[5]

---

[1] – الفراهيدي، أبو عبد الرحمان الخليل ابن أحمد، العين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، دت: ص1037.

[2] – ابن فارس أبو الحسن أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1414هـ –1991م: 6/90–91.

[3] – ينظر الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: د. إيميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـ– 1999م: 2/166.

[4] – الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط3، 1423هـ–2006م: ص857.

[5] – الراغب الأصفهاني، المصدر نفسه.

ويقول الفيومي(770هـ):" (يحدُ)(حِدَةٌ) من باب وَعَدَ، انفرد بنفسه... ويكون بمعنى جزء من الشيء فالرجل (واحدٌ) من القوم أي فرد من أفرادهم".[1]

وجاء في القاموس المحيط للفيروزآبادي(817هـ):" (الوَاحِدُ) أوّل عدد الحساب... وبمعنى الأحد وَحُدَ كعلمَ وكَرُمَ. يحِدُ فيها وَحادَةً وحُودَةً، ووُحودًا ووَحدًا ووُحْدَةً وحِدَةً بقي مفردا كتوحَّدَ. ووحَّدَه توحيدًا جعله واحدًا ويطّرد إلى العَشرةِ ".[2]

مما سبق يتّضح إجماع اللغويين على أنّ معنى "الوَحدة " هو "الانفراد"، ويكاد ينحصر في هذا المعنى في المعاجم المتقدمة. وزاد الراغب الأصفهاني(425 هـ) معنى آخر وهو:" الشيء الذي لا جزء له البتة"، وعدّ لفظ "الواحدِ" لفظًا مشتركًا له أوجه ستّة؛ من بينها ما كان واحدًا بالاتصال. كما أضاف الفيومي(770هـ) معنى:" الجزء من الشيء".

الفرع الثاني: معنى "الوَحدة" في الاِصطلاح.

عرّف أبو البقاء الكفوي[3] (1094هـ) "الوَحدة " اصطلاحا بقوله:" الوَحْدَة: كون الشيء بحيث لا ينقسم، وتتنوّع أنواعا خصّ الاِصطلاح كل نوع منها باسم تسهيلاً للتعبير، وهي في النوع مماثلة...، وفي النسبة مناسبة. وتطلق ويراد بها عدم التجزئة والاِنقسام؛ ويكثر إطلاق الواحد بهذا المعنى. وقد تطلق بإزاء التعدد والكثرة، ويكثر إطلاق الأَحَد والفرد بهذا المعنى".[4] أي: من أراد "بالوَحدة" عدم التعدّد "عبّر بالأحد" و"الفرد"، ومن أراد عدم التجزئة والاِنقسام عبّر "بالواحد". وبحسب الاِطلاع، فإنّ اللغويّين المتقدّمين لم يذكروا هذا الفرق.

---

[1] – الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري، المصباح المنير في غريب شرح الكبير للرافعي، نوبِليس، دب، دط، دت: 6/ 894–895.

[2] - الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار العلم للجميع، بيروت، دط، دت: 1/ 343.

3 – هو: أيوب بن موسى الحسيني، الكوفي، الحنفي، ولد في كفا بالقرم، وتوفي وهو قاضي بالقدس(1094هـ –1983م)، من آثاره الكليات.(معجم المؤلفين لعمر كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1414هـ– 1993م: 229/1).

[4] - الكفوي، أيوب ابن موسى الحسيني الكوفي الحنفي، الكليات، معجم في مصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1413هـ–1993م: ص931.

وقال بعض المعاصرين:" الوَحدَة... عرّفوها توضيحا بأنّها كون الشيء بحيث لا ينقسم من حيث أنّه واحد... ثم إنّ " للوَحدة " في الوصف العرضي • والذاتي • تتغاير أسماؤها بتغاير المضاف إليه، فإنّ الوَحْدة في النوع تسمى مماثلة... وفي الإضافة تسمى مناسبة...".[1]

وعرّفها آخرون بقولهم:" أما الوَحدة فهي التي تجعل المجموع واحدًا، وإذا اعتبر فيه عدم الانقسام بوجه ما، مثلا كالعشرة، فإنّها لا تنقسم من حيث هي آحاد هي أجزاء العشرة ...".[2]

فالعشرة الواحدة إذا انقسمت؛ فهي تنقسم إلى أجزاء تابعة لها وليس إلى آحاد خارجة عنها.

فيظهر ممّا سبق أنّ معنى " الوَحدة" في الاِصطلاح، لم يخرج عن معناه اللغوي؛ ولكن كان أكثر تنوّعا، لكون اللغة تثري المعاني الاِصطلاحية. وقد استقر المعنى الاِصطلاحي على" عدم التجزئة"، ومعان أخرى بحسب الإضافة: كالمناسبة والمماثلة وغيرها.

المطلب الثاني: معنى "الموضوع" في اللغة والاِصطلاح.

الفرع الأول: معنى "الموضوع" في اللغة.

يقول الفراهيدي(173 هـ) في كتابه "العين" عن معنى لفظ "وضع": "وضع: الوضاعة: الضعة، تقول: وَضُعَ [يَوْضُعُ] وضاعة. والوضعُ: مصدر قولك: وَضَعَ يَضَعُ، والدابة تضعُ السير وضعاً [وهو سير دون]. والمواضعة: أن تُواضِع أخاك أمرا فتناظره فيه".[3]

• – العرضي: كل خارج عن ماهية الشيء.(جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دط، 1982م: 580/1).

• – الذاتي: هو ما يخصّ الشيء ويميّزه. وبين الذاتي والعرضي تضاد، كالتضاد بين المحسوس والمعقول.(جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني: 581/1).

[1] – نكري، عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد، دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاح الفنون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ–2000م: 310/3–311.

[2] – سميح دغيم، موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي، مكتبة ناشرون، دب، ط1، 1998م: 2/ 1454.

[3] – الفراهيدي، العين، دار أحباء التراث العربي: ص 1054.

وجاء في المحيط:" وإبل واضعة: ترعى ما حول الماء ولا تبرح".[1]

و" هلم أواضعك الرأي: أي تطلعني على رأيك وأطلعك على رأيي".[2]

وقال ابن فارس(395 هـ):" (وَضَعَ): الواو والضاد والعين: أصل واحدٌ يدل على الخفض [للشيء] وحطه. ووضعته بالأرض وضعاً...".[3]

و" وَاضَعْتُ الرجل في الأمر: نَاظَرْتُهُ فيهِ".[4]

ونقل الأزهري(370هـ) عن الليث قوله:"...والمواضع معروفة، واحدها موضع. والمواضعة: أن تواضع صاحبك أمرا تناظره فيه".[5]

أمّا الجوهري(393 هـ) فيقول في الصحاح:" الموضع: المكان. والموضع أيضا: مصدر قولك وضعت الشيء من يدي وضعا، وموضوعاً".[6]

ويقول العلامة الأصفهاني(425هـ):" ووَضْعُ البيت: بناؤه قال الله تعالى:﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ [سورة آل عمران: الآية 96]".[7]

وذكر ابن منظور(711هـ) معان كثيرة للفظ "الوضع" منها:" وضَعَ: والوضْعُ: ضد الرفع وَضَعَهُ يَضَعُهُ وَضْعًا ومَوْضُوعاً... والموضِع مصدر قولك وضعت الشيء من يدي وضعاً وموضوعاً... والوَضْعُ أيضا: الموضوع، سمي بالمصدر وله نظائر،... والجمع أوضاع".[8]

---

[1] – ينظر كافي الكفاة، الصاحب إسماعيل ابن عباد، المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسين آل ياسين، عالم الكتب، ط1، 1414هـ– 1994م: 103/2.

[2] – كافي الكفات، المصدر السابق: 104/2.

[3] – ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الجيل: 117/6.

[4] – ابن فارس، مجمل اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1406هـ–1986م: 928/3.

[5] – الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق: د.أحمد عبد الرحمان مخيمر، دار الكتب العربية، ط1، بيروت، 1425هـ–2004م: 284/2.

[6] – الجوهري، تاج اللغة و صحاح العربية، دار الكتب العلمية: 567/3.

[7] – الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم: ص 874 .

[8] – ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، دت: 941/6.

و" وضع الشيء في المكان أثبت فيه... ووضع الخائط القطن على الثوب والباني الحجر توضيعاً نضّد بعضه على بعض".[1]

ويقول الفيروزآبادي(817هـ): " ووضعتها ألزمتها المرعى فهي موضوعة".[2]

و" المواضعة المراهنة ومتاركة البيع والموافقة في الأمر، وهلمّ أواضعك الرأي أطلعك على رأيي وتطلعني على رأيك ...".[3]

مما سبق تبيّن أنّ لفظ "الوضع" جاء بمعان لغوية مختلفة منها: "السير الدون" و" التثبيت في المكان " و"خفض الشيء وحطّه" و"البناء" و"التنضيد".

ومنه "المواضعة" وهي:" أن تناظر أخاك في أمر وتطلعه على رأيك فيه، ويمكن أن توافقه في ذلك".

ومنه أيضا "الموضوع" وهو: اسم مفعول من الوضع، كما جاء في كلام الفيروزآبادي. أو هو مصدر مثل "الوَضْعُ" كما جاء في كلام ابن منظور.

وبناء على ذلك، يمكن القول أنّ المعنى اللغوي للفظ "الموضوع" هو: الأمر الذي يطلع المتحدث عليه غيره، أو يناظره فيه، أو يوافقه فيه ويكون بكلام مبنيّ بعضه على بعض وبطريقة منضّدة.

ولا يخرج عن هذا قولنا اليوم: "ما الموضوع ؟ " أي: ما هو الأمر الذي ستطلعنا عليه وتناظرنا فيه؟ ومن خصائصه المعتادة أن يكون منظما ومبنيا بعضه على بعض.

الفرع الثاني: معنى "الموضوع" في الاِصطلاح.

تنوّعت المعاني الاِصطلاحية للفظ " الموضوع " بين المعنى العام له، والمعاني الخاصّة بكل علم.

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي: 943/6.

[2] – الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار العلم للجميع: 94/3.

[3] – الفيروزآبادي، المصدر نفسه.

جاء في التعريفات للجرجاني(816هـ):" الوضع في اللغة جعل اللفظ بإزاء المعنى. وفي الاِصطلاح تخصيص شيء بشيء متى أطلق أو أحسّ الشيء الأوّل فهم منه الشيء الثاني".[1]

ويقول الكفوي(1094هـ) في الكليات:" الْوَضْعُ: تخصيص اللفظ بالمعنى. وقيل هو جعل اللفظ دليلا على المعنى".[2]

ويقال:" لفظٌ موضوع أي موضوع للمعنى".[3] أي: أثبت هذا اللفظ لذاك المعنى وهو مثل المعنى الحسي من التثبيت في المكان.

أمّا الوضع عند الحكماء فهو:" هيئة عارضة للشيء بسبب نسبتين: نسبة أجزائه بعضها إلى بعض، ونسبة أجزائه إلى الأمور الخارجة عنه كالقيام والقعود. والوضع الحسي: إلقاء الشيء المستعلي".[4]

والمواضعة:" ما تعارف الناس عليه، ويعد أحد مقاييس الأخلاق وأحد مبادئ العلم والمعرفة".[5]

أمّا لفظ "الموضوع"، فيعرّفه الكفوي بقوله:" هو عبارة عن المبحوث بالعلم عن أعراضه الذاتية•".[6]

ويطلق عند المنطقيين ويراد به:" المحكوم عليه لأنّه وضع لأن يحكم عليه".[7]

---

[1] – الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405هـ: ص326.

[2] – الكفوي، الكليات، مؤسسة الرسالة: ص934.

[3] – عبد النبي نكري، دستور العلماء، دار الكتب العلمية: 257/3.

[4] – الكفوي، المصدر نفسه.

[5] – أشرف طه أبو الذهب، المعجم الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1423هـ–2002م: ص594.

• – أعراضه الذاتيّة: هي الأعراض المقوّمة للشيء حتى تكون هي حقيقته، كالإنسان لزيد. أو داخلة في حقيقته دخول الجزء كالحيوان للإنسان.(المعتبر في الحكمة للبغدادي، ص14، نقلا عن فريد جبر وآخرون، موسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت، 1996م: ص525–526).

[6] – الكفوي، المصدر السابق: ص 868.

[7] – عبد النبي نكري، المصدر نفسه.

وهو عند الحكماء:" المحلّ المقوّم للعرض أي ما به قوام العرض".[1]

ويعرّفه علماء الحديث بأنّه:" المختلق المصنوع وشر الأحاديث الضعيفة".[2]

أما عند علماء التفسير، فلم يكن هذا المصطلح متداولا بين المتقدمين منهم. وعُرِفَ بين المعاصرين مقرونا بالتفسير وبمعناه المشهور، ولم يُتعرّض له بالشرح منفصلا إلا عند القليل من الباحثين، ومن هؤلاء:

عبد الستار سعيد الذي عرّفه بقوله:" القضية التي تعددت أساليبها سيروأماكنها في القرآن الكريم، ولها جهة واحدة تجمعها، عن طريق المعنى الواحد، أو الغاية الواحدة".[3] لذلك فالشيخ عبد الستار لا يعتبر من التفسير الموضوعي ما يسمى بالوحدة الموضوعية للسورة.

وعرّفه مصطفى مسلم بأنّه:" قضيّة أو أمر متعلّق بجانب من جوانب الحياة في العقيدة أو السلوك الاِجتماعي أو مظاهر الكون تعرّضت لها آيات القرآن الكريم".[4] أي: بغض النظر عن كونه في كل القرآن أو في سورة من سوره.

والموضوع في كل علم هو:" ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتيّة".[5]

والموضوع أيضا:" المادّة التي يبني عليها المتكلم أو الكاتب كلامه".[6]

أي: المعلومات التي يبني عليها المتكلم أو الكاتب كلامه.

---

[1] – عبد النبي نكري، دستور العلماء، دار الكتب العلمية: 257/3.

[2] – ابن صلاح، أبو عمرو عثمان ابن عبد الرحمان الشهرزوري، مقدمة ابن صلاح، تعليق وتخريج: أبو عبد الرحمان صلاح ابن محمد ابن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت: 80/1. وينظر ابن الملقن، عمر بن علي بن أحمد بن السرّاج، المُقنِعُ في علوم الحديث، تحقيق: أحمد فتحي حجازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1433هـ– 2012م: ص 141.

[3] – عبد الستار سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، بور سعيد، ط2، 1411هـ – 1991م: ص20.

[4]– مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق، ط5، 1428هـ –2007م: ص16.

[5] – التهانوي، محمد علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996م: 7/1.

[6] – محمد هادي اللحام وآخرون، القاموس، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2005م: ص846.

ويعرّفه الدكتور محمد غنايم بقوله:" الموضوع عبارة عن فكرة عامة تظم عددا من الأفكار الصغيرة والعناصر، وقد تكون هذه الفكرة كتابا أو بحثا أو موضوع إنشاء".[1]

ومثل هذه التعريفات التي تعرّف لفظ "الموضوع" بمعناه العام دون إضافته إلى علم معيّن هو المعتمد في هذه الدراسة. وتعريف الكفوي(1094هـ) من أنّ الموضوع هو:" المبحوث بالعلم عن أعراضه الذاتية" تدخل فيه كل التعريفات العامة السابقة؛ فهو قد يكون لفظ، أو معنى أو معلومات، وقد يكون كل أو جزء، يتعرّض المتكلم أو الكاتب لكل ما يتعلّق به من أوصاف ذاتيّة بطريقة علميّة.

فالموضوع إذن هو: المبحوث بالعلم عن أعراضه الذاتيّة.

وبالمقارنة بين هذا التعريف الِاصطلاحي والمعنى اللغوي الذي استُنتج؛ وهو "الأمر الذي يطلع المتحدّث عليه غيره، أو يناظره فيه، ويكون بكلام مبني بعضه على بعض وبطريقة منضدة"، نجد أنّ المعنى الِاصطلاحي قد جمع كلمتا "البناء" و"التنضيد" في لفظ "العلم"، وهذا يزيد المبحوث قيمة عند السامع أو القارئ. كما أنّ كلا التعريفين يوحيان بوجود مناسبة بين الكلام؛ سابقه ولاحقه.

فكل المعاني الِاصطلاحية، لم تخرج عن المعنى اللغوي، ولم تعطّله، ولكن بنت عليه، واكتسب المصطلح لنفسه سعة وثراء من خلال كثرة جزئياته.

المطلب الثالث: معنى المركب الإضافي.

بعد أن عرّفنا لفظ "الوَحدة" في اللغة والِاصطلاح، وكذا لفظ " الموضوع"، نصل إلى تحديد معنى المركّب الإضافي: "الوَحدة الموضوعية".

"فالوَحدة" اصطلاحا كما اتُفق عليه هي:" كون الشيء بحيث لا ينقسم ويتنوع أنواعا، خصّ الِاصطلاح كل نوع منها باسم؛ تسهيلا للتعبير وهي في النوع مماثلة...، وفي النسبة مناسبة".[2] وما يهمّنا من هذه الأسماء هنا هو:" المناسبة".

---

[1] – غنايم، محمد نبيل، بحوث ونماذج من التفسير الموضوعي، دد، القاهرة، دط، دت: ص10.

[2]– الكفوي، الكليات، مؤسسة الرسالة: ص991.

أما الموضوع فهو: " عبارة عن المبحوث بالعلم عن أعرضه الذاتية". وهذا التعريف يوحي بوجود مناسبة:

- بين عناصر المبحوث أو الأعراض الذاتية له.
- وبين هذه الأعراض الذاتيّة –المكوّنة للمبحوث– والمبحوث.

فإذا اعتبرنا أن المبحوث بالعلم هنا هو سورة الأنعام أو موضوعها الرئيس؛ فإن الأعراض الذاتية هي الموضوعات المكوّنة لسورة الأنعام.

والمقصود بالمناسبات في الكلام السابق؛ هي المناسبة بين الموضوعات وسورة الأنعام الممثلة بموضوعها الرئيس. والمناسبة الموجودة بين الموضوعات داخل السورة.

وعليه يمكن تعريف "الوَحدة الموضوعية" بقولنا: هي علاقة المناسبة والتناسق الموجودة بين الأعراض الذاتيّة وبينها وبين المبحوث، بحيث لا ينقسم.

فالبحث بيان وتحديدٌ – قدر الطاقة– للتناسق ولأنواع المناسبة الموجودة بين أجزاء موضوعنا الذي هو "سورة الأنعام"، وبينها وبين هذا الموضوع حتى تبدو السورة في وَحدة بحيث لا تنقسم.

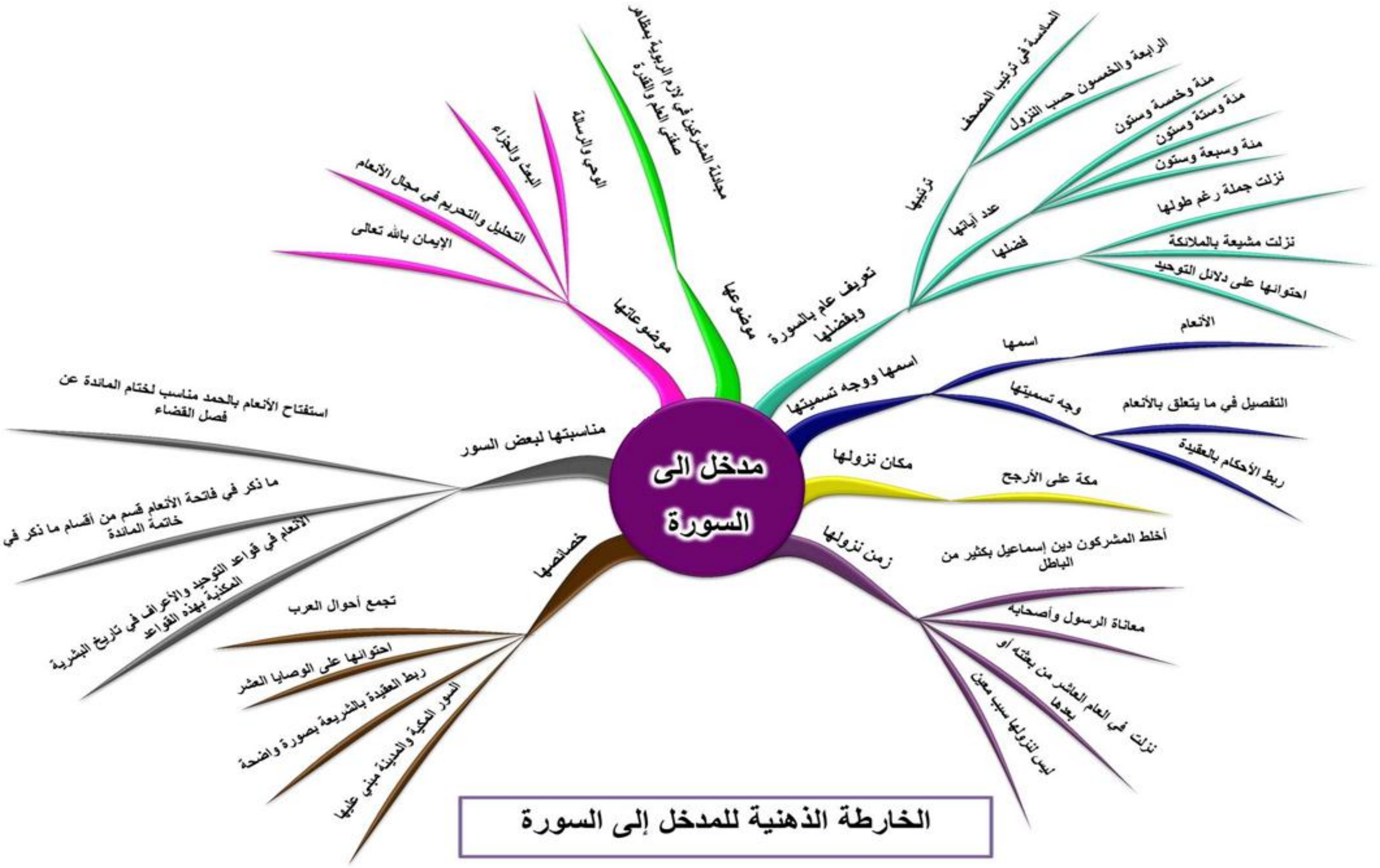

الخارطة الذهنية للمدخل إلى السورة

المبحث الثاني: مدخل إلى السورة.

المطلب الأول: تعريف عام بسورة الأنعام وبفضلها.

الفرع الأول: تعريف عام بسورة الأنعام.

سورة "الأنعام" هي السورة السادسة في ترتيب المصحف، وهي السورة الرابعة والخمسين أو الخامسة والخمسين حسب النزول، ونزلت بعد سورة الحجر وقبل سورة الصافات.[1]

وآياتها:" مائة وخمس وستون [165] في عدّ الكوفي، وست [166] في عدّ الشامي والبصري وعطاء، وسبع [167] في عدّ المكي والمدني".[2]

وجاء في التحرير والتنوير أنّها مائة وأربع وستون(164) في العد الشامي والبصري،[3] دون أن يُذكر مصدرُ ذلك.

ونقل ابن عبد البر(463هـ) الإجماع على مكيّتها فقال:" وقد أجمعوا أنّ سورة الأنعام مكيّة وقد نزل بعدها قرآن كثير، وسنن عظيمة".[4]

وروى مجاهد عن ابن عباس، أنّ "الأنعام" مما نزل بمكّة. وهذا قول الحسن وقتادة وجابر بن زيد.[5]

1- ينظر ابن الضريس، أبو عبد الله محمد بن يسار الضريس الرازي، فضائل القرآن، تحقيق: غزوة بدير، دار الفكر، دمشق، ط1، 1408هـ- 1987م: ص33. والبيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، دلائل النبوّة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الريان للتراث، القاهرة، ط 1، 1408هـ- 1988م: 7/142-143.

2- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمان، فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، تحقيق: حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط 1، 1408هـ - 1987م: ص283. والسيوطي، الإتقان، دار الكتاب العربي: ص177.

3 – ينظر ابن عاشور، محمد طاهر، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، دط، دت: 123/7.

4- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، مكتبة الأوس، المدينة، دط، 1387هـ- 1967م: 146/1.

5- ينظر ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، ط 1، دمشق، دت: 1/3.

وقال القرطبي(671هـ):" وهي مكيّة في قول الأكثرين".[1]

وذكرها السيوطي(911هـ) فيما نزل ليلا فقال:" ومنها: سورة الأنعام، وأخرج الطبراني[360هـ] وأبو عبيد[224هـ] في فضائله، عن ابن عباس، قال: **نَزَلَتْ سُورَةُ الأَنْعَامِ بِمَكَّةَ لَيْلاً جُمْلَةً، حَوْلَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْأَرُونَ بِالتَّسْبِيحِ**".[2]

الفرع الثاني: فضل السورة.

يكمن فضل السورة في كونها:

ذكرها السيوطي فيما نزل مفرّقا وما نزل جمعا فقال:" وأخرج الطبراني عن طريق يوسف بن عطيّة الصفّار. وهو متروك عن ابن عون، عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ:" **نَزَلَتْ عَلَيَّ سُورَةُ الْأَنْعَامِ جُمْلَةً وَاحِدَةً يُشَيِّعُهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٌ**".[3]

وقال أيضا:" أخرج البيهقي(458هـ) في الشعب بسند فيه من لا يعرف: عن علي قال:" **أُنْزِلَ الْقُرْآنُ خَمْسًا خَمْسًا إِلَّا سُورَةُ الْأَنْعَامِ؛ فَإِنَهَا نُزِلَتْ عَلَيَّ جُمْلَةً فِي أَلْفٍ، فَشَيَّعَهَا مِنْ كُلِ سَمَاءٍ سَبْعُونَ مَلَكٌ حَتَّى أَدُوهَا إِلَى الْنَبِيِ**ﷺ."".[4]

وذكر آثارا أخرى أخرجها أبو الشيخ[1](369هـ) ثم قال:" فهذه شواهد يقوي بعضها بعضا".[2]

1- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: سمير هشام البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، دط، 1423هـ-2003م: 382/6.

2- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي: ص 68. والأثر، رواه الطبراني، سليمان ابن أحمد ابن أحمد ابن أيوب أبو القاسم، المعجم الكبير، رقم12930، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط2، 1404هـ-1983م: 215/12. وسنده ضعيف فيه: 1- علي بن زيد بن جدعان: ضعيف.(ابن حجر، أحمد ابن علي العسقلاني، تقريب التهذيب، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1415هـ-1995م: 191/1). 2- يوسف بن مهران: لين الحديث.(ابن حجر، تقريب التهذيب، مكتبة العلوم والحكم: 346/3).

3- السيوطي، المصدر السابق: ص103. والحديث رواه الطبراني، المعجم الصغير، تحقيق: عبد الرحمان عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، دط، دت: 81/1. وفيه يوسف بن عطية الصفّار: متروك.(ابن حجر، تقريب التهذيب، مكتبة العلوم والحكم: 345/3).

4- السيوطي، المصدر السابق: ص104. والأثر أخرجه البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ: 471/2. وقال:" فيه من لا يعرف والله أعلم".

كما ذكر السيوطي سورة الأنعام فيما نزل مشيّعا وما نزل مفردا. فقال:" قلت: أمّا سورة الأنعام فقد تقدّم حديثها بطرقه، ومن طرقه أيضا، ما أخرجه البيهقي في الشعب والطبراني بسند ضعيف، عن أنس مرفوعا:" **نَزَلَتْ سُورَةُ الْأَنْعَامِ وَمَعَهَا مَوْكِبٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ سَدَّ مَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ، لَهُمْ زَجَلٌ بِالتَّسْبِيحِ وَالْأَرْضُ تَرْتَجُّ**".[3]

وأخرج الحاكم (405هـ) في مستدركه عَنْ جَابِرٍ قَالَ:" **لَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْأَنْعَامِ سَبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُم قَالَ: لَقَدْ شَيَّعَ هَذِهِ السُورَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَا سَدَّ الْأُفُقَ**". ثم قال: صحيح على شرط مسلم".[4]

فسورة الأنعام إذن مما نزل بمكّة، ونزلت ليلا، وكذا جملة، ومما شيّع بالملائكة. وجُل الآثار في ذلك متكلمٌ فيها، إلا أنّها تقوي بعضها بعضا.

وقد ذكر العلماء بعض الأسباب لفضيلة نزول السورة جملة، أهمّها:

1- قول الرازي(606هـ) في تفسيره:" قال الأصوليون، هذه السورة اختصت بنوعين من الفضيلة، أحدهما: أنّها نزلت دفعة واحدة، والثاني: أنّها شيّعها سبعون ألفا من الملائكة...".[5]

ثم ذكر سبب نزولها على هذه الصفة فقال:" والسبب فيه أنّها مشتملة على دلائل التوحيد والعدل والنبوّة والمعاد وإبطال مذاهب المبطلين والملحدين، وذلك يدلّ على أنّ علم الأصول

1- هو: عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان ولد سنة 274هـ، سمع عن إسحاق ابن إسماعيل الرملي وأبي يعلى الموصلي، و كان قانتا لله، صدوقا. ومن تلاميذه أبو بكر الشيرازي، وأبو بكر ابن مردويه. صنف في التفسير وكتب كثيرة في الأحكام. توفي سنة 369هـ. (الداوودي، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت: 1/246-248).

2- السيوطي، الإتقان، دار الكتاب العربي: ص 104.

3- السيوطي، المصدر نفسه. والحديث رواه البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، رقم2433، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ: 2/470.

4- الحاكم، محمد بن عبد الله أبو عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين مع تعليقات الذهبي، رقم3226، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ-1990م: 2/344. ولمّا صحّحه قال: فإنّ إسماعيل هو السدي. وعلّق عليه الذهبي في التلخيص بقوله:" لا والله لم يدرك جعفر السدي، وأظن هذا موضوعا".

5- الرازي، محمد ابن ضياء الدين عمر، مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، ط3، 1405هـ-1985م: 12/149.

في غاية الجلالة والرفعة... وأمّا ما يدلّ على علم الأصول فقد أنزله الله تعالى جملة واحدة، وذلك يدلّ على أنّ تعلّم علم الأصول واجب على الفور لا على التراخي".[1]

وعلّق على هذا النص السيد محمد رشيد رضا[2](1354هـ) بقوله:" ومراده بالأصول عقائد الدين وإنّما يجب تعلّمها على طريقة القرآن، لا على طريقة المتكلّمين وفلاسفة اليونان".[3]

2- وقال القرطبي(671هـ):" قال العلماء: هذه السورة أصل في محاجّة المشركين، وغيرهم من المبتدعين، ومن كذّب بالبعث والنشور؛ وهذا يقتضي إنزالها جملة واحدة، لأنّها في معنى واحد من الحجّة، وإن تصرّف ذلك بوجوه كثيرة...".[4]

وعلى هذين القولين، فإنزالها جملة؛ دليل على جلالة علم الأصول، وعلى وجوب تعلّمه على الفور وكذا؛ لأنّها في معنى واحد من الحجّة.

المطلب الثاني: اسم السورة ووجه تسميتها.

الفرع الأول: اسم السورة.

عُرفت هذه السورة بسورة "الأنعام"، في المصحف، وفي كتب التفسير، وعلوم القرآن، وفي كل كتب السنّة، وليس لها اسم غيره؛ فالسيوطي(911هـ) في الإتقان مثلا والزركشي(794هـ) في البرهان لم يذكرا لها سوى هذا الإسم.[5]

1- الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر: 149/12.

[2]- محمد رشيد رضا ابن محمد شمس الدين ابن محمد بهاء الدين ابن ميلا علي خليفة القلموني البغدادي الأصل، أحد رجال الإصلاح الإسلامي، من الكتاب العلماء بالحديث والأدب والتفسير. له "مجلة المنار" أصدر منها 34 مجلدا، وتفسير القرآن الكريم 12 مجلدا، توفي سنة 1935م.(عمر كحالة، معجم المؤلفين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ-2003م: 287/5-288).

3- محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، تخريج وشرح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـ- 1999م: 237/7.

4- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار عالم الكتب: 383/6.

5- ينظر السيوطي، الإتقان، دار الكتاب العربي: ص 144-145. والزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1376هـ-1975م: 269/1.

الفرع الثاني: وجه التسمية.

يقول الزركشي في وجه تسميّة السورة بهذا الإِسم:" ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به، ولا شك أنّ العرب تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصّه، أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى. ويسمّون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها... وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها، وإن كان قد ورد لفظ الأنعام في غيرها إلا أنّ التفصيل الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾ إلى قوله: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ ﴾ لم يرد في غيرها".[1]

وقد تكرّر هذا اللفظ في السورة ست مرات في أربع آيات وهي كالتالية:

قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ (136) ﴾ [سورة الأنعام: الآية 136].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ﴾ [سورة الأنعام: الآية 138].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة الأنعام: الآية 139].

وفي قوله عز وجل: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [سورة الأنعام: الآية 142].

---

[1] – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة: 270/1.

وبعد هذه الآيات، آيات أخرى ينكر فيها الله عز وجل على المشركين تصرّفهم في الأنعام بهواهم، وتحريمهم على أنفسهم ما لم يحرّم الله، وبيّنت الآيات بعدها ما حرّم الله على المسلمين، وما كان محرّما في شريعة اليهود.

وهذا الوجه ذكره أكثر المفسّرين والمؤلفين في علوم القرآن، إلا أنّه ليس وجه التسمية الوحيد، فقد ذكر البقاعي(885هـ) وجه آخر وهو: مناسبة الإسم لمقصد السورة، إذ يقول:" مقصودها الإستدلال على ما دعا إليه الكتاب في السورة الماضيّة من التوحيد بأنّه الحاوي لجميع الكمالات من الإيجاد، والإعدام، والقدرة على البعث وغيره، وأنسب الأشياء المذكورة فيها لهذا المقصد الأنعام، لأنّ الإذن فيها- كما يأتي- مسبب عما ثبت له من الفلق والتفرّد بالخلق".[1] أي: أنسب دليل واقعي لقدرته تعالى على إيجاد الكون، وإعدامه، وبعثه من جديد هو، الأنعام؛ فهو خالقها، والمتصرف الوحيد في كيفيّة الإستفادة منها؛ فالخلق له والنسك له والتشريع له.

ومن خلال الكلام المطوّل الذي تحدّث فيه سيد قطب[2](1386هـ) عن سورة الأنعام، يمكن استنتاج رأيه في وجه تسميّتها إذ يقول:"... الحشد الذي يتدفق به سياق السورة من التقريرات والمؤثرات، وهو يواجه الجاهليّة وأهلها في أمر هذه الأنعام والذبائح والنذور... يوقع في النفس تلك الحقيقة الأصليّة في طبيعة هذا الدين. وهي أنّ كل جزئيّة صغيرة في الحياة الإنسانيّة يجب أن تخضع خضوعا مطلقا لحاكميّه الله المباشرة...".[3]

1- البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم ابن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، خرّج آياته وأحاديثه: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ- 1995م: 578/2.

2- هو: سيد قطب إبراهيم حسين شاذلي، ولد في قرية موشة في أسيوط، في 9- 10- 1906م، وأعدم يوم الاثنين: 13 جمادى الأولى 1386هـ، الموافق لـ 29-08-1966م. ألّف في المجموع 26 كتابا، أهمّها: التصوير الفني في القرآن، وفي ظلال القرآن، ومعالم على الطريق.(صلاح عبد الفتاح الخالدي تعريف الدارسين بمناهج، دار القلم، دمشق، ط1، 1423هـ-2002م: ص 579-600. ومعجم المفسرين لعادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، ط1، 1406هـ-1986م).

3- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط8، بيروت والقاهرة، 1399هـ- 1989م: 7/ 1018.

وقال أيضا:"... وهي المناسبة التي لا نقول: أنّها اقتضت ذلك الحشد... ولكنّنا نقول: أنّها المناسبة التي رُبطت في سياق السورة بهذا كلّه؛ فدلّ هذا الربط على طبيعة هذا الدين ونظرته لقضيّة التشريع والحاكميّة في الكبير والصغير...".[1]

وعلى هذا؛ فتسمية السورة "بالأنعام"- رغم أنّ مقصودها العام هو التوحيد والإيمان- للتنبيه على خطورة فعل المشركين في الجاهليّة؛ من تحليلٍ وتحريمٍ، وتشريعِ ما لم يأذن به الله؛ لأنّ الحاكميّة المطلقة لله وحده، في الأمور الكليّة والجزئيّة، وأنّ كلّ جزئيّة مرتبطة بالقواعد الإيمانيّة في هذا الدين.

المطلب الثالث: المكي والمدني من سورة الأنعام.

استثنى بعض العلماء آيات من سورة الأنعام، واعتبروها مدنيّة. وقبل عرضها بشيء من الدراسة، تأتي هنا أدلّة القول المختار وهو قول من قال بعدم الاِستثناء:

1- قول ابن الحصار[2](611هـ):" استثني منها تسع آيات، ولا يصحّ به نقل، خصوصا قد ورد أنّها نزلت جملة".[3]

2- ما نقل عن القرطبي(671هـ) من أنّ مكّيتها هو قول الأكثرية. وكذلك هو قول بعض التابعين كقتادة والحسن وجابر بن زيد.

3- ونزولها جملة مروي أيضا عن جمع من الصحابة، منهم: ابن عباس وابن عمر وأنس بن مالك وعلي.

4- كل من صنّف القرآن إلى مكّي ومدني، ذكرها في القسم المكّي.

5- كما أنّ الحافظ ابن كثير(774هـ) في بداية تفسيره للسورة، ذكر بعض الروايات الدالّة على مكيّتها وعلى نزولها جملة، ولم يذكر أي رواية تدلّ على الاِستثناء.

1- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: 1020/7.

[2] – هو: ابن الحصار، علي ابن محمد ابن محمد ابن موسى الأنصاري الخزرجي الأندلسي الأصل، الشامي أبو الحسن، ألف كتابا في الناسخ والمنسوخ، توفي سنة (611هـ). (المنذري، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم، التكملة لوفيات النقلة، تحقيق: د بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط1، 1408هـ- 1988م: 106/4).

3 – السيوطي، الإتقان، دار الكتاب العربي: ص48.

6- يقول الحافظ ابن حجر(852هـ) في الفتح باب" قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ"، وبعد أن جمع الطرق في معنى هذه الآية:" وفي أسانيدها مقال غالب يدلّ مجموعها على أنّ لذلك أصلا".[1] وهذه القاعدة تنطبق على الروايات في مكيّة "سورة الأنعام" ونزولها جملة.

7- اجتماع الروايات في نزولها جملة والدالّة في نفس الوقت على مكّيتها فيمكن أن يقال عنها:" كثرة الروايات في مسألة لا مجال فيها للرأي فتكون اجتهادية، ولا للهوى فتكون موضوعة، ولا لغلط الرواة فتكون معلولة؛ لابد أن يكون لها أصل صحيح".[2] وفي هذا الكلام تفصيل وزيادة توضيح لكلام ابن حجر السابق.

وقد جاءت بعض الآثار التي تدلّ على الإستثناء ذكرها المفسرون منها:

1- ما ردّ به السيوطي(911هـ) على ابن الحصّار بقوله:" قلت: قد صحّ النقل عن ابن عباس باستثناء: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا ﴾ [الآيات 151- 153] كما تقدم، والبواقي: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الآية 91] لما أخرجه ابن أبي حاتم أنّها نزلت في مالك بن الصيف، وقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (21) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (22)﴾ الآيتين [الآيات 21-22] نزلتا في مسيلمة، وقوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الآية 20]. وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [الآية 114]".[3]

2- وجاء في بحر العلوم للسمرقندي(375هـ) عن مقاتل(150 هـ) قوله:" سورة الأنعام كلها مكيّة غير قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [الآية 91]".[4]

1- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، دط، دت: 293/8.

2 – محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، دار الكتب العلمية: 235/7.

3- السيوطي، الإتقان، دار الكتاب العربي: ص 48-49. وينظر أيضا ما نقله السمرقندي عن ابن عباس في رواية أبي صالح قوله:" سورة الأنعام كلها مكيّة غير ستة آيات..." وهي [21،22،91،151،152،153]. (السمرقندي، أبو الليث نصر ابن محمد ابن محمد ابن إبراهيم، بحر العلوم، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ-1993م: 471/1).

4- السمرقندي، بحر العلوم، دار الكتب العلمية: 471/1.

3- وقال القرطبي(671هـ) في تفسيره:" قال ابن عباس وقتادة (117هـ): هي مكيّة كلها إلا آيتين منها نزلتا بالمدينة، قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ [الآية 91]... والأخرى قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ ﴾[الآية 141]".[1]

4- و" أخرج ابن المنذر عن أبي جحيفة قال: نزلت سورة الأنعام جميعا معها سبعون ألف ملك، كلّها مكيّة إلا: ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ﴾[الآية 111] فإنّها مدنيّة".[2]

5- وفي الدرّ المنثور أيضا:" أخرج الفريابي وإسحاق بن راهويه في مسنده وعبد بن حميد عن شهر بن حوشب قال:" **نَزَلَتْ الأَنْعَامُ جُمْلَةً وَاحِدَةً مَعَهَا زَجْلٌ مِنَ الْمَلائِكَةِ قَدْ نَظَمُوا مَا بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا إِلَى الأَرْضِ**". قال: وهي مكيّة غير آيتين: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151) وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[الآيات 151-152] والآية التي بعدها".[3]

وكما نلاحظ، فالروايات الدالّة على الإستثناء كثيرة، وخاصّة المروية عن ابن عباس، ولكنّها متكلّم فيها ويمكن ردّها بقول ابن الحصار(611هـ) السابق، وبالقاعدة الترجيحيّة المعروفة:" المثبت مقدم على النافي عند التعارض"، إلا ما صحّ عن ابن عباس من استثناء قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ ﴾[الآيات 151-153] وسيأتي التفصيل فيها.

وفيما يلي الآيات المدّعى مدينتها من سورة الأنعام مرتّبة، مع ذكر أصحاب القول باستثنائها:

1- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار عالم الكتب: 382/6.

2- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر، الدر المنثور في التفسير بالمأثور وهو مختصر تفسير ترجمان القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424هـ-2004م: 4/3.

3- السيوطي، المصدر نفسه.

1- الآية عشرون وهي قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾.

ذهب إلى القول بمدنيّتها مقاتل بن سليمان.[1] وذكر ذلك السيوطي(911هـ) كما سبق، دون أن يعزو استثناءها إلى أحد من الأئمة.

2- الآية: الثالثة والعشرون وهي قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴾.

ذهب إلى القول بمدنيّتها هبة الله بن سلامة[2](410هـ) في كتابه "الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم".[3] وهو قول ابن عباس كذلك.[4]

3- الآية: الثانية والخمسون وهي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

وذهب إلى القول بمدنيّتها ابن عطية(541هـ) في تفسيره؛ باعتبار أنّها نزلت في قصة الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن الفزاري حينما وفدا إلى النبيﷺ بالمدينة.[5]

1- ينظر مقاتل بن سليمان، أبو الحسن بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، تفسير مقاتل، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ- 2003م: 340/1.

2- هو: هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي، أبو القاسم: مفسر، ضرير، من أهل بغداد وبها وفاته سنة(ﭜﭝﭞهـ- ﭠﭝﭞم). كانت له حلقة في جامع المنصور. له كتب، منها "الناسخ والمنسوخ في القرآن" صغير، من رواية أبي محمد رِزْق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز التميمي، و"الناسخ والمنسوخ من الحديث"، و"المسائل المنثورة" في النحو.(الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد علي بن فارس الدمشقي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، طﭟ، ﭛﭜﭜﭛم: ﭠ/ﭞﭛ).

3- هبة الله بن سلامة، الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تخريج وتعليق: مصطفى ديب البغا، مطبعة اليمامة للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1407هـ-1987م: ص67.

4- ينظر ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 1425هـ- 2004م: 148/3.

5- ينظر ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، 1413هـ- 1993م: 296/2.

4- الآية الواحدة والتسعين وهي قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾.

وذهب إلى القول بمدنيّتها مقاتل(150هـ)، وابن عباس وقتادة (117هـ) وسبق ذكر ذلك في هذا المطلب.

5- الآية الثلاثة والتسعين وهي قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾.

ذكر استثناء هذه الآية السيوطي(911هـ) في الإتقان وقد سبق ذكره.

6- الآية مائة وإحدى عشر وهي قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾.

وقد ذُكر فيما سبق أنّ أبي جحيفة استثنى هذه الآية في أثرٍ أخرجه ابن المنذر.

7- الآية مائة وأربعة عشر وهي قوله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾.

أورد هذه الآية السيوطي فيما استثني من الآيات المدنيات في سورة الأنعام. كما يرى مدنيتها مقاتل بن سليمان، حيث فسّرها بقوله:" فليس أحسن قضاء من الله في نزول العذاب ببدر".[1]

8- الآية مائة وخمسة عشر وهي قوله تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.

1- مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، دار الكتب العلمية: 366/1.

وقال بمدنيّتها مقاتل ابن سليمان أيضا حيث فسّرها بقوله:"...ناصر محمدﷺ في بدر".[1]

9- الآية مائة وواحد وعشرين وهي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾.

أخرج أبو داود(275هـ) عن ابن عباس:" جاءت اليهود إلى النبيﷺ فقالوا: أتأكل مما قتلنا ولا تأكل مما قتل الله؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾".[2]

ويقتضي هذا السبب الذي أخرجه أبو داود في سننه أن تكون الآية مدنية النزول.[3]

10- الآية مائة وواحد وأربعين وهي قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾.

وقال بمدنيتها كل من ابن عباس وقتادة(117هـ).[4]

11- الآية مائة وخمسة وأربعين وهي قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.

قرر مدنيّة هذه الآية ابن العربي(543هـ) في كتابه أحكام القرآن".[5] والبقاعي(885هـ) في " نظم الدّرر".[6]

---

[1] – مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، دار الكتب العلمية: 366/1.

2- رواه أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، كتاب: الأضاحي، باب: ذبائح أهل الكتاب، حديث رقم2819، تحقيق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر، بيروت، دط، دب، دت: 644/2.

3- عبد الرزاق حسين أحمد، المكي والمدني في القرآن الكريم، دار ابن عفان، القاهرة، ط1، 1420هـ–1999م: 619/2.

4- القرطبي، الجامع لأحكام القران، دار عالم الكتب: 245/6.

5- ابن العربي، أحكام القرآن، دار الكتب العلمية: 290/2.

6- البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية: 733/2.

12- الآيات مائة وإحدى وخمسين إلى مائة وثلاثة وخمسين وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (152) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

وسبق ذكر أصحاب هذا الاِستثناء وهم: ابن عباس وشهر بن حوشب، الذي استثنى الآيتين الأوليين فقط، كما في الدر المنثور. وذهب بمدنية الثلاث أيضا مقاتل بن سليمان(150هـ).[1] وهذه الآيات الثلاث هي أشهر ما ادعي استثناءه من سورة الأنعام.

والراجح، أنها مكيّة للأسباب العامّة المتقدّمة، إلى جانب كونها تحتوي على:" وصايا أخلاقيّة متّفقة مع منهج النبوّات في الجمع بين العقيدة والشريعة. والأحكام المذكورة فيها من قبيل القواعد الكليّة التي كانت في مكّة، وشرّعت جزئيّاتها بالمدينة".[2]

يقول ابن تيمية في ذلك:" فالرسل متّفقون في الدين الجامع للأصول الاِعتقاديّة والعمليّة، فالاِعتقادية كالإيمان بالله، وبرسله وباليوم الآخر. والعمليّة كالأعمال العامّة المذكورة في الأنعام والأعراف وسورة بني إسرائيل[3]".[4]

وقد ذُكرت الآيات التي ادُعي مدنيتها من سورة الأنعام؛ للتعرّف عليها. ويمكن التفصيل فيها، والردّ على أصحابها -إن كانت هناك ضرورة- عند تفسير السورة. وإلا فالراجح

1- ينظر مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، دار الكتب العلمية: 335/1.

2- عبد الرزاق حسين أحمد، المكي والمدني في القرآن الكريم، دار ابن عفان: 646/2.

3- سورة بني إسرائيل هي: سورة الإسراء. (السيوطي، الإتقان، دار الكتاب العربي: ص146).

[4]- ابن تيمية، أحمد الحراني، مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع: عبد الرحمان محمد ابن قاسم، المكتب التعليمي السعودي بالمغرب، الرباط، دط، دت: 159/15. ومعنى هذا الكلام أيضا عند الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم ابن موسى، الموافقات في أصول الشريعة، ضبط: محمد عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1395هـ- 1975م: 3/ 304-305.

مكّيتها؛ للأدلّة التي قدّمها العلماء: كابن تيمية(728هـ)، وابن حجر(852هـ)، وابن كثير(744هـ)، وسيد قطب(1386هـ)، ورشيد رضا (1354هـ)، وقد فصّل بعض الباحثين[1] في ذلك ما يغني عن إعادته هنا.

المطلب الرابع: خصائص القرآن المكي وسورة "الأنعام".

كان الكلام السابق عن مكيّة سورة الأنعام، ورُجّح عدم استثناء شيئا من آياتها في ذلك. وهذا يؤدي إلى ضرورة الكلام عن خصائص القرآن المكّي بصفة عامة، ومميزات سورة الأنعام بصفة خاصّة، لما لذلك من أثر في معرفة مقصد السورة، ومغزى الآيات، وفهم معناها في هذا الإطار.

الفرع الأول: خصائص القرآن المكي.

ذكر العلماء للقرآن المكي خصائص عدّة، من أهمّها:

1- تقرير الأسس الإيمانية. يقول الشاطبي[2](790هـ):" وغالب المكّي أنّه مقرّر لثلاثة معاني أصلها معنى واحد وهو الدعاء إلى عبادة الله تعالى: أحدها: تقرير الوحدانية لله الواحد الحق. والثاني: تقرير النبوّة للنبيّ محمدﷺ. والثالث: إثبات أمر البعث والدار الآخرة".[3] ويقول ابن تيمية(728هـ):"... فالسور المكيّة تضمّنت الأصول التي اتفقت عليها رسل الله؛ إذ كان الخطاب فيها يتضمّن الدعوة لمن لا يقرّ بأصل الرسالة".[4]

---

[1] – ينظر عبد الرزاق حسين أحمد، المكي والمدني في القرآن الكريم، دار ابن عفان: 1/285-305.

[2] – هو: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي. أحد العلماء الأثبات، الفقيه الأصولي المفسر والمحدّث. له استنباطات جليلة، وأبحاث شريفة، مع الصلاح والورع واتباع السنّة. من أئمة المالكية توفي في(شعبان سنة790هـ- 1388م). أخذ عنه الفخار الألبيري وأبو عبدالله البلنسي وأبو عبد الله الشريف التلمساني وآخرون غيرهم. من مصنفاته: الموافقات في أصول الفقه، وكتاب الاعتصام في الحوادث والبدع.(مخلوف، محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية القاهرة، دط، 1349هـ: ص231. ويُتصفح برنامج الموسوعة العربية العالمية عبر الرابط:www.intaaj.net).

3- الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، دار الكتب العلمية: 3/311-312.

4- ابن تيمية، مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع: عبد الرحمان محمد بن قاسم، المكتب التعليمي السعودي، الرباط، دط، دت: 15/159-160.

2- بيان العلاقة بين توحيد الربوبيّة وتوحيد الألهيّة. يقول سيد قطب(1386هـ) في الظلال عندما تحدّث عن القضية الكبرى التي يعالجها القرآن المكي:" لقد كان يعالج القضيّة الأولى، والقضيّة الكبرى، والقضيّة الأساسيّة، في هذا الدين الجديد، "قضية العقيدة"، ممثّلة في قاعدتها الرئيسيّة ...الألهيّة والعبوديّة، وما بينهما من علاقة".[1] ويقصِد بالألهيّة الربوبيّة وبالعبادة الألهيّة. وهذا ما يُعبّر عنه بالاِستدلال بالربوبيّة على الألوهية. وسيأتي التفصيل في ذلك فيما يأتي من المطالب.

كما تحدّث سيّد قطب عن منهج القرآن في عرض هذه القضيّة قائلا:" إنّه لم يعرضها في صورة "نظريّة" ولم يعرضها في صورة "لاهوت" ولم يعرضها في صورة "جدل كلامي" كالذي زاوله فيما بعد ما يسمى بـ"علم التوحيد" أو "علم الكلام"! كلا؛ لقد كان القرآن الكريم يخاطب فطرة "الإنسان" بما في وجوده هو وبما في الوجود من حوله من دلائل وإيحاءات...".[2]

3- يقرّر القرآن المكّي أصول التشريع؛ فهو" يضع الأسس العامّة للتشريع والفضائل التي يقوم عليها المجتمع، ويفضح جريمة المشركين في سفك الدماء، وأكل أموال اليتامى ووأد البنات، وما كانوا عليه من سوء العادات".[3]

4- المكّي أصل للمدني والمدنيّ مبنيّ عليه؛ فلا تفهم الآيات المدنيّة إلا إذا رُبطت بالآيات المكيّة ممّا هو أصل لها. وهذا ما أكّد عليه الشاطبي(790هـ) إذ يقول:" المدني في الصور ينبغي أن يكون منزلا في الفهم على المكّي، وكذلك المكّي بعضه على بعض، والمدني بعضه على بعض بحسب ترتيبه في التنزيل، وإلا لم يصح... دلّ عليه الاِستقراء".[4]

5- يذكر القرآن المكي- في الغالب الأعم- قصص الأنبياء والأمم السابقة.[5]

1- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: 1004/7.

2- سيد قطب، المصدر السابق: 1011/7-1012.

3 - بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن، دار العلم للملايين، لبنان، دط، 1994م: ص46.

4- الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، دار الكتب العلمية: 304/3.

5- ينظر بكري شيخ أمين، المرجع نفسه.

الفرع الثاني: خصائص سورة الأنعام.

هذه السورة المكيّة التي نزلت جملة واحدة- رغم طولها- على النبيﷺ، لها نفس خصائص القرآن المكّي السابقة، وهي خير مثال تطبيقي لذلك. ولها أيضا ما يميّزها عن غيرها من السور المكيّة، ويظهر ذلك فيما يلي:

1- تدعو إلى توحيد الله في ألوهيته إنطلاقا من توحيده في ربوبيّته؛ عن طريق التفكّر في خلقه، ومعرفة صفاته، واستشعار قدرته وقهره وضعف الإنسان أمام مشيئته، ووجوب حمده، يقول تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ① هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ② وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾[سورة الأنعام: الآيات 1-3]. ويقول أيضا: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[سورة الأنعام: الآية 13]. وكذلك: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ⑰ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[سورة الأنعام: الآيات 17-18].

2- تذكّر بأحوال الأمم السابقة، وتقرّر سنّته تعالى فيهم جراء أعمالهم: من الإستهزاء والإفتراء، دون تفصيل في قصصهم. يقول تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾[سورة الأنعام: الآية 6]. ويقول أيضا: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[سورة الأنعام: الآية 10]. وكذلك: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [سورة الأنعام: الآية 21].

3- عرضت قصّة إبراهيم، من جهة الدلائل التي أقامها في محاجّة أبيه وقومه، مثال ذلك قوله جلّ جلاله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة الأنعام: الآية 74]. وقوله تعالى على لسان إبراهيم: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأنعام: الآية 81].

4- تذكر السورة بعض الأنبياء الصالحين، الذين فضّلهم الله على العالمين، دون أدنى تفصيل، خلافا لبعض السور المكيّة الأخرى، مثاله قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (85) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[سورة الأنعام: الآيات 85-86].

5- تذكر النبي موسى عليه السلام من جهة الكتاب الذي أنزل عليه، ومقارنته مع القرآن الكريم. يقول تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (91)﴾. وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (154) وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (155)﴾ .

6- وهي أجمع سور القرآن لأحوال العرب في الجاهليّة وأشدّها مقارعة لجدالهم واحتجاجا على سفاهة أحوالهم. يقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ (8) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾[سورة الأنعام: الآيات8-9]. وكذلك: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [سورة الأنعام: الآية 137].

7- فيها تفصيل لأهمّ حال من أحوالهم مع تفصيل ذمّ الله لهم فيه والاِحتجاج عليهم، وهو التحليل والتحريم في الأنعام حسب أهوائهم؛ فالأحكام تؤخذ من شرع الله؛ لأنّ الله أعلم بخلقه وهو حكيم فيما شرّع. يقول تعالى في ذلك: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ ۗ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [سورة الأنعام: الآية 136]. ويقول سبحانه أيضا: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾

[سورة الأنعام: الآية 139]. وكذلك قوله: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[سورة الأنعام: الآية 140].

وقد أخرج البخاري(256هـ) في صحيحه عَنْ ابنِ عَبَاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ:" إِذَا سَرَّكَ أَنْ تَعْلَمَ جَهلَ الْعَرَبِ فَاقْرَأْ مَا فَوقَ الثَّلَاثِينَ وَالْمِائَة مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى﴾ إلى قوله: ﴿اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ".[1]

ويقول سيد قطب متحدّثا عن جهلهم هذا:"... المناسبة الحاضرة في حياة الجماعة المسلمة حينذاك هي ما تزاوله الجاهليّة من حقّ التحليل والتحريم في الذبائح والمطاعم".[2] وفي هذا المجال أيضا يقول أحد الباحثين:"... إنّ المتتبّع لدعوة الأنبياء والرسل–عليهم السلام – يجد أنّ كل نبي كما كان يدعو لعبادة الله وحده... كان يدعو إلى إصلاح المجتمع من المفاسد المنتشرة فيه؛ فها هو نبي الله شعيب عليه السلام وهو يدعو إلى عبادة الله وحده يتعرّض لإصلاح مفسدة اجتماعية تتصل بقضايا الأموال".[3] وهذا ما فعله النبي لوط عليه السلام مع قومه؛ إذ دعاهم إلى التوحيد، وكذا التوبة من الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من العالمين. وهذه التشريعات لا تخرج السور ولا الآيات عن كونها مكيّة.

8– تحتوي السورة على ما يسمى بالوصايا العشر، وهي الأصول العامّة للتشريع المعروفة التي دعا إليها كل الأنبياء، وهي لا تختلف باختلاف الأمم والأعصار. وهذا في قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ

1– رواه البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، صحيح البخاري، كتاب: الْمَنَاقِبْ، باب: قِصَّةُ زَمْزَمْ وَجَهْلُ الْعَرَبْ، حديث رقم3334، ضبط وتخريج: مصطفى ديب البغا، دار الهدى، عين مليلة، دط، 1992م: 3/1297–1298.

2– سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: 1018/7 .

3– عبد الرزاق حسين أحمد، المكي والمدني في القرآن الكريم، دار ابن عفّان: 644/2.

أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿152﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[سورة الأنعام: الآيات 151–153]. فكما اشتملت هذه السورة على قواعد التوحيد التي صنّف فيها المتكلمون، من أوّل إثبات واجب الوجود إلى إثبات الإمامة، تشتمل أيضا على القواعد الشرعيّة الكليّة من الضروريات، والحاجيات، والتحسينيات، التي إذا أنخرم منها كلي واحد أنخرم نظام الشريعة، أو نقص منها أصل كلي.[1]

9- تبنى على سورة الأنعام كل السور المدنيّة والسور المكيّة، وهي أصل لها. يقول الإمام الشاطبي(790هـ):" كان من أوّل ما نزل عليه ﷺ سورة البقرة، وهي التي قرّرت قواعد التقوى المبنيّة على قواعد سورة الأنعام،... كما كان غير سورة الأنعام من المكّي المتأخّر عنها مبني عليها".[2] فهي أصل للسور الأخرى لِاحتوائها على أصول الإيمان.

10- تنتهي السورة بسنّة اجتماعيّة عامّة، وهي أهمّ السنن الاِجتماعية التي ذكرت في القرآن وفي سورة الأنعام، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿165﴾﴾[سورة الأنعام: الآية 165]. وهي تبيّن الغاية من وجود الإنسان على الأرض التي هي الاِستخلاف؛ خلافة الله على الأرض، وخلافة الأمم اللاحقة للأمم السابقة.

يقول الرازي(606هـ):" اعلم أنّ في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿165﴾﴾[سورة الأنعام: الآية 165] وجوها: أحدها: جعلهم خلائف الأرض؛ لأنّ محمداﷺ خاتم النبيين، فخلفت أمّته سائر الأمم. وثانيها: جعلهم يخلف بعضهم بعضا. وثالثها: أنّهم خلفاء الله في أرضه يملكونها ويتصرفون فيها".[3]

1- ينظر عبد الرزاق حسين أحمد، المكي والمدني في القرآن الكريم، دار ابن عفّان: 3/304-305.

2- الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، دار الكتب العلمية: 3/305.

3- فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر: 14/15 .

وهذه الآية:" آية فذة، تكشف للإنسان عن مركزه عند ربّه في هذه الحياة، وهو أنّه خليفة في الأرض، وأنّ الله سبحانه جعل عمارة الكون تحت يد الإنسان تتعاقب عليها أجياله".[1] وقد تُركت كسنّة عامّة دون تفصيل أو تطبيق؛[2] تماشيا مع خصائص هذه السورة من إرساء القواعد الكليّة، وبيان السنن التي تحكم الكون والمجتمع.

11- ولم تكن سنّة الاِستخلاف السنّة الاِجتماعية الوحيدة بل تعرضت السورة لسنن أخرى غيرها من بينها:

- سنّة الاِبتلاء: ابتلاء الأنبياء بأقوامهم؛ فما من نبي إلا وتلقى من قومه كثيرا من الأذى والاِستهزاء كما يقرّره قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [سورة الأنعام: الآية 10].

- سنّة التمكين بعد الصبر: يقول عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٞ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[سورة الأنعام: الآية 34] فهذه سنّته في الأنبياء وفي كل صابر.

- سنّة الهلاك بالذنوب: فهي سنّة لا تتغيّر؛ صالحة لكل زمان ومكان. وليس المؤمنون ببعيدين عنها. يقول سبحانه: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٖ مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارٗا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾[سورة الأنعام: الآية 6] فهذه الآية تتحدّث عن سنّة الهلاك بالذنوب، وسنّة الاِستخلاف.

فأهم مميزات السورة، أنها أجمع السور لأحوال العرب، واحتوت على الوصايا العشر، وكل السور مبنيّة عليها، وأوضح السور في ربط العقيدة بالشريعة.

1- محمود شلتوت، تفسير القرآن الكريم- الأجزاء العشرة الأولى- دار الشروق، بيروت والقاهرة، ط9، 1402هـ-1982م: ص362.

2- ينظر المرجع السابق: ص373.

المطلب الخامس: زمن نزول السورة وما يتعلّق به من أحداث.

الفرع الأول: حال المشركين في الفترة المكية.

كانت الجزيرة العربية قبل البعثة تعيش في حالة جعلت سكّانهم مؤهّلين قبل غيرهم لإستقبال الوحي:" فقد كانت هادئة، بعيدة بل منعزلة عن مظاهر هذه الإضطرابات كلّها؛ فلم يكن لدى أهلها من الترف والمدنيّة الفارسيّة ما يجعلهم يتفننون في خلق وسائل الإنحلال وفلسفة مظاهر الإباحيّة والإنحطاط الخلقي ووضعها في قوالب من الدين. ولم يكن لديهم من الطغيان العسكري الروماني ما يبسطون به أيديهم بالتسلط على أي رقعة من حولهم، ولم يؤتوا من ترف الفلسفة والجدل اليوناني ما يصبحون به فريسة للأساطير والخرافات".[1]

واستمر أمرهم على هذا الحال حتى مولده وبعثته ﷺ. كما كانوا من قبل على دين إسماعيل عليه السلام، وأوّل من أدخل الشرك فيهم وحملهم على عبادة الأصنام عَمرُو بنُ لُحِيٍّ بن قمعة جد خزاعة؛ فقد أخرج البخاري(256هـ) عن عُرْوَةَ:" أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اَللهَ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رسول الله ﷺ: **رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَرَأَيْتُ عَمْرًا يَجُرُ قَصَبَهُ،• وَهُوَ أَوَلُ مَنْ سَيَّبَ اَلسَوَائِبَ**".[2]

فالعرب كانوا على33 دين أبيهم إسماعيل من توحيد الله والوقوف عند حدوده، ومن أثار ذلك تعظيمهم لبيت الله الحرام. ولكن لما طال عليهم الأمد، أخذوا يخلطون الحقّ بكثير من الباطل. وفي سورة الأنعام ما يبيّن ظلالهم هذا وجهلهم وانحرافهم في بعض القضايا. ويبيّنه أيضا أثر ابن عباس السابق:" **إِذَا سَرَّكَ أَنْ تَعْلَمَ جَهْلَ اَلْعَرَبِ فَاقْرَأْ مَا فَوقَ اَلثَلَاثِيْنَ وَالْمَائَةَ**

1- البوطي، محمد سعيد رمضان، فقه السيرة النبوية، دار الفكر، دمشق، ط11، 1412هـ-1991م: ص31.

• - قصبه: واحد الأقصاب وهي الأمعاء.

2- رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: "ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام"، حديث رقم 4348، دار الهدى: 1691/4.

مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾[سورة الأنعام: الآية 140]".[1]

يمكن من خلال السورة إذن أنّ نعلم بعض أحوال المشركين الاِجتماعية وعاداتهم السيئة زمن نزول السورة:

يقول تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [سورة الأنعام: الآية 136].

وكذلك قوله عز وجل:﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾[سورة الأنعام: الآية 137].

ويقول تعالى أيضا: ﴿ وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾[سورة الأنعام: الآية 138].

وأيضا قوله: ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (139) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾[سورة الأنعام: الآيات 139–140].

ففي مجموع هذه الآيات" ذم وتوبيخ من الله للمشركين الذين ابتدعوا بدعا وكفرا وشركا وجعلوا لله شركاء وجزءا من خلقه وهو خالق كل شيء سبحانه وتعالى، قال عبد الرحمن بن

1 – رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب: المناقب، باب: "قصة زمم وجهل العرب"، حديث رقم3334، دار الهدى: 3/1297 –1298.

زيد بن أسلم في الآية[1]: كل شيء يجعلونه لله من ذبح يذبحونه لا يأكلونه أبدا حتى يذكروا معه أسماء الآلهة وما كان للآلهة لم يذكروا اسم الله معه. وقرأ الآية حتى بلغ ﴿ **سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ** ﴾".[2]

وكما زيّنت الشياطين لهؤلاء المشركين أن جعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا، كذلك زيّنوا لهم قتل أولادهم خشية الإملاق ووأد البنات خشية العار.

أمّا بشأن إبلهم، فيقول مجاهد واصفا حال المشركين معها:" كان من إبلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شأنها؛ لا إن ركبوا، ولا إن حلبوا، ولا إن حملوا، ولا إن نتجوا ولا إن عملوا شيئا".[3] وكان العرب المشركين يحرّمون ما في بطون هذه الأنعام من اللبن على إناثهم ويشربه ذكرانهم وكانت الشاة، إذا ولدت ولدا ذكرا ذبحوه، وكانت للرجال دون النساء، وإن كانت أنثى تركت ولم تذبح، وإن كانت ميتة فهم فيه شركاء؛ فنهى الله عن ذلك.

فهذا بيان لجهل العرب قبل الإسلام فيما كانوا حرّموا من الأنعام وجعلوها أجزاء وأنواعا. وما ابتدعوا في الزروع والثمار، فبيّن الله تعالى أنّه أنشأ جنّات معروشات، وأنّه أنشأ من الأنعام حمولة وفرشا، وأنّه تعالى لم يحرّم شيئا من أولادها بل كلّها مخلوقة لبني آدم أكلا، وركوبا، وحمولة، وحلبا، وغير ذلك من وجوه المنافع.

وقسّم الرازي(606هـ) أعمالهم هذه إلى أربع قضايا فاسدة، كانوا يفعلونها، واستحقوا بذلك الذمّ من الله. ولَزِمهم بقتلهم أولادهم وتحريمهم ما رزقهم الله سبعة أمور:

---

[1] – هي قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ** ﴾[سورة الأنعام: الآية 136].

2 – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا: 204/3.

3- ابن كثير المصدر السابق: 204/3–205.

الخسران، والسفاهة، وتحريمهم ما رزقهم الله، والافتراء على الله، والضلال، وعدم الاهتداء، وعدم العلم.[1]

الفرع الثاني: حال المسلمين في الفترة المكية وزمن نزول السورة.

عاش النبيﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، معاناة شديدة، وأذى كثير مذ إعلان الدعوة، والجهر بعبادة الله وحده ونبذ ما يعبد أهلهم وعشيرتهم من الأوثان.

فقد جاء في الصحيح البخاري(256هـ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنّه قال:" **بَيْنَا النَبِيُّ ﷺ يُصَلِي فِي حِجْرِ الْكَعْبَةِ إِذ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعِيْطٍ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فِيْ عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ، وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِﷺ وَقَالَ:** ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ الآية [سورة غافر: الآية 28] ".[2]

وأمثلة ذلك كثيرة في السيرة، ناهيك عن فنون الهزأ والغمز واللمز الذي كان يتلقاه من المشركين كلّما رأوه أو اجتمعوا به. وقد جعل الله في حميّة عمّه وقبيلته حماية له في كل مرّة.

وكما أنّه لم يَسلم من أهل مكّة، لم يَسلم من غيرهم عند التماس النصرة منهم، وما لقيَه عند خروجه إلى الطائف خير دليل على ذلك. ولكن الله لم يتركه، وكان يواسيه، ويمسح الحزن والألم عن قلبه؛ كما حدث له عند وصوله إلى بستان عتبة، وما أكرمه به من معجزة الإسراء والمعراج، التي كانت في السنة العاشرة من البعثة أو بعدها. وفي هذه السنوات الأخيرة كان البلاء على النبيﷺ وأصحابه قد بلغ ذروته. ولكن بوادر الفرج بدأت تظهر من

1- ينظر فيما يتعلق بجهل العرب من خلال السورة، تفسير ابن كثير، مكتبة الصفا: 3/204-208. ومفاتيح الغيب للرازي، دار الفكر: 13/214-221.

2- رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: "ما لقي النبيﷺ وأصحابه من المشركين بمكة"، حديث رقم 3643، دار الهدى: 3/1400.

بعيد؛ إذ في السنة الحادية عشر من البعثة عرض نفسه على رهط من الخزرج وكانوا ستّة فأجابوه، وانتشر الإسلام خلال تلك السنة في المدينة.[1]

هذا عن حال خاتم الأنبياءﷺ، أمّا أصحابه، فقد تجرّعوا ألوانا من العذاب؛ فهناك من مات، وهناك من أصيب في جسده العاهات، ولم يقعدهم ذلك عن بذل الجهد في نشر دين الله.

أخرج البخاري(256هـ) في صحيحه عن خَبَابَ بنُ الأَرْتِ أنّه قال:" **أَتَيْتُ اَلنَبِيﷺ وهو مُتَوَسِدٌ بُرْدَةً وهو فِي ظِلِ اَلكَعْبَةِ، وقَدْ لَقِينَا مَن المُشْرِكِينَ شِدَةً، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ: أَلَا تَدْعُو اللهَ لَنَا؟ فَقَعَدَ وهُوَ مُحمَرٌ وَجْهُهُ، فَقَالْ: لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلِكُمْ لَيُمَشَّطُ بِمِشَاطِ اَلحَدِيدِ، مَا دُونَ عِظَامِه مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ، مَا يَصْرِفُه ذَلِكَ عَنْ دِينِه، وَيُوضَعُ اَلمِنْشَارُ على مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِه، ولَيُتِمَنَّ اللهَ هَذا اَلأَمْرَ حَتى يَسِيْرَ اَلرَاكِبُ مِن صَنْعَاءَ إِلى حَضْرَمَوْتَ مَا يَخَافُ إلا الله**".[2] أي: لا نصر إلا بعد البلاء والإمتحان والتمحيص.

ثم حوصر النبيﷺ، وأصحابه بل وبنو هاشم وبنو المطلب حميّة، في شعب بني المطلب، حتى أكلوا ورق الشجر. و دام الحصار ثلاث سنوات على المشهور.

وفي أثناء ذلك، ولمّا رأى النبيﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، أمرهم بالهجرة إلى الحبشة.[3] فهاجروا في بضع وثمانين رجلا.[4]

وبعد إسلام أهل المدينة بدءا من السنة الحادية عشر، جعل الأذى يشتدّ على المسلمين من المشركين لما يعلمون من خروجهم، فأستأذن الصحابة رسول الله ﷺ في الهجرة إلى المدينة، فأذن لهم في ذلك. ولم يهاجر أحد من الصحابة إلا متخفيا؛ خوفا من المشركين

1- ينظر ابن هشام، سيرة ابن هشام: 429/1.http://www.al-islam.com

2- رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: "ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المشركين بمكة". حديث رقم3639، دار الهدى: 1398/3.

3- ينظر ابن هشام، المصدر السابق: 163/1.http://www.al-islam.com .

4 – ينظر ابن هشام المصدر السابق: 172/2.

وأذاهم،[1] إلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وفي الأخير خرج صاحب الدعوة الأولﷺ، وصاحبه أبا بكر رضي الله عنه، بين مكر الكفار وحفظ الله، مودّعين وآملين في الرجوع معزّزين مكرمين.

وكل ما قيل في معاناة الرسولﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم في سبيل الله، هو تأويل لقوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[سورة البقرة: الآية 214]. وهي آية انطبقت على من قبلهم وعليهم وعلى كل من يأتي بعدهم.

وعن نفس الفكرة، يقول سيد قطب(1386هـ):" فلمّا أن ابتلاهم الله فصبروا، ولمّا أن فرغت نفوسهم من حظ نفوسهم، ولمّا أن علم الله منهم أنّهم لا ينتظرون جزاءا في هذه الأرض– كائنا ما كان هذا الجزاء، ولو كان انتصار هذه الدعوة على أيديهم، وقيام هذا الدين في الأرض بجهدهم– ولمّا لم يعد في نفوسهم اعتزازا بجنس ولا قوم، ولا اعتزازا بوطن ولا أرض، ولا اعتزاز بعشيرة ولا بيت، لمّا أن علم الله منهم ذلك كلّه، علم أنّه قد أصبحوا – إذن – أمناء على هذه الأمانة الكبرى".[2]

وكما ذكرت سورة الأنعام بعض جهل العرب زمن نزول السورة، من قتل الأولاد وتحريم ما أحلّ الله من الرزق افتراءا على الله، كذلك ذكرت حال الرسولﷺ في تلك الفترة، ووصفت حزنه ﷺ ووقع تكذيب الكفار على قلبه، ومثاله قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [سورة الأنعام: الآية 33]. وكذلك: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾[سورة الأنعام: الآية 34]. وأيضا: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾[سورة الأنعام: الآية 66].

1– ينظر ابن سعد، محمد بن منيع البصري الزهري أبو عبد الله، الطبقات الكبرى، تقديم: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دط، دت: 225/1.

2– سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: 1008/7.

وأهم شيء كانت سورة الأنعام تخبر عنه، هو الصراع الكبير الذي بلغ أوجه بين الكفر والإيمان، ولم يكن ذلك بسرد الأحداث، ولكن بذكر شبهات الكفار المعاندين، وتلقين الله عز وجل الرسولﷺ الرد عليها.

الفرع الثالث: تحديد زمن نزول السورة في الفترة المكيّة.

نزلت سورة الأنعام بمكّة، ولكن اختلف المفسرون والباحثون في السنة التي نزلت فيها.

منهم من قال:" نزلت سورة الأنعام في مرحلة الدعوة الجهريّة لأنّها نزلت بعد سورة الحجر التي ورد فيها قوله تعالى: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة الحجر: الآية 94]".[1]

ولكن وكما هو معلوم في علوم القرآن، أنّ السور لا تنزل دفعة واحدة؛ بل منجّمة، وترتيب السور يكون بحسب الفواتح؛ فقد تكون سورة الأنعام نزلت جملة مباشرة بعد الآية 94 من سورة الحجر. كما يمكن أن تكون بعدها؛ لأنّ وكما جاء في البرهان للزركشي(794هـ)" قال مكي وغيره: ترتيب الآيات في السور هو من النبي صلى الله عليه وسلم ولمّا لم يأمر بذلك في أوّل براءة تركت بلا بسملة. وقال القاضي أبو بكر: ترتيب الآيات أمر واجب وحكم لازم فقد كان جبريل يقول ضعوا آية كذا في موضع كذا"[2] فتكون الأنعام نزلت بعد هذه الآية بكثير ونزلت فاتحة الحجر بعد هذه الآية بكثير أيضا، وبعد فاتحتها نزلت الأنعام جملة للقول السابق" ضعوا آية كذا في موضع كذا".

فهذا الأمر لا يمكن الجزم به، وإن استطاع أحد أن يصل فيه إلى نتيجة، فلا يكون إلا بعد بحث شاق ودقيق.

ومنهم من قال:" وليس في هذه الروايات ما يعيّن تاريخ نزول السورة، وليس في موضوعها كذلك ما يحدّد زمن نزولها في العهد المكّي".[3] ويقصد بالروايات، الروايات الدالّة على نزول

1- الكيلاني، إبراهيم زيد، تصور الألهية كما تعرضها سورة الأنعام، مكتبة الأقصى، عمان، ط1، 1401هـ-1981م: ص20.

2 - الزركشي، البرهان، دار المعرفة: 256/1.

3- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: 1020/7 .

السورة جملة بمكّة. ولكنّه رجّح في نفس الموضع أنّ نزولها كان بين السنة الرابعة والخامسة للهجرة كما ذهب إليه القول السابق.

إلا أنّ المتصفّح لكتب السيرة وكتب علوم القرآن، يجد أنّ سورة الإسراء ممّا نزل قبل نزول سورة الأنعام، وبينهما أربع سور وهي: يونس، وهود، ويوسف، والحجر.[1] وهذا الترتيب باعتبار الفواتح طبعا، وقد ذكر الله حادثة الإسراء في فاتحة "سورة الإسراء". وإسراء النبيﷺ كان في العام العاشر من بعثتهﷺ، أو بعد ذلك على اختلاف بين المؤرخين. والذي جاء في الطبقات، أنّ هذه المكرمة كانت قبل هجرته بثمانية عشر شهرا.[2]

بالإضافة إلى أنّ سورة الإسراء وهود ويونس تشبه كثيرا الأنعام بخلاف سورة الحجر. فابن عاشور (1393هـ) يقول عن الإسراء:" ويظهر أنّها نزلت في زمن كثرت فيه جماعة المسلمين بمكّة، وأخذ التشريع المتعلّق بمعاملات جماعتهم يتطرّق إلى نفوسهم، فقد ذكرت فيها أحكام متتالية لم تذكر أمثال عددها في سورة مكيّة غيرها عدا سورة الأنعام".[3] ويظهر ذلك من الآية سمير إلى الآية يٓسم من سورة الإسراء.

ويقول محمد الغزالي عن الأنعام:" والظاهر أنّ السورة الكريمة نزلت في ذروة المعركة المحتدمة بين الحقّ والباطل".[4]

وعليه فالراجح أن تكون "سورة الأنعام" قد نزلت على الرسولﷺ، في العام العاشر من بعثته أو بعدها. أي: في خلال الثلاث سنوات أو أزيد بقليل قُبيْل هجرته إلى المدينة.

الفرع الرابع: أسباب النزول في السورة.

عُلم أنّ هذه السورة نزلت جملة واحدة، إلا أنّه يوجد في بعض التفاسير من يقول أنّ سبب نزول هذه الآية هو كذا. وقد استشكل هذا الأمر الإمام الرازي(606هـ) عند تفسيره لقوله

1- ينظر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي: ص77.

2- ينظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر: 213/1.

[3] - ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 6/15.

[4] - محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم -الأجزاء العشرة الأولى-، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1413هـ-1992م: ص92.

تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] [سورة الأنعام: الآية 54]. ولكن هذا الإشكال يزول إذا فُهم ما قاله الزركشي(794هـ)، عند استقراءه لأقوال الصحابة والتابعين في أسباب النزول، يقول:" قد عُرف من عادة الصحابة والتابعين أنّ أحدهم إذا قال نزلت هذه الآية في كذا فإنّه يريد بذلك أنّ هذه الآية تتضمن هذا الحكم، لا أنّ هذا كان السبب في نزولها".[2]

بالإضافة إلى ما هو معلوم من أنّه قد تتجمّع عدّة أسباب قبل نزول السورة بوقت طويل، ثم يأتي في السورة ما يناسبها. وهذا لا يعني أنّ تلك الآيات نزلت بعد السبب مباشرة.

المطلب السادس: المناسبة بين سورة "الأنعام" وما قبلها وما بعدها من السور.

الفرع الأول: فائدة علم المناسبة.

جاءت سورة الأنعام في المرتبة الخامسة والخمسين حسب ترتيب النزول على الأرجح، ولكن حسب الترتيب المصحفي فهي السورة السادسة، بين سورتي المائدة والأعراف، وهذا ولا شك؛ لمناسبة بينها وبين هذه السور ظهرت أم خفيت.

وقد ذكر العلماء في فائدة وجلالة علم المناسبات كلاما كثيرا، وهو مما تبنى عليه معرفة الوحدة الموضوعية للسورة.

يقول السيوطي (911هـ):" وعلم المناسبات علم شريف، قلّ اعتناء المفسرين به لدقّته، وممن أكثر فيه الإمام فخر الدين".[3]

وقال الزركشي(794هـ):" قال بعض مشايخنا المحققين: قد وهم من قال: لا يطلب للآية الكريمة مناسبة. لأنها على حسب الوقائع المتفرقة. وفصل الخطاب: أنّها على حسب الوقائع

---

[1] – ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر: 3/13.

[2] – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة: 32/1.

3– السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي: ص694.

تنزيلا، وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا".[1]

ويقول أيضا في فائدته:" جعل أجزاء الكلام بعضه آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الاِرتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء".[2]

كما نقل بعض ما قاله مشايخه في أنواع المناسبات فقال:" قال بعض مشايخنا المحققين... والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكمّلة لما قبلها، أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جمّ، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له".[3] وهذا مبني على القول الراجح من أنّ ترتيب السور توقيفي.

ويقول عبد الله درّاز[4](1377هـ):"... إنّ هناك تخطيطا واضحا ومحدّدا يتكون من دباجة وموضوع وخاتمة؛ فتوضّح الآيات الاِفتتاحية الأولى من السورة الموضوع الذي ستعالجه في خطوطه الرئيسيّة ثم يتبع ذلك التدرّج في عرض الموضوع بنظام لا يتداخل فيه جزء آخر، وإنّما يحتلّ كل جزء المكان المناسب له في جملة السورة، وأخيرا تأتي الخاتمة التي تقابل الدّباجة".[5] وهذا عند حديثه عن الترابط في الأفكار التي تتناولها السورة الواحدة.

وتحدث أحد المعاصرين عن الوحدة الموضوعية عند عبد الحميد الفراهي[6](1349هـ) فقال:"... والذي كان يؤمن بالوحدة الموضوعيّة في جميع السور القرآنية إيمانا جازما، وكان

1- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة: 37/1.

2- الزركشي، المصدر السابق: 36/1.

3- الزركشي، المصدر السابق: 37/1-38.

4 - هو: محمد بن عبد الله دراز، عالم أديب، ولد بقرية "محلة دياي" بمصر. وحصل على شهادة الدكتوراه بها. تعلم اللغة الفرنسية، واشتغل بالتدريس. وكان عضو في عدة هيئات علمية. توفي فجأة بمدينة لاهور بباكستان، عند اشتراكه في المؤتمر العالمي الإسلامي سنة 1377هـ- 1958م. من مؤلفاته: مدخل إلى القرآن الكريم، والنبأ العظيم. (عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1414هـ-1993م: 438/3).

5 - دراز، محمد عبد الله، مدخل إلى القرآن الكريم، ترجمة: محمد عبد العظيم، دار القلم، الكويت، ط1، 1404هـ-1984م: ص28.

6 - هو: عبد الحميد الفراهي الهندي، علاّمة بالعربية والتفسير، أحد مخضرمي القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجريين؛ إذ ولد سنة 1280هـ في قرية "فريها" من قرى مديرية أعظم كره بالهند. وهو ابن خال مؤرّخ الإسلام "شبلي النعماني". أنشأ=

يطلق عليها اسم" نظام القرآن". وجعل الهدف من تفسيره "نظام القرآن" بيان هذه الوحدة وعرضها".[1]

الفرع الثاني: مناسبة السورة لسورة المائدة.

قبل الحديث عن أراء العلماء وأقوالهم في المناسبة بين الأنعام والمائدة ننقل ما ذكره الرازي (606هـ) في المناسبة بين الفاتحة وسورة الأنعام؛ باعتبار أنّ الفاتحة أم القرآن، وكذلك لِابتداء السورتين بالحمد، يقول:" المذكور في أوّل سورة الأنعام كأنّه قسم من أقسام ما هو مذكور في أوّل سورة الفاتحة؛ لأنّ في سورة الأنعام: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾[سورة الأنعام: الآية1] وههنا قسم من أقسام قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[سورة الفاتحة: الآية 2]".[2]

أما مناسبة سورة الأنعام لسورة المائدة فملخّصها ما يلي:

1- يقول الزركشي(794هـ):" كافتتاح سورة الأنعام بالحمد، فإنّه مناسب لختام سورة المائدة من فصل القضاء، كما قال سبحانه: ﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الزمر: الآية 75]".[3]

2- أما صاحب التحرير والتنوير فيقول:" تضمّنت كل من سورتي المائدة والأنعام محاجّة أهل الكتاب في مواقفهم وعقائدهم. كما ذكر فيهما أحكام المطعومات المحرّمة والذبائح والردّ على أهل الجاهليّة بتحريم بعض الأنعام تقربا إلى الأوثان".[4] إلا أنّ التفاوت بين السورتين في هذه الأمور واضح؛ فالأنعام في محاجّة المشركين ولم تتعرض لأهل الكتاب إلا في معرفتهم لنبوّة الرسولﷺ، وفي تعداد الأطعمة التي حرّمها الله عليهم لبغيهم.

= مدرسة الإسلام قرب قريته، والتي من أهدافها تحسين طريق تعليم اللغة العربية، وكان من مؤسّسي "دار المصنّفين". من كتبه: "دلائل النظام" و"مفردات القرآن". توفي سنة 1349هـ-1930م.
http://www.shamela.ws/index.php/author

1- صلاح عبد الفتاح الخالدي، المنهج الحركي في ظلال القرآن، دار الشهاب: ص153.

2- فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي: 180/1.

3- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة: 38/1.

4- ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 127/7.

3- ويقول رشيد رضا(1354هـ) في مناسبة الأنعام للسور الأربع قبلها:" ولمّا كان أمر العقائد هو الأهمّ المقدّم في الدين، وكان شأن أهل الكتاب فيه أعظم من شأن المشركين، قدّمت السور المشتملة على محاجّتهم بالتفصيل، وناسب أن يجيء بعدها ما فيه محاجّة المشركين بالتفصيل، وتلك سورة الأنعام لم تستوف ذلك سورة مثلها".[1]

مثال ذلك من سورة المائدة قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة المائدة: الآية 64].

وكذلك: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة المائدة: الآية 13].

وأيضا ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة المائدة: الآية 17].

ومثال محاجّة المشركين من سورة الأنعام: قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[سورة الأنعام: الآية 22].

وكذلك قوله: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[سورة الأنعام: الآية 29].

وقوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[سورة الأنعام: الآية 56].

1- رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، دار المعرفة: 288/7.

4- وأمّا ما يتعلّق بالأحكام فـ:" سورة الأنعام قد ذكرت أحكام الأطعمة المحرّمة في دين الله والذبائح بإجمال، وسورة المائدة ذكرت ذلك بالتفصيل".[1]

مثال ذلك في الحالتين قوله تعالى في سورة المائدة:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [سورة المائدة : الآية2].

وكذلك ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ﴾ الآية[سورة المائدة: الآية 3].

وقوله سبحانه في سورة الأنعام: ﴿ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [سورة الأنعام: الآية 121].

وأيضا ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة الأنعام: الآية 145].

5- ثم زاد رشيد رضا(1354هـ) الأمر تفصيلا في وجه المناسبة بين السورتين فقال:" ومن التفصيل في هذه المسألة ما في سورة الأنعام من الكلام عن محرّمات الطعام عند المشركين، وما في المائدة من الكلام على طعام أهل الكتاب".[2]

1- رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، دار المعرفة: 289/7. هذا ومن المعلوم أنّ المائدة من آخر ما نزل لذلك فصّلت أكثر، وسورة الأنعام من المكي الذي يذكر أصول التشريع فقط كما سبق.

2- رشيد رضا، المرجع نفسه.

مثال ذلك من سورة الأنعام قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾[سورة الأنعام: الآية 138] وما بعدها من الآيات إلى الآية مائة وأربعة وأربعين(144).

إلا أنّه لا يوجد مثال ذلك من سورة المائدة؛ فقد ذكرتْ ما حرِّم على المسلمين، لا ما حرِّم على اليهود.

6- ولمّا كانت سورة المائدة أكثرها في محاجّة أهل الكتاب، ناسبها الحديث عن التوراة، وعيسى وموسى عليهما السلام.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[سورة المائدة: الآية 20] وما بعدها من الآيات إلى الآية السادسة والعشرين (26) وفيها أمر لهم بالدخول إلى الأرض المقدّسة ورفضهم لذلك.

وأيضا قوله عز وجل: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[سورة المائدة: الآية 110].

ولمّا كانت سورة الأنعام أكثرها في محاجّة مشركي العرب، ناسب ذكر قصّة إبراهيم عليه السلام دون الأنبياء الآخرين.

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[سورة الأنعام: الآية 74]. وما يتعبها من الآيات إلى الآية الثالثة والثمانين(83).

7- ويضيف برهان الدين البقاعي(885هـ) مناسبة أخرى بين السورتين إذ يقول:" لما ختم سبحانه تلك بتحميد عيسى عليه السلام لجلاله في ذلك الجمع، ثم تحميد نفسه المقدّسة بشمول الملك والقدرة، إذ الحمد هو الوصف بالجميل؛ افتتح سبحانه وتعالى هذه السورة بالإخبار بأنّ ذلك الحمد وغيره من المحامد مستحق له استحقاقا ثابتا دائما قبل إيجاد الخلق وبعد إيجاده...".[1]

وذلك في قوله تعالى من سورة المائدة: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[سورة المائدة: الآية 119]. وفي قوله تعالى حين حمد نفسه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[سورة المائدة: الآية 120].

أمّا سورة الأنعام فافتتحت بتحميده سبحانه في قوله: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[سورة الأنعام: الآية 1].

8- وذكر جلال الدين السيوطي(911هـ) مناسبة أخرى إذ يقول:" أنّه تعالى لمّا ذكر في آخر المائدة: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ على سبيل الإجمال، افتتح جل شأنه هذه السورة بشرح ذلك وتفصيله، فبدأ سبحانه بذكر خلق السماوات والأرض. وضم تعالى إليه أنّه جعل الظلمات والنور وهو بعض ما تضمّنه ما فيهن...".[2] ووجه المناسبة هنا ظاهر لا يحتاج إلى كثير تأمّل.

1- البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية: 579/2.

2- السيوطي، أسرار ترتيب القرآن، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، دت: ص97.

الفرع الثالث: مناسبة السورة لسورة الأعراف.

إنّ وجود سورتي "الأنعام" و" الأعراف" وهما مكّيتان بين أربع مدنيات قبل، ومدنيتين بعد، ليس إلا لمناسبة وتكامل بينهما في مجال العقيدة؛ إذ كان بالإمكان الاِكتفاء بواحدة:

1- فالسورتان تعالجان موضوع العقيدة من جهتين مختلفتين؛ من جهة "قواعد الإيمان" في الأنعام، ومن جهة "تاريخ البشرية وعاقبة الأمم المكذبة بهذه القواعد" في سورة الأعراف. ومعلوم أنّ الإيمان والجزاء متلازمان، وهما ركنا العقيدة الإسلامية؛ فلا جزاء إلا بعد معرفة أسس الدين وأوامره ونواهيه.

2- لمّا انتهت الأنعام بقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴾[سورة الأنعام: الآية 165]، كان مضمون سورة الأعراف، الحديث عن تعاقب هذه الأجيال والأمم المستخلَفة، وما كان بينها وبين رسلِها، بدء من آدم عليه السلام.

3- أمامن جهة دلائل التوحيد فتذكر سورة الأنعام الدلائل الكونيّة على وجود الله، وتلفت بها الأنظار إلى وجوب توحيده في الولاية والعبادة. بينما تبطل سورة الأعراف الشرك عن طريق ما في معبوداتهم من نقص وعجز.[1]

4- لمّا كانت سورة الأنعام تعنى بمعالجة نفس الرسول؛ فتخفّف وقع تكذيب القوم على قلبه، دون ذكر لأوصافه ﷺ، كانت سورة الأعراف تفصيل لما يعرفون عنه من أوصاف.[2]

المطلب السابع: موضوعات السورة.

تقرر "سورة الأنعام" الأصول الأولى للدعوة، كما عبر عن ذلك الشيخ محمود شلتوت؛ وهي موضوعاتها وخطوطها الرئيسة، وتتمثل في: الألوهية وعبادة الله تعالى، والوحي والرسالة، والبعث والجزاء، بالإضافة إلى التحليل والتحريم في مجال الأنعام.

---

[1] - ينظر محمود شلتوت، تفسير القرآن الكريم، دار الشروق: ص270.

[2] - محمود شلتوت، المصدر السابق: ص271.

الفرع الأول: الوحي و الرسالة.

بالنسبة لقضية الوحي والرسالة "فسورة الأنعام" تقررها من جهة تلقين النبيﷺ الرد على شبهات المشركين. وكذا تسليته بذكر صبر بعض الأنبياء، وبذكر قصة إبراهيم عليه السلام، وبأنّه على الصراط المستقيم، وأنّ تكذيب المشركين ليس لشخصه ﷺ؛ فهم مستيقنون من صدقه، ولكنهم بآيات الله يجحدون.

وتظهر هذه معاني من خلال الآيات التالية:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾[سورة الأنعام: الآية 10].

وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ ۘ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[سورة الأنعام: الآية 20].

وقوله تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾[سورة الأنعام: الآية 33].

وأيضا قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾[سورة الأنعام: الآية 34].

وقوله عز من قائل: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ۗ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾[سورة الأنعام: الآية 107].

وأيضا: ﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾[سورة الأنعام: الآية 106].

وقوله سبحانه: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ الآية [سورة الأنعام: الآية91].

وقولــــــه تعـــــالى: ﴿ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[سورة الأنعام: الآية 161].

الفرع الثاني: البعث والجزاء.

تتحدّث السورة عن يوم القيّامة في سياق الردّ على المنكرين له من المشركين، وبيان حالهم في ذلك اليوم من الإعتراف بها، وطلب الرجوع إلى الدنيا لكسب الصالحات، وأنّهم كاذبون في ذلك. وتعرض الأنعام هذه الأحداث " باعتبارها أمرا كائنا ليس موضع إنكار، ولا محلا لريب، وتصّور فيه موقف المنكرين وما سيكونون عليه في ذلك اليوم".[1]

وهذا ما ذهب إليه سيد قطب(1386هـ) حين فسّر الآيات التي تصف أحوال المشركين يوم القيامة، وبيّن أنّ القرآن يعرضها كأنّها حقيقة يراها السامع ويعيشها؛ إذ يقول:" يوقفه أمامه بحركة تكاد الألفاظ تجسّمها! كما أنّ المشاهد والمواقف ذاتها فيها ناس موقوفون يراهم السامع في وقفتهم، والسياق يقف هو الآخر ليشاهدهم ويتملاهم!".[2]

وهذه الآيات الكريمات توضّح ذلك:

قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿21﴾ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَيۡنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿22﴾ ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴾[سورة الأنعام: الآيات 21-23].

وقولــه عــز وجــل أيضـــا: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[سورة الأنعام: الآية 27].

ويأتي الجواب في قوله عز وجل: ﴿ بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾[سورة الأنعام: الآية 28].

1- محمود شلتوت، تفسير القرآن الحكيم، دار الشروق: 383 .

2- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: 1027/7.

ويذكر الله قول الكفار في قوله: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴾ [سورة الأنعام: الآية 29].

ثم يأتي الرد مباشرة: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴾[سورة الأنعام: الآية 30].

وقوله تعالى في كل مرّة ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ ﴾؛ ليجعل المخاطَب والسامع، كأنّهم يشاهدون هذه المواقف رأي العين، مما له تأثير أكبر على النفس. ثم تختم هذه الآيات التي تصف حال الكفار لحظة وقوفهم أمام الله، بآيتين تنبّهان الإنسان إلى أنّ الساعة تأتي بغتة، وأنّ الحياة الدنيا لعب ولهو. وتدعوهم إلى إمعان العقل في ذلك والإسراع إلى الإيمان قبل الخسران المبين، يقول تعالى: ﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ (31) وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾[سورة الأنعام: الآيات 31-32].

وإلى جانب هذه الآيات، آيات أخرى فيها تهديدٌ للمستهزئين وبيان سننه تعالى فيهم، مثاله قوله تعالى: ﴿ فَقَدۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَسَوۡفَ يَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾[سورة الأنعام: الآية 5].

ويتبعه قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ﴾[سورة الأنعام: الآية 6].

وقال كذلك: ﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾[سورة الأنعام: الآية 10].

ثم ذكر دليل ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾[سورة الأنعام: الآية 11].

وفي السورة أيضا أنّ جمع الناس يوم القيامة أمر لا ريب فيه:

قال سبحانه: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[سورة الأنعام: الآية 12].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[سورة الأنعام: الآية 164].

كما فيها استدلال على البعث وهو غيب، بالشاهد وهو النوم بالليل والإستيقاظ بالنهار وذلك في قوله تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[سورة الأنعام: الآية 60].

وفيها أيضا ذكر بعض ما يجد الكافر من عذاب نتيجة التكذيب دون تفصيل في ذلك، يقول تعالى: ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾[سورة الأنعام: الآية 70].

أمّا ما يجده المؤمنون والمشركون في الجنّة والنار بتفاصيله، فموضعه السور الأخرى المفصّلة لعموم سورة الأنعام؛ وذلك لخصائص السورة السابقة الذكر، ولكونها تجادل المشركين؛ فلا تأتي إلا بما يُستدل به على البعث.

الفرع الثالث: التحليل والتحريم في مجال الأنعام.

من موضوعات السورة أيضا ما كان المشركون يحلّلونه ويحرّمونه فيما يخصّ الأنعام دون إذن من الله، بل بوحي من الشياطين. والآيات في ذلك كثيرة أهمّها:

قولــــه ســــبحانه: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿136﴾ ﴾[سورة الأنعام: الآية 136].

وقولــه تعــالى: ﴿ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿138﴾ وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿139﴾ ﴾[سورة الأنعام: الآيات 138-139].

وقولــه عــز وجــل: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿145﴾ ﴾[سورة الأنعام: الآية 145].

الفرع الرابع: الإيمان بالله تعالى.

كـان مـن المفروض منهجيـا أن يكـون هـذا الموضـوع الفرعـي هـو الأوّل، ولكـن القـراءة المتدبّرة، بيّنت أنّ إنكار المشركين للبعث والرسالة، راجع إلى عدم تقدير الله تعالى حق قدره، وإلى إنكار حكمته تعالى من الخلق، وإنكار قدرته، وكذا علمه بالأحكام التي تُصلح أحوال البشر لعمارة الأرض، إلى جانب القوانين التي تحكم الحياة. فشمل هذا المحور الآيات الدالّة على وحدانيته وقهره، بالإضافة إلى آيات النبوّة والجزاء وأصول التشريع الدالّـة على تمام علمه وشمول قدرته؛ لأنّ هذه السورة – كما يرى البقاعي(885هـ)- جاءت لتقرّر صفات الكمال المؤديّة إلى الإيمان بقدرته على بعث الرسول ووضع الميزان.[1] وأيضا لتبيّن العلاقة بين تشريع الأحكام والوصايا العشر المعروفة في كل الأديان، والإيمان بالله وعبادته بما شرّع.

وهذه الملاحظة ستكون ركيزة أساسيّة عند تحديد موضوع السورة في المطلب التالي.

1- ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 578/2.

ومن ضمن الآيات التي تحدّثت عن هذا كله في سورة الأنعام:

قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾[سورة الأنعام: الآية 2].

وقوله عز وجل: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَـٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿5﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَـٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾[سورة الأنعام: الآيات 5-6].

وأيضا: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[سورة الأنعام: الآية 17].

وقوله سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[سورة الأنعام: الآية 18].

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ ﴾[سورة الأنعام: الآية 62].

وكذلك: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾[سورة الأنعام: الآية 91].

وقوله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾[سورة الأنعام: الآية 95].

وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَـٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿100﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[سورة الأنعام: الآيات 100-101].

وقولــه ســبحانه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿102﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾[سـورة الأنعـام: الآيـات 102-103].

وقولـــه تعـــالى: ﴿ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿114﴾﴾[سورة الأنعام: الآية 114].

وقولـه عـز وجـل: ﴿ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تَأۡكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَقَدۡ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ إِلَّا مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا لَّيُضِلُّونَ بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿119﴾ ﴾[سـورة الأنعـام: الآيات 118-119].

وقوله تعالى أيضا: ﴿ وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴿121﴾ ﴾[سورة الأنعام: الآية121].

المطلب الثامن: موضوع السورة.

تعتمد دراسة الوَحدة الموضوعية لأيّ سورة على تحديد موضوعها الأساس؛ لذلك جعل المطلب الأخير في إبرازه وتحديده لينطلق البحث في تفسير السورة مرتكزا عليه:

الفرع الأول: العناصر التي تبنى عليها معرفة موضوع السورة.

اعتمد بعض العلماء السابقين والباحثين المحدثين على عدّة عناصر للتعرّف على موضوع السورة:

يقول الشاطبي(790هـ) عند تفسيره لسورة المؤمنين:"... وجدنا فيها المعاني الثلاثة على أوضح الوجوه إلا أنّه غلب على نسقها ذكر إنكار الكفّار للنبوّة... وإنّهم إنمّا أنكروا ذلك بوصف البشريّة ترفعا منهم، أن يرسَل إليهم من هو مثلهم... فافتتحت السورة بثلاث جمل...".[1] فالذي يظهر من كلامه أنّه: بعد القراءة المتكرّرة والشاملة للسورة، لاحظ أنّها

1- الشاطبي، الموافقات، دار الكتب العلمية: 212/3.

تتحدث عن الرسول والرسالة وإنكار المشركين لها، فاستعان بمحاور القرآن المكي وبالاِفتتاحيّة لتأكيد ما وصل إليه.

ويقول البقاعي(885هـ) عند تفسيره لسورة الأنعام:" مقصودها الاِستدلال على ما دعا إليه الكتاب في السورة الماضيّة من التوحيد بأنّه الحاوي لجميع الكمالات من الإيجاد والإعدام والقدرة على البعث وغيره...".[1] يقرّر البقاعي أنّ موضوع السورة الأساس هو تقرير صفات الربوبيّة، ودلّه على ذلك المقارنة بين السورة وسورة المائدة واستنباط المناسبة بينهما.

فبعض السابقين يعتمدون عدّة أمور لتحديد موضوع السورة أو مقصودها، وتتمثل في:

1- ملاحظة مضمون السورة بالقراءة المتدبّرة والمتكررة.
2- افتتاحية السورة.
3- المناسبة بين السور.

أمّا المعاصرون فقد نظّروا لهذا الأمر وأضافوا عدّة عناصر يمكن من خلالها تحديد موضوع السورة:

يقول مصطفى مسلم عن الهدف الأساسي للسورة: " يمكن معرفة ذلك من خلال التعرّف على اسم السورة أو أسمائها... واستعراض الأحداث البارزة أو القضايا التي تناولتها... ومن خلال المرحلة الزمنية التي نزلت فيها".[2]

وعند تفسيره لسورة الكهف وبيانه لموضوعها الأساس استعان بـ:[3]

1- اسم السورة.
2- افتتاحية السورة.
3- المحاور التي تعرضت لها.
4- الأحاديث المتعلقة بها.

1- البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 578/2.

2- مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم: ص 41-42.

3- ينظر مصطفى مسلم، المصدر السابق: ص167-178.

5- أسباب النزول.

6- زمان ومكان النزول.

والملاحظ أنّ مصطفى مسلم- وهو من المؤصّلين للتفسير الموضوعي- كان يعبّر عن موضوع السورة الأساس بالهدف؛ فعندما تحدّث عن أهداف سورة الكهف قال:" لمّا كانت سورة الكهف سورة مكيّة فإنّنا نجد الأهداف الأساسيّة في السورة المكيّة مقرّرة تقريرا واضحا فيها...".[1]

ثم قال:" إلا أنّنا اخترنا هدفا رابعا غير الثلاثة المذكورة، وجعلناه عنوانا للبحث في سورة الكهف".[2]

وبنفس العناصر تقريبا تمكّن صلاح عبد الفتاح الخالدي من تحديد موضوع "سورة محمد" وهي كالتالي:[3]

1- اسم السورة.

2- إمعان النظر في آيات السورة ودروسها.

3- فواصل الآيات.

4- الفترة الزمنيّة التي نزلت فيها.

5- أهداف السورة.

6- خطوط السورة الرئيسة.

7- ارتباط السورة بما بعدها وما قبلها.

وقد أضاف غيرهم عنصر التكرار واعتبروه من أهم العناصر التي تعيّن بدقة موضوع أي سورة، يقول أحدهم:" وخلال المتقين التي أحصتها سورة البقرة كثيرة، فقد تكرّرت مادة التقوى

1- مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم: ص175.

2- مصطفى مسلم، المصدر السابق: ص176.

3- ينظر عبد الفتاح الخالدي، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق -دراسة نظرية وتطبيقية مرفقة بنماذج ولطائف التفسير الموضوعي-، دار النفائس، الأردن، ط1، 1418هـ-1997م: ص239-264.

خلال السورة بضعا وثلاثين مرة، لا تشبهها في ذلك سورة أخرى."[1] لذلك كان موضوع "التقوى" أهم الموضوعات المقترحة لسورة البقرة.

أمّا الدكتور أحمد رحماني فيحدّد عناصر معرفة موضوع السورة في أربع:[2]

1- مطلع السورة.
2- علاقة المطلع بالخاتمة.
3- تناسب الآيات.
8- عنصر التكرار بما في ذلك التكرار الصوتي للفاصلة.

فمن خلال ما قاله كل من البقاعي(885هـ) والشاطبي(790هـ)، وما نظّر له مصطفى مسلم وأحمد رحماني وكذا عبد الفتاح الخالدي، يمكن تلخيص العناصر المستفاد منها في تحديد موضوع السورة، في النقاط التالية:

1- اسم السورة.
2- افتتاحية السورة وخاتمتها والعلاقة بينهما.
3- المحاور التي تعرّضت لها السورة بعد القراءة المتكرّرة والمتدبّرة.
4- ما ورد حول السورة في السنّة النبويّة.
5- أسباب النزول.
6- زمان ومكان نزول السورة.
7- تناسب السور.
8- عنصر التكرار وكذا التكرار الصوتي للفاصلة.
9- أهداف السورة.

والجدير بالذكر أنّ الإستعانة بهذه العناصر تختلف من سورة إلى سورة كمًا وكيفًا.

1 - محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، دار الشروق، ط4، 1420هـ -2000م: ص11.
2- ينظر أحمد رحماني، التفسير الموضوعي نظريةً وتطبيقًا، منشورات جامعية، باتنة، دط، دت: ص140.

الفرع الثاني: تحديد موضوع السورة.

تصل الدراسة إلى أهم شيء في المدخل وهو: الفكرة المهيمنة التي تربط أجزاء السورة بعضها ببعض، حتى تبدو السورة في وَحدة بحيث لا تنقسم. ومن أجل ذلك يستعان بما يلي:

1- زمان ومكان نزول السورة:

علمنا من قبل أنّ هذه السورة مكيّة نزلت جملة واحدة، ليلا، مشيّعة بسبعين ألفا من الملائكة.[1] وسببه اشتمالها على دلائل التوحيد والعدل والنبوّة... الخ.[2]

والقرآن المكي- كما هو معلوم- يدور حول ثلاثة محاور وموضوعات لا تخرج عنها في الغالب وتتمثل في:

- الإلهيات.
- النبوات.
- المعاد.[3]
- زاد الرازي(606 هـ)، إثبات القضاء والقدر.

فموضوع السورة- على هذا- لن يخرج عن مواضيع العقيدة، الذي يلزم تحديده بعناصر أخرى.

2- اسم السورة:

سميّت هذه السورة بـ"الأنعام"، ولم تعرف اسما غيره كما سبق، وقضيّة "الأنعام" هذه هي: المناسبة الحاضرة في زمن نزول السورة، وهي مثال تطبيقي يبرز علاقة التشريع بالإيمان.

يقول سيد قطب(1386هـ) في هذا:" إنّها المناسبة التي ربطت في سياق السورة بهذا كلّه؛ فدلّ هذا الربط على طبيعة هذا الدين؛ ونظرته لقضيّة التشريع والحاكميّة في الكبير والصغير...".[4]

1- ينظر: الفرع الأول من المطلب الأول من هذا المدخل.

2- ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر: 149/12.

3- ينظر الشاطبي، الموافقات، دار الكتب العلمية: 3/311-312.

4- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: 1020/7.

وعبّر البقاعي(885هـ) عن نفس الفكرة بقوله:"... وأنسب الأشياء المذكورة فيها لهذا المقصد: الأنعام، لأنّ الإذن فيها– كما يأتي– مسبّب عما ثبت له من الفلق والتفرّد بالخلق، تضمّن باقي ذكرها إبطال ما اتخذوه من أمرها دينا لأنّه لم يأذن فيه ولا إذن لأحد معه، لأنّه المتوحّد بالألهيّة، لا شريك له...".[1]

فأمر الأنعام لم يكن موضوع السورة؛ ولكن مثالا عمّا اتخذه المشركون دينا مما لم يأذن فيه الله وهو وحده المشرّع في الصغير والكبير. وما فعلوه يؤدي إلى الشرك به في ربوبيّته وبالتالي في ألهيّته وهو الواحد لا شريك له.

فمن كلام السيد قطب والبقاعي نتّجه نحو تحديد أكثر لموضوع السورة؛ حيث أصبح واضحا أنّه يتعلق بجانب ألوهيته وربوبيته سبحانه.

3- القراءة المتدبرة للسورة:

من سمات سورة الأنعام تشابك عناصر الموضوع الذي تعالجه؛ ولذلك توجد صعوبة كبيرة في معرفة الموضوع الأساسي بالتحديد.

فهذا سيد قطب(1386هـ) يقول:" والموضوع الرئيسي الذي تعالجه متّصل؛ فلا يمكن تجزئة السورة إلى مقاطع، كل مقطع منها يعالج جانبا من الموضوع... إنّما هي موجات... وكل موجة تتفق مع التي قبلها وتكمّلها".[2]

إلا أنّ القراءة المتدبّرة ولمرات كثيرة للسورة، بما في ذلك الإفتتاحيّة والختام وملاحظة عنصر التكرار، يمكّن الوصول وبدقّة أكبر إلى الرابط بين هذه الموجات المتّصلة.

أ- **الافتتاحية:** وهي الآيات الإحدى عشر الأولى كما اختاره سيد قطب أو السبعة عشر الأولى وهو اختيار سعيد حوى[3](1409هـ):

1- البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 578/2.

2 – سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: 1022/7.

3 – هو: سعيد بن محمد ديب حوى، أبو محمد، عالم إسلامي مجاهد. ولد بحماة بسوريا، سنة 1354هـ–1935م. من تأليفه: "الأساس في التفسير" ألّفه إبان اعتقاله، و"الأساس في السنّة وفقهها" و"الأساس في قواعد المعرفة وضوابط الفهم=

يقول تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿1﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿2﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿3﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿4﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿5﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿6﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿7﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿8﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿9﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿10﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿11﴾ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿12﴾ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿13﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿14﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿15﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿16﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[سورة الأنعام: الآيات1-17].

تتحدّث الآيات الثلاثة الأولى عن استحقاق الحمد لمن يتجلّى وجوده وصفاته في الآفاق والأنفس، أين يظهر العدول به والشك في البعث أو في قدرته، أمرا تحيله العقول وتنكره الفطرة السليمة.

=للنصوص". وتوفي سنة 1409هـ-1989م. (كامل سلمان الجبوري، معجم الأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ-2003م: 50/3).

والحمد كما يقول الطبري(310هـ):" يعني: الحمد الكامل لله وحده لا شريك له دون جميع الأنداد والآلهة، ودون ما سواه مما يعبده كفرة خلقه من الأوثان والأصنام".[1]

ويقول الرازي(606 هـ):"... حمد المنعم عبارة عن كل فعل يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه منعم. وذلك الفعل إمّا أن يكون فعل القلب، أو فعل لسان، أو فعل الجوارح".[2] أي أنّ النعمة من الله، والحمد من العبد، ويكون بتعظيم الله بأفعال القلب واللسان والجوارح.

أمّا الآيات التي تليها، فهي شرح لكيفيّة العدول والإمتراء، بعرض الأدلّة الرئيسة للمشكّكين في البعث والرسالة والردّ عليها، وفيها كذلك جزاء هذا الإشراك والشك.

فالإفتتاحيّة جاءت مقرّرة لتوحيده تعالى في ربوبيّته واستحقاقه الحمد بذلك. وتجادل المشركين في شبهاتهم وتقرّر أمر البعث.

ب- **التكرار**: أما عنصر التكرار، فيظهر جليا في عودة السورة لعرض أدلّة الربوبيّة والألهيّة في كل مرّة وذلك في الآيات التاليّة:

قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (1) هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ (2) وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾[سورة الأنعام: الآيات 1-3].

وأيضا قوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (12) وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (13) قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (14) قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15) مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ (16) وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ

1- الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 1426هـ-2005م: 143/7.

2- الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 185/1.

لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿17﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿18﴾ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾[سورة الأنعام: الآيات 12-19].

وقوله عز وجل: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿59﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿60﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿61﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿62﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿63﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿64﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾[سورة الأنعام: الآيات 59- 65].

وقوله سبحانه: ﴿ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿71﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿72﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[سورة الأنعام: الآيات71- 73].

وقوله سبحانه أيضا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿95﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿96﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿97﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿98﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن

طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ
إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (99) وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ
سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ (100) بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ
شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (101) ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
وَكِيلٌ (102) لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[سورة الأنعام: الآيات 95 -103].

وقوله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ
ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ (114) وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ
لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[سورة الأنعام: الآيات 114- 115].

وقوله عز وجل: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ
وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ وَلَا
تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ (141) وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟
خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[سورة الأنعام: الآيات141-142].

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ
ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾[سورة الأنعام: الآيات 165].

فتكرار الحديث عن أدلّة وجوده تعالى المتجليّة في مظاهر الخلق، والقدرة، والعلم، وغيرها، في عدة آيات وعلى شكل مجموعات، تبدأ كل مجموعة بلفظ "وله" و"وهو الذي"؛ يؤكّد أنّ موضوع السورة، هو توحيده تعالى في "ألوهيته وربوبيته".•

• – توحيد الألوهية: هو إفراده تعالى وحده بالعبادة والتوجّه إليه بالدعاء. وتوحيد الربوبية: هو الاعتقاد بأن الله وحده هو الخالق للعالم، وهو وحده المالك له والمتصرف فيه بالرزق، والإحياء والشّفاء والمرض.(مصطفى الخن ومحي الدين ديب متو، العقيدة الإسلامية: أركانها حقائقها مفسداتها، دار ابن كثير، دمشق، ط4، 1423هـ-2003م: ص171- 172. وأحمد بن حجر آل بوطامي ابن علي، العقائد السلفية بأدلّتها النقلية والعقلية، دار منهاج السنة، مصر، ط1، 1415هـ-

ج- **ختام السورة:** يمكن الاستفادة كذلك من مضمون الخاتمة، ومدى موافقته للمطلع لتعيين الفكرة المهيمنة. وتتمثل خاتمة السورة في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿161﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿162﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿163﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿164﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[سورة الأنعام: الآيات161-165] وبمقارنتها مع آيات المطلع يظهر ما يلي:

1- ابتدأت السورة الكريمة ببيان تفرّده تعالى بالحمد وذلك في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۖ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[سورة الأنعام: الآية1] وانتهت السورة ببيان تفرّده تعالى بالعبوديّة: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[سورة الأنعام: الآية 162] وهذا ما يسمى بتوحيد الألهية بدأ به وختم به.[1]

2- استهلت السورة الكريمة الحديث عن نعمة الإيجاد الأوّل "المبدأ" ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۖ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿1﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾[سورة الأنعام: الآيات 1-2]، واختتمت بتقرير نعمة الإيجاد الثاني "المعاد" أي نعمة الخلق والبعث[2] ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [سورة الأنعام: الآية 164].

3- كما أنّ قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾[سورة الأنعام: الآية 3] يناسب قوله تعالى: ﴿ هوَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ

=1994م: 24/1 و38/1. ومحمد بن صالح العثيمين، شرح العقيدة الواسطية، دار الثريا للنشر، المملكة العربية السعودية، ط1، 1419هـ-1998م: 14-17).

1- ينظر أحمد الشرقاوي وآخرون، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، جامعة الشارقة، الشارقة، ط1، 1431هـ-2010م: 399/2. http://www.sharjah.ac.ae

2- ينظر أحمد الشرقاوي، المصدر نفسه.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[سورة الأنعام: الآية 165]، فعلمه سبحانه يتبعه ويلزم منه الجزاء على العمل، بل لشدّة ترابط الخاتمة بالإفتتاح لا تحس- في رأيي- بالخلل إذا رُبطت آيات الختام بالآية الثالثة من المقدمة.

4- قرّرت المقدّمة خلق الله للسموات والأرض والنور والظلمات والإنسان؛ لتقرّر الخاتمة أنّ ذلك؛ لأجل الإستخلاف ولحكمة الإبتلاء.

5- تأتي الخاتمة وكأنّها ردّ على عدول الكافرين بالله وامتراءهم في المقدّمة؛ وذلك بتلقين الله الرسولﷺ، أن يقول بأنّه ليس كذلك وأنّه تعالى هداه إلى صراط مستقيم، وأنّ الله ربّه ومعبوده لا شريك له.

6- ويقول البقاعي(885هـ) مقارنا بين آيات الختام وآيات الإفتتاح:"...فقد ختم السورة بما به ابتدأها، فإنّ قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾[سورة الأنعام: الآية 165] هو المراد بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾[سورة الأنعام: الآية 2] وقوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾[سورة الأنعام: الآية 164] هو معنى قوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[سورة الأنعام: الآية 1]".[1]

ربما يقصد في وجه المناسبة في المثال الأوّل أنّ الله خلقكم من طين الأرض ثم جعلكم مستخلفين فيها. أمّا في المثال الثاني فالمناسبة واضحة؛ فربّ كل شيء عام، وخلق السماوات والأرض وغيرها بعض من هذا الكل.

7- كما أنّ آيات الختام جاءت جامعة لما في المقدّمة ولما في السورة ككل. يقول رشيد رضا(1354هـ):" فجاءت هذه الخاتمة بالأمر الأخير له ﷺ بأن يقول لهم القول الجامع لجملة ما قبله وهو أنّ ما فُصّل في السورة هو صراط الله المستقيم ودينه القيّم الذي هو ملة إبراهيم، دون ما يدّعيه العرب المشركين".[2]

1 - البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 756/2.

2 - محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، دار الكتب العلمية: 209/8.

8- ويقارن سيد قطب(1386هـ) بين القسم الأوّل والثاني من السورة فيقول:" ...الإيقاع الأخير من السياق الذي استهدف قضيّة الحاكميّة والشريعة، يجيء متناسقا مع الإيقاعات الأولى من السورة، تلك التي استهدفت قضيّة العقيدة والإيمان".[1]

ويضرب مثلا من الأمثلة الكثيرة الموجودة وهو قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[سورة الأنعام: الآية 14]. فهذه الآية تكاد تنطبق في المعنى والمبنى وآيات الخاتمة وذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (161) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[سورة الأنعام: الآيات 161-163].

ثم يعطي سيد قطب خلاصة عامّة حول السورة، وعلاقة القسمين فيما بينهما فيقول:" فهي صور متنوّعة للحقيقة الواحدة، الحقيقة التي تبدو مرّة في صورة عقيدة في الضمير، وتبدو مرة في صورة منهج للحياة... وكلتا الصورتين تعنيان حقيقة واحدة في مفهوم هذا الدين...".[2] وهي الإيمان بالله وعبادته؛ فالإسلام عقيدة وشريعة، والإيمان به سبحانه "معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان".[3] كما ذهب إليه كثير من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين منهم إمام دار الهجرة مالك بن أنس (179هـ).

---

1 – سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: 1241/8.

2 – سيد قطب، المصدر السابق: 1241/8-1242.

3- ابن تيمية، كتاب الإيمان، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 1416هـ-1995م: 129-264. وكذلك اللالكائي، أبي الحسن بن منصور الطبري، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1426هـ-2005م: 404/4.

ويمكن تلخيص الكلام السابق فيما يلي:

جاءت مقدّمة السورة للحديث عن استحقاقه سبحانه للحمد وتفرّده به؛ باعتبار ذاته وباعتبار ما فصّل من شؤون العظمة الخاصّة به.[1]

والحمد من الذكر وهو من أقسام الدعاء الذي هو عبادة قوليّة تدخل في توحيد الألهيّة.[2]

يقول ابن كثير (774هـ) في تعريف العبادة:" والعبادة في الشرع: عبارة عمّا يجمع كمال المحبّة والخضوع والخوف".[3] أي: حب الله والقيام بأوامره والخوف من عقابه.

ويعرّفها ابن تيمية(728هـ) بقوله:" هو اسم يجمع كمال الحبّ ونهايته وكمال الذلّ لله ونهايته".[4] ولا يتصوّر ذلّ دون القيام بالمأمور والإنتهاء عن المنهي عنه.

كما عرّفوا العبوديّة بأنّها:" أعلى مراتب الخضوع".[5]

و" الذكر أفضل العبادات، بل هو الغرض المقصود من العبادات كلّها؛ فإنّها ما شرّعت إلا لتعين على ذكر الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﴾[سورة طه: الآية 14]".[6]

---

1 – ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ–1999م: 348/2.

2 – هذا التقسيم توصل إليه العلماء بعد استقراء نصوص الشريعة.

3 – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس: 46/1.

4 – ابن تيمية، مجموع الفتاوى، المكتب التعليمي السعودي: 19/10.

5 – الألوسي، محمود أبو الفضل، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، دت: 86/1. والزمخشري، الكشاف، دار المعرفة: 62/1. والشوكاني، فتح القدير، دار المعرفة: 22/1.

6 – القاسمي، جمال الدين، دلائل التوحيد، دار النفائس، بيروت، ط1، 1412هـ–1991م: ص95.

وأخرج الترمذي(279هـ) وحسّنه عن جابر بن عبد الله قال: **سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِﷺ يقُولُ:" أَفْضَلُ الْذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَا اللهُ، وَأَفْضَلُ الْدُّعَاءِ الْحَمْدُ للهِ"**.[1]

وأخرج مسلم عن أبي مالك الأشعري قال:" **قَالَ رَسُولُ الله صَلَى الله عَلَيْهِ وسَلَمَ: "الْطَّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانِ"**.[2] الحديث.

وافتتاح السورة بالحمد الذي هو عبادة محضة، في سورة مليئة بالأدلّة العقليّة والكونيّة الدالّة على ربوبيّته– التي لا ينكرها المشركون– يدلّ على أنّ السورة جاءت لتقرير توحيد الألهيّة من باب الإلزام.

ومن الآيات الدالّة على إقرار المشركين بربوبيّته تعالى، قوله تعالى: ﴿ **أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ** ﴾ [سورة ص: الآية 5]. وقوله تعالى أيضا: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[سورة المؤمنون: الآيات84–85]. وكذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة يونس: الآية 3].

فالله في هذه الآيات وفي كثير غيرها، ينكر على الكفار إيمانهم بالله الخالق، دون الِالتزام بعبادته وحده. يقول ابن تيمية(728هـ):" أمّا توحيد الربوبيّة: فقد أقرّ به المشركون، وكانوا يعبدون مع الله غيره، ويحبونهم كما يحبونه فكان ذلك التوحيد– الذي هو توحيد الربوبية– حجّة عليهم؛ فإذا كان الله هو رب كل شيء ومليكه، ولا خالق ولا رازق إلا هو. فلماذا

---

1 – رواه الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن الضحاك أبو عيسى، سنن الترمذي، كتاب: الدعوات، باب: "ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة"، حديث رقم3383، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395هـ–1975م: 462/5.

2 – رواه مسلم، بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب: الطهارة، باب: فضل الوضوء، حديث رقم223، تحقيق: فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، دت: 203/1.

يعبدون غيره معه، وليس له عليهم خلق ولا رزق".[1] لذلك" من عدل به غيره فقد أشرك في ألهيّته ولو وحّد في ربوبيّته؛ فتوحيد الربوبيّة هو الذي اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها وكافرها، وتوحيد الألهيّة مفترق الطرق بين المؤمنين والمشركين".[2]

يقول المُلا القاري[3](1014هـ):" فابتداء كلامه سبحانه وتعالى في الفاتحة بالحمد لله رب العالمين، يشير إلى تقرير توحيد الربوبيّة المترتّب عليه توحيد الألهيّة المقتضي من الخلق تحقيق العبوديّة".[4] وعبادته تعالى تعني الخضوع المطلق لله في كل ما أمر.

وما سبق من الكلام عن الحمد والعبادة يكفي كدليل قويّ على أنّ موضوع السورة لا يخرج عن تقرير الألهيّة، وحتى العناصر الأخرى من اسم السورة والتكرار والخاتمة تؤيّده:

فاسم السورة جاء لينبّه إلى عادات العرب الباطلة في الأنعام؛ من التحليل والتحريم فيما يتعلق بها بغير إذن، وإلى الوعيد الشديد والعقاب المستحق الذي ينتظر المشركين على تصرفاتهم تلك؛ ذلك أنّ التقرّب إلى الله يكون بما شرّع لا بما ابتدعه الناس دون علم. وإليه الإشارة في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[سورة الأنعام: الآية 162].

فتوحيده تعالى يستلزم عبادته وحده وبما شرعه، خاصة في أصول التشريع وثوابت الأمور كما تدعو إليه سورة الأنعام، ويتوعّد الله كل من يحيد عن شرعه بالعقاب المستحق؛ لذلك عاقب قوم لوط لإتيانهم الفاحشة، وعاقب قوم شعيب المطففين؛ "فالناس مع الإيمان الذي

1- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، المكتب التعليمي السعودي: 380/14.

2- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، تجريد التوحيد المفيد، تعليق وتحقيق: ياسين بن علي بن سالم الحوشبي العدني، دار عمر ابن الخطاب، القاهرة، ط1، 1428هـ-2008م: ص26.

3 - هو: علي بن سلطان محمد نور الدين الملّا الهروي القاري: فقيه حنفي، من صدور العلم في عصره. ولد في هراة وسكن مكة وتوفي بها سنة(شمتربرتر هـ- ليبرليترم). وصنف كتبا كثيرة، منها: "تفسير القرآن" ثلاثة مجلدات، و" شرح مشكلات الموطأ"، و" منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر".(الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين: ﻫ/يرتر–سمتر).

4 - علي المُلاّ القاري، منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر ومعه التعليق الميسّر على شرح الفقه الأكبر: وهبي سليمان غاوجي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1419هـ-1998م: ص47.

طولبوا به مكلّفون بطاعة الله فيما شرع من حلال وحرام، فليس الإيمان دعوى مصحوبة بالفوضى".[1]

وهذا ما يقرره ابن تيمية(728هـ) إذ يقول:" العبادات مبناها على الشرع والإتباع لا على الهوى والإبتداع، فإنّ الإسلام مبني على أصلين: **أحدها:** أن نعبد الله وحده لا شريك له. **والثاني:** أن نعبده بما شرعه على لسان رسولهﷺ".[2] وقال أيضا:" وهذا التوحيد [توحيد الألهية] يتضمن فعل المأمور وترك المحظور".[3]

كما انطوت السورة على تكرار الحديث عن مظاهر خلقه لتتجلى من خلالها صفات ربوبيّته، من خلق وقدرة وعلم وملك، التي تستدعي عبادته وحده. ومثاله قوله تعالى: ﴿ **ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ** ﴾[سورة الأنعام: الآية 102] وذلك بعد قوله: ﴿ **بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾[سورة الأنعام: الآية 101].

أما الخاتمة فقد تمّ بيان موافقتها وتصديقها لفاتحة السورة؛ فكلاهما يتحدّثان عن عبادته تعالى وحده وذلك في قوله تعالى: ﴿ **ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ** ﴾[سورة الأنعام: الآية1] في المقدمة، وقوله تعالى في الخاتمة: ﴿ **قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (161) قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾[سورة الأنعام: الآية161-162].

وكانت الخاتمة أيضا بيان للصراط المستقيم الذي كان عليه النبيﷺ، في مقابل امتراء المشركين في المقدّمة.

1- محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن- الأجزاء العشرة الأولى-، دار الشروق: ص106.

2- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، المكتب التعليمي السعودي: 80/1.

3- ابن تيمية، المصدر السابق: 379/14.

د- أقوال العلماء في موضوع السورة:

لبعض العلماء والمفسرين أقوال في موضوع "سورة الأنعام"؛ فابن تيميّة (728هـ) يقول:" سورة الأنعام سورة عظيمة مشتملة على أصول الإيمان".[1]

ويقول في موضع آخر:" ولهذا كانت "سورة الأنعام" أفضل من غيرها، وكذلك "سورة يس" ونحوها من السور التي فيها أصول الدين التي اتفق عليها الرسل كلّهم صلوات الله عليهم".[2]

ويقول الشاطبي(790هـ):"... ويليه تنزيل "سورة الأنعام"؛ فإنّها نزلت مبيِّنة لقواعد العقائد وأصول الدين... وإذا نظروا... تبيّن به من قرب بيان القواعد الشرعيّة الكليّة، التي إذا انخرم منها كلي واحد انخرم نظام الشريعة، أو نقُص منها أصل كلي".[3] ويقصِد، اشتمال السورة على الضروريات التي تحفظ الكلّيات الخمس من جهة الوجود والعدم، وهي الوصايا العشر التي تحدثت عنها السورة في القسم الثاني منها.

وقال أيضا:"... كما في سورة الأنعام فإنّها جاءت مقرّرة للخلق ومنكرة على من كفر بالله واخترع من تلقاء نفسه ما لا سلطان له عليه وصدّ عن سبيله، وأنكر ما لا يُنكر ولدَّ فيه وخاصم".[4] لأنّها وجهّت أنظار المشركين إلى عظمة الله وقدرته من خلال مظاهر خلقه، ولكنّهم أنكروا عبادة الله وعبدوا ما ليس أهلا وقدّموا لهم القرابين.

ويقول سيد قطب(1386هـ):" القضيّة الكبرى التي تعالجها السورة هي قضيّة الألوهية والعبوديّة في السماوات والأرض، في محيطها الواسع، وفي مجالها الشامل.. ولكن المناسبة الحاضرة في حياة الجماعة المسلمة حينذاك، المناسبة التطبيقيّة لهذه القاعدة الكبيرة الشاملة، هي ما تزاوله الجاهليّة من حقّ التحليل والتحريم في الذبائح والمطاعم، ومن حقّ تقرير

1- ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: محمد حامد الفقهي، دار المعرفة، بيروت، دط، دت: ص357.

2 - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، المكتب التعليمي السعودي: 196/17.

3 - الشاطبي، الموافقات، دار الكتب العلمية: 304/3-305.

4 - الشاطبي، المصدر السابق: 269/3.

بعض الشعائر في النذور من الذبائح والثمار والأولاد...".[1] فالقسم الثاني الذي يتحدّث عن التحليل والتحريم عند العرب بهذا، راجع للقواعد الإيمانيّة في القسم الأوّل.

ويقول أيضا عند مقارنته بين موضوع " سورة الأنعام" و" سورة الأعراف":" ولكن بينما " سورة الأنعام" تعالج العقيدة في ذاتها، وتعرض موضوع العقيدة وحقيقتها، وتواجه الجاهلية العربيّة في حينها– وكل جاهليّة أخرى كذلك– مواجهة صاحب الحقّ الذي يصدع بالحقّ، وتستصحب معها في هذه المواجهة تلك المؤثّرات العميقة العنيفة...، نجد "سورة الأعراف"، وهي تعالج موضوع العقيدة كذلك...، إنّما تعرضه في مجال التاريخ البشري".[2] أي: لكل سورة موضوعها الخاص وإن اجتمعت في الموضوع العام مع غيرها باعتبارها سورة مدنيّة أو مكيّة. والقرآن الكريم آخر الكتب؛ نزل لهداية البشريّة جمعاء، وهو صالح بذلك لكل زمان. وهذه السورة بالذات تواجه العرب وغيرهم في هذا الزمان، وتجادلهم بالأدلّة الساطعة والقويّة والمؤثّرة.

فبالنظر إلى مجموع أقوال العلماء السابقة، يتبيّن لنا اجتماعهم على احتواء السورة على "أصول الأيمان" و"أصول التشريع". وإذا أضفنا إليها أقوال سيد قطب(1386هـ) وقول ابن تيمية(728هـ) الأخير: من دخول أصول التشريع في العبادة الذي هو توحيد الألهيّة، نستنتج اجتماعهم على أنّ " تقرير الألهيّة" هو موضوع السورة. كما جاءت لمحاجّة المشركين وجدالهم في ذلك بكل أنواع الاستدلال.

ويمكن الِاستفادة كذلك من كلام البقاعي (885هـ) في تحديد أكثر لموضوع السورة، وذلك في قوله:" مقصودها الِاستدلال على ما دعا إليه الكتاب في السورة الماضية من التوحيد بأنه الحاوي لجميع الكمالات من الإيجاد والإعدام والقدرة على البعث وغيره ... وهي كلها في حجاج المشركين وغيرهم".[3]

1– سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: 1018/7.

2 – سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: 1244/8.

3 – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 578/2.

وقوله:" الإِستدلال" و"حجاج المشركين" يدلّ على أنّها كلها أدلّة في مجادلة المشركين ونقض معتقداتهم. ثم حدّد مجال الإِستدلال وهو "التوحيد"؛ لإِشتماله على صفات الكمال من الإيجاد والإعدام والقدرة على البعث وإرسال الرسل؛ فالكلام عن النبوّة والبعث في السورة، راجع إلى توحيد الله باعتباره قادرا، عادلا، قاهرا لعباده.

ويقول البقاعي(885هـ) أيضا:"... وحصر المحرّمات من المطاعم التي هي جلّها في هذا الدين وغيره، فدلّ ذلك على إحاطة علمه، وسيأتي في" سورة طه" البرهان الظاهر على أنّ إحاطة العلم ملزومة لشمول القدرة وسائر الكمالات، وذلك عين مقصود السورة".[1] ويعني هذا: أنّ لا قدرة لقادر، إلا بالعلم، وأنّ العلم الإلهي هو أصل كل الصفات. وكل قارئ "لسورة الأنعام" يلاحظ استدلالها على التوحيد بإحاطة علم الله وشمول قدرته وعظيم سلطانه.

فبعد تحليل العناصر المعتمدة في تحديد الفكرة المهيمنة للسورة، وبعد عرض أقوال العلماء في موضوعها، يتّضح أنّ موضوع "سورة الأنعام" هو:

مجادلة المشركين في لازم الربوبية بمظاهر صفتي العلم والقدرة.

1 – البقاعي، المصدر نفسه.

الباب الأول

مجادلة المشركين في قواعد التوحيد.

(من الآية الأولى إلى الآية الرابعة والتسعين)

الفصل الأول

استحقاق الحمد لله وحده و مظاهر الامتراء
والعدول به تعالى.

(من الآية الأولى إلى الآية السابعة عشر)

الفصل الثاني

القدرة الإلهية و علمه تعالى وحكمته.

(من الآية الثامنة عشر إلى الآية الثالثة والسبعين)

الفصل الثالث

الاستدلال بقصة إبراهيم عليه السلام على التوحيد.

(من الآية الرابعة و السبعين إلى الآية الرابعة
والتسعين)

الفصل الأول

استحقاق الحمد لله وحده ومظاهر الإمتراء والعدول به تعالى.

(من الآية الأولى إلى الآية السابعة عشر)

المبحث الأول

استحقاق الحمد لله تعالى وعاقبة الاستهزاء.

(من الآية الأولى إلى الآية السادسة)

المبحث الثاني

مظاهر الإمتراء و العدول بالله تعالى.

(من الآية السابعة إلى الآية السابعة عشر)

الفصل الأول من الباب الأول

تمهيد:

أشار الشاطبي إلى التقسيم الثنائي للسورة في الموافقات، عند حديثه عن احتواء السورة على كليات الشريعة، إلى جانب احتوائها على قواعد التوحيد. وهو رأي كل من سيد قطب(1386هـ) وسعيد حوى(1409هـ). كما يلاحظ ذلك كل صاحب قراءة متكرّرة للسورة.

أما التقسيم الثلاثي للباب الأوّل، فقد اعتمده الشيخ سعيد حوى في تفسيره، والقراءة المتدبّرة للسورة توافقه تماما، وسيتّضح ذلك بعد تحليل الآيات.

كما أعان على معرفة هذا التقسيم أيضا، علامات أخرى في بداية ونهاية الفصول:

فالفصل الأوّل الذي يبدأ بقوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١ ﴾ وينتهي بقوله: ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧ ﴾ يقرّر مبحثه الأوّل استحقاق الحمد له تعالى وحده؛ لمظاهر قدرته وواسع علمه، وإنعامه على خلقه، وينكر على المشركين امتراءهم مع بيان عاقبة استهزائهم. وقد اتّفق المفسّرون على كون الآيات الثلاثة الأولى مقدّمة للسورة. أمّا المبحث الثاني الذي اعتبره البعض كافتتاحيّة ثانيّة، ذكر بعض مظاهر هذا الامتراء، وبيّن عقوبة العدول بالله غيره، وفيه تسليّة النبيﷺ، كما فيه دلائل توحده تعالى في ألهيّته وربوبيّته. فهو بذلك جامع لكل موضوعات السورة، ويصلح كتمهيد لها.

وأما الفصل الثاني فيبدأ بالآية الثامنة عشر (18) وهي قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨ ﴾ وينتهي بالآية الثالثة والسبعين(73) وهي: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٧٣ ﴾ فنهايتهما قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾. وهناك آية بينهما تفصل بين مبحثي هذا الفصل وهي قوله عز وجل: ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ٦١ ﴾ [سورة الأنعام: الآية 61] فمظاهر القهر الإلهي وعلمه تعالى بارزة في هذين المبحثين.[1]

---

[1] – ينظر سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام، القاهرة، ط5، 1419هـ–1999م: 3/1570–1594.

أمّا الفصل الثالث فافتراقه عن الفصول الأخرى واضح؛ إذ يستدلّ على التوحيد بإحدى القصص القرآنية وهي قصّة إبراهيم عليه السلام، وطريقته في إقامة الحجّة على قومه. إلى جانب ذكر بعض الأنبياء من ذريّة إبراهيم ونوح عليهما السلام.

هذا بالإضافة إلى الضمير "**وهو**" الذي يتكرّر مرارا في السورة، عاطفا الآية على الآية، وأحيانا المقطع على المقطع، راسما الحدود ومؤذنا بدخول معنى جديد أو موضوع آخر.

المبحث الأول:[الافتتاحية] استحقاق الحمد لله تعالى وعاقبة الاستهزاء.

[من الآية 1 إلى الآية 6].

وتحتوي هذه الافتتاحية على مطلبين؛ يتحدث الأول منهما عن استحقاق الحمد له تعالى وحده. والثاني عن عاقبة من استهزأ بالآيات الدالة على هذا الاستحقاق.

المطلب الأول: استحقاق الحمد لله تعالى وحده.

[من الآية 1 إلى الآية 3]

1- تفسير الآيات:

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ (1) هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ (2) وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ (3)﴾ [سورة الأنعام: الآيات1 – 3].

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ (1)﴾

أ- المعنى:

بدأت السورة باستحقاق الحمد لله وحده دون سواه من الأرباب؛ لتجلي صفاته في الآفاق وفي الأنفس، والتي تدلّ على عظيم قدرته، وواسع علمه. والحمد من الذكر، وهو عبادة محضة تدخل في توحيد الألهيّة التي يكفر بها المشركون.

والحمد:" الثناء بجميل الصفات والأفعال، والشكر: الثناء بالإنعام".[1] وهو أيضا:" وصف بالكمال مع المحبة والتعظيم".[2]

1- عز الدين، عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي، تفسير القرآن، اختصار النكت للماوردي، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، ط1، 1416هـ-1996م: 90/1.

2- العثيمين، محمد بن صالح، تفسير القرآن الكريم (سورة الكهف)، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1423هـ: ص7.

و﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ خبر بمعنى الأمر وهو أولى من قوله "احمدوا"؛ لما فيه من تعليم اللفظ والمعنى، ولأنّ البرهان يشهد للخبر دون الأمر، ولِاستحقاق الله الحمد سواء حمده الحامد أو لم يحمده.[1]

وقيل:" إنّ في دخول" الألف واللام" على الحمد معنًى زائدا؛ من أنّ جميع المحامد لله بألهيّته وإنعامه على خلقه".[2]

و" هذا إخبار على حمده والثناء عليه، بصفات الكمال، ونعوت العظمة والجلال عموما، وعلى هذه المذكورات خصوصا".[3]

فالحمد لفظ تلتقي فيه معان ثلاث، فهو:[4]

- ثناء يكشف عن أمجاد الذات العليا؛ من جلال وجمال وكمال.
- مديح على ما ننال من عطاء ونعماء، جاد بها ولي النعم.
- شكر يقابل الخير النازل والفضل المسدى.

﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ إنّما هو:" أظلم ليلهما وأنار نهارهما؛ فنقول: جعلت أقوم وأقعد، تدلّ بقولنا "جعلت" على اتصال الفعل؛ لا أنّها في نفسها فعل".[5]

1- ينظر عز الدين بن عبد السلام، تفسير القرآن، دار ابن حزم: 428/1. والرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر: 154/12.

2- الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 90/1.

3- السعدي، عبد الرحمان بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمان بن معلاّ اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420هـ-2000م: ص212.

4 - ينظر محمد الغزالي، نحو تفسبر موضوعي لسور القرآن الكريم، دار الشروق: ص7.

5- الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 143/5-144. يقول ابن فارس:" والجُعلُ والجِعالة والجَعيلةُ: ما يجعل للإنسان يفعله. وجعلتُ الشيء صنعته. قال الخليل: إلا أنّ جعل أعم، تقول جعل يقول، ولا تقول صنع يقول". (ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الجيل: 460/1-461). وفي الجعل ملاحظة معنى الِانتساب؛ بمعنى كون المجعول مخلوقا لأجل غيره أو منتسبا إلى غيره. (الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر، دب، دط، 1399هـ-1979م: 2/3-4. وابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 126/7).

وهناك تفسيرا علميا لهذه الآية يؤيّد ما اختاره الطبري(310هـ) من معنى؛ وهو أنّ السماوات هي نفسها الكواكب السيارة، وإقرانها بالأرض هو من باب إقران الشيء بقرينه وشبيهه.[1]

ويقول ابن تيمية(728هـ) في الفرق بين الخلق والجعل:" لأنّ الظلمات والنور مجعولة من الشمس والقمر: المخلوقة في السماوات، وليس الظلمات والنور والليل والنهار جسما قائما بنفسه ولكنّه صفة وعرض قائم بغيره".[2] إلا أنّ التفسير العلمي الحديث يصحّح بعض ما قاله ابن تيمية، وهو أنّ الأصل في الكواكب الظلمات؛ فهي صفة ذاتيّة لصيقة بها؛ لذلك جُمعت وقُدّمت على النور الذي سببه الشمس وهي واحدة.[3] وهو الأصح؛ للبعد الزمني الذي يصاحبه التطوّر العلمي.

﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ وقوله تعالى:" ثم"؛ لِإستبعاد ما صنعه الكفّار أي: ومع هذا يجعل له شريكا في عبادتهم إياه، وهم لم يخلقوا شيئا مما ذكر.

يقول أبو السعود(982هـ):" أي: يسوون به غيره في العبادة التي هي أقصى غايات الشكر الذي رأسه الحمد".[4] وهؤلاء الكفار الذين يعدلون بالله غيره: يعمّ اليهود، والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان ومن سائر أصناف الكفر.[5]

﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ ﴿٢﴾ ﴾

أ- المناسبة:

" أعلم أنّ هذا الكلام يحتمل أن يكون المراد منه ذكر دليل آخر من دلائل إثبات الصانع تعالى، ويحتمل أن يكون المراد منه ذكر الدليل على صحّة المعاد، وصحة الحشر".[6]

1- ينظر داود سلمان السعدي، أسرار الكون في القرآن، دار الحرف العربي، بيروت، ط2، 1420هـ-1999م: ص102.

2- ابن تيمية، مجموع الفتوى، المكتب التعليمي السعودي: 598/6.

3- ينظر داود سلمان السعدي، أسرار الكون في القرآن، دار الحرف العربي: ص 84-85.

4- أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 348/2.

5- ينظر الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 145/5-146. والسعدي، تيسير الكلام الرحمان، مؤسسة الرسالة: ص212.

6- الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 126/12.

ب- **المعنى:**

أي خالق السماوات والأرض هو خالقهم من طين؛ إذ كانوا ولد آدم.

﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ يدور معناه عند المفسرين على ستّة أقوال.[1] واختار الطبري(310هـ) أن يكون الأجل الأوّل هو: أجل الحياة الدنيا، والأجل المسمى عنده هو: أجل البعث عنده ويؤيّده نظيرُه في سورة البقرة: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[سورة البقرة: الآية 28].[2]

﴿ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ أي: كيف تشكّون في قدرة من قدر على فعل المذكورات السابقة.[3]

وربما هذا الشك هو الذي دفع المشركين إلى اللجوء في جلب المنافع ودفع المضار، إلى غير الله. ويمكن تلخيص الآيتين بالقول:" فكأنّه قد قيل: أيُّ فرق بين وجود النور والظلمة عن وجود السماوات والأرض، وبين وجودكم من طين، حتى يقع امتراء فتدّعي نسبة الإيجاد إلى النور والظلمة؟ وهما لم يوجدا إلا بعد مادة أو سبب كما طرأ في إيجادكم؛ فالأمر في ذلك أوضح شيء ثم أنتم تمترون".[4]

يقول الرازي(606هـ):" وسواء أسيقت الآية للتدليل على وجود الصانع أو على البعث؛ فهذه الآية تعني استبعاد الشكّ في صحّة التوحيد بعد هذه الأدلّة".[5]

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿3﴾ ﴾.

1- الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 127/12. والطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 5/ 146-148.

2- ينظر الطبري، المصدر السابق: 148/5.

3- ينظر الطبري، المصدر نفسه.

4 – ابن الزبير، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي، البرهان في ترتيب سور القرآن، دراسة وتحقيق: محمد شعباني، دط، 1410هـ-1990م: ص205.

5- الرازي، المصدر السابق: 128/12. وقوله:" الإستدلال على وجود الصانع" يراه كثير من العلماء غير صحيح لأنّ المشركين لم يكن لهم إشكال في وجود الله ولا في صنعه. لكنّهم لم يكونوا يعبدون ويعظمون هذا الصانع، ولا يحكّمون شرعه كما تبينه سورة الأنعام.

أ- **المناسبة:**

لمّا كانت الآيتان السابقتان تدلاّن على كمال القدرة، دلّت هذه على كمال العلم.

أمّا إذا كان المقصود في الآية المتقدّمة، الإستدلال على المعاد؛ فهذه الآية تكميل ذلك البيان.[1]

ب- **المعنى:**

ومعنى الآية: أنّه هو المعبود في السماوات وفي الأرض، ويستلزم هذا، علمه بسرّ عباده وجهرهم. ويعلم كذلك ما يكسبون. والكسب هو:" جميع الِاعتقادات والأعمال من خير وشر؛ فهو تعريض بالوعد والوعيد".[2]

والأليق بالإنسان أن يتّبع ناموس الله في حياته الِاختيارية - فيما يتّخذه من تصورات اِعتقاديّة، وقيم اعتباريّة، وأوضاع حيويّة- لتستقيم حياته الفطريّة المحكومة بناموس الله، مع حياته الكسبيّة حين تحكمها شريعة الله.[3]

2- **الهدايات المستنبطة:**

1- بدأت السورة الحديث عن توحيد الألهيّة اللازم عن توحيد الربوبيّة، الذي يعترف به المشركون؛" فالقرآن الكريم لم يجعل قضيّة وجود لله قضيّته؛ لعلم الله أنّ الفطرة ترفض هذه اللوثة. إنّما القضيّة هي قضيّة توحيد الله، وتقرير سلطانه في حياة العبد، وهي القضيّة التي تتوخاها السورة في هذه الموجة".[4]

"وينبغي أن يُعلم أنّ دليل الخلق فطري وظاهر للعقول، وكذلك دليل الحياة. ومن ثم فإنّ الإستدلال بهما على وحدانيّة الله متيسّر لكل ذي عقل"،[5] قاطع للجدل، دافع للاِمتراء، مانع من العدول بالله.

1- الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 128/12.

2- ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 133/7.

3- ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: 1031/7.

4 - سيد قطب، المصدر السابق: 1035/7.

5 - عبيدات، عبد الكريم، الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة، دار النفائس، الأردن، ط1، 1420هـ-2000م: ص270.

2- جاءت صيغة الحمد جملة خبريّة المظهر، إنشائيّة الباطن، تقتضي تعليم كيفية الحمد والأمر به في آن واحد، كما سبق في كلام المفسرين. و" هذا يعد من إعجاز كلام الله المبين، المفتتح به كتابه العزيز. ولعل العرب لم ينطقوا بهذه الصيغة الأزليّة ولم يعرفوا هذا الأسلوب السرمدي قبل نزول القرآن العظيم".[1]

3- كما تلفت السورة نظر الإنسان وتحثّه على النظر في ملكوت الله؛ لمعرفته ومن ثم التوجّه إليه بالعبادة والذكر. وكثير من علماء الفلك والجيولوجيا والنبات وغيرها دخل الإسلام من هذا الباب ذلك أنّه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[سورة فاطر: الآية 28] أي: إنّما يخشى الله عز وجل ويقدّره حقّ قدره، من عرفه، وعلم عظيم قدرته، وسلطانه على خلقه، نتيجة التأمّل في أسرار كونه وشرعه، وهم العلماء.[2]

والعلماء: هم العالمون بحقائق الأمور ودقائق العلوم. علم لا ينتهي؛ كلّما علموا عرفوا أنّهم لا يعلمون. وشعروا بالعجز أمام علم الله وحكمته وقدرته وعظيم سلطانه.

4- والاِستدلال بمظاهر الكون يتلاءم مع المخاطبين من عرب الجاهليّة؛ إذ التقدير الأوّل عندهم للقوّة لا للمعقول. فتصوير القرآن معبوداتِهم بهذا الضعف والعجز أمام عظيم خلق الله، يحطّم أوهامهم في عبادتها.[3]

5- كما تقرّر هذه المقدّمة المجملة – ضمنيا – أنّه لا الطبيعة ولا الصدفة بقادرة على خلق هذا كله؛ فالطبيعة مخلوقة في حدّ ذاتها، وتطرح السؤال عن الخلق الأوّل. و" أمّا الصدفة فقانونها يمنع أن يكون هذا النظام العجيب المتقن، في كل أجزاء الكون".[4]

6- تحدّثت المقدّمة عن الله، بضمير الغائب واسم الموصول المفرد- وهذا كثير في السورة- مما يجعل المستمع في حالة حضور كأنّ الله يخاطبه؛ فلا يملك إلا الإذعان. ويرى أهل الكتاب في هذا الأسلوب، جديدا من المعرفة الحيّة؛ فهو يخلع الناس خلعا عن التقاليد التي ألفوها، ويصدع الغفلات التي سادت بينهم.[5]

---

1 – محمد بن عبد الكريم الجزائري، من توجيهات القرآن العظيم من خلال تفسير سورتي الفاتحة والبقرة، جمعية الدعوى الإسلامية العالمية، طرابلس، ط1، 2003م: ص26.

2 – ينظر القاسمي، دلائل التوحيد، دار النفائس: 117.

3 – ينظر إبراهيم الكيلاني، تصور الألهية كما تعرضه سورة الأنعام، مكتبة الأقصى: ص29.

4 – ينظر إبراهيم الكيلاني، المصدر السابق: ص41.

5 – ينظر محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، دار الشروق: ص92.

7- وأقرّت هذه الإفتتاحيّة علم الله بسرّ الإنسان وجهره، وهو علم لا يستطيعه حتى الجنّ- التي يعبدها بعض المشركين- ممّا يُشعر بقوّة الخالق ورهبته في نفوس عباده؛ وبالتالي الخشوع والخضوع له، تماما كما يشعرون عند قراءة قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾[سورة آل عمران: الآية 28].

3- مناسبة آيات المطلب لموضوع السورة:

هذه الآيات الثلاث تمثّل: مقدّمة السورة، واحتوت على علاقة توحيد الربوبيّة بتوحيد الألهيّة موظّفة دليل الخلق، ودليل الفطرة؛ فقد قررت صفة الخلق، والقدرة، والعلم، التي تستوجب عبادته وحده دون غيره باستحقاقه الحمد. وكانت الأدلّة الجزئيّة في ذلك: خلق السماوات والأرض، واختصاصه تعالى بعلم يوم القيامة، و بما يقوم به الإنسان في السر وما يجهر به وبما يكسبه وغيرها.

فظهر بهذا علاقة الإجمال والتفصيل التي تربط آيات المقدّمة بموضوع السورة.

المطلب الثاني: عاقبة الاستهزاء.

[من الآية 4 إلى الآية 6]

1- تفسير الآيات:

﴿وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ۝٤ فَقَدۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَسَوۡفَ يَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٥ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ۝٦﴾ [سورة الأنعام: الآيات 4- 6].

﴿وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ۝٤﴾.

أ- **المناسبة:**

كلام مستأنف وارد لبيان كفرهم بآيات الله وإعراضهم بالكليّة بعدما بيّن في الآية الأولى إشراكهم بالله سبحانه.[1]

ب- **المعنى:**

فكلّما نزلت آيات قرآنيّة، أو ظهرت لهم الآيات التكوينيّة الشاملة للمعجزات وغيرها، الدالّة على الوحدانيّة وصدق نبوة محمدﷺ، إلا صدّوا عن قبولها والإقرار بما شهدت على حقيقته.[2]

يقول سيد قطب(رحمه الله): "... إنّما تنقصهم الرغبة في الإستجابة، ويمسك بهم العناد والإصرار، ويقعد بهم الإعراض عن النظر والتدبّر".[3]

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿5﴾﴾.

أ- **المناسبة :**

يقول سيد قطب(رحمه الله): " عندما يكون الإعراض متعمدا ومقصودا- مع توافر الأدلّة، وتواتر الآيات ووضوح الحقائق- فإنّ التهديد بالبطش قد يحدث الهزّة التي تفتح نوافذ الفطرة حين تسقط عنها حاجز الكبر والعناد".[4]

ب- **المعنى:**

فهم حين أعرضوا عن الآيات فقد سارعوا إلى التكذيب بما لا يمكن تكذيبه أصلا، فهم كذّبوا بالقرآن بغير تدبّر في حاله ومآله، أو كذّبوا بنبوّة محمدﷺ كما اختاره الطبري (رحمه الله).[5]

---

1 – ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 2/ 353- 354.

2 – ينظر المصدر السابق: 354/2. والطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 149/5.

3 – سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: 1036/7.

4 – سيد قطب، المصدر السابق: 1037/7.

5 – ينظر الطبري، المصدر نفسه. وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 354/2-355.

ويوجّه رشيد رضا(رحمه الله) لفظة "الحقّ" في هذه الآية بقوله:" ولكن الأظهر في توجيه اللفظ، والتناسب بين هذه الآية وما قبلها، وعطفها عليها بفاء السببيّة أن يقال: إنّ إعراضهم عن آيات القرآن- الدالّة بإعجازها على كونها من عند الله وعلى رسالة من أنزلت عليه، وبمعانيها على دلائل التوحيد والبعث، وعلى أحكام الشرائع والآداب- قد كان سببا ترتّب عليه تكذيبهم بالحقّ الذي أُنزل القرآن لبيانه".[1] فمعنى الحقّ عنده في هذه الآية هو:" الدين المبيّن في القرآن".[2]

ورتّب الله أمور هؤلاء الكفّار على ثلاثة مراتب:[3]

أولا: كونهم معرضين عن التأمّل في الدلائل. **ثانيا:** كونهم مكذّبين بها. وهذا زائد عن الإعراض؛ لأنّه قد يكون بسبب الغفلة. **والمرتبة الثالثة:** كونهم مستهزئين.

وأكّد الله أنّه سيأتيهم لا محالة مصداق الأخبار العظيمة الشأن، بشأن الشيء الذي كانوا كذّبوا به قبل. " وسيعلمون عاقبة استهزائهم إذا عذّبوا".[4] والمراد بهذه الأنباء "ما في القرآن من الوعد بنصر الله لرسوله، وإظهار دينه ووعيد أعدائه".[5]

ونظيره قوله تعالى: ﴿ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[سورة هود: الآية 8].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥ فَقَدْ كَذَّبُواْ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[سورة الشعراء: الآيات 5-6].

﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۝٦ ﴾.

1 – رشيد رضا، تفسير المنار، دار الكتب العلمية: 250/7.

2 – رشيد رضا، المصدر نفسه.

3 – ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 130/12. وابن عادل، أبو حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2011م: 27/8.

4– أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 355/2. وينظر ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، دار الكتب العلمية: 28/8.

5 – رشيد رضا، المصدر نفسه.

أ- **المناسبة :**

لما منع الله تعالى المشركين عن ذلك الإعراض والتكذيب والاستهزاء بالتهديد والوعيد، اتبعه بما يُجرى مجرى الموعظة والنصيحة في هذا الباب؛ فوعظهم بسائر القرون الماضيّة، كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وشعيب وفرعون وغيرهم.[1]

ب- **المعنى:**

القرن في رأي الرازي (606 هـ): " أهل كل عصر فإذا انقضى منهم الأكثر قيل قد انقضى القرن".[2]

وقد وصف الله تعالى القرون الماضيّة في هذه الآية بثلاثة أنواع من الصفات:[3]

الصفة الأولى : صفة التمكين في الأرض أي: لم يعط أهل مكّة مثل ما أعطى عادا وثمودا وغيرهم من البسطة في الأجسام، والإِستظهار بأسباب الدنيا. **الصفة الثانية**: إرسال المطر المدرار. **الصفة الثالثة:** كثرة البساتين.

ورغم ذلك" غمطوا نعمة ربهم وعصوا رسول خالقهم، وخالفوا أمر بارئهم، وبغوا حتى حقّ عليهم قوله، فأخذهم بما اجترحوا من الذنوب".[4]

وكذلك أهل مكّة؛ فإنّ الله قادر عليهم ولا ينقص من ملكه شيء إذا أذهبهم وأنشأ قوما آخرين.

ج- **الهدايات المستنبطة:**

- الذنوب التي يهلك الله بها القرون ويعذّب بها الأمم قسمان:[5]

أحدهما: معاندة الرسل والكفر بما جاءوا به. ثانيهما: كفر النعم بالبطر، وغمط الحقّ واحتقار الناس وظلم الضعفاء ومحاباة الأقوياء، والغرور بالغنى والثروة والإسراف في الفسق

1 – ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 131/12.
2 – الرازي، المصدر نفسه. وينظر رشيد رضا، تفسير المنار، دار الكتب العلمية: 252/7.
3 – الرازي، المصدر السابق: 131/12.
4 – الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 149/5.
5 – ينظر رشيد رضا، المصدر السابق: 254/7.

والفجور؛ فهذا كلّه من الكفر بنعم الله واستعمالها في غير ما يرضاه من نفع الناس والعدل العام.

لذلك؛ نجد الإمام الغزالي يقول:" وفي استقرائي لأحوال الأمّة الإسلاميّة على امتداد تاريخها وجدت هذه السنّة الإلهيّة تتكرّر، وأنّ ما هُدِّد به المشركون ظهر في الأبناء المنحرفين".[1] وذلك فيما دون عذاب الِاستئصال.

ي- شهوة الدنيا والنهم فيها والتكالب عليها سبب الظلم والفساد.[2]

س- مناسبة المطلب لسابقه:

لمّا ذكرت آيات المقدمّة أدلّة وجوده في الآفاق والأنفس، وبيّنت ما يلزم الإنسان بذلك وهو: إفراده تعالى بالعبادة، بحمده دون غيره، بيّنت الآيات هنا حال المشركين إزاء الأدلّة والبراهين التي يأتي بها الأنبياء والرسل وهو: الِاستهزاء الذي يأتي في مرحلة ثالثة بعد الإعراض والتكذيب، أو أنّه كان مُسبّبا عن الإعراض؛ مما يستلزم العقوبة كما فعل بمن قبلهم.

ش- مناسبة آيات المطلب لموضوع السورة:

لمّا كان موضوع السورة محاجّة المشركين بالأدلّة الساطعة، بيّنت هذه الآيات سبب الإشراك والِامتراء وأصناف المشركين؛ حتي يتمكن المؤمنون من لتعامل معهم والردّ عليهم.

ط- خلاصة المبحث:

جاء هذا المبحث في مطلبين تحدّثت فيهما الآيات عن استحقاق الحمد لمن خلق السماوات والأرض، وجعل الظلمات والنور، ولمن خلق الإنسان من طين وقضى أجلين: أجل معلوم عند الخلق وآخر مسمى عنده، والمتوحّد بالألهيّة في السماوات والأرض، والذي يعلم سرّ الإنسان وجهره ويعلم ما يكسب. وهذا من باب الِاستدلال بالربوبيّة على الألهيّة؛ فمن هذه صفاته لهو الأحقّ بالعبادة والخضوع والخوف والذكر والدعاء والحمد، لا الأوثان التي لا تخلق ولا تعلم شيئا. فعلاقة اللزوم بين الربوبيّة والألهيّة هي التي تزلزل المخاطب،

---

1 – محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن، دار الشروق: ص64.

2 – ينظر أبو بكر، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1424هـ–2003م: 2/40–41.

وتجعله يعيد التفكير بمن يستحق العبادة. يقول ابن تيمية(728هـ):"... ولا يكون حمد إلا بحب المحمود، وهو سبحانه المعبود المحمود، ولهذا كانت الخطب والجمع والأعياد وغير ذلك مشتملة على هذين الأصلين: تحميده وتوحيده...".[1]

ولما كان هذا الأمر يعتمد أساسا على العقل وعلى التجربة؛ بمشاهدة مصائر الأقوام الغابرة، كانت عقوبة المستهزئين أمرا حتميا ومبرّرا كما وضحته آيات المطلب الثاني.

كما أنّ اختتام الآية الأولى بقوله: ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾ واختتام الثانية بقوله: ﴿ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ ﴾ يجعل هذا الاِمتراء والعدول مستبعدا ومتعجّبا منه، مثيرا بذلك الوجدان باستشعار عناية الله بخلقه.

فالسورة في هذه الآيات إذن، توجّه المشركين إلى تصحيح تصوّرهم لفكرة الألهيّة بخطاب الفطرة –وهي هنا:" البديهيات العقليّة الأوّليّة للإنسان"،[2]– وبخطاب الوجدان الإنساني. واعتمدت لأجل ذلك، الأدلّة المنطقيّة البرهانيّة• والأساليب البلاغيّة المتنوّعة؛ لتنقلهم بهذا المنهج من مرحلة الشك إلى مرحلة اليقين، ومن الشرك والعدول بالله تعالى إلى الإيمان به سبحانه.

1- ابن تيمية، تفسير ابن تيمية- الجامع لكلام ابن تيمية في التفسير-، جمعه وحققه: إياد بن عبد اللطيف بن ابراهيم القيسي، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1432هـ: 7/7.

2- محمود يعقوبي، المنطق الفطري في القرآن الكريم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2000م: ص138.

• - الأدلّة المنطقيّة البرهانيّة: هي المقدّمات التي تفيد العلم واليقين.(ابن تيمية، مجموع الفتاوى، المكتب التعليمي السعودي: 10/9).

المبحث الثاني: مظاهر الِامتراء والعدول بالله تعالى.

[من الآية 7 إلى الآية 17].

ويحتوي هذا المبحث على ثلاثة مطالب؛ يتحدث أولها عن بعض شبهات المعاندين، والثاني عن سنة الله في الأنبياء ومخالفيهم وبعض دلائل التوحيد، ثم يُتبع ببيان حقيقة الألهية في مطلب ثالث.

المطلب الأول: بعض شبهات المعاندين وردها.

[من الآية 7 إلى الآية 9]

1- تفسير الآيات:

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿7﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿8﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿9﴾ ﴾ [سورة الأنعام: الآيات 7-9].

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿7﴾ ﴾.

أ- المناسبة:

ذكرت الآيات السابقة بعض المواقف من عناد المشركين. وتستمر الآيات هنا في بيان شبهات جحودهم ومكابرتهم للحق.

ب- المعنى:

قسم الرازي(606هـ) المتمرّدين عن قبول دعوة الأنبياء إلى طوائف[1]:

الطائفة الأولى: الذين استغرقوا في شهوات الدنيا ولذاتها وهم من ذكروا في الآية المتقدّمة. **الطائفة الثانية:** الذين يحملون معجزات الأنبياء على أنّها من باب السحر.

1 – ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 132/12.

فالآيات تخبر أنّه لو أنزل الله الوحي على الرسولﷺ في قرطاس يعاينونه، ويمسّونه بأيديهم، وينظرون إليه ويقرؤون منه، معلّقا بين السماء والأرض يدلّ على حقيقة ما يدعو إليه لقالوا أنّ هذا سحر بيّن، سحرت به أعيننا.

ويبيّن قولهم: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾، "أنّهم يغالطون أنفسهم ويغالطون قومهم لستر مكابرتهم ولدفع ما ظهر من الغلبة عليهم. وهذا شأن المغلوب المحجوج أن يتعلّق بالمعاذير الكاذبة".[1]

﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ۝٩ ﴾.

أ- المناسبة:

لمّا بيّنت الآية السابقة شدّة تعنّت المشركين وضربت لذلك مثالا، بيّنت هاتين الآيتين أيضا هذا الصدود بعرض أحد مقترحاتهم وردت عليها بما لم يكن في حسبانهم.

ب- المعنى:

وتخبر الآيات كذلك أنّه لو أنزل الله ملكا كما اقترحوا لقضي الأمر بإهلاكهم، ثم لا يمهلون ليؤمنوا. وهذه سنّة من سننه تعالى يحكم بها حياة عباده، يقول سبحانه في موضع آخر: ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ﴾[سورة الحجر: الآية 8]. ويقول أيضا: ﴿ يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ﴾[سورة الفرقان: الآية22].

ثم إنّ هدف المشركين لا يتحقق؛ إذ أنّهم لا طاقة لهم برؤية الملك. وإذا نزل الملك بصورة البشر، يلتبس عليهم الأمر ولا يدرون أملك هو أم أنسي؛ لذلك كان "من رحمته تعالى بخلقه، أنّه يرسل إلى كل صنف من الخلائق رسلا منهم، ليدعوا بعضهم بعضا، وليمكّن بعضهم أن

1- ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 142/7.

ينتفع ببعض، في المخاطبة والسؤال، كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ الآية[سورة آل عمران: الآية 164]".[1]

2- الهدايات المستنبطة:

1- يتساءل الشيخ محمد الغزالي متعجّبا من الخوارق التي يطلبها المشركون:" إذا كان النظام الكوني لا يدلّ على الله فهل خرق هذا النظام أحيانا هو الذي يدلّ على الله ؟".[2]

2- الخوارق والمعجزات لا تستلزم الإيمان، بل قد تكون سببا للكفر والعناد، ولذا لم يستجب الله لقريش ولم يعط رسوله ما طالبوه به من الآيات.[3]

3- عُلم أنّ معجزات الرسل عليهم السلام كانت من جنس ما اشتهر به أقوامهم؛ لتكون أبلغ في الحجّة، " ولمّا كانت الشريعة الإسلاميّة آخر الشرائع خُصّت بالمعجزة العقليّة الباقيّة؛ ليراها ذووا البصائر".[4]

3- مناسبة المطلب لسابقه:

بعد أن أجملت آيات المطلب السابق موقف المشركين من الآيات ومن الحقّ وعقوبة ذلك، فصّلت هذه الآيات ما يدلّ على ذلك؛ بتقريرها مثالا عن شدّة عنادهم، وإيراد شبهة من شبههم.

4- مناسبة المطلب لموضوع السورة:

قرّرت الآيات شدّة عناد المشركين بذكر مغالطة من مغالطاتهم؛ حيث لو رءوا كتابا من السماء نازلا ولمسوه بأيديهم لقالوا أنّه سحر بيّن. كما عرضت شبهة من شبههم؛ وهي أن لو كان النبيﷺ صادقا لأنزِل عليه ملك يرونه بأعينهم، وردت الآيات على هذه الشبهة؛ فظهر أنّ مضمون المطلب من صميم محاجّة المشركين.

1 – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس: 9/3.

2 – محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن، دار الشروق: ص96.

3 – ينظر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم: 40/2.

4 – السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية: 228/2.

المطلب الثاني: سنة الله في الأنبياء ومخالفيهم وبعض دلائل التوحيد.

[من الآية 10 إلى الآية 13]

1- تفسير الآيات:

﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (10) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (11) قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (12) وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (13) ﴾ [سورة الأنعام: الآيات 10- 13].

﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (10) ﴾.

أ- المناسبة:

لمّا كانت الشبهات التي أثارها المشركون في الآيات السابقة، صادرة على سبيل الِاستهزاء كان يضيق قلب الرسول ﷺ عند سماعها؛ فناسب أن تنزل هذه الآيات تخفيفا عنه؛[1] وذلك بـ:

1- الإخبار عن حال الرسل السابقين مع أقوامهم.

2- الإخبار عن إحاطة العذاب بالكفار وهذا يتضمَّن النصر للمؤمنين.

3- تلقينه ما يَرِدّ به على هذا الهزء والِامتراء.

ب- المعنى:

يقول الطبري(ت310 هـ):" هوّن عليك، يا محمد، ما أنت لاق... من المستخفّين بحقّك فيَ وفي طاعتي، وامض لما أمرتك به من الدعاء في توحيدي والإقرار بي والإذعان لطاعتي... فإنّ أصرّوا على المُقام على كفرهم سلك بهم سبيل أسلافهم من الأمم الغابرة؛ فيحيط بهم العذاب الذي كانوا يهزؤون به".[2]

1- ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 135/12. ووهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، دمشق، ط9، 1428هـ-2007م: 146/7-147.

2- الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 153/5-154.

أمّا لفظة "ما" في قوله: ﴿ يمِ يهِ يغيي يهيمييي ين﴾ إن كان المراد به القرآن والشرع، ففيه حذف مضاف أي: فحاق بهم عقاب ما كانوا به يستهزؤون. وإن كان المراد هو الِاستهزاء بالعذاب، فلا حاجة إلى إضمار.[1]

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ (11)﴾.

أ- المناسبة:

لمّا أخبر في الآية السابقة أنَّ الِاستهزاء حاق بالمكذّبين، ذكر في هذه الآية دليل ذلك وهو آثار وأطلال الهالكين، التي يمرّون عليها في أسفارهم.

ب- المعنى:

﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ ﴾ يقول الرازي(606هـ):" معناه إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها من المنافع، وإيجاب النظر في آثار الهالكين، ثم نبّه تعالى على هذا الفرق بكلمة " ثم" لتباعد ما بين الواجب والمباح".[2]

وَوُصفوا في هذه الآية " بالمكذبين" دون " المستهزئين" للدّلالة على أنّ التكذيب والِاستهزاء، كانا خلُقين من أخلاقهم، وأنّ الواحد من هذين الخُلقين كاف في استحقاق تلك العاقبة.[3]

﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ (12)﴾.

1- ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 135/12.

2- الرازي، المصدر السابق: 136/12.

3- ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 149/7.

أ- المناسبة:

بعد تسليّة الرسول ﷺ، بذكر حال الرسل السابقين مع أقوامهم، والإخبار عن إحاطة العذاب بالكافرين، كان هذا أوّل ردّ من الردود الأربعة التي أمره الله أن يردّ بها على المستهزئين في هذه المجموعة من الآيات، وفيها تقرير لصفة الملك وتأكيد لحدوث الحشر.

ب- المعنى:

يقول الطبري(310هـ) في تفسيره هذه الآية:" قل يا محمد، لهؤلاء العادلين بربهم... لمن ملك ما في السموات والأرض؟ ثم أخبرهم أنّ ذلك لله الذي استعبد كل شيء، وقهر كل شيء بملكه وسلطانه... قضى أنّه بعباده رحيم، لا يعجل عليهم بالعقوبة، ويقبل منهم الإنابة والتوبة".[1]

﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ معترضة، وهي من المقول الذي أمر الرسول ﷺ بأن يقوله، فيها تفضّل بالرحمة؛ فمنها رحمة كاملة: وهذه رحمته بعباده الصالحين، ومنها رحمة مؤقّتة وهي: رحمة الإمهال والإملاء للضالين.[2]

و" إنّ الذي يستوقف النظر في هذا النص... تفضّل الخالق المالك ذي السلطان القاهر فوق عباده... بأن جعل هذه الرحمة مكتوبة عليه... وعهدا منه لعباده بمطلق مشيئته. كما أنّ إبلاغهم بهذا التفضّل تفضّل آخر لا يقلّ عن التفضّل الأوّل".[3]

﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: ليجمعنّكم الله، أيّها العادلون بالله، ليوم القيامة الذي لا ريب فيه، لينتقم منكم بكفركم به.[4]

1- ينظر الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 154/5-155. والرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 136/12-137.

2- ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 151/7.

3- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: 1049/7.

4- ينظر الطبري، المصدر السابق: 157/5.

﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ أي: ليجمعنّ الله الذين أهلكوا أنفسهم وغبنوها بادعائهم لله الندّ والعديل؛ فأوبقوها باستجَابهم سخط الله في المعاد.[1]

﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ يدلّ على أنّ سبق القضاء بالخسران والخذلان، هو الذي حملهم على الاِمتناع من الإيمان، وذلك عين مذهب أهل السنّة.[2]

ولصاحب التحرير والتنوير توجيه آخر في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ إذ يقول:" الأظهر عندي أنّها متفرّعة على جملة ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ وأنّ "الفاء" من قوله ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ للتفريع والسببية. وأصل التركيب: فأنتم لا تؤمنون لأنّكم خسرتم أنفسكم في يوم القيامة؛ فعدل عن الضمير إلى الموصول لإفادة الصلة أنّهم خسروا أنفسهم بسبب عدم إيمانهم".[3]

وقال في موضع آخر:" وبهذا التقدير يستغني عن سؤال الكشّاف عن صحّة ترتب عدم الإيمان على خسران أنفسهم مع أنّ الأمر بالعكس".[4]

﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣﴾.

أ- المناسبة:

ذكر في الآية الأولى السماوات والأرض؛ إذ لا مكان سواهما، وفي هذه الآية ذكر الليل والنهار؛ إذ لا زمان سواهما، فالزمان والمكان ظرفان للمحدثات، فأخبر سبحانه أنّه مالك للمكان والمكانيات، ومالك للزمان والزمانيات.[5]

والآية معطوفة على" الله" عن قوله ﴿قُل لِّلَّهِۚ﴾، أي: ما في السموات والأرض لله.

1- ينظر الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 157/5.

2 - ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 138/12. وابن الجوزي، زاد المسير، المكتب الإسلامي: 9/3.

3- ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 153/7. وينظر معنى آخر لهذه الآية في إرشاد العقل السليم لأبي السعود، دار الكتب العلمية: 361/2.

4- ابن عاشور، المصدر السابق: 154/7.

5 – ينظر الرازي، المصدر السابق: 138/12.

ب- **المعنى:**

﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ ﴾، والسكون استقرار الجسم في مكان لا ينتقل عنه مدّة وهو من أسباب الاِختفاء؛ لأنّ المختفي يسكن ولا ينتشر. فهذا من ذكر الخاص بعد العام لتقرير عموم الملك لله تعالى بأنّ ملكه شمل الظاهرات والخفيّات.[1]

واختار الرازي(606هـ) أنّ السكون بمعنى الحلول أي: وله كل ما حصل في الوقت والزمان سواء كان متحركا أو ساكنا.[2]

﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ أي: "لا غيره البالغ السمع لكل متحرك والعام العلم بالبصر والسمع وغيرهما بكل متحرك و بكل ساكن من أقوالكم وأفعالكم وغيرهما... وهو ترجمة قوله: ﴿ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ۝٣ ﴾[سورة الأنعام: الآية 3]".[3]

وجاء قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ كالنتيجة لما سبق؛ لأنّ المقصود من الإخبار بأنّ الله يملك الساكنات؛ التمهيد لإثبات عموم علمه.[4]

1- الهدايات المستنبطة:

1- تدلّ الآيات على أنّ العقاب سنّة الله في المكذّبين. وكذلك ما يلاقيه الرسل من استهزاء وصدود؛ فهي سنن لم تتغير عبر العصور يقول تعالى: ﴿ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [سورة الحجر: الآية 11].

وفيه تثبيت لكل داع إلى صراط الله المستقيم؛ حتى لا يهينوا ولا يحزنوا لما يلاقوه من معاناة في سبيل ذلك.

2- أقامت الآيات الدليل على التوحيد مرة أخرى وذلك بطريق السؤال والجواب، وهذا نمط آخر في الإثبات؛ لترسيخ العقيدة في القلب،[5] وليدلّ ذلك على أن الإقرار

1 - ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 7/154-155.

2 - ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 12/139.

3 - البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 2/595.

4 - ينظر ابن عاشور، المصدر السابق: 7/155.

5 - ينظر وهبة الزحيلي، التفسير المنير، دار الفكر: 7/150.

بهذا المعنى ممّا لا سبيل إلى دفعه البتّة.[1]

3- في الآيات، أمر بتوجيه النظر العقلي في الموجودات الخفيّة، وما في إخفائها من دلالة على سعة القدرة، وتصرفات الحكمة الإلهيّة.[2]

4- أمرت الآيات بالسير في الأرض للاِعتبار. ولقد كان تفسير التاريخ الإنساني وفق قواعد منهجيّة، -كهذه التي كان القرآن يوجّه إليها العرب، ووفق سنن مطّردة تتحقق أثارها، كلّما تحقّقت أسبابها - بإذن الله- ويستطيع الناس ملاحظتها، وبناء تصوّراتهم للمقدّمات والنتائج عليها- كان هذا المنهج برمّته في تفسير التاريخ شيئا جديدا على العقل البشري كلّه في ذلك الزمان.[3]

5- بيّنت آيات هذا المطلب أنّه لاشك في يوم القيّامة أو لاشك في جمع الناس ليوم القيّامة. وأنّ وجود هذا اليوم هو أثر مالكيّته ورحمته؛ إذ أنّ من عَرَف أسماء الله وصفاته يدرك أنّ اليوم الآخر بديهي الوجود، كأثر عن هذا الجلال والكمال.[4]

6- حثّت الآيات على السير في الأرض والنظر في أثار الأمم الخاليّة، باعتباره دليلا على وجود الله،[5] وعلى أنّ الأخذ بالذنوب حقيقة واقعة؛ لذلك"... حقيق بأن يحشر السائحون في زمرة العابدين والحامدين والراكعين والساجدين، فربما كانت فائدة السياحة أتم وأعم من فائدة بعض الركوع والسجود".[6]

2- مناسبة المطلب لسابقه:

بيّنت الآيات السابقة جحود المشركين وشدّة عنادهم، وطلبهم الآيات الصادرِ على سبيل الاِستهزاء؛ فكان هذا يؤذي النبيﷺ، فناسب أن تأتي الآيات المواليّة متضمّنة لما يواسيه؛ سواء: ببيان مصيرهم وانتصاره عليهم فيما يأتي من الزمن، أو بالإخبار عن سنّة الله في الرسل قبله، أو بتلقينه ما يردّ به على هؤلاء المستهزئين.

---

1 - ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 136/12.

2 - ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 155/7.

3 - ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: 1045/7-1046.

4 - ينظر سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام: 1584/3.

5 - ويقصد به، الاِطمئنان القلبي واستحضار صفات الجلال والكمال، وإلا فوجود الله ثابت عند المشركين.

6 - ابن باديس، تفسير ابن باديس، دار المعارف، الجزائر، دط، 1991: ص513.

3- مناسبة المطلب لموضوع السورة:

وجهّت هذه الآيات أنظار المشركين إلى أدلّة صدق دعوة النبيﷺ، وقد كانوا يستهزئون بما يدعو إليه من الحق. فاستدلّت بدليل من الأنفس ودليل من الآفاق؛ حيث أرشدت المشركين إلى سنّة الله في المكذّبين، وقرّرت الملكيّة التام – التي لا مراء فيها– لما احتوته السماوات والأرض وما سكن في الليل والنهار لله السميع العليم. وهي أدلّة تبرز قهر الله لعباده وعظيم سلطانه.

وجاءت الردود بأسلوب التلقين؛ تسليّة للرسولﷺ، ولتكون على شكل محاورة بينه وبين المستهزئين؛ لما لأسلوب الحوار من وقع واستمالة.

فظهر ممّا سبق علاقة العموم والخصوص التي تربط آيات المطلب بموضوع السورة.

المطلب الثالث: حقيقة الألهيّة.

[من الآية 14 إلى الآية 17].

1-تفسير الآيات:

﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿14﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿15﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿16﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿17﴾ ﴾ [سورة الأنعام: الآيات 14- 17].

﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿14﴾ ﴾.

أ- المناسبة:

لمّا قرّرت الآية السابقة ملكه تعالى لما سكن في الليل والنهار، كآخر أمر يتعلّق بتوحيد

الربوبيّة في هذا الموضع، كانت هذه الآية أوّل أمر يتعلّق بتوحيد الألوهيّة الازم عن توحيد الربوبيّة.

وهذا الأمر هو الأمر الثاني الذي أمر الرسول بالرد به على شبهات المشركين تخفيفا على نفسه.

ب– المعنى:

﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ ﴾ ابتدأت الآية باستفهام إنكاري؛ فيه النهي عن اتخاذ غير الله قريبا يستنصر ويستعان به على النوائب والحوادث؛ وهذا يقتضي تنزيه القلب عن الاِلتفات إلى غير الله تعالى.[1]

وأبرز الله تعالى ذلك في قالب الأمر له ﷺ بالإنكار على نفسه؛ ليكون أدعى لهم وأرفق بهم.[2]

وهذا من باب الاستدلال بالربوبيّة على العبوديّة؛ فالمتّصف بالقدرة على الخلق، وإطعام غيره دون الحاجة إلى طعام؛ لهو الأحقّ بالعبادة دون سواه.

﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ ﴾ " استئناف مكرّر لأسلوب الاِستئناف الذي قبله. ومثار الاِستئناف واحد ولكن الغرض منهما مختلف؛ لأن ما قبله يحوم حول الاِستدلال بدلالة العقل على إبطال الشرك، [دلالة العقل على عبادة الرازق الخالق دون غيره] وهذا استدلال بدلالة الوحي الذي فيه أمر باتباع دين الإسلام".[3]

﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ ﴾ من جهة من له الأمر، ولا أمر إلا له وهو من تقدّم أنّ له كل شيء وهو الله ﴿أَنۡ أَكُونَ ﴾ بقلبي وقالبي﴿ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ ﴾ في الرتبة مطلقا، وفي الزمان بالنسبة إلى الأمّة.[4]

1 – ينظر الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 158/5. والرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 140/12.

2 – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 596/2.

3 – ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 158/7–159.

4 – البقاعي، المصدر السابق: 597/2.

﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ عطف على قوله ﴿ قُلْ ﴾ أي: قل لهم ذلك لييأسوا،[1] ومعناه: لا تكونن بوجه من الوجوه في وقت من الأوقات أصلا من المشركين.[2]

﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿15﴾ ﴾.

أ- المناسبة:

هذا استئناف مكرّر لما قبله، وهو تدرّج في الغرض المشترك بينها من أنّ الشرك بالله متوعّد صاحبه بالعذاب وموعود تاركه بالرحمة.[3]

ب- المعنى:

" لمّا كان المقام للخوف، قدّمه فقال: ﴿ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﴾ أيّ شيء ممّا تريدون منّي أن أوافقكم فيه بما أمرت به أو نهيت عنه ﴿ ﰄ ﴾، أي المحسن إليّ ﴿ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﴾ ولمّا كان عظم الظرف بعظم مظروفه قال: ﴿ ﰇ ﰈ ﴾".[4]

﴿ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿16﴾ ﴾.

أ- المناسبة:

﴿ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ﴾ جملة من شرط وجزاء وقعت موقع الصفة لـ "عذاب".

ب- المعنى:

﴿ يُصْرَفْ ﴾ مبنيّ للمجهول في قراءة الأكثر.[1] والإشارة في قوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴾ موجّهة إلى" الصرف" أو إلى المذكور.[2] و﴿ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴾ هو النجاة من الهلكة،

---

1 – ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 159/7.

2 – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 597/2 .

3– ينظر ابن عاشور، المصدر السابق: 160/7.

4– البقاعي، المصدر السابق: 598/2 .

والظفر بالطُلبة وهو بيّن لمن رآه.[3]

﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧﴾.

أ- المناسبة:

لمّا بيّنت الآية السابقة خوف الرسول ﷺ من عذاب يوم عظيم لعظم الأحداث التي فيه، قرّرت هذه أنّ ذلك العذاب أو أي ضرّ آخر لا كاشف له إلا الله سبحانه، وقرّرت أيضا القدرة على إزالته وعلى كل خير.

وكما أبطلت الآيات السابقة استحقاق الأصنام الألهيّة لأنّها لا تخلق شيئا، وأوجبت عبادة المستحق الألهيّة بحقّ، أبطلت هذه الآية استحقاقهم العبادة لأنّهم لا يملكون للناس ضرا ولا نفعا كما قال تعالى: ﴿ **قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ** ﴾[سورة المائدة : الآية 76].[4]

ب- المعنى:

يخبر الله تعالى أنّه مالك الضرّ والنفع وأنّه المتصرّف في خلقه بما يشاء لا معقّب لحكمه ولا رادّ لقضائه، كقوله تعالى: ﴿ **مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ** ﴾ الآية [سورة فاطر: الآية 2].[5]

وقد ناسب بعد الحديث عن المسّ بالضرّ والخير في الآية، تقرير صفة القدرة لله واختصاصه بها.

"وفسروا الضُر (بالضم) بسوء الحال في الجسم (وبالفتح) بضد النفع، وعدل عن الشر المقابل للخير إلى الضرّ؛ لأنّ الشرّ أعم، فأتى بلفظ الأخص مع الخير الذي هو عام، رعاية

1- ابن عاشور، المصدر السابق: 161/7. وينظر اختلاف القراءات في مفاتيح الغيب للرازي، دار الكتب العلمية: 141/12. وجامع البيان للطبري، دار الكتب العلمية: 160/5، واختار الطبري القراءة بالفتح.

2- ابن عاشور، المصدر السابق: 162/7.

3- ينظر الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 160/5.

4- ينظر ابن عاشور، المصدر السابق: 163/7. وقد سبق التفريق بين الألهية والربوبية.

5- ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا: 146/3.

لجهة الرحمة".[1]

1- الهدايات المستنبطة:

1- يقول البقاعي(885هـ) في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ الآية:" التفات إلى قوله في أوّل السورة: ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ الآية [سورة الأنعام: الآية 1] وقوله تعالى في التي قبلها [المائدة]: ﴿ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾[سورة المائدة: الآية 81]".[2] وهذا يدلّ على الِاستحضار التام لمعاني الآيات في عقل البقاعي، وربطها بما يناسبها من معنى. وبالمِثل فإنّ كلمة "الحقّ" في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ﴾ الآية [سورة الأنعام: الآية 5] تعني الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه؛ وهي راجعة في معناها إلى الآية السابقة في سورة المائدة، وهذا يؤيّد رأي الشيخ رشيد رضا(1354هـ) في توجيه كلمة "الحقّ".

2- وأضيف العذاب إلى" يوم عظيم" تهويلا له؛ لأنّ من معتاد العرب أن يطلق " اليوم" على يوم نصر فريق وانهزام فريق من المحاربين؛ فيكون اليوم نكالا على المنهزمين، فذكر"يوم" يثير من الخيال مخاوف مألوفة.[3]

3- يقول سيد قطب(1386هـ) في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾:" إنّه تصوير لحقيقة مشاعر الرسول ﷺ تجاه أمر ربّه له وتجسيم لخوفه من عذابه ... ولكنّه في الوقت ذاته حملة مزلزلة على قلوب المشركين في ذلك الزمان، وقلوب المشركين بالله في كل زمان".[4]

2- مناسبة المطلب لسابقه:

هذه الآيات استئناف آخر ناشئ عن جملة ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾. وأعيد الأمر بالقول اهتماما بهذا المقول؛ لأنّه غرض آخر غير الذي أمر فيه بالقول الأوّل؛ فإنّه لمّا تقرّر

1 – ينظر الألوسي، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي: 113/7.
2 – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 597/2.
3 – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 161/7.
4 – سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: 1055/7.

بالقول السابق، عبوديّة ما في السماوات والأرض لله انتقل إلى تقرير وجوب إفراده بالعبادة؛ لأنّ ذلك نتيجة لازمة لكونه مالكا لجميع ما احتوته السماوات والأرض.[1]

فلمّا تحدّثت آيات المطلب السابق عن بعض أدلّة وجوده تعالى في الآفاق والأنفس، ذكرت هذه الآيات لازم ذلك وهو: عبادته وحده؛ باتخاذه وليا والخوف منه واستشعار الحاجة إليه واللجوء إليه بالدعاء والشكر في السرّاء والضرّاء.

3- مناسبة المطلب لموضوع السورة:

تحدّثت هذه الآيات عن بعض الأدلّة الجزئيّة التي تخصّ توحيد الألهيّة، اللازم عن توحيد الربوبيّة. يقول ابن تيمية(728هـ)عن كون الله يُطعِم ولا يطعَم، أنّها لم تسق لبيان تنزيهه عن الأكل؛ فمكانه السور التي فيها تنزيهه عن النقائص، وإنّما سيقت لبيان حاجة الخلق إليه والإحسان إليهم، وبيان غناه عنهم وامتناع إحسانهم إليه أي: أنّ كل ما سواه محتاج إليه وهو مستغن عن كل ما سواه.[2] وهذا يؤدي إلى استحقاقه الحمد والعبادة دون غيره من الأنداد.

فهذه الآيات بيانٌ للعلاقة بين توحيد الألهيّة وتوحيد الربوبيّة؛ فلم تخرج بهذا عن موضوع السورة في محاجّة المشركين، مع إبراز قدرة الله تعالى في أهم مظهر من مظاهر حياة الإنسان وهو: جلب النفع ودفع الضر.

4- خلاصة المبحث:

كانت آيات المبحث عبارة عن افتتاحية ثانية للسورة؛ باعتبارها فصّلت أكثر في حقيقة التكذيب والِاستهزاء؛ بأن قررت مظهر من مظاهر عناد المشركين، وأوردت شبهة من شبههم ورَدّت عليها.

ولمّا كان هذا يؤذي النبيﷺ جاءت الآيات بعد ذلك في تسليته؛ ببيان سنّة الله في الرسل عليهم السلام، وسنّته في المكذبين، وبأسلوب التلقين" الذي يسعف الله به نبيَّه ليردّ على مخالفيه".[3]

---

1 – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 156/7.

2 - ينظر ابن تيمية، تفسير ابن تيمية– الجامع لكلام ابن تيمية في التفسير–، دار ابن الجوزي: 15/7.

3 – محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، دار الشروق: ص92.

ثم أقامت الآيات الأدلّة على توحيده تعالى في ربوبيّته، عن طريق السؤال والجواب وهو: نمط آخر في الإثبات؛ لترسيخ العقيدة في القلب وهذا في قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[سورة الأنعام: الآية 12].

وبأسلوب التلقين أحيانا والتقرير أحيانا أخرى وبنمط السؤال والجواب في المجادلة، بيّنت الآيات الموالية وجوب توحيده تعالى في ألهيّته اللازم عن توحيده في ربوبيّته، ومثاله قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[سورة الأنعام: الآية شمتر]. وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة الأنعام: الآية بيتر].

فآيات المطلب الثاني والثالث، ردٌّ على امتراء وإعراض المشركين، بإرشادهم إلى سنّته تعالى في المكذّبين، وبتوجيههم إلى أدلّة توحيده في الآفاق والأنفس ولازم ذلك؛ من تحقيق العبوديّة الكاملة لله التي يتحلى بها الرسولﷺ مخالفا المشركين العادلين بالله غيره.

خاتمة الفصل:

1- تربط المبحث الأوّل والثاني من هذا الفصل علاقة الإجمال والتفصيل؛ إذ فصّل الثاني معنى العدول والإمتراء الذي أجمل في الأوّل.

2- أما عن نوع الخطاب القرآني في الإفتتاحيتين فيمكن الإستفادة من كلام سيد قطب(رحمه الله)؛ حيث وُفّق أيّما توفيق في إعطاء خلاصة جامعة عن ذلك.

يقول:" إنّ هذه الموجة العريضة الشاملة في مطلع السورة، إنّما تخاطب القلب البشري بدليل "الخلق" ودليل "الحياة" ممثلين في الآفاق وفي الأنفس... ولكنّها لا تخاطب بهما الإدراك البشري خطابا جدليا، لاهوتيا أو فلسفيا! ولكن خطابا موحيا موقظا للفطرة، حيث يواجهها بحركة الخلق والإحياء، وحركة التدبير والهيمنة في صورة التقرير لا في صورة الجدل، وبسلطان اليقين المستمد من تقرير الله، ومن شهادة الفطرة الداخليّة بصدق هذا التقرير فيما تراه".[1]

فسيد قطب هنا يقرّر ما قيل في خلاصة المبحثين ويؤكّد على الهدف من آيات العقيدة كلّها وهو تحقيق العبوديّة لله الواحد؛ ذلك:" ... أنّ الربوبيّة منه تعالى لعباده والتألّه من عباده له سبحانه، كما أنّ الرحمة هي الوصلة بينهم وبينه عز وجل".[2]

3- لم يكن الخطاب القرآني جدليا، عقيما لا يوصل إلى نتيجة، ولا فلسفيا صوريا، يعتمد على العقل المجرّد فقط، ولا لاهوتيا، يعتمد على استثارة العاطفة دون أسس منطقيّة واضحة. ولكن القرآن في هاتين الإفتتاحيتين واجه المشركين- مباشرة أو بتلقين الرسولﷺ ما يواجههم به تسلية له - بخاطب العقل والوجدان معا، وبطريقة متلازمة في أكثر الأحيان. فهو يخاطب العقل بمبادئه الأوليّة التي لا يختلف فيها اثنان، مذكرا إياه بعلاقة اللزوم بين الربوبيّة والعبوديّة. ويخاطب الوجدان الإنسانيّ بالأساليب البيانيّة المختلفة المثيرة للعاطفة؛ لترسيخ العقيدة في القلب.

1 - سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: 1031/7.

2 - المقريزي، تجريد التوحيد المفيد، دار عمر بن الخطاب: ص20.

وباجتماع الفهم الصحيح، واطمئنان القلب بالحبّ والخوف والرجاء والتوكّل وغيرها، ينتقل الإنسان من مرحلة الِاعتقاد المجرّد إلى مقتضاه وهو: العمل بما أمر الله، بخشوع في العبادات وتقوى في المعاملات.

الفصل الثاني

القدرة الإلهية وعلمه تعالى وحكمته.

(من الآية الثامنة عشر إلى الآية الثالثة والسبعين)

المبحث الأول

تفصيل لمظاهر القهر والعلم والحكمة.

(من الآية الثامنة عشر إلى الآية الستين)

المبحث الثاني

إجمال لبعض ما تعلق بمظاهر القهر والعلم والحكمة.

(من الآية الواحدة والستين إلى الآية الثالثة والسبعين)

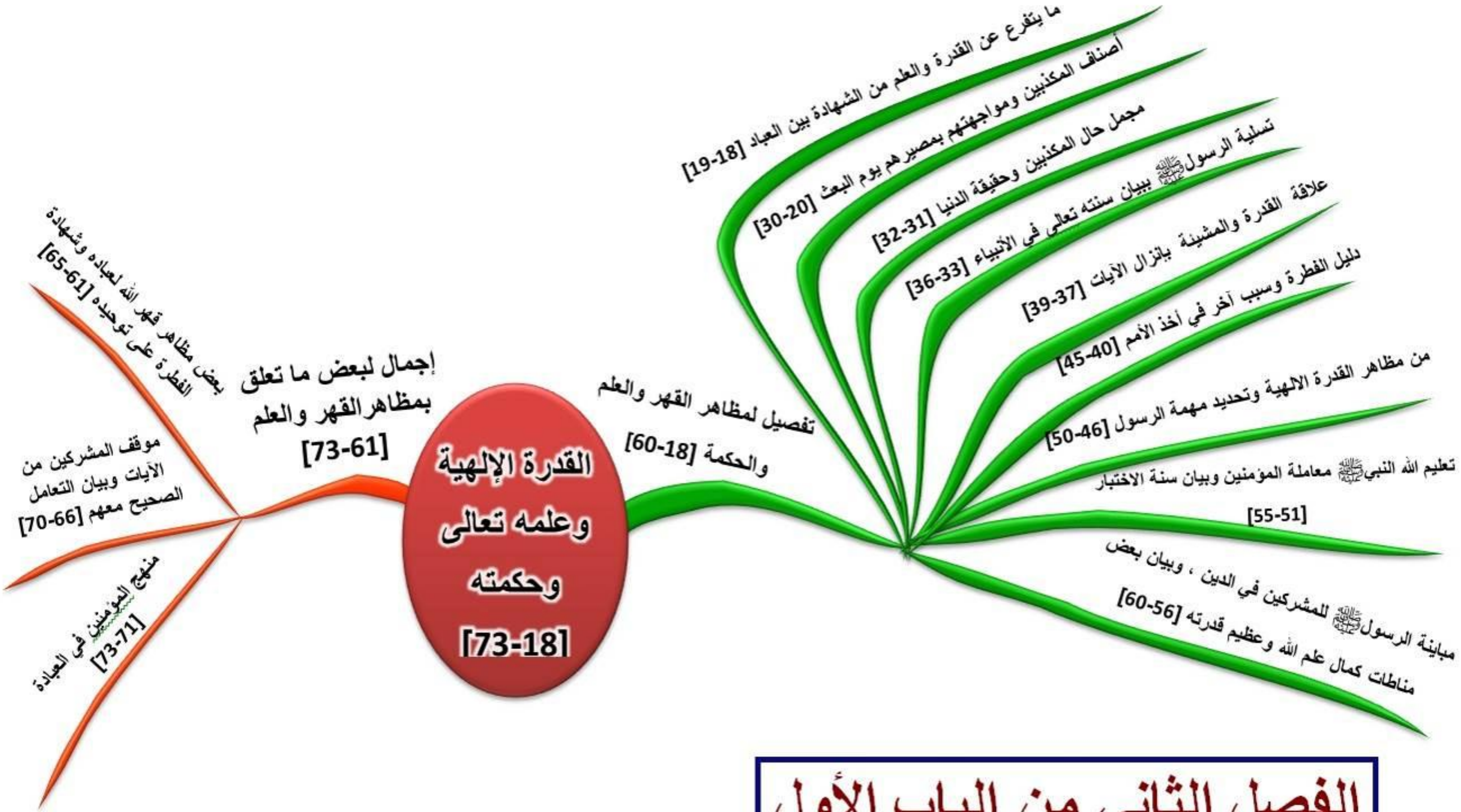

الفصل الثاني من الباب الأول

المبحث الأول: تفصيل لمظاهر القهر والعلم والحكمة.

[من الآية 18 إلى الآية 60].

ينقسم المبحث الأول من هذا الفصل إلى تسعة مطالب تُظهر مظاهر قهره وعلمه تعالى. منها شهادته بين العباد وبيان مصير المشركين يوم البعث وسنة الله في الأنبياء. إلى جانب بيان قدرته في إنزال الآيات وأخذه للأمم. وكذلك بيان سنة الافتتان وبيان مناطات كمال علمه تعالى كعلمه بمفاتيح الغيب.

المطلب الأول: ما يتفرع عن القدرة والعلم من الشهادة بين العباد.

[من الآية 18 إلى الآية 19].

1-تفسير الآيات:

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿18﴾ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿19﴾ ﴾ [سورة الأنعام: الآيات 18-19].

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿18﴾ ﴾.

أ- المناسبة:

يقول ابن عاشور[1](1393هـ): "تتنزّل هذه الآية عن التي قبلها منزلة التعميم بعد التخصيص؛ لأنّ ما قبلها ذكرت كمال تصرّفه في المخلوقات وجاءت به في قالب تثبيت الرسولﷺ، وهذه الآية أوعت قدرته على كل شيء وعلمه بكل شيء، وذلك أصل جميع الفِعل والصُنع".[2]

---

[1] – هو: محمد الطاهر بن عاشور، أحد كبار علماء تونس، مفسر لغوي، كان عميدا لجامعة الزيتونة عام 1956م. كما كان عضوا بمجمع اللغة العربية بمصر، وبالمجمع العلمي العربي بدمشق. من مؤلفاته: التحرير والتنوير ومقاصد الشريعة، توفي سنة 1393هـ-1973م.(معجم المفسرين، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، ط2، 1406هـ-1986م: 541/2-542.).

2- ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 164/7.

ب- **المعنى:**

أي:" والله الغالب عباده المذلّ لهم، العالي عليهم بتذليله لهم وخلقه إياهم، فهو فوقهم بقهره إياهم، وهم دونه. والله حكيم في علوّه على عباده، وقهره إياهم بقدرته، وفي سائر تدبيره، وهو الخبير، بمصالح الأشياء ومضارها، الذي لا يخفى عليه عواقب الأمور وبواديها، ولا يقع في تدبيره خلل، ولا يدخل حكمه دخل".[1]

يقول برهان الدين البقاعي(885هـ):" ولمّا كان في القهر ما يكون مذموما، نفاه بقوله: "وهو" أي: وحده "الحكيم" فلا يوصل أثر القهر بإيقاع المكروه إلا لمستحق، وأتمّ المعنى بقوله: "الخبير" أي بما يستحق، فتمّت الأدلّة على عظيم سلطانه وأنّه لا فاعل غيره".[2]

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (19)﴾.

أ- **المناسبة:**

يقول ابن عاشور(1393هـ):" انتقل الكلام في هذه الآية من الاِستدلال على إثبات ما يليق بالله من الصفات، إلى إثبات صدق رسالة محمدﷺ وإلى جعل الله حكما بينه وبين مكذبيه، فالجملة استئناف ابتدائي، ومناسبة الاِنتقال ظاهرة".[3]

ويمكن أن يقال: هو انتقال من إثبات صفة القهر والعلم، إلى كونه شهيدا يحكم بين الرسول ومكذبيه وينفّذ حكمه، وهذا أيضا متفرّع عن علمه وقدرته.

ب- **المعنى:**

أي:" إنّي أشهد الله الذي شهادته أعظم شهادة أنّني أبلغتكم أنّه لا يرضى بأن تشركوا به وأنذرتكم".[4]

1- الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 161/5.

[2]- البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 599/2.

[3] – ابن عاشور، المصدر السابق: 166/7.

[4] – ابن عاشور، المصدر نفسه.

فهو:" شهيد يحكم بشهادته بيني وبينكم؛ لأنّ ضمن الشهادة الحكم".[1]

ويقول الرازي(606هـ):" ﴿ قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ في إثبات الوحدانيّة والبراءة من الشركاء، أو في النبوّة لأنّه أوحى إليّ هذا القرآن المعجز".[2]

ويقتصر تفسير الشوكاني(1250هـ) على المعنى الأوّل للرازي فيقول:" الله أكبر شهادة أي: انفراده بالربوبيّة، وقيام البراهين على توحيده أكبر شهادة وأعظم، فهو شهيد بيني وبينكم".[3]

وينبّه البقاعي(885هـ) إلى مغزى هذه الآية بقوله:" أنّه لمّا أقام الأدلّة على الوحدانيّة والقدرة، ووصل إلى صفة القهر المؤذن بالإنتقام، لم يبق إلا الإشهاد عليهم إيذانا بما يستحقونه من سوء العذاب وإنذارا به؛ لئلا يقولوا إذا حلّ بهم: أنّه لم يأتنا نذير".[4] وأيّده في ذلك ابن عاشور(1393هـ) بقوله:" فهو لمّا لم تنفعهم الآيات فيرجعوا عن التكذيب أوْكلهم إلى حساب الله".[5]

ولذلك كان هذا الإشهاد، مقدّمة لما سيأتي من التفصيل لمشاهد يوم القيامة.

﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾، هي عطف على الجملة قبلها، يثبت فيها النبيﷺ لنفسه النبوّة، بنزول القرآن عليه؛ لإنذار المشركين وغيرهم ممن بلغهم القرآن.

﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ هذه الآية:" جملة مستأنفة من جملة القول المأمور بأن يقوله لهم، وإنّما جُعل الإستفهام المستعمل في الإنكار عن الخبر المؤكّد: بـ "إنّ" و"لام الإبتداء"؛ ليفيد أنّ شهادتهم هذه ممّا لا يكاد يصدّق السامعون أنّهم يشهدونها".[6]

---

[1] – ابن تيمية، مجموع الفتاوى، المكتب التعليمي السعودي: 194/14.

[2] – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 145/12.

[3] – الشوكاني، فتح القدير، دار المعرفة: 131/2.

[4] – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 599/2.

[5] – ابن عاشور، المصدر السابق: 167/7.

[6] – ابن عاشور، المصدر السابق: 169/7.

ثم يأتي جواب الإستفهام؛ بتلقين الله الرسولﷺ بأن يقول: ﴿لَا أَشْهَدُ﴾ وبيّن ذلك بحصر الألهيّة في إله واحد، وبالغ بأن تبرّأ من الشريك.

1- الهدايات المستنبطة:

1- ترشدنا الآيات إلى أنّ الله قاهر فوق عباده؛ فلا هروب من قضاءه؛ فهو بالغ أمره: سواء بقوله " كن فيكون" أو بتيسير الأسباب، ودفع الإنسان وكل المخلوقات إلى أمره دفعا. ولا يستطيع أي أحدٍ كان مهما أوتي من سلطان القوة أو العلم أن يعطّل شيئا. يقول تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾[سورة الطلاق: الآية 3]. ويقول سبحانه أيضا: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾[سورة الأحزاب: الآية 38]. ويقول عز وجل في سورة مريم: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾[سورة مريم: الآية 71].

والشاهد في هذه الآيات، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ ﴾ وكذلك قوله عز وجل: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ وأيضا: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾.

2- الله أكبر شهادة على توحيده؛ بإقامة الأدلّة والبراهين في الأفاق وفي الأنفس على ذلك، وأودع في الفطرة الإنسانيّة ما يرشد إلى الإيمان بإله واحد متّصف بصفات الكمال، وشهد العدول والعقلاء بوحدانيّته، كما قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[سورة آل عمران: الآية 18].

وشهد الله بصدق رسالة الرسولﷺ؛ بإخباره في القرآن أنّ ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [سورة الفتح: الآية 29]. وشهد الله بتأييده بالمعجزات التي من أهمّها القرآن، معجزة الإسلام الكبرى إلى يوم القيامة، وشهدت الكتب السابقة له، وبشرّت الرسل المتقدّمين به؛ كل هذه المؤيّدات تدلّ على أنّ الله شهيد بين الرسولﷺ وبينهم على أنّه أدى الأمانة وعلى إثبات الوحدانيّة.[1]

[1] – ينظر وهبة الزحيلي، التفسير المنير، دار الفكر: 166/7.

3- أرسل النبي محمدﷺ للبشر كافّة، لينذرهم بالقرآن، فعلى المسلمين من بعده تبليغ هذا القرآن، قدر الطاقة إلى جميع الخلق. أخرج البخاري(256هـ) في صحيحه عن عبد الله بن عمرو أنّ النبيﷺ قال:" **بَلِّغُوا عَنِي و لَوْ آيَةً؛ و حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**".[1]

2- مناسبة المطلب لسابقه:

لم يكن قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾، بمنزلة التعميم بعد التخصيص في الآية قبلها - من المس بالضرر ورفعه أو المس بالخير- فحسب، وإنّما جاءت لتعمّ كل آيات المطلب؛ فهو قاهر فوق عباده بعظيم خلقه الذي لم يُشهِدهم عليه، وهو قاهر فوق عباده باحتياجهم إليه في الطعام والرزق دون أن يحتاج إليهم، أو أن يحتاج إلى الطعام أصلا. وهو كذلك قاهر فوقهم بإنزاله العقوبة على من أشرك وعصى أمر الله بإعراضه عن الحقّ.

كما أنّه على من يستصحب في قلبه حقيقة الولاء والخوف وإسلام الوجه لله الخالق والرازق والضار والنافع، أن يشهد على شرك من اتخذ مع الله آلهة أخرى، وأن يتبرّأ من هذا الشرك، وينذر المشركين بأنّ الله شهيد بين العباد، وسوف يحكم بينهم بشهادته.

يقول سيد قطب(1386هـ) في هذا:" ما أحوج العصبة المؤمنة- بعد أن تستيقن حقيقة مهمّتها في الأرض اليوم وبعد أن تستوضح حقيقة العقيدة التي تدعو إليها، ومقتضياتها من إفراد الله سبحانه بالولاء بكل مدلولاته- إلى موقف الإشهاد والقطع والمفاصلة والتبرؤ من الشرك الذي تزاوله الجاهليّة البشريّة اليوم، كما كانت تزاوله الجاهليّة البشريّة الأولى".[2]

3- مناسبة المطلب لموضوع السورة:

1- جاءت الآيات لتقرّر قهر الله فوق عباده، وكونه أكبر شهادة، دون أن تحتاج إلى ذكر الدليل على ذلك؛ لأنّ الأمر معلوم بالفطرة، ومعلوم بالتجربة من خلال معاينة الإنسان لضعفه أمام قساوة الطبيعة والمرض والموت وسير الأحداث في غير الإتجاه المحبّب وغيرها.

---

[1] - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب" مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ"، رقم 3274، دار الهدى: 1275/3.

[2] - سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: 1058/7.

2- استدلّت هذه الآية على توحيد الألهيّة بتوحيد الربوبيّة إذ أنّ:" تقريره تعالى لقهره فوق عباده [وكونه شهيد بين الرسولﷺ والمشركين في إثبات الوحدانيّة وإثبات نبوّة الرسولﷺ بإيحاء القرآن إليه]، تقريرٌ للربوبيّة المستلزمة للألهيّة، فقهره لكل أحد، وسلطانه على كل أحد مع علوّ كلمته وعلمه بكل شيء موجب لألهيّته وطاعته وطلب ولايته، وبطلان ولاية غيره وعبادة سواه".[1]

المطلب الثاني: أصناف المكذبين ومواجهتهم بمصيرهم يوم البعث.

[من الآية 20 إلى الآية 30].

1- تفسير الآيات:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (20) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ (21) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (22) ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (23) ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ (24) وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (25) وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (26) وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (27) بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ (28) وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (29) وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (30) ﴾[سورة الأنعام: الآيات 20- 30].

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (20) ﴾.

[1] – أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم: 44/2.

أ- المناسبة:

" جملة مستأنفة انتقل بها أسلوب القرآن من مخاطبة الله المشركين على لسان الرسولﷺ إلى إخبار عام كسائر أخبار القرآن".[1]

ب- المعنى:

يقول الطبري(310هـ):" ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾- التوراة والإنجيل- يعرفون أنّما هو إله واحد لا جماعة الآلهة، وأنّ محمدا نبيّ مبعوث، ﴿كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ﴾... ويعني بقوله: ﴿خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾، أهلكوها وألقوها في نار جهنّم، بإنكارهم محمدا أنّه لله رسول مرسل، وهم بحقيقة ذلك عارفون، ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾، يقول: فهم بخسارتهم بذلك أنفسهم لا يومنون".[2]

فأهل الكتاب خسروا أنفسهم؛ بإنكارهم نبوّة محمدﷺ، كما خسر المشركين أنفسهم؛ لإصرارهم على الشرك رغم الأدلّة؛ فهم بخسرانهم أنفسهم لا يؤمنون.

يقول أبو السعود(982هـ):" ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ من أهل الكتاب والمشركين بأن ضيّعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها وأعرضوا عن البيّنات الموجبة للإيمان بالكليّة ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾، لما أنّهم مطبوع على قلوبهم".[3]

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢١﴾.

أ- المناسبة:

يقول الرازي(606هـ):" اِعلم أنّه تعالى لمّا حكم على أولئك المنكرين بالخسران في الآية الأولى، بيّن في هذه الآية سبب ذلك الخسران، وهو أمران: أحدهما أن يفترى على الله الكذب، والثاني تكذيبهم بآيات الله".[4]

---

[1] - ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 170/7.

[2] - الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 163/5.

[3] - أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 365/2.

[4] - الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 149/12-150.

ب- المعنى:

أي:" من أشدّ اعتداءً ممّن اختلق على الله باطلا، فزعم أنّ له شريكا من خلقه، وإلها يعبد من دونه كما ادعى المشركون، أو ادعى له ولدا أو صاحبة كما قالته النصارى، أو كذّب بحججه وأعلامه وأدلّته التي أعطاها رسله على حقيقة نبوّتهم، مثل اليهود؛ فهؤلاء لا يدركون البقاء في الجنان".[1]

أما البقاعي(885هـ) فاعتبر الذي تعمّد الكذب على الله: هم من حرّفوا كتابهم ونسبوا إلى الله ما لم يقله. وأمّا من كذب بآياته: فهم من كذبوا بالآيات التي أتى بها الرسل، كالقرآن والمعجزات الأخرى كالمشركين.[2] وهذا يتلاءم وقوله تعالى: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[سورة الأنعام: الآية 5].

والآية تحتمل المعنيين، والذي يهمّ أنّه لا يدخل الجنّة كلاهما ولا يفلحون في الدنيا ولا في الآخرة، فما بالك من أتى بالظلمين معا.

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿22﴾ ﴾.

أ- المناسبة:

يقول ابن عاشور(1393هـ) في مناسبة الآية لما قبلها:" مضمون هذه الجملة المعطوفة له مناسبة بمضمون جملة ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ ومضمون جملة ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾؛ لأنّ مضمون هذه من آثار الظلم وآثار عدم الفلاح، ولأنّ مضمون الآية جامع للتهديد على الشرك والتكذيب ولإثبات الحشر ولإبطال الشرك".[3]

وكذلك لمّا أوكلهم إلى حساب الله في قوله:﴿ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾ [سورة الأنعام: الآية 19] أردف بما ينتظرهم من حشر وسؤال.

---

1 – الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 164/5.

2 – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 619/2.

3 – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار التونسية: 173/7.

ب- المعنى:

أي: يوم نحشر هؤلاء المفترين على الله الكذب، ونجمعهم بما لنا من العظمة وهم كارهون صاغرون من أهل الكتاب والمشركين وغيرهم ومعبوداتهم. وأشار إلى عظمة ذاك اليوم وطوله ومشقّته وهوله بقوله بأداة التراخي: "ثم نقول". ويقول بما له من العظمة التي انكشفت لهم أستارها توبيخا وتنديما، أين الذين زعمتم أنّهم لكم آلهة من دون الله من الأصنام أو عزير أو المسيح أو الظلمة أو النور، فأتوا بهم إن كنتم صادقين لينقصوكم مما نريد من ضرّكم، أو يرفعوكم مما نريد من وضعكم.[1]

﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (23) ﴾.

أ- المناسبة :

يقول ابن عاشور(1393هـ) في مناسبة هذه الآية للتي قبلها: "... عطفا على جملة ﴿ثُمَّ نَقُولُ ﴾ و﴿ثُمَّ ﴾ للترتيب الرتبي، وهو الِانتقال من خبر إلى خبر أعظم منه".[2]

ب- المعنى:

أي:" لم تكن إجابتهم عن سؤالنا إياهم ذلك إذ اختبرناهم، إلا أن قالوا: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ كذبا منهم في أيمانهم".[3]

ويقول الزمخشري(538هـ):" ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه أعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا دين آبائنا [إلا] جحوده والتبرّأ منه والحلف على الِانتفاء من التديّن به".[4]

وأخرج الطبري(310هـ) في تفسيره عن سعيد بن جبير قال:" **أَتَى رَجُلٌ ابْنَ عَبَاسٍ فَقَالَ سَمِعْتُ اللهَ يَقُولُ: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾** [سورة النساء: الآية 42]، **قَالَ عَبَاس: أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فَإِنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا أَنَّهُ**

---

[1] - ينظر الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 165/5. والبقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 620/2.

[2] - ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار التونسية: 175/7.

[3] - الطبري، المصدر نفسه.

[4] - الزمخشري، الكشاف، دار الفكر: 11/2.

لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّـةَ إلاَّ أَهْلَ الإِسْـلاَمِ قَـالُوا: تَـعَالُوا نَـجْـحَـدْ، فَقَـالُوا: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، فَخَـتَمَ اللهُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتَكَلَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ، فَقَالَ: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾[سورة النساء: الآية 42]".[1]

﴿ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (24) ﴾.

أ- المناسبة:

لمّا كان الكلام السابق كذب صريح منهم جاءت هذه الآية للتعجيب منه. فبدأت بقوله ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا﴾.[2]

ب- المعنى:

" أنظر يا محمد، فاعلم، كيف كذب هؤلاء المشركون العادلون بربّهم الأوثان، في الآخرة عند لقاء الله على أنفسهم بقيلهم: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، واستعملوا هنالك الأخلاق التي كانوا بها يخلقون في الدنيا، من الكذب والفرية".[3]

" فجعل حالهم المتَحَدَّثِ عنه بمنزلة المشاهد، لصدوره عمن لا خلاف في أخباره، فلذلك أمر سامعه أو أمر الرسولﷺ بما يدلّ على النظر إليه كأنّه مشاهد حاضر".[4]

﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ عطف على قوله ﴿كَذَبُوا﴾ تقديره؛ وكيف ضل عنهم ما كانوا يفترون بعبادته من الأصنام والأنداد وفارقتهم وتبرأوا منها، فسلكوا غير سبيلها فلم تغن عنهم شيئا، وذلك أنّهم كانوا يرجون شفاعتها ونصرتها لهم.[5]

---

[1] – ذكره الطبري في جامع البيان، الحديث رقم 13143، دار الكتب العلمية: 167/5.

[2] – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 621/2.

[3] – الطبري، المصدر السابق: 5/166–167.

[4] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 177/7. وينظر محمود شلتوت، تفسير القرآن الكريم، دار الشروق: ص383.

[5] – ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 153/12. والطبري، المصدر السالق: 167/5.

يقول البقاعي(885هـ) بعد تفسير هذه الآية:" ولمّا عُلم أنّ هذه الآيات قد ترابطت حتى كانت آية واحدة، وخَتم بأنّ مضمون قوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ الآية[سورة الأنعام: الآية 5]، قد صار وصفا لهم ثابتا حتى ظهر في يوم الجمع...".[1]

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (25) ﴾.

أ- **المناسبة:**

كلام مستأنف لما سبق من ذكر ما صدر في الدنيا عن بعض المشركين من أفعال الكفر، ثم بيان ما يقابلها من أفعال وأقوال لهم يوم الحشر.

ب- **المعنى:**

يقول الطبري(310هـ) في معنى هذه الآية:" ومن هؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام من قومك يا محمد... من يستمع القرآن منك، ويسمع ما تدعوه إليه من توحيد ربّك، وأمره ونهيه، ولا يفقه ما تقول... ولا يتدبّره... لأنّ الله قد جعل على قلبه غطاء... وجعل في أذانهم ثقلا وصمما من فهم ما تتل عليهم. كما أنّهم إذا رأوا كل حجّة وعلامة تدلّ على توحيد الله وحقيقة نبوّتك لا يصدّقونها، وجاءوك بعد ما سمعوا من الآيات ورأوا، يخاصمونك ويقولوا بأنّها أساطير وأحاديث الأولين".[2] والمراد ذمّهم بعدم الاِنتفاع بحواسهم؛ لذلك جاءوا يجادلون بالباطل مظهرين لقومهم أنّهم أكفاء لهذه المجادلة، ولكنّهم دخلوا بالكفر وخرجوا به، وعدلوا عن الجدل إلى المباهتة والمكابرة.[3]

﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (26) ﴾.

---

[1] – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 621/2. وينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 367/2.

[2] – الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 168/5–169.

[3] – ينظر الألوسي، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي: 125/7. وابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 177/7–178.

أ- المناسبة:

هذه تتمّة لموقفهم من القرآن والدين ومعاملتهم السيّئة لأتباعه.

ب- المعنى:

" والمراد أنّهم ينهون الناس من إتباع الحقّ وتصديق الرسول والانقياد للقرآن ويبعدونهم عن ذلك فيجمعون بين الفعلين القبيحين".[1]

و" هم بهذا يظنّون أنّهم يضرّون الرسولﷺ، ولكن يضرّون أنفسهم بدوامهم على الضلال، وبتضليل الناس، فيحملون أوزارهم وأوزار الناس، وفي هذه الجملة تسليّة للرسولﷺ وأنّ ما أرادوا به نكايته إنّما يضرّون به أنفسهم".[2]

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (27) بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ (28) ﴾.

أ- المناسبة:

هذه الآيات عرض لحال المشركين يوم القيامة في مقابل بيان بعض أحوالهم في الدنيا؛ من جعل الله في قلوبهم أكنّة أن يفقهوا القرآن وفي آذانهم وقرا وغيرها... وكونهم ينهون عنه وينأون عنه.

ب- المعنى:

يذكر الله حال الكفار إذا وقفوا يوم القيامة على النار، ورأوا بأعينهم تلك الأمور العظام، تمنّوا أن يردّوا إلى الدار الدنيا ليعملوا عملا صالحا ولا يكذّبوا بآيات ربّهم ويكونون من المؤمنين، ثم يقرّر أنّ حالهم لم تتغير وإنّما ظهر لهم حينئذ ما كانوا يعلمونه من أنفسهم من صدق ما جاءتهم به الرسل في الدنيا، وإن كانوا يظهرون لأتباعهم خلافه.[3]

---

[1] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا: 138/3.

[2] – ابن عاشور، المصدر السابق: 183/7.

[3] – ينظر ابن كثير، المصدر السابق: 148/3.

﴿ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ فهم سألوا الرجعة ليتخلّصوا مما شاهدوا في النار لا رغبة في الإيمان؛ لذلك لو ردّوا إلى الدنيا لعادوا إلى الكفر والمخالفة؛ فهم لم يكونوا صادقين حين قالوا: ﴿ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الآية. وانطبق عليهم قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿23﴾ ﴾[سورة الأنفال: الآية 23].

﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿29﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿30﴾﴾.

أ- المناسبة:

مضمونها تابع للأفعال التي سيقوم بها المشركون إذا عادوا إلى الدنيا على قول أكثر المفسرين. وربما هو استئناف في الإخبار عن أحوال المشركين في الدنيا، ثم يتبع بما سيصدر عنهم يوم القيامة لمّا يروا العقاب المناسب نظير هذا الحال.

ب- المعنى:

" أنّهم سيقولون بعد الردّ ما كانوا يقولونه قبل الموت من إنكار البعث، كأنّهم لم يروا من الأحوال التي أولّها البعث والنشور".[1] ويقول البقاعي(885هـ) في معنى الآية:" وما رؤيتنا لما رأينا قبل هذا من البعث إلا سحر لا حقيقة له، ولم ينفعهم مشاهدة البعث بل ضَرَّتهم".[2]

ثم يعقّب قائلا:" هذا محتمل وظاهر، ولكن الأنسب لسياق الآيات قبل وبعد أن يكون هذا حكاية لقولهم له ﷺ في هذه الدار عطفا على قوله: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾[سورة الأنعام: الآية 8]".[3] وكلامه هذا يؤيّد ما قيل من رأي مخالف في المناسبة.

يقول ابن كثير(774هـ):" ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ أي: أوقفوا بين يديه. ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ﴾ أي: أليس هذا المعاد بحقّ وليس بباطل كما كنتم تظنون﴿ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا۟

[1] – أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 371/2.

[2] – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 624/2.

[3] – البقاعي، المصدر نفسه.

﴿ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ أي: بما كنتم تكذبون به فذوقوا اليوم مسّه ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝١٥﴾[سورة الطور: الآية 15]".[1]

يقول الرازي(606هـ):" واعلم أنّه تعالى ما ذكر هذا الكلام احتجاجا على صحّة القول بالحشر والنشر؛ لأنّ ذلك الدليل قد تقدم ذكره في أوّل السورة في قوله ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ﴾[سورة الأنعام: الآية 2]... بل المقصود من هذه الآية الردع والزجر عن هذا المذهب والقول".[2]

جاء في نظم الدرر عن ابن عباس قوله:" ويوم القيامة ذو ألوان: تارة لا يكلّمهم الله، وتارة يكلّمهم فيكذبون، وتارة يسألهم عن شيء فينكرون فتشهد جوارحهم، وتارة يصدّقون كهذه المواقف ويحلفون على الصدق".[3]

2- الهدايات المستنبطة:

1- لم يمنع أهل الكتاب من الدخول في الإسلام إلا إيثار الدنيا على الآخرة.[4]

2- أظلم الناس هم صنفين:

- المفتري على الله الكذب.
- المكذّب والجاحد بآيات الله الدالّة على توحيده.

3- من سنن الله في خلقه: أنّ الإنسان إذا أنكر شيئا جحودا ومكابرة بغير سلطان طبع الله على قلبه؛ فلا يؤمن. مثاله من ترك صلاة الجمعة ثلاثا من غير عذر، فإنّه يطبع على قلبه رغم أنّه مسلم؛ وذلك بالجهل أو القسوة أو منع الخير أو أن يصبح القلب قلب منافق. روى أحمد عن أَبِي الْجَعْدِ الضَمْرِيِّ وكانت له صحبة قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمَعٍ تَهَاوُنًا مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ**".[5]

---

[1] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا: 149/3.

[2] – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر: 207/12.

[3] – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 624/2.

[4] – ينظر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم: 47/2.

[5] – رواه أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، المسند، باب: أبي جعد الضمري، رقم15492، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ–2001م: 255/24. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.(الحاكم، المستدرك، كتاب الجمعة، رقم1081، دار الكتب العلمية: 430/1).

3- **مناسبة المطلب لسابقه:**

علاقة هذه الآيات – التي تحدّثت عن أصناف المكذّبين ومواجهة كل صنف بما يناسبه من مصير يوم البعث-، بآيات المطلب السابق- التي تحدّثت عن قهر الله، وكونه شهيدا يحكم بشهادته بين عباده: مؤمنهم وكافرهم-، واضحة جدا؛ إذ أنّ إلحاق العقوبة المستحقّة بعد العلم بأفعالهم، والعلم بما سيفعلون ويقولون مستقبلا عند ما يروا العذاب، تجسيدٌ واقعيٌ لقهره تعالى وقدرته وعلمه وحُكمه بين العباد؛ فقوله حقّ لا يتبدّل وهو واقع لا محالة.

4- مناسبة المطلب لموضوع السورة:

الإيمان بالبعث والنشور- الذي فصّل هذا المطلب بعض مشاهده؛ ببيان أصناف المكذّبين وحالهم بين الدنيا والآخرة – من الأصول الإيمانية المأمور بها في هذا الدين، والتي مردّها إلى الإيمان بالله، المتّصف بالقدرة والعلم والحكمة؛ فهو لم يخلق هذا الوجود بما فيه الإنسان عبثا، ولم يضبط تصرّفات عباده بالأوامر والنواهي باطلا، وإنّما لينظّم حياتهم في هذه الدنيا وفقا لقوانين الوجود كله، فمن توهّم غير ذلك وأعرض عن الإسلام، فلابد له من المحاسبة، يقول تعالى: ﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ الآية [سورة المؤمنون: الآية 115].

المطلب الثالث: مجمل حال المكذّبين وحقيقة الدنيا.

[من الآية 31 إلى الآية 32].

1- تفسير الآيات:

﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[سورة الأنعام: الآيات 31-32].

﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾.

أ- **المناسبة:**

يقول الرازي (606هـ):" اعلم أنّ المقصود من هذه الآية شرح حالة أخرى من أحوال منكري البعث والقيامة وهي أمران: أحدهما: حصول الخسران، والثاني: حمل الأوزار العظيمة".[1]

وقد تكون المناسبة أنّه بعد تفصيل الآيات السابقة، لأحوال ومواقف المشركين في الدنيا والآخرة، جاءت هاتين الآيتين كخلاصة لها؛ فأجملت أحوالهم في الآخرة في حال واحدة، وبيّنت حقيقة الدنيا، وذلك بتقرير القادر العالم ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ الآية [سورة النساء: الآية 87]. ويؤيّده ما قاله أبو السعود (982هـ):" ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ هم الذين حكيت أقوالهم".[2]

ب- **المعنى:**

أي:" قد خاب وخسر، وحُرم الخير كلّه من كذّب بلقاء الله، فأوجب له هذا التكذيب، الإجتراء على المحرّمات، واستدامة الكفر، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ﴾، وهم على أقبح حال وأسوئه، فأظهروا غاية الندم و﴿قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾، ولكن هذا تحسّر ذهب وقته".[3]

وقد قالوا هذا:" في حال أنّهم يحملون أوزارهم؛ فهم بين تلهّف على التفريط في الأعمال الصالحة والإيمان، وبين مقاساة العذاب على الأوزار التي اقترفوها".[4]

﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ أي:" ألا ساء الإثم الذي يأثمونه بربهم".[5]

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (32)﴾.

---

[1] - الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 162/12.

[2] - أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 372/2.

[3] - السعدي، تفسير الكريم الرحمان، مؤسسة الرسالة: ص216.

[4] - ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 191/7.

[5] - الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 179/5.

أ- المناسبة:

يقول الطبري(310هـ):" وهذا تكذيب من الله تعالى هؤلاء الكفار المنكرين البعث بعد الممات في قولهم: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٢٩﴾[سورة الأنعام: الآية 29]".[1]

ويقول ابن عاشور(1393هـ):" لما جرى ذكر الساعة وما يلحق المشركين فيها من الحسرة على ما فرّطوا ناسب أن يذكّر الناس بأنّ الحياة الدنيا زائلة وأنّ عليهم أن يستعدّوا للحياة الآخرة ".[2]

ب- المعنى:

" ما أهل الحياة الدنيا إلا أهل لعب ولهو، أو ما أعمال الحياة الدنيا إلا لعب ولهو؛ لأنّها لا تعقب منفعة كما تعقب أعمال الآخرة المنافع العظيمة، ﴿وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ﴾أي: ولدار الساعة الآخرة ﴿خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾. فيه دليل على أنّ ما سوى أعمال المتّقين لعب ولهو.

﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ قيمة الحياة الدنيا بالنسبة للآخرة؛ فتعملون للآخرة، وأفلا تعقلون من الله فتسمعون وتطيعون وتؤمنون وتتقون".[3]

2- الهدايات المستنبطة:

- رغم أنّ الحياة الدنيا لعب ولهو، إلا أنّه لا يمكن ذمّها في نفسها؛" لأنّها بإرادة الله وحكمته، وخلقه وإيجاده؛ ولأنّه لا يمكن التوصّل إلى السعادة الأخروية إلا فيها، وإنّما المقصود أنّ لَذّات الحياة الدنيا وطيباتها لا دوام لها، ولا يبقى منها عند انقراض الحياة إلا الحسرة والندامة".[4]

---

[1] – الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 179/5.

[2] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 192/7.

[3] – سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام: 1613/3. وينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 372/2-373.

[4] – وهبة الزحيلي، التفسير المنير، دار الفكر: 180/7-181.

3- مناسبة المطلب لسابقه:

تأتي آيات هذا المطلب كخلاصة عامّة لما فصّل في الآيات السابقة من أحوال المشركين في الدنيا والآخرة؛ فبيّنت الأولى مجمل حالهم في الآخرة وهو الخسران وحمل الأوزار، وبيّنت الثانيّة حقيقة الدنيا التي ضيّعوا الآخرة من أجلها.

4- مناسبة المطلب لموضوع السورة:

علاقة هاتين الآيتين بموضوع السورة مثل علاقة سابقه؛ إذ تجادل المشركين في قدرة الله تعالى على حشر العالمين يوم القيامة وحسابهم، ولكن على شكل نصيحة وحكمة؛ تنبيها للكفّار وغيرهم قبل مجيء ذلك اليوم.

المطلب الرابع: تسليّة الرسول ببيان سنّة الله في الأنبياء وحقيقة المكذّبين.

[من الآية 33 إلى الآية 36].

1- تفسير الآيات:

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (33) وَلَقَدْ
كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ
الْمُرْسَلِينَ (34) وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ
فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (35) إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ
وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (36)﴾ [سورة الأنعام: الآيات 33- 36].

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (33)﴾

أ- **المناسبة:**

استئناف مسوق لتسليّة رسول اللهﷺ عن الحزن الذي يعتريه مما حكي عن الكفرة من الإصرار على التكذيب والمبالغة فيه.[1]

ب- **المعنى:**

﴿ **قَدۡ نَعۡلَمُ** ﴾قد: تحقيق للخبر الفعلي،[2] " والمراد بالمضارع وجود العلم من غير نظر إلى الزمان؛ فالمراد تحقق التجدّد لتعلّق العلم بتجدّد الأقوال [أقوال الكافرين] ﴿ **إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ** ﴾، أي يوقع على سبيل الِاستمرار لك الحزن على ما فاتك من حالات الصفاء التي كدرها﴿ **ٱلَّذِي يَقُولُونَ** ﴾ أي من تكذيبك".[3]

﴿ **فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ** ﴾، فأنت عندهم الأمين، وليكن علمنا بما تلقى منهم سببا لزوال حزنك وكذا إخبارنا لك بعدم تكذيبهم لك،[4] وكذا تذكيرنا لك بسنّة الرسل من قبلك، وتذكيرنا لك بأنّ العقبة هي نصرك كما سبق في علم الله.[5]

قال الطبري(310هـ):" **حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَارٍ قَالَ: حَدثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَانِ بْنُ مَهْدِي قَالَ: حَدثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ نَاجِيَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ لِلنَبِيِﷺ؛ لَا نَتَهِمُكَ، وَلَكِنْ نَتَهِمُ الَّذِي جِئْتَ بِهِ؛ فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿33﴾ ﴾**".[6]

[1] - ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 374/2. وابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 196/7. والبقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 626/2-627.

[2] - ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 196/7.

[3] - البقاعي، والبقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 627/2.

[4] - البقاعي، المصدر نفسه.

[5] - ينظر ابن عاشور، المصدر السابق: 198/7.

[6] - الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 181/5. وأخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب سورة الأنعام حديث رقم 3064: 243/5.

وإيراد الجحود مورد التكذيب؛ للإيذان بأنّ آيات الله واضحٌ صدقها، وإنّما ينكرها الكفّار بطريق الجحود الذي هو: عبارة عن الإنكار مع العلم بخلافه، كما في قوله تعالى:﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ﴾ الآية [سورة النمل: الآية 14].[1]

﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿34﴾ ﴾.

أ- **المناسبة:**

الآية عطف على جملة ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ أو على جملة﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾.[2]

يقول الرازي(606هـ):" اعلم أنّه تعالى أزال الحزن عن قلب رسوله في الآية الأولى؛ بأن بيّن تكذيبه يجري مجرى تكذيب الله تعالى. فذكر في هذه الآية طريقا آخر في إزالة الحزن من قلبه وذلك بأن بيّن أنّ سائر الأمم عامَلوا أنبياءهم بمثل هذه المعاملة".[3]

ب- **المعنى:**

قال الطبري(310هـ):" وهذا تسلية من الله تعالى ذكره لنبيّه محمد، وتعزية له عما ناله من المساءة بتكذيب قومه إياه على ما جاءهم به من الحقّ من عند الله".[4]

وأنّ أولئك الأنبياء صبروا على تكذيبهم وإيذائهم حتى أتاهم النصر والفتح والظفر فأنت أولى بالتزام هذه الطريقة؛ لأنّك مبعوث إلى جميع العالمين، فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا.[5]

---

1 – ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 375/2.

2 – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 200/7.

3 – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 170/12.

4 – الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية:: 182/5.

5 – ينظر الرازي، المصدر نفسه.

﴿ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ أي: التي كتبها بالنصر في الدنيا والآخرة، لعباده المؤمنين، كما قال: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [سورة الصافات: الآيات 171- 173]، وقال تعالى: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [سورة المجادلة: الآية 21].[1]

﴿ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ عطف على جملة ﴿ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾، وهو كلام جامع لتفاصيل ما حلّ بالمكذبين، وبكيف كان نصر الله رسله، وذلك في تضاعيف ما نزل من القرآن في ذلك.[2]

﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

أ- المناسبة:

"لمّا سلاّه بما هو غاية الكفاية في التسلية، أخبره بأنّه لا حيلة له غير الصبر، فقال عاطفا[على الآيات قبلها]، ﴿ وَإِن كَانَ ﴾".[3]

ب-المعنى:

يقول الطبري(310هـ):" وإن كان عظم عليك يا محمد، إعراض هؤلاء المشركين عنك... ولم تصبر لمكروه ما ينالك منهم... فإن استطعت أن تتخذ سَرَباً في الأرض... أو مصعداً تصعد فيه... لتأتيهم ببرهان على صحّة قولك فافعل".[4]

يقول البقاعي(885هـ):" ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ أي: الذي له العظمة الباهرة والقدرة الكاملة القاهرة ﴿ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ ... لأنّ قدرته شاملة، وإيمانهم في حدّ ذاته ممكن، ولكنّه قد

---

1 – ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس: 19/3.

2 – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 7/202-203.

3 – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 629/2.

4 – الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 5/182-183.

شاء افتراقهم بإضلال بعضهم... ﴿فَلَا تَكُونَنَّ﴾ فأكّد الكلام سبحانه ليعلم ﷺ أنّه قد حتّم بافتراقهم، فيسكن إلى ذلك ويخالف ما جُبِل عليه من شدّة الشفقة عليهم، ﴿مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ... فلا تطمع نفسك فيما لا مطمع فيه".[1]

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (36)﴾.

أ- **المناسبة:**

تعليل لما أفاده قوله: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾- إلى قوله- ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ من تأييسٍ من ولوج الدعوة إلى أنفسهم.[2]

ب- **المعنى:**

أي: إنّما يستجيب لدعائك من يسمع الكلام ويعِيه ويفهمه، كقوله: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[سورة يس: الآية 70]، وقوله: ﴿وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ يعني بذلك الكفار؛ لأنّهم موتى القلوب، فشبّههم الله بأموات الأجساد، وهذا من باب التهكّم بهم والاِزدراء عليهم.[3]

2- الهدايات المستنبطة:

1- تؤكد الآيات أنّ علم الله مطلق وأنّه يعلم الجهر من قول المكذّبين، ويعلم السرّ من حزن النبيﷺ الشديد جرّاء عناد المشركين.

2- تقرّر الآيات أنّ تكذيب المشركين ليس متعلّقا بالرسول الأمين ولكن بآيات الله جحودا منهم. وهذا حال الكثيرين في هذا الزمان؛ بسبب إتباع هوى النفس، أو بسبب تأثّر المغلوب بالغالب.

3- تأمر الآيات الرسول ﷺ بالصبر، كما صبر المرسلون قبله، رغم التكذيب والأذى، وأنّ النّصر سببه الصبر، " وأنّ النهي عن الحزن نهي عن تابعه، المؤدي إلى عدم الصبر".[4]

---

[1] – البقاعي، المصدر السابق :630/2.

[2] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 207/7.

[3] – ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس: 19/3.

[4] – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 629/2.

4- يخبر الله أنّ الآيات بيده فلا يأتي بها إلا هو، وأنّها لا تنفع فيمن حكم الله بافتراقهم بإضلال بعضهم.

5- يرشد الربّ تعالى رسوله هنا إلى خير المقامات وأكمل الحالات بإبعاده عن ساحة الجاهلين.[1]

6- تأكّد الآية الأخيرة أنّ الاِستجابة للحقّ، تكون ممّن وظّف حاسّة السمع لما خلقت له. أمّا من عطّلوها فهم كالموتى، لا ينتبهون إلا وهم في يوم البعث، أمام الله للمحاسبة.

3- مناسبة المطلب لسابقه:

- لمّا بيّنت الآيتان السابقتان أنّ المشركين خاسرون، وأنّهم سوف يتحسّرون وهم يحملون أوزارهم لتكذيبهم بالبعث وبما جاء به الرسولﷺ حبا في الدنيا، ذكرت الآيات هنا حزن النبيﷺ الشديد لما يصدر عنهم من أقوال وأفعال، فسلاّه الله ببيان سنّته في الأنبياء وحقيقة المكذّبين.

- كما ناسب ما ذُكر في الآيات السابقة من حالهم في الآخرة، ما ذُكر هنا بعد تسلية الرسولﷺ، من أنّهم موتى القلوب وأنّهم راجعون إلى الله ومحاسبون لا محالة.

- وناسب قوله في الآيات السابقة: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سورة الأنعام: الآية 28]، قوله تعالى في هذه الآيات: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [سورة الأنعام: الآية 35]؛ فقد جعل الله على قلوبهم أكنّة أن يفقهوه فلا يؤمنوا أبدا.

4- مناسبة المطلب لموضوع السورة:

لمّا كان موضوع السورة " مجادلة المشركين" المتضمّن بيان حقيقة التكذيب، ناسب أن يبيّن الله عز وجل هنا حقيقة المكذّبين تسلية للرسولﷺ؛ مقرّرا:

- أنّهم لا يكذّبون النبيﷺ ولا تنقصهم الآيات ولكنّهم يجحدون بها.
- وأنّ دأب الكفرة مع المرسلين، التكذيب والأذى.
- وأنّ بيد الله إنزال الآيات التي طالب بها المشركون، وبيده هداية الظالمين.
- وأنّ المكذّبين موتى القلوب، وإلى الله مرجعهم ثم يحاسبون.

[1] – ينظر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم: 54/2.

المطلب الخامس: علاقة القدرة والمشيئة بإنزال الآيات.

[من الآية 37 إلى الآية 39]

1- تفسير الآيات:

﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةٗ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ (37) وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ (38) وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمّٞ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [سورة الأنعام: الآيات 37- 39].

﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةٗ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾.

أ- المناسبة:

عطف على جملة ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ ﴾ الآيات، وهذا عود إلى ما جاء في أوّل السورة من ذكر إعراضهم عن آيات الله بقوله: ﴿ وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴾.

أي وقالوا: لولا أنزل عليه آية، أي على وفق مقترحهم، وقد اقترحوا آيات مختلفة في مجادلات عديدة.[1]

وكما وصفهم في الآية السابقة أنّهم موتى لا يسمعون، وصفهم هنا أنّهم لا يعلمون. ولمّا كانوا لا يسمعون لإعراضهم، يظنون أنّهم يعجزون الله ورسوله بطلبهم الآيات.

ب- المعنى:

يخبر الله تعالى أنّ المشركين قالوا:" هلا نزل على محمدﷺ آية؟ ثم أمر الرسولﷺ أن يجيبهم بأنّ الله قادر على ذلك، ولكن أكثر المعاندين لا يعلمون أنّ ذلك لو شاء الله لفعله،

[1] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 209/7.

ويحسبون أنّ عدم الإجابة إلى مقترحهم يدلّ على عدم صدق الرسولﷺ وذلك من ظلمة عقولهم".[1]

وبخلاف كثير من المفسرين في تفسيرهم لهذه الآية، يقول ابن عاشور (1393هـ):" فيكون المعنى الذي أفاده هذا الرد غير المعنى الذي أفاده قوله: ﴿ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ الآية [سورة الأنعام: الآية 8] فإنّ ذلك نبّهوا فيه على أنّ عدم إجابتهم، فيه فائدة لهم وهو استبقاؤهم، وهذا نبّهوا فيه على سوء نظرهم في استدلالهم".[2]

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾.

أ- المناسبة:

قال أبو السعود(982هـ) في مناسبة هذه الآية لما قبلها:" كلام مستأنف مسوق لبيان كمال قدرته عز وجل وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على أنّه تعالى قادر على تنزيل الآية، وإنّما لا ينزلها محافظة على الحكم البالغة".[3]

ب- المعنى:

الكلام هنا موجّه للمشركين، يقول فيه سبحانه للمعرضين المكذّبين بآيات الله:" لا تحسبنّ

الله غافلا عمّا تعملون، أو أنّه غير مجازيكم على ما تكسبون؛ فهو غير غافل عن عمل شيء دبّ على الأرض، ولا عمل طائر طار بجناحيه، بل جعل ذلك كله أجناسا مجنّسة وأصنافا مصنّفة، تعرف كما تعرفون، وتتصرف فيما سخّرت له كما تتصرّفون، ومثبت كل ذلك من أعمالها في أم الكتاب، ثم يحشرها ثم يجازيها على ما سلف منها في دار البلاء، فأنتم بما أعطاكم من العقل بمعرفته أولى، وبشكره أحق".[4]

---

[1] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 210/7.

[2] – ابن عاشور، المصدر نفسه.

[3] – أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 379/2. وينظر الألوسي، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي: 142/7–143.

[4] – الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 186/5.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (39)﴾.

أ- المناسبة:

يجوز أن تكون الواو للعطف، والمعطوف عليه جملة: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾. أو تكون الجملة مستأنفة والواو استئنافيّة، أي عاطفة كلاما مبتدأ، ليس مرتبطا بجملة معيّنة، ولكنّه ناشئ عن جميع الكلام المتقدّم.[1]

ب- المعنى:

فعلى المناسبة الأولى: أنّهم لا يهتدون إلى ما في عوالم الدوابّ والطير من الدلائل على وحدانيّة الله؛[2] لذلك وصفوا بأنّهم صم وبكم.

وعلى المناسبة الثانيّة يكون المعنى: أنّ الله لمّا ذكر من مخلوقاته، وآثار قدرته ما شأنه أن يعرّف الناس بوحدانيّته وصدق رسوله، أعقبه ببيان أنّ المكذبين في ضلال مبين عن الاِهتداء لذلك.[3]

ثم أخبر تعالى ذكره، أنّه يضلّ من يشاء إضلاله من خلقه من الإيمان إلى الكفر، والهادي إلى الصراط المستقيم منهم من أحبّ هدايته، وأنّه لا يَهتدي من خلقه أحد إلا من سبق له في أمّ الكتاب السعادة، ولا يَضِلّ منهم إلا من سبق له فيها الشقاء، وأنّ بيده الخير كلّه، وإليه الفضل كلّه، وله الخلق والأمر.[4]

2- الهدايات المستنبطة:

1- إنّ سبب تأخّر الآيات هو علم الله تعالى بأنّهم لو أعطاهم الآيات ما آمنوا؛ ولذلك استوجبوا العذاب.[5]

---

[1] - ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 218/7.

[2] - ينظر ابن عاشور، المصدر نفسه.

[3] - ابن عاشور، المصدر نفسه.

[4] - ينظر الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 188/5-189.

[5] - ينظر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم: 57/2.

2- بيّنت الآيات أنّ أكثر الناس لا يعلمون أنّ الله عز وجل إنّما ينزّل من الآيات ما فيه مصلحة لعباده، ولا ينزّل آية بسبب الطلب المتعنّت المتعصّب، أو لتعجيز الرسولﷺ؛ لأنّه لا يقدر على شيء من إنزال الآيات أو غيرها إلا بمشيئة الله وإرادته.[1]

3- تعدّدت الأمم في الأرض وتعدّدت أجناسها والكلّ خاضع لتدبير الله تعالى مربوب له،[2] وهذا يدعونا إلى الدراسة المفصّلة لهذه الأمم؛ لِإكتشاف القوانين التي تحكم حياتها لِلاعتبار ولِلاِستفادة منها، لأنّها خُلقت من أجل الإنسان. كما تمكّن هذه الدراسة من معرفة عظمة خلق الله تعالى، فنزيد بذلك إيمانا وامتنانا وشكرا لله على النعمة.

يقول الشيخ محمد الغزالي(1417هـ):" إنّني أَشهد عالم الحيوان والإنسان والحشرات الزاحفة والطائرة فأَدهش لسنن الله في حياتها وبقائها وضمان الرزق لما دقّ وجلّ منها".[3]

4- المُعرِض عن الحقّ، كالصمّ البكم في ظلمات الكفر؛ لعدم استفادتهم من سمعهم وبصرهم في معرفة دين الحقّ.

5- خُتم المطلب بسنّة عامّة صالحة لكل زمان، وهي أنّ هداية التوفيق بمشيئة الله، ومن أعرض بعد الآيات، لا يوفّقهم الله إلى صراطه المستقيم.

3- مناسبة المطلب لسابقه:

لآيات هذا المطلب مناسبات واضحة مع آيات المطلب السابق:

1- فالمشركون من شدّة الإعراض يطلبون الآيات؛ فبيّنت الآيات السابقة أنّ الله هو الذي يأتي بالآيات وليس للرسول قدرة على ذلك، وبيّنت هنا أنّ الأدلّة والمعجزات بيد الله موبخا المشركين على سوء استدلالهم؛ إذ لا يدل عدم الآيات على عدم صدق الرسول.

2- لما بيّنت الآيات السابقة حرص الرسول على استجابة طلبهم في جلب الآيات، وجهّت هنا أنظار المشركين إلى اكتشاف آيات الله في الدواب والطيور التي يرونها كل يوم لمعرفة عظيم قدرته وواسع علمه بدل طلب آيات أخرى.

3- بيّنت الآيات السابقة أنّ المكذّبين إلى الله يُحشرون، وبيّنت هنا أنّ الدواب والطيور كذلك، وإنّها تحاسب كما يحاسبون.

---

[1] - ينظر وهبة الزحيلي، التفسير المنير، دار الفكر: 209/7.

[2] - أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم: 57/2.

[3] - محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، دار الشروق: ص96.

4- كما بيّنت الآيات السابقة أن الِاستجابة تكون من الذين يسمعون، بيّنت هنا أنّ المكذّبين صم وبكم.

5- لمّا وضّحت الآيات السابقة وهي تخاطب الرسولﷺ ألو شاء الله لجمعهم على الهدى، وضّحت هنا أنّ الله يضلّ من يشاء ويجعل من يشاء على صراط مستقيم، فكل الآيات تقرّر أهم قاعدة في الهداية. وقد ذكر الهدى في الأولى؛ لأنّها جاءت في سياق الحديث عن رغبة الرسولﷺ في هداية قومه. وذكر الضلال والصراط المستقيم في الثانيّة، ليقرّر قانونا عاما يسري في الحاضر والمستقبل.

4- مناسبة المطلب لموضوع السورة:

يجادل القرآن الكريم المشركين في هذه الآيات موضحا أخطاءهم في التفكير والِاستدلال، وموبّخا إيّاهم على عدم استعمال حواسهم فيما خلقت له؛ فبيّن أنّ استدلالهم على عدم صدق الرسولﷺ بعدم الِاستجابة، استدلال فاسد وأنّ إعراضهم هو المانع. ثم وجّههم إلى آيات أخرى أكبر، قرّر من خلالها -تقرير العليم الحكيم القادر- وحدة المصير للكائنات جميعا. كما خاطب وجدانهم بأسلوب التوبيخ؛ موبّخا إيّاهم على عدم استعمال حواسّهم في معرفة الحقّ، وذلك ليؤتي الجدال ثمرته في التأثير على القلوب.

المطلب السادس: دليل الفطرة وسبب آخر في أخذ الأمم.

[من الآية 40 إلى الآية 45].

1- تفسير الآيات:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (40) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ
فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ (41) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ
لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (42) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ (43) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ
بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (44) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (45) ﴾ [سورة الأنعام: الآيات 40-45].

﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤٠ ﴾.

أ- **المناسبة:**

بعد أن بيّن الله تعالى غاية جهل أولئك الكفار، وأنّ علمه تعالى محيط بما في الكون، أبان شيئا آخر عن حال الكفرة وهو أنّه إذا نزلت بهم بليّة أو محنة، فإنّهم يفزعون إلى الله تعالى ويلجؤون إليه؛ وذلك تأثرا منهم بالفطرة التي أودع فيها توحيد الله والحاجة إليه.[1]

ب- **المعنى:**

أي:" قل يا محمد ﷺ لهؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام: أخبروني إن جاءكم، أيّها القوم، عذاب الله كالذي جاء من قبلكم من الأمم الذين هلك بعضهم بالرجفة، وبعضهم بالصاعقة، أو جاءتكم الساعة التي تُنشرون فيها من قبوركم، أغير الله هناك تدعون لكشف ما نزل بكم من عظيم البلاء، إن كنتم محقّين في دعواكم وزعمكم أنّ آلهتكم تنفع أو تضر".[2]

يقول ابن عاشور(1393هـ):" وقوله ﴿ أَرَءَيۡتَكُمۡ ﴾ تركيب شهير الاِستعمال، يفتتح، بمثله الكلام الذي يراد تحقيقه والاِهتمام به. وهمزة الاِستفهام فيه للاِستفهام التقريري".[3]

﴿ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ٤١ ﴾.

أ- **المناسبة:**

"... موقع ﴿ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ ﴾ عقب هذا الاِستفهام موقع النتيجة للاِستدلال، فحرف ﴿ بَلۡ ﴾ لإبطال دعوة غير الله".[4]

ب- **المعنى:**

يقول ابن عاشور:"... وهذا الجواب لمّا كان لا يسع المسؤول إلا إقراره صحّ أن يتولى

---

[1] - ينظر وهبة الزحيلي، التفسير المنير، دار الفكر: 207/7.

[2] - الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 190/5.

[3] - ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 221/7.

[4] - ابن عاشور، المصدر السابق: 224/7-225.

السائل الجواب عنه ... وقيّد كشف الضرّ عنهم بالمشيئة لأنّه إطماع لا وعد".[1]

﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ أي: تنسون عندها ما تشركون به من الأصنام فلا تدعونها ليأسكم من إجابتها لضعفها وحقارتها،[2] هذا تقرير حالهم وقت الضراء وكأنّه يريد أن يقول: أفلا يكون لكم هذا زاجرا عن الشرك في وقت الرخاء خوفا من إعادة الضراء؛[3] أي: فاخشوا الله وادعوه واعبدوه وارجوا منه العافية في كل وقت.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿42﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿43﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿44﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿45﴾﴾.

ولم يُجعل لكل آية ما يخصّها من مناسبة ومعنى؛ لأنّها في معنى واحد، ثم إنّ المفسرين لم يذكروا كلاما كثيرا لكل آية على حدى.

أ- المناسبة:

لمّا أقام لهم بالآية السابقة على توحيده الدليل، حتى استنارت السبل في تذكيرهم أنّ التضرّع قد يكشف به البلاء، أخبرهم أن تركه يوجب الشقاء، ترغيبا في إدامته وترهيبا من مجانبته.[4] وكذلك لمّا أنذرهم بتوقّع العذاب أعقبه بالإستشهاد على وقوع العذاب بأمم من قبل؛ ليعلم هؤلاء أنّ تلك سنّة الله في الذين ظلموا بالشرك.[5]

ب- المعنى:

أي:" أنّ الله قد أرسل بما له من عظمة إلى أناس يؤمّ بعضهم بعضا رسلا فخالفوهم. فسلّط عليهم القتل والفقر... والأسقام والآلام، لعلّهم يدعون الله ويتضرّعون إليه ويخشعون.

---

[1] - ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 7/224-225.

[2] - ينظر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم: 2/58.

[3] - ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 2/635.

[4] - ينظر البقاعي، المصدر السابق: 2/636.

[5] - ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 7/226.

﴿ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ ﴾ أي: فهلا إذ ابتليناهم بذلك، تضرعوا إلينا وتمسكوا لدينا، ولكن ما رقّت ولا خشعت قلوبهم، وزين لهم الشيطان الشرك والمعاندة والمعاصي. ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾ أي أعرضوا عنه وتناسوه، فتحنا عليهم بما يليق بعظمتنا أبواب الخيرات، ونقلناهم من

الشدّة إلى الرخاء، ومددنا زمانه ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ ﴾ بما أوتوا من الأموال والأرزاق أخذناهم بلا إمهال".[1]

﴿ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴾ أي:" آيسون من الخلاص متحسّرون. ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ أي: استؤصلوا بالعذاب عن آخرهم، وانتهى أمرهم، ﴿ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ ناصر أوليائه ومهلك أعداءه، فاذكر هذا لقومك يا رسولنا لعلهم يثوبون إلى رشدهم ويعودون إلى الحقّ الذي تدعوهم إليه وهم معرضون".[2]

فهؤلاء الأقوام لم يرتدعوا بالتأديب ببساط البلاء، ولم ينتفعوا ببساط المنّة والرخاء، بل ظنّوا أنّ البلاء عادة الزمان، والرخاء باستحقاقهم الاِمتنان، فعَلِمَ أنّ قلوبهم لا يرجى لها انتباه بحار أو بارد ولا رطب ولا يابس.[3]

أخرج الإمام أحمد(241هـ) في مسنده عن عقبة بن عامر، عن النبيﷺ قال:" إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحبّ، فإنّما هو استدراج ثم تلى رسول الله ﷺ ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴾".[4]

---

[1] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس: 3/22–23. وينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 2/636.

[2] – أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم: 2/59.

[3] – ينظر البقاعي، المصدر السالبق: 2/636–637.

[4] – رواه أحمد، المسند، باب: حديث عقبة بن عامر الجهني، حديث رقم 17311، مؤسسة الرسالة: 28/547. الحديث أورده الهيثمي في المجمع وسكت عنه. (الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سلمان، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، دط، 1414هـ–1994م: 7/200.)

2- الهدايات المستنبطة:

1- يخاطب الله في هذه الآيات عن طريق رسولهﷺ فطرة المشركين، ويقرّر أنّ التضرّع إلى الله عند الشدائد من الدلائل الفطريّة على توحيده تعالى التي بثّها في الإنسان.

2- قسوة القلب، وتزيين الشيطان للأعمال، سببان في فساد الفطرة.

3- عدم التضرّع إلى الله في البأساء والضرّاء علامة موت الفطرة؛ فيكون هذا سبب من أسباب هلاك الأمم التي يجب الِانتباه إليها وأخذها بعين الِاعتبار.

4- وكما أنّ البلاء مع الفساد يدلّ على خلل في الأمّة يجب استدراكه، كذلك النّعمة مع الظلم والفجور بعد البلاء يدلّ على الِاستدراج للهلاك، وأنّها هالكة لا محالة.

5- ترشد الآية الأخيرة إلى حمد الله عند نهاية كل عمل، وعاقبة كل أمر،[1] و"الحمد لله" في القرآن تأتي في الغالب بعد فصل القضاء، أو بعد انتهاء أمر عظيم: من نصر للمؤمنين أوهلاك للمشركين والكافرين. يقول تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الزمر: الآية 75].

6- ذَمَّ الله سبحانه حزبين: حزبا لا يدعونه في الضراء ولا يتوبون إليه. وحزبا يدعونه ويتضرّعون إليه في الضرّاء، فإذا كشف عنهم الضرّ أعرضوا وعادوا لما نهوا عنه.[2]

والممدوح: هو القسم الثالث: وهم الذين يدعونه، ويتوبون إليه، ويثبتون على عبادته، والتوبة إليه في حال السرّاء، فيعبدونه ويطيعونه في السرّاء والضرّاء وهم أهل الصبر والشكر، كما ذكر ذلك عن أنبيائه عليهم السلام.[3]

3- مناسبة المطلب لسابقه:

1- لمّا وجّهت الآيات السابقة أنظار المشركين إلى حياة الدوابّ للِاتعاظ منها كدليل على التوحيد، استدلّت هذه الآيات على توحيده بدليل الفطرة الذي لا يمكن لهم إنكاره.

2- لمّا أمرت الآيات السابقة المشركين الِاعتبار من أمم الدوابّ والطيور بما أودع الله فيها من مظاهر التفاني في العمل والصبر وغيرها، أمرتهم في هذه الآيات أخذ العبرة مما حدث للأمم السابقة من البشر من العذاب لعدم تضرّعهم في البأساء والضراء.

[1] – ينظر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم: 60/2.

[2] – ينظر ابن تيمية، مجموع الفتاوى، المكتب الإسلامي السعودي: 14/370-372.

[3] – ابن تيمية، المصدر نفسه.

3- أخبرت الآيات في المطلب السابق أنّ الدّواب تُحشر وتُسأل، وبذلك تومئُ الآيات هنا بالنسبة للأمم السابقة؛ إذ ما بعد العذاب والأخذ إلا الحشر والسؤال.

4- مناسبة المطلب لموضوع السورة:

1- تجادل هذه الآيات المشركين في توحيده تعالى بدليل الفطرة؛ بما أودع الله فيها من اللجوء إليه وحده عند الشدائد. وتثير وجدانهم باستعمال أسلوب الاِستفهام التقريري والتركيب ﴿أَرَأَيْتَكُمْ﴾ الذي يُفتتح بمثله الكلام الذي يراد تحقيقه، والاِهتمام به.

2- يخبر الله تعالى أنّه الفعّال لما يريد، المتصرّف في خلقه بما يشاء، وأنّه لا معقّب لحكمه، ولا يقدر أحد على صرف حكمه عن خلقه، بل هو وحده لا شريك له، الذي إذا سئل يجيب لمن يشاء.[1] وهذا مظهر من مظاهر قهره تعالى اللازم عن عظيم قدرته.

3- في هذه الآيات إثبات قدرة الله المطلقة التي تنفي وجود مثلها لأحد غيره، ممّا يدلّ على وجود الله ووحدانيته؛ إذ يبتلي الأمم الكافرة لعلهم يرجعون ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر في سنّة ثابتة عامة لا تتغير. فمن هذه قدرته لا يعقل عبادة غيره.

4- يعتبر إثبات أنّ القرآن والمعجزات المؤيّدة لصدق النبيﷺ من الله وحده -إذ لا طاقة للرسول التصرّف في شيء خارج الحالات المعتادة، ولا الإتيان بشيء مثل القرآن أو تنزيل الآيات الغريبة وإجراء المعجزات الخارقة للعادة[2]- من أهم مظاهر قدرته تعالى التي تجادل السورة المشركين في الألهية من خلالها.

المطلب السابع: من مظاهر القدرة الإلهية وتحديد مهمة الرسل.

[من الآية 46 إلى الآية50]

1- تفسير الآيات:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (46) قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ (47) وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

[1] - ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الحديث: 290/3.

[2] - ينظر وهبة الزحيلي، التفسير المنير، دار الفكر: 221/7.

يَحْزَنُونَ ﴿48﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿49﴾ قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿50﴾ ﴾[سورة الأنعام: الآيات 46-50].

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿46﴾ ﴾.

أ- المناسبة:

استئناف ابتدائي بدأ بـ ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ ﴾ بعد أن بدأ بـ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ ﴾ في الآيات السابقة. ووقع التساؤل في الأولى عمن يدعوا المشركون من غير الله إن جاءهم عذاب الله أو الساعة، وضرب المثل بأمم سابقة مسّها العذاب لعدم تضرّعها، ووقع التساؤل هنا عمن يأتي المشركين بسمعهم وأبصارهم من غير الله إن أخذها الله.

ب- المعنى:

أي: أرأيتم أيّها المشركون بالله غيره، إن أصمّكم الله فذهب بأسماعكم وأعماكم فذهب بأبصاركم، وختم على قلوبكم فطبع عليها؛ حتى لا تفقهوا قولا، ولا تبصروا حجة، وتفهموا مفهوما، أي إله غير الله الذي له عبادة كل عابد، يرد عليكم ما ذهب الله به منكم.[1]

﴿ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ﴾ تعجب لرسول الله ﷺ من عدم تأثّرهم بما عاينوا من الآيات الباهرة أي: انظر كيف نكرّرها ونقرّرها مصروفة من أسلوب إلى أسلوب، ونضرب لهم الأمثال والعبر،[2] ﴿ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ عطف على ﴿ نُصَرِّفُ ﴾ داخل في حكمه، وهو العمدة في التعجيب و﴿ ثُمَّ ﴾ لِاستبعاد صدوفهم عن تلك الآيات بعد تصريفها على النمط الموجب للإقبال عليها.[3]

---

1 - ينظر الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 195/5.

2 - ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 383/2. والطبري، المصدر نفسه.

3 - ينظر أبو السعود، المصدر السابق: 383/2-384.

﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴿47﴾ ﴾.

أ- المناسبة:

يقول الرازي(606هـ):" اعلم أنّ الدليل المتقدّم كان مختصا بأخذ السمع والبصر والقلب. وهذا عام في جميع أنواع العذاب".[1]

ب- المعنى:

أي:" يأمر الله عز وجل الرسولﷺ بأن يقول للمشركين: أخبروني ﴿ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ ﴾ وعقابه على ما تشركون به... وتكذيبكم إياي بعد الذي قد عاينتم من البرهان على حقيقة قولي، ﴿ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً ﴾ فجأة آمنين أو وأنتم تنظرون".[2]

﴿ هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴾ الاِستفهام في قوله: ﴿ هَلْ يُهْلَكُ ﴾ مستعمل في الإنكار؛ لذلك جاء بعده الاِستثناء. والمعنى: لا يهلك بذلك العذاب إلا الكافرون. و﴿ الظَّالِمُونَ ﴾ المخاطبون أنفسهم، فأُظهِر في مقام الإضمار ليتأتى أنّهم ظالمون أي: مشركون؛ لأنّهم ظالمون أنفسهم وظالمون الرسول والمؤمنين.[3]

وإلى هذا المعنى ذهب الطبري (310هـ) وخالفه الرازي (606هـ) بقوله أنّ العذاب يشمل المؤمن والكافر.[4]

﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿48﴾ ﴾

أ- المناسبة:

يقول أبو السعود(982هـ):" كلام مستأنف مسوق لبيان وظائف منصب الرسالة على الإطلاق وتحقيق ما في عهدة الرسل عليهم السلام، وإظهار أنّ ما يقترحه الكفرة عليه، عليه

---

1 – الرازي: مفاتيح لغيب، دار الكتب العلمية: 188/12.

2 – الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 196/5.

3 – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 237/7.

4 – ينظر الرازي، المصدر السابق: 189/12.

السلام، ليس مما يتعلق بالرسالة أصلا".[1] لذلك،" جاءت عطف على قوله تعالى: ﴿ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ ".[2] وهذه الآية مناسبة كذلك لقوله تعالى: ﴿ هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴾ لأنّ هؤلاء الكافرون الظالمون يهلك من هم مثلهم لصدفهم.

ب- **المعنى:**

أي: وما نرسل رسلنا إلا ببشارة أهل الطاعة لنا: بالجنّة والفوز المبين يوم القيامة؛ جزاء منّا لهم على طاعتنا، وبإنذار من عصانا وخالف أمرنا: عقوبتنا إياه على معصيتنا يوم القيامة.[3] فهذه مهمّة الرسل" لا مجيبين إلى ما يقترح الأمم، ولا معذّبين لمن يعاندهم".[4]

﴿ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ ﴾ أي: فمن آمن وصَلُحت أعماله" تصديقا لإيمانه ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ في الدنيا ولا في الآخرة... وأمّا في الدنيا؛ فلأنّ خوفهم فيها يزيد أمنهم في الآخرة...﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ حزنا يضر بحياتهم الأبدية".[5] يقول الطبري(310هـ):" ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ عند قدومهم على ربّهم ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ عند ذلك على ما خلّفوا وراءهم في الدنيا".[6]

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (49) ﴾.

أ- **المناسبة:**

يقول البقاعي(885هـ) في مناسبة هذه الآية لما قبلها:" ولمّا بيّن حال المصلحين، أتبعه حال المفسدين".[7]

---

[1] - أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 384/2.
[2] - ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 238/7.
[3] - ينظر الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 196/5.
[4] - البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 639/2.
[5] - البقاعي، المصدر نفسه.
[6] - الطبري، المصدر السابق: 197/5.
[7] - البقاعي، المصدر نفسه.

ولمّا كان قوله: ﴿فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ﴾ مناسب لـ ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ كان ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ مناسب لكلمة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾.

ب- المعنى:

أي: وأمّا الذين كذّبوا بمن أرسلنا إليه من رسلنا، وخالفوا أمرنا ونهينا، ودافعوا حجّتنا، فإنّهم يباشرهم عذابُنا وعقابنا، على تكذيبهم ما كذبوا به من حججنا، ﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ أي: يكذّبون.[1]

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ۝٥٠﴾.

أ- المناسبة:

أدرجها البقاعي في هذه المجموعة من الآيات[2]، وكذا سعيد حوى(1409هـ)؛ لأنّها مندرجة ضمن مجموعة من التلقينات بصيغة " قل".[3]

يقول أبو السعود(982هـ) في مناسبة هذه الآية لما قبلها:" استئناف مبني على ما أسّس من السنّة الإلهيّة في شأن إرسال الرسل وإنزال الكتب، مسوق لإظهار تبرئته ﷺ عمّا تدور عليه مقترحاتهم".[4]

ب- المعنى:

أي: أنّي لا أدّعي شيئا من هذه الأشياء الثلاثة، حتى تقترحوا عليّ ما هو من آثارها وأحكامها، وتجعلوا عدم إجابتي إلى ذلك دليلا على عدم صحّة ما أدّعيه من الرسالة، التي

[1] – الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 197/5. وقال الطبري:" كان ابن زيد يقول: كل "فسق" في القرآن، فمعناه الكذب".

[2] – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 638/2.

[3] – سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام: 1640/3.

[4] – أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 386/2.

لا تعلُّق لها بشيء مما ذكر قطعا. بل إنّما هي عبارة عن تلقي الوحي من جهة الله عز وجل والعمل على مقتضاه فحسب.[1]

إن هو إلا متّبع لما أوحي إليه، وإتباع ما أوحي إليه هو الدين: وهو طاعة الله، وعبادته علما وعملا بالباطن والظاهر وإنّما ينال من تلك الثلاثة بقدر ما يعطيه الله تعالى؛ فيعلم منه ما علّمه إياه، ويقدر منه على ما أقدره الله عليه، ويستغني عما أغناه الله عنه من الأمور المخالفة للعادة المطّردة أو لعادة غالب الناس.[2]

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ هو ختام للمجادلة معهم وتذييل للكلام المفتتح بقوله ﴿ قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ ﴾، أي: قل لهم هذا التذييل عقب ذلك الإستدلال.[3] وهذا تمثيل لحال المشركين في فساد الوضع لأدلّتهم وعُقم أقيستهم، ولحال المؤمنين الذين اهتدوا ووضعوا الأشياء مواضعها.[4]

﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ استفهام إنكار وهو معطوف بالفاء على الإستفهام الأوّل؛ لأنّه مترتّب عليه لأنّ عدم استواء الأعمى والبصير بديهي لا يسعهم إلا الإعتراف بعدم استوائهما؛ فلا جرم أن يتفرّع عليه إنكار عدم تفكّرهم في أنّهم بأيّهما أشبه.[5]

2- الهدايات المستنبطة:

1- هذه الآيات تتضمن وعدا من الله بأنّه منجّي المؤمنين ودليله أنّه نجى الأنبياء وأتباعهم وعذب الكفرين بشتى أنواع الأخذ.

2- يمَسّ العذاب كلّ من طبْعه الفسق، ويديم الخروج مما ينبغي الإستقرار فيه من الإيمان وما يقتضيه. أمّا الفسق العارض فإنّ صاحبه يُصدر التوبة منه؛ فيعفى عنه.[6]

3- الرسل بشر، مهمّتهم التبشير والإنذار؛ فليسوا خارقين في ذواتهم، وليس لهم الإتيان بالمعجزات، ولا يعلمون الغيب، وما أوتُوا من ذلك فبإذنه تعالى وعطائه ومَنِّه.

---

[1] - أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 386/2.

[2] - ينظر ابن تيمية، مجموع الفتاوى، المكتب الإسلامي السعودي: 11/312-313.

[3] - ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 243/7.

[4] - ابن عاشور، المصدر نفسه.

[5] - ابن عاشور، المصدر نفسه.

[6] - ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 640/2.

4- افتقار العبد لربّه في سمعه وبصره وقلبه وفي كل حياته، يوجب عليه عبادته وحده دون سواه.[1]

5- تقرّر الآية الأخيرة في وضوح وصرامة، أنّ اتباع الوحي وحده هداية وبصر، والمتروك بغير هذا الهادي متروك أعمى.[2]

3- مناسبة المطلب لسابقه:

في المطلب الأوّل احتج الله عليهم بالفطرة وبيّن سنّته في من أعرض عن الدعاء والتضرّع. وفي هذا المطلب يحتجّ عليهم بما أودعهم من النّعم في أجسامهم من سمع وبصر وغيرها. "فهي ضروب شتّى في الاِحتجاج والدعوى إلى توحيد الله".[3]

4- مناسبة المطلب لموضوع السورة:

1- يقول الطبري(310هـ):" وهذا من الله ذكره، تعليم بنيّة الحجّة على المشركين به، يقول له: قل لهم إنّ الذين تعبدونهم من دون الله لا يملكون لكم ضرّا ولا نفعا، وإنّما يستحقّ العبادة عليكم من كان بيده الضرّ والنفع، والقبض والبسط، القادر على كل ما أراد، لا العاجز على كل ما أراد".[4]

2- ويقول الرازي(606هـ) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [سورة الأنعام: الآية 47]:" والمعنى أنه لا دافع لنوع من أنواع العذاب إلا الله سبحانه، ولا محصّل لخير من الخيرات إلا الله سبحانه، فوجب أن يكون هو المعبود بجميع أنواع العبادات لا غيره".[5] وهذا من باب الاِستدلال والاحتجاج بآيات الربوبيّة على استحقاق العبادة لله وحده.

---

[1] – ينظر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم: 62/2.

[2] – ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: 1097/7.

[3] – رشيد رضا، تفسير المنار، دار الكتب العلمية: 344/7.

[4] – الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 195/5.

[5] – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 188/12.

المطلب الثامن: تعليم الله النبيﷺ معاملة المؤمنين وبيان سنّة الافتتان.

[من الآية 51 إلى الآية 55]

1- تفسير الآيات:

﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿51﴾ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿52﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿53﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿54﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿55﴾ ﴾[سورة الأنعام: الآيات 51-55].

﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿51﴾ ﴾.

أ- **المناسبة:**

يقول الشيخ ابن عاشور(1393هـ) في مناسبة هذه الآية لما قبلها:" الأظهر أنّه عطف على قوله: ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ﴾؛ لأنّ ذلك مقدمّة لذكر من مثّلت حالهم بحال البصير وهم المؤمنون، والضمير" به" عائد إلى ﴿ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾وهو القرآن وما يوحى به إلى الرسولﷺ".[1]

ويقول الرازي(606هـ):" لمّا وصف الرسل بكونهم مبشّرين ومنذرين، أمر الرسول في هذه الآية بالإنذار فقال: ﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ ﴾".[2]

ب- **المعنى:**

يقول الطبري(310هـ) في معنى هذه الآية:" وأنذر، يا محمد بالقرآن الذي أنزلناه إليك، القوم الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم، علما منهم بأنّ ذلك كائن، فهم مصدّقون بوعد الله

[1] - ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 244/7.

[2] - الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 198/5.

ووعيده، عاملون بما يرضي الله﴿ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ ﴾أي: ليس لهم من عذاب الله من ينصرهم فيستنقذهم منه، ولا من يشفع لهم عند الله تعال ذكره فيخلّصهم من عقابه".[1]

قال ابن كثير(774هـ):" أي: وأنذر بهذا القرآن يا محمد ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ [سورة المؤمنون: الآية57] ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ الآية [سورة الرعد: الآية 21]. ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ أي أنذر هذا اليوم الذي لا حاكم فيه إلا الله عز وجل لعلّهم يتّقون فيعملون في هذه الدار عملا ينجيهم الله به يوم القيامة من عذابه ويضاعف لهم به الجزيل من ثوابه".[2] وهذا كقوله تعالى في سورة ق: ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ الآية[سورة ق: الآية 45] فهؤلاء إن أنذرتهم يرجى لهم أن يتّقوا معاصي الله ومعصيتك أيّها الرسول.[3]

﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ رجاء مسوق مساق التعليل للأمر بإنذار المؤمنين لأنّهم يرجى تقواهم، بخلاف من لا يؤمنون بالبعث.[4]

وقيل أنّ المراد بـ ﴿ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ الكفار وذلك لدلالة السياق عليه. وهو قول كل من البقاعي(885هـ) وأبو السعود(982هـ) وغيرهم، وهؤلاء الكفار هم: أهل الكتاب وبعض المشركين المجوّزون للبعث.[5]

والأرجح قول من قال أنّهم "المؤمنون"؛ ذلك لأنّ الله مدح "الذين من خشية الله مشفقون" في قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾ [سورة الأنبياء: الآية 28]. وهم في هذه الآية الملائكة. وقوله تعالى أيضا واصفا المؤمنين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ [سورة المؤمنون: الآية 57]. وقوله تعالى:

---

[1] – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 192/12.

[2] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة صفا: 155/3.

[3] – ينظر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم: 64/2.

[4] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 245/7.

[5] – ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 387/2. والبقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 642/2.

﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ [سورة يس: الآية11].

كما أنّ هذه الآية لم تكن مشكلة بالنسبة للإمام الطبري(310هـ) ولا للإمام ابن كثير(774هـ). بالإضافة إلى كونها كتمهيد للحديث عن المؤمنين في الآيات المقبلة.

﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿52﴾ ﴾.

أ- **المناسبة:**

ومناسبة هذه الآية لسابقتها هي كونها عطف على قوله: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ ﴾؛ لأنّه في معنى أنذرهم ولازمهم وإن كره ذلك متكبّرو المشركين.[1]

ب- **المعنى:**

أي:" لا تبعد هؤلاء المتّصفين بهذه الصفات عنك، بل اجعلهم جلساءك وأخصّاءك. وقوله: ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾ أي: يعبدونه ويسألونه ﴿ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾قال سعيد بن المسيب ومجاهد والحسن وقتادة: المراد به الصلاة المكتوبة. وقوله: ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ يريدون بذلك العمل، وجه الله الكريم وهم مخلصون فيما هم فيه من العبادات والطاعات".[2]

﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ هذا الكلام معترض بين النهي وجوابه، متضمّن لنفي الحامل على الطرد أي: حساب هؤلاء الذين أردت أن تطردهم موافقةً لمن طلب ذلك منك، هو على أنفسهم ما عليك منه شيء، وحسابك على نفسك ما عليهم منه شيء فعلام تطردهم؟.[3]

---

[1] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 245/7.

[2] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس: 26/3.

[3] – ينظر الشوكاني، فتح القدير، دار المعرفة: 150/2.

فكونهم فقراء مقدّر عليهم في الرزق هذا حسابهم عند الله، لا شأن لك بـه. كذلك غناك وفقرك هو حسابك عند الله لا شأن لهم بـه. ولا دخل لهذه القيم في قضيّة الإيمان والمنزلة فيه.[1]

﴿فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا تفعل، ولم يفعل ﷺ وصبر عليهم وحبس نفسه معهم.[2] وحاشاه عن وقوع ذلك، وإنّما هو من باب التعريض لئلا يفعل ذلك غيره ﷺ من أهل الإسلام، كقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ الآية [سورة الزمر: الآية 65].[3]

ومما يدل على أنّ النبيﷺ لم يطردهم، ما رواه مسلم عن سعيد بن أبي وقاص قال:" **كُنَّا مَعَ النَّبِيِ سِتَّةُ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا، قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِنَ هُذَيْلٍ، وَبِلَالٍ، وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهُمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقَعَ، فَحَدَّث نَفْسَهُ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾**".[4]

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (53)﴾.

أ- المناسبة:

استئناف مبيّن لما نشأ عنه ما سبق من النهي، وذلك إشارة إلى مصدر ما بعده من الفعل الذي هو عبارة عن تقديمه تعالى لفقراء المؤمنين في أمر الدين بتوفيقهم للإيمان مع ما لهم عليه في أمر الدنيا من كمال سوء الحال.[5]

---

[1] – ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: 1100/7.

[2] – ينظر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم: 64/2.

[3] – ينظر الشوكاني، فتح القدير، دار المعرفة: 150/2.

[4] – مسلم، صحيح مسلم، كتاب: الفضائل، باب: في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، رقم2413، دار إحياء التراث العربي: 1878/4.

[5] – ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 389/2.

أ- **المعنى:**

يقول الطبري(310هـ):" وإنّما فتنة الله تعالى ذكره بعض خلقه ببعض مخالفته بينهم فيما قسّم لهم من الأرزاق والأخلاق... [و معناه] اختبرنا الناس بالغنى والفقر، والعزّ والذلّ، والقوّة والضعف، والهدى والضلال، كي يقول من أضله الله وأعماه عن سبيل الحقّ، للذين هداهم الله ووفّقهم: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾، بالهدى والرشد، وهم فقراء ضعفاء أذلاء، ﴿مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ﴾، ونحن أغنياء أقوياء؟ استهزاء بهم، ومعاداة للإسلام وأهله".[1]

والآية ناظرة إلى ما يأتي في هذه السورة من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ﴾ الآية [سورة الأنعام: الآية 124].

﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ هذا الاستفهام للتقرير. والمعنى: أنّ مرجع الاستحقاق لنعم الله سبحانه هو الشكر، وهو أعلم بالشاكرين له، فما بالكم تعترضون بالجهل وتنكرون الفضل.[2] فالله أعلم بمن يستحقّون أن يفضّلوا لشكرهم، على غيرهم لكفرهم،[3] وفي الكلام تعريض بالمشركين.[4]

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ (54)﴾.

أ- **المناسبة:**

عطف على قوله: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم﴾ وهو ارتقاء في إكرام الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشي وهم المراد بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾.[5]

---

[1] - الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 204/5-205.

[2] - ينظر الشوكاني، فتح القدير، دار المعرفة: 150/2.

[3] - ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 644/2.

[4] - ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 256/7.

[5] - ابن عاشور، المصدر نفسه.

يقول البقاعي(885هـ):" ولمّا نهاه ﷺ عن طردهم، علّمه كيف يلاطفهم".[1]

ب- **المعنى:**

إنّ المقصودون بالنهي في هذه الآية هم المستضعفون من المؤمنين، وقد أمر الله الرسولﷺ أن يقول لهم ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ ﴾ بمعنى سلّمكم الله؛ تطييبا لخواطرهم وإكراما لهم،[2] وذهب إلى هذا القول كذلك كل من الحسن(110هـ) وعكرمة(104هـ).[3]

أما الإمام الطبري(310هـ) فكان له رأي آخر إذ يقول:" وأولى الأقوال في ذلك عندي... قول من قال: المعنيّون غير الذين نهى الله نبيَّه عن طردهم؛ لأنّ ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ﴾الآية، خبر مستأنف بعد تقصي الخبر عن الذين نهى الله نبيّه ﷺ عن طردهم".[4]

﴿ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ أي:" أنّهم يوقنون بأنّ الله قادر على أن ينزّل آيات جمّة. فهم يؤمنون بما نزّل من الآيات وبخاصّة آيات القرآن، وهو من الآيات، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ الآية [سورة العنكبوت: الآية 51]".[5]

يقول ابن كثير(774هـ) في تفسيره لهذه الآية الكريمة:" أي فأكرمهم برد السلام عليهم وبشّرهم برحمة الله الواسعة الشاملة لهم، ولهذا قال: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ ﴾ أي: أوجبها على نفسه الكريمة تفضلا منه وإحسانا وامتنانا".[6]

﴿ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ﴾ قال بعض السلف: كل من عصى الله فهو جاهل.[7]

﴿ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ ﴾فقوله: ﴿ تَابَ ﴾ إشارة إلى الندم على الماضي. وقوله: ﴿ وَأَصۡلَحَ ﴾ إشارة إلى كونه آتيا بالأعمال الصالحة في الزمان المستقبل. ثم قال: ﴿ فَإِنَّهُۥ

[1] - البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 644/2.

[2] - ينظر الشوكاني، فتح القدير، دار المعرفة: 150/2.

[3] - ينظر ابن الجوزي، زاد المسير، المكتب الإسلامي: 48/3.

[4] - الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 206/5.

[5] - ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 257/7.

[6] - ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، مكتبة الصفا: 156/3-157.

[7] - ينظر ابن كثير، المصدر السابق: 157/3.

﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فهو غفور بسبب إزالة العقاب، رحيم بسبب إيصال الثواب الذي هو النهاية في الرحمة.[1]

أخرج البخاري(256 هـ) في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: " **لَمَا قَضَى اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنده فَوْقَ الْعَرْشْ: إنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي**".[2]

وتجدر الإشارة هنا إلى ما أورده الرازي(606هـ)عند تفسيره لهذه الآية من إشكال حول أسباب النزول المتعلّقة بهذه السورة إذ يقول:" ولي ههنا إشكال، وهو: أنّ الناس اتفقوا على أنّ هذه السورة نزلت دفعة واحدة، وإذا كان الأمر كذلك، فكيف يمكن أن يقال في كل آية من آيات السورة أنّ سبب نزولها هو الأمر الفلاني بعينه".[3] وقد ذُكر ما يدفع هذا الإشكال في "أسباب النزول" في "المدخل إلى السورة" من هذا البحث. ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

أ- **المناسبة:**

الواو استئنافية والجملة تذييل للكلام الذي مضى مبتدئا بقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ الآية [سورة الأنعام: الآية 51].[4]

﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ علّة لفعل مقدّر هو عبارة عن المذكور فيكون مستأنفا أي: ولتستبين سبيلهم نفعل ما نفعل من التفصيل.[5]

---

[1] – ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر: 13/6-7.

[2] – رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في قوله تعالى:" وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ"، حديث رقم 3022، دار الهدى: 3/1166-1167.

[3] – الرازي، المصدر السابق: 3/13.

[4] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 260/7.

[5] – ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 391/2.

ب- **المعنى:**

يقول الطبري(310هـ) في تفسيره هذه الآية:" وكما فصّلنا لك في هذه السورة من ابتدائها وفاتحتها، يا محمد، إلى هذا الموضع حجّتنا على المشركين من عبدة الأوثان، وأدلّتنا، وميّزناها لك وبيّناها، كذلك نفصّل لك أعلامنا وأدلّتنا في كل حقّ ينكره أهل الباطل من سائر أهل الملل وغيرهم، فنبيّنها لك، حتى يبين حقّه من باطله، وصحيحه من سقيمه".[1]

وكما هو ملاحظ فإنّ الطبري(310هـ) اختار قراءة من قرأ " السبيلُ" بالرفع؛ لأنّ الله فصّل آياته ليتبيّن الحقّ بها من الباطل جميعُ من خوطب بها، لا بعضٌ دون بعض.[2]

وقرأ نافع بالتاء ونصب "السبيلَ" على أنّه خطاب للنبيﷺ أي: ولتتبيّن أيّها الرسول طريق المجرمين فلا يخفى عليك شيء منها.[3] وحتى على هذا المعنى، فسينتفع بالتفصيل والبيان كل المخاطبين بعد بيان النبيﷺ.

يقول ابن عاشور(1393هـ):" و﴿وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ طريقهم وسيرتهم في الظلم والحسد والكبر واحتقار الناس والتصلّب في الكفر. وخصّ المجرمين؛ لأنّهم المقصود من هذه الآيات كلها لإيضاح خفي أحوالهم للنّبيﷺ والمسلمين".[4]

2- الهدايات المستنبطة:

1- في الآيات أمرٌ من الله تعالى ذكره نبيَّه محمداﷺ بتعليم أصحابه ما أنزل الله إليه من وحيه، وتذكيرهم، والإقبال عليهم بالإنذار. وصدَّ عنه المشركون به، بعد الإعذار إليهم، وبعد إقامة الحجّة عليهم؛ حتى يكون الله هو الحاكم في أمرهم بما يشاء من الحكم فيهم.[5]

2- الرسول بشر قد يجتهد في أمر، وقد لا يوافق اجتهاده إرادة الله؛ فيَنْزِل عليه من القرآن ما يبيّن الصواب في ذلك.

3- تصحيح القرآن لِاجتهادات الرسول، دليل على أنّه من عند الله.

---

[1] - الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 207/5.

[2] - ينظر الطبري، المصدر السابق: 208/5.

[3] - ينظر رشيد رضا، تفسير المنار، دار الكتب العلمية: 371/7.

[4] - ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 260/7-261.

[5] - ينظر الطبري، المصدر السابق: 198/5.

4- وجود الفقراء والأغنياء في هذه الحياة لسنّة الاِبتلاء والاِختبار؛ لذلك نجد "أنّ كلا من فريقي المؤمنين والكافرين مبتلى بصاحبه؛ فالأغنياء الرؤساء يحسدون فقراء الصحابة على سبقهم في الإسلام، والصحابة يرون الكفار في سعة ورفاه".[1]

5- الشاكرون مستوجبون لزيادة النعم، والكافرون مستوجبون لنقصانها وذهابها.[2]

3- مناسبة المطلب لسابقه:

1- لمّا وصف الله المشركين في المطلب السابق أنّهم يصدفون عن الآيات وأنّهم ظالمون وأنّهم لا يتفكرون؛ فلا ينفع فيهم إرسال الرسل ولا النُذر، أمر الرسول هنا بإنذار من تنفع فيهم النُذُر وهم المؤمنين الذين يخافون أن يحشروا إلى ربّهم.

2- لمّا وصف المشركين بالصفات السابقة الذّكر، بيّن هنا تماديهم بأنّ طالبوا النبيﷺ بطرد الفقراء من مجلسه.

3- لمّا بيّن في الآيات السّابقة أنّه من أصلح لا خوفَ عليه، فصّل هنا ذلك بأن أمر النبيﷺ حسن معاملة المؤمنين وعدم طردهم وتبشيرهم برحمة الله.

4- مناسبة المطلب لموضوع السورة:

لمّا كانت معرفة حقيقة المشركين أمرا ضروريا لجدالهم وجزء لا يتجزّء منه، بيّنت الآيات هنا صفة ذميمة من صفاتهم، وهي احتقارهم للمؤمنين الفقراء، وطلبهم من النبيﷺ طردهم من مجلسه. لكنّ الله بيّن للنبيﷺ سبيلهم السّيء وأمره بردّ طلبهم وتبشير المؤمنين بالرحمة والأمان.

المطلب التاسع: مباينة النبيﷺ للمشركين في الدين، وبيان بعض مناطات كمال علم الله وعظيم قدرته.

[من الآية 56 إلى الآية 60].

1- تفسير الآيات:

﴿ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ (56) قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبۡتُم بِهِۦۚ مَا عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ

[1] - وهبة الزحيلي، التفسير المنير، دار الفكر: 7/216-217.

[2] - ينظر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم: 2/65.

يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ ﴿57﴾ قُل لَّوۡ أَنَّ عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۗ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿58﴾ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿59﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿60﴾ ﴾ [سورة الأنعام: الآيات 56– 60].

﴿ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿56﴾ ﴾

أ- المناسبة:

هذه الآية استئناف ابتدائي عاد به الكلام إلى إبطال الشرك بالتبرؤ من عبادة أصنامهم.[1]

يقول البقاعي(885هـ):" لمّا كان محطّ حالهم طرد الضعفاء قصد إتباع أهوائهم، أمره تعالى بأن يخبرهم أنّه مباين لهم – لما بيّن له بالبيان الواضح من سوء عاقبة سبيلهم–مباينة لا يمكن معها إتباع أهوائهم، وهي المباينة في الدين".[2]

وهذه الآيات هي: رجوع إلى مخاطبة المصرّين على الشرك إثر ما أمر بمعاملة من عداهم من أهل الإنذار والتبشير بما يليق بحالهم.[3]

ب- المعنى:

يأمر الله تعالى الرسولﷺ أن يقول: إنّ الله نهاني أن أعبد الذين تدعون من دونه، فلن اتبعكم على ما تدعونني إليه من ذلك ولا أوافقكم عليه ولا أعطيكم محبّتكم وهواكم فيه، وإن فعلت ذلك فقد تركت محجّة الحقّ وسلكت على غير الهدى فصرت ضالا مثلكم على غير استقامة.[4]

[1] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 261/7.
[2] – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 645/2.
[3] – ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 391/2.
[4] – ينظر الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 208/5.

﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ وقوله: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ عطف على يدلّ على ﴿قَدْ ضَلَلْتُ﴾ أنّه إن فعل ذلك يخرج عن حاله التي هو عليها الآن من كونه في عداد المهتدين، إلى الكون في حالة الضلال. ومن طرق العرب في تأكيد الشيء نفي ضده.[1]

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ الْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (57)﴾.

أ- المناسبة:

استئناف ابتدائي انتقل به الكلام من إبطال الشرك بدليل الوحي الإلهي المؤيّد للأدلّة السابقة، إلى إثبات صدق الرسالة بدليل من الله المؤيّد للأدلّة السابقة أيضا.[2]

وهو تحقيق للحقّ الذي عليه رسول الله ﷺ وبيانٌ لإتباعه إياه، إثر إبطال الذي عليه الكفرة وبيان عدم إتباعه له.[3]

ب- المعنى:

﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء العادلين بربّهم الداعين لك إلى الإشراك بربك، ﴿إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ أي إنّي على بيان قد تبيّنْته، وبرهان قد وضح لي، ﴿مِّن رَّبِّي﴾ يقول: من توحيدي، وما أنا عليه من إخلاص عُبُودته من غير إشراك شيء به.[4]

﴿وَكَذَّبْتُم بِهِ﴾ جملة مستأنفة، جيء بها لِاستقباح مضمونها، واستبعاد وقوعه مع تحقّق ما يقتضي عدمه من غاية وضوح البيّنة. والمعنى: أنّي على بيّنة عظيمة كائنة من ربّي وكذبتم بها وبما فيها من الأخبار التي جملتها الوعيد بمجيء العذاب.[5]

---

[1]- ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 263/7.

[2] - ينظر ابن عاشور، المصدر السابق: 264/7.

[3] - ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 392/2.

[4] - ينظر الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 209/5.

[5] - ينظر أبو السعود، المصدر نفسه.

﴿مَا عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ أي: إنّ ربّي تام القدرة، فلا يخاف الفَوْت فلا يعجل. وأمّا أنا فعبد ﴿مَا عِندِي﴾ أي: في قدرتي وإمكاني ﴿مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ أي: في قولكم ﴿فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية [سورة الأنفال: الآية32] ونحوه، حتى أحكم فيكم بما يقتضيه طبع البشر من العجلة.[1]

﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ﴾ أي: إنّ الله يقضي الحق فيهم وفيك، ويفصل به بينك وبينهم، فيتبيّن المحقّ منكم والمبطل.[2]

وقوله: ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ﴾ اعتراض تذييليٌّ مقرِّرٌ لمضمون ما قبله.[3] ومعناه: هو خير من فصل القضايا، وخير الفاتحين في الحكم بين عباده.[4]

﴿قُل لَّوۡ أَنَّ عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۗ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٨﴾.

أ- **المناسبة:**

استئناف بياني؛[5] يبيّن ما إذا كان ما يستعجلون به بيد الرسول ﷺ، ماذا ستكون العاقبة؟ والآية تأكيد لمن زاد قلبه في الجلافة؛ مبيّنا ما في غيره – من الاستعجال– من وخيم العقاب.[6]

ب- **المعنى:**

قل يا محمد لسائليك أن تأتيهم بآية استعجالا منهم بالعذاب: لو أنّ بيدي ما تستعجلون به من العذاب، ﴿لَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ﴾ ففُصِل ذلك أسرع الفصل بتعجيلي لكم ما

---

1 – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 646/2.
2 – ينظر الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 209/5.
3 – أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 393/2.
4 – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا: 157/3–158.
5 – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 269/7.
6 – ينظر البقاعي، المصدر نفسه.

تسألوني من ذلك وتستعجلونه. ولكن ذلك بيد الله، وهو أعلم بوقت الإنتقام منكم، وحال القضاء بيني وبينكم.[1]

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴾ تذييل، وهو اعتراض مقرّرٌ لما أفادته الجملة الامتناعية من انتفاء كون أمر العذاب مفوضا إليه ﷺ، المستتبِع لِإنتفاء قضاء الأمر، وتعليلٌ له.[2]

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿59﴾﴾.

أ- المناسبة:

لمّا كانت الآيات السابقة مثبتة لجزئيات من علمه تعالى وقدرته، وكان ختامها العلم بالظالم وغيره، أتبعها بالإختصاص بما هو أعم من ذلك، وهو: علم مفاتيح الغيب.[3] أي: لمّا كانت الآيات السابقة مثبتة لِإختصاصه بالحكم والفصل بين الرسول والمشركين الناتج عن قدرته، وإحاطة علمه بالتوقيت المناسب وبالظالمين، أتبعها بالاختصاص بعلم مفاتيح الغيب.

وهذه الآية عطف على جملة ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴾على طريقة التخلّص.• والمناسبة في هذا التخلّص هي الإخبار بأنّ الله أعلم بحالة الظالمين؛ فإنّها غائبة عن عيان الناس. وهذا انتقال لبيان اختصاصه تعالى بعلم الغيب وسعة علمه ثم سعة قدرته وأنّ الخلق في قبضته وقدرته.[4]

---

[1] – ينظر الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 210/5.

[2] – ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 393/2.

[3] – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 646/2.

• – التخلص: هو الإنتقال من حديث إلى آخر تنشيطا للسامع، مفصولا بهذا. (السيوطي، الإتقان، دار الكتاب العربي: ص697).

[4] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 270/7.

ب- **المعنى:**

يقول الطبري(310هـ) في معنى الآية:" والله أعلم بالظالمين من خلقه، وما هم مستحقّوه وما هو بهم صانع، فإنّ عنده علم ما غاب علمه عن خلقه؛ فلم يطّلعوا عليه ولم يدركوه، ولن يعلموه ولن يدركوه".[1]

وجاء في صحيح البخاري(256هـ) عن سَالِمِ بنُ عَبْدِ الله، عَنْ أَبِيهِ، أنّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ:" **مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمسٌ لاَ يَعْلَمُهُنَ إلاَّ الله: إِنَّ الله عِنْدَهُ عِلْمُ السَاعَةِ، ويُنْزِّلُ الْغَيْث، ويَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ، ومَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا، ومَا تَدري نَفْسٌ بِأيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ**".[2]

﴿ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ مبيّنة لمعنى ﴿ وَعِندَهُۥ ﴾فهي بيانٌ للجملة التي قبلها، ومفيدةٌ تأكيدا للجملة الأولى أيضا؛ لرفع احتمال أن يكون تقديم الظرف لمجرد الِاهتمام، فأعيد ما فيه طريق متعيِّن كونه للقصر.[3]

﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ أي: محيط علمه الكريم بجميع الموجودات، بريّها وبحريّها، لا يخفى عليه من ذلك شيء.[4] فهو يعلم ما غاب عنكم ويعلم أيضا مع ذلك جميع ما يعلمه جميعكم.[5]

﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ جملة معطوفة على ما قبلها، جاءت لبيان علمه بحال أصغر الأشياء بعد بيان علمه بعظيمها.

---

[1] – الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 211/5.

[2] – رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب:" وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إلاَّ هُو"، حديث رقم 4351، دار الهدى: 1693/4.

[3] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 271/7.

[4] – ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس: 31/3.

[5] – ينظر الطبري، المصدر نفسه.

أي: ولا تسقط ورقة في الصحاري والبراري، ولا في الأمصار والقرى، إلا والله يعلمها. ولا شيء أيضا مما هو موجود، أو ممّا سيوجد ولم يوجد بعد، إلا وهو مثبت في اللوح المحفوظ، مكتوب ذلك فيه.[1]

﴿ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ أي: موضحٌ لأحواله وأعيانه وكل أموره وأحيانه، فثبت أنّه فاعل لجميع العالم، بجواهره وأعراضه، على سبيل الإحكام والإتقان؛ لأنّه وحده عالم بجميع المعلومات. ومن اختص بعلم جميع المعلومات، كان مختصا بصنع جميع المصنوعات وقادرا على جميع المقدرات.[2]

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (60) ﴾

أ- المناسبة:

عَطَف جملة ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ﴾ على جملة ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ انتقالا من بيان سعة علمه إلى بيان عظيم قدرته؛ لأنّ ذلك كلّه، من دلائل الألهيّة تعليما لأوليائه ونعيا على المشركين أعدائه.[3]

ولمّا كان من مفاتيح الغيب الموت والبعث الذي ينكرونه، ذكر هنا دليل ذلك وهو النوم والإيقاظ.[4]

ب- المعنى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ ﴾ أي: ينيمكم فيه على استعارة التوفي من الإماتة للإنامة لما بين الموت والنوم من المشاركة في زوال الإحساس والتمييز، وأصله قبض الشيء بتمامه.[5]

---

1 – ينظر الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 211/5.

2 – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 647/2.

3 – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 275/7.

4 – ينظر البقاعي، المصدر السابق: 648/2. وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 394/2.

5 – ينظر أبو السعود، المصدر نفسه.

﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ أي: يعلم ما كسبتم من الأعمال بالنهار.[1] وهي جملة معترضة لقصد الاِمتنان بنعمة الإمهال، أي: ولولا فضله لما بعثكم في النهار مع علمه بأنّكم تكتسبون في النهار عبادة غيره ويكتسب بعضكم بعض ما نهاهم عنه كالمؤمنين، واقتصر على "النهار"؛ لأنّه وقت أكثر العمل والاِكتساب.[2]

﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ أي:" يوقظكم بعد ذلك النوم المستغرق، فيصرفكم فيما يشاء. ﴿فِيهِ﴾ أي: في النهار الذي تعقّب ذلك النوم بعد استحقاقكم للاِنتقام. ﴿لِيُقْضَىٰ﴾ أي يُتِم. ﴿أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ كَتَبَهُ للموتة الكبرى".[3]

يقول ابن عاشور (1393هـ):" و﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ معطوفة على ﴿يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ فتكون ﴿ثُمَّ﴾ للمهلة الحقيقية، وهو الأظهر. ولك أن تجعل ﴿ثُمَّ﴾ للترتيب الرتبي فتعطف على جملة ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم﴾ أي: وهو يعلم ما تكسبون من المناهي ثم يردّكم ويمهلكم. وهذا بفريق المشركين أنسب".[4]

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ ثمّ إلى الله معادكم ومصيركم. ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ثم يخبركم بما كنتم تعملون في حياتكم الدنيا، ثم يجازيكم بذلك، إن خيرا فخير وإن شرا فشرا.[5]

وهذا الكلام وإن كان خبرا من الله تعالى ذكره عن قدرته وعلمه، فإنّ فيه احتجاجا على المشركين به، الذين كانوا ينكرون قدرته على إحيائهم بعد مماتهم وبعثهم بعد فنائهم.[6]

---

[1] – ينظر الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 211/5–212.

[2] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 276/7.

[3] – البقاعي، المصدر نفسه. والبعث مستعار للإفاقة من النوم؛ لأنّ البعث شاع في إحياء الميت وخاصة في اصطلاح القرآن (ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 276/7–277).

[4] – ابن عاشور، المصدر نفسه.

[5] – ينظر الطبري، المصدر السابق: 213/5.

[6] – ينظر الطبري، المصدر السابق: 212/5.

2- الهدايات المستنبطة:

1- تتجلى حقيقة الألهية في قلب رسول الله ﷺ وهو يجد في نفسه بيّنة من ربه، هو منها على يقين، لا يزعزعه تكذيب المكذّبين ومن ثَم يُخلص نفسه لربه، ويفاصل قومه مفاصلة المستيقن من ضلالهم يقينه من هداه.[1]

ومن اللطائف التي يمكن استخلاصها من هذه الآيات، ما قاله ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ قال:" وتركيب ﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ شاع فجرى مجرى المثل فحذف الفاعل ليصلح التمثّل به في كل مقام... ولذلك إذا جاء في غير طريقة المثل يصرّح بفاعله كقوله تعالى: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ﴾ الآية [سورة الحجر: الآية 66]".[2] فمن المفيد معرفة أصل التراكيب الشائعة؛ ليستفاد منها في الحجاج والإستدلال.

عُلم من هاته الآيات وخاصة الآية 59 والآية 60 عموم علمه تعالى بالكلّيات والجزئيّات، وهذا متّفق عليه عند أهل الأديان دون تصريح به في الكتب السابقة، وما أعلنه إلا القرآن في نحو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ الآية [سورة الحديد: الآية 3]. بخلاف الفلاسفة الذين يعتبرون علم الله يخصّ الكلّيات دون الجزئيّات.[3]

1- جرت عادة القرآن بذكر دلائل الوحدانيّة في أنفس الناس عقب ذكر دلائلها في الآفاق، فجمع ذلك هنا على وجه بديع مؤذن بتعليم صفاته في ضمن دليل وحدانيّته.[4]

2- استدلت الآيات على حقيقة البعث، بنوم الإنسان واستيقاظه، من باب الإستدلال بالشاهد على الغائب.

3- مناسبة المطلب لسابقه:

مجموع الآيات المتعلّقة بالمطلب التاسع هي عودة إلى حقيقة الألهيّة بعد بيان حقيقة الرسالة وحقيقة الرسول في الآيات السابقة.[5]

---

[1] – ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي: 243/7.

[2] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 269/7.

[3] – ينظر ابن عاشور، المصدر السابق: 273/7.

[4] – ينظر ابن عاشور، المصدر السابق: 274/7-275.

[5] – ينظر سيد قطب، المصدر السابق.

4- مناسبة المطلب لموضوع السورة:

بيّنت الآيات، أنَّ الله عالم الغيب والشهادة أحصى كل شيء عددا، وأحاط بكل شيء علما، فكيف لا يُعبد ولا يُرغَب فيه ولا يُرهَب منه. وأين هو في كماله وجلاله من أولئك الأموات من أصنام وأوثان.[1] وهذا الكلام هو عين موضوع السورة.

5- خلاصة المبحث:

قسّم المبحث إلى تسعة مطالب:

فأمّا المطلب الأوّل فقد قررت آياته، قهره تعالى فوق عباده بحكمته وعلمه. وبأسلوب التلقين، قرّر عز وجل أنّه أكبر شهادة على صدق الرسالة؛ بما أخبر عن نبوّة محمد ﷺ في القرآن، الذي يدلّ بدوره على صدقها، بما احتوى من دلائل التوحيد في الآفاق والأنفس. وبيّنت الآيات أيضا أنّه تعالى شهيد بين العباد؛ يحكم بينهم فيما اختلفوا فيه. كما بيّنت أنّ مهمّة الرسول إنذار كل من بلغته الرسالة وعلى المسلمين مواصلة ذلك قدر الطّاقة. وأمر الله الرسول أن يتبرّأ من الشرك ومظاهره، وعلى المسلمين الِاقتداء به في ذلك في كل زمان.

وجاءت هاتان الآيتان في هذا المقام؛ لتكون ككلام جامع لما فصّل قبلُ؛ من بيان قهره لعباده بجلب النفع ودفع الضرّ والرزق وغيرها، وما يستوجب ذلك من الِاستسلام له واتخاذه وليًا والخوف من عذابه، الذي سيأتي تفصيل مظاهره في المطالب اللاحقة. كما أجملتا أيضا ما سيفصّل بعدُ من الآيات؛ ببيان أصناف المكذبين، وأحوالهم بين الدنيا والآخرة.

وأما المطلب الثاني- أطول المطالب- فهو بيانٌ لأصناف الظالمين: المفترين على الله الكذب، والجاحدين بآيات الله الدالّة على التوحيد، سواء من أهل الكتاب أو من المشركين المطبوع على قلوبهم. ثم مواجهتهم جميعا بحالهم يوم الحشر وبما يُقال لهم وبما يرُدّون ويقولون. وجاء الخطاب بالفعل "[illegible]" وصيغة "[illegible]"، موجّها إلى النبيﷺ دون المشركين؛ تسلية له وتجاهلا لهم تعريضا بهم لظلمهم.

واستَعمَلت الآيات الفعل الماضي مثل:"[illegible]" و"[illegible]" في سرد الأحداث؛ لتبدو مشاهد حقيقيّة، لها تأثيرها في السامع وتأتي أُكلَها في الِاتعاظ والزجر. وتصل بذلك الآيات إلى الهدف من إيراد مضمونها، وهو تقرير صفة القهر الازمة عن صفة القدرة، وتقرير العلم الإلهي المطلق عن الزمان، المستوجبان للعبادة.

---

[1] – ينظر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم: 70/2.

ثم يلي هذا المطلب مطلب ثالث مناسب له باعتباره خلاصة وإجمال لما فصّل في الآيات السابقة، من أحوال المشركين في الدنيا والآخرة. فبيّنت الآيات هنا مجمل حالهم في الآخرة وهو الخسران وحمل الأوزار، وكون الحياة الدنيا لهو ولعب.

ولما كانت الآيات قبلُ، بيان لحقيقة الدنيا والآخرة كي يتّعظ المشركون المكذّبون للرسولﷺ، ناسب أن تكون الآيات بعدها تسلية للنبيﷺ؛ بذكر سنّة الله في الرسل، وبيان حقيقة المشركين بأنهم بآيات الله يجحدون، وأنّهم موتى القلوب، وأنّ إيمانُهم بمشيئة الله والآياتُ كذلك.

وبعد ذكر جحود الكافرين لآيات الله في المطلب السابق، تناول المطلب الخامس توجيه المشركين إلى آيات أخرى وهي حياة الدواب التي عموا عنها؛ فهم كالصم البكم في الظلمات. وبيّن أنّ تصرفاتها مثْبَتة في أمّ الكتاب كأعمال البشر، وأنّها محاسبة مثلهم. وقرّرت الآيات مرّة أخرى أنّ الهداية والضلال بيد الله وحده، ووبّختهم لعدم استعمال حواسهم في معرفة الحق.

وبأسلوب التلقين بيّنت الآيات اللاحقة، مصدرا آخر من مصادر المعرفة يتنكّر له المشركون وهو الفطرة. وبيّنت أنّ قسوة القلب وتزيين الشيطان سببان في فسادها. وأمرت الجميع بالاِعتبار بالأمم السابقة، مقرّرة ثلاث سنن تندرج تحت سنّة الهلاك بالذنوب وهي:

- التضرّع في حال الشدّة دون الرخاء يستوجب العقاب.
- عدم التضرّع في كل الأحوال يستوجب العقاب أيضا.
- إذا اجتمعت النعمة مع الظلم والفجور فهو استدراج للهلاك.

وكما قرّرت الآيات السابقة توحيده تعالى في كونه القادر على أن ينجي المستغيث، قرّرت آيات المطلب السابع توحيده تعالى في القدرة على المنع والعطاء وذكرت أمثلة لذلك وهي: إعطاء السمع والبصر أو منعه والختم على القلوب والإتيان بالعذاب. وذلك بأسلوب التلقين للرسول تسليّة له، وبأسلوب الإنكار على المشركين؛ ليفتحوا عقولهم وقلوبهم للحجج الإلهيّة التي تقذفهم من كل جانب. وقرّرت أخيرا أنّ مهمّة الرسل تبشير المؤمنين الصالحين بأنّهم بعيدون عن الهلاك، وإنذار الفاسقين بالعذاب. كما لقّنت الرسولﷺ أن يخبر المشركين أنّه لا يملك القدرات التي تمكّنه من جلب الآيات، وما هو إلا بشرا مرسلا من الله، وأنّهم بما طلبوا منه قوما لا يتفكّرون.

ولمّا ذكرت الآيات السابقة استحقاق العذاب لمن كذّب الرسل وكانوا يفسقون، أمرت الآيات التي بعدها -[من الآية 51 إلى الآية 55]- الرسول أن ينذر من ينفعهم ذلك، وهم المؤمنين لخوفهم من الحشر. وألا يطردهم حتى لا يكون من الظالمين. ثم بيّنت افتتان المشركين والمؤمنين بعضهم ببعض، وخصّت بالذكر قول الحاسدين من المشركين. وأمرته أيضا أن يبشّر المؤمنين التائبين بالمغفرة رحمة من الله بعباده. وأخبرت في الأخير أنّ كل ما فصّل قبلُ عن المشركين، كان من أجل أن يتّضح للنبي ﷺ والمسلمين طريقهم وسيرتهم في الظلم والحسد والكبر واحتقار الناس والتصلّب في الكفر؛ لأنّه لا يمكن التعامل مع فرد أو جماعة وتجنّب آذاهم، إذا لم يُعرف منهج تفكيرهم. وتدلّ هذه الآية على أنّ آيات هذا المطلب وإن كانت في معظمها عن المؤمنين إلا أنّها تعريض بالمشركين؛ بأنّهم قوم لا يؤمنون بالحشر، وأنّهم بعيدون عن الرحمة، وأنّهم لا يشكرون الله، وبأنّهم مجرمون.

أمّا المطلب التاسع والأخير فهو كالتمهيد بالنسبة للمبحث التالي، وله علاقة وطيدة بكل ما سبق؛ إذ يتحدّث الرسولﷺ عن مفاصلته لقومه فيما يعتقدون من عبادة غير الله؛ حتى يبتعد بنفسه عن الضلال ويكون من المهتدين.

وترسيخا للمعاني السابقة من كون الآيات والهداية بيد الله سبحانه لا بيد الرسول ﷺ، بيّن هنا أنّه على بيّنة من أمره والله يحكم بينه وبينهم بالحق، واستعملت الآيات من أجل ذلك أسلوب التلقين الذي يشعر بوجود حوار بين النبيﷺ وقومه مما يدفعهم إلى الاِنتباه والإصغاء. وعطفا على علمه عزّ وجل بالظالمين، ذكر الله تعالى علمه بمفاتيح الغيب، وأنّه أحصى كل شيء عددا، وأحاط بكل شيء علما، وأنّه يبعث الموتى ليحاسبهم على ما علم من أعمالٍ اقترفوها؛ فهو يعلم الجهر وما يخفى، وكل صغير وكبير مستطر؛ فلا يجادل في حكمه أحدا، فكيف يُعبد بعد ذلك غيرُه.

والملاحظ أنّ الموضوعات الجزئيّة المتعلّقة بالمطالب تصبُّ كلها في موضوع "مجادلة المشركين في الألهيّة بمظاهر العلم والقدرة"، بدءا بالقهر الإلهي الناتج عن قدرته تعالى، إلى الحديث عن علم الله المطلق بعالم الغيب والشهادة، مرورا بذكر حال المشركين والكافرين في يوم البعث الدالّ على واسع علمه وعظيم قدرته. ثم تسليّة النبيﷺ المكلّف بالتعامل مع المشركين وجدالهم، والردّ عليهم ببيان سوء استدلالهم وتوبيخهم لعدم استعمال حواسهم. إلى جانب تقريره قهره للدواب بإثبات تصرفاتها في أمّ الكتاب وقهرها بالحشر والمحاسبة، وهو دليل على عدله وحكمته. وأيضا بقهره عز وجل لعباده بما أودعهم من نعمة السمع والبصر

التي لا يأتي بها إلا هو إن ذهبت، وبإثبات أعمالهم وأعمال جميع الدواب في أم الكتاب. وبكون الفطرة حجّة عليهم؛ إذ يدعونه عند الشدائد فينجي بعلمه وحكمته وقدرته من يشاء. وقدرته على إنزال العذاب بالأمم الغابرة، وعدم قدرة الرسولﷺ على الإتيان بالآيات، هي محاجّة لهم في بعض مظاهر قدرته. كما أنّ بيانَ بعض صفاتهم الذميمة كاحتقار المؤمنين، جدالٌ لهم في طباعهم الفاسدة وإبرازٌ لعلمه تعالى بما تظهر وتخفي صدورهم وتعليمٌ للمسلمين سبيل معاشرتهم.

المبحث الثاني: إجمال لبعض ما تعلّق بمظاهر القهر والعلم والحكمة.

[من الآية 61 إلى الآية 73].

تناول هذا المبحث ثلاث مطالب متناسبة موضوعيا؛ إذ تحدث الأول عن بعض مظاهر القهر الإلهي والاستدلال بالفطرة على توحيد الله. وتحدث الثاني عن موقف المشركين من الآيات وبيان التعامل السليم للمسلمين معهم. ثم تلاه مطلب ثالث وهو بيان لمنهج المؤمنين في العبادة.

المطلب الأول: بعض مظاهر قهر الله لعباده و شهادة الفطرة على توحيده.

[من الآية 61 إلى الآية 65].

1- تفسير الآيات:

﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ (61) ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ (62) قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (63) قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ (64) قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ (65) ﴾ [سورة الأنعام: الآيات 61-65].

﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ (61) ﴾

أ- المناسبة:

هذه الآية عطف على جملة ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم ﴾ والمناسبة هنا أنّ النوم والموت خلقهما الله فغلبا شدّة الإنسان كيفما بلغت، فبيّن عقب ذكرهما أنّ الله هو القادر الغالب دون الأصنام.[1]

---

[1] - ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 277/7.

يقول الرازي(606هـ):" اعلم أنّ هذا نوع آخر من الدلائل الدالّة على كمال قدرة الله تعالى وكمال حكمته".[1]

ويقول البقاعي(885هـ):" ولمّا أخبر بتمام العلم والقدرة، -[في قوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾] - أخبر بغالب سلطنته وعظيم جبروته أنّ أفعاله هذه على سبيل القهر لا يُستطاع مخالفتها".[2]

ب- **المعنى:**

يقول الطبري(310هـ) في معنى هذه الآية:" ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ ﴾، والله الغالب خلقِه، العالي عليهم بقدرته، لا المقهور من أوثانهم وأصنامهم، المذلّل المعلو عليهم لذاته، ﴿ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً ﴾، وهي ملائكته الذين يتعاقبونكم ليلا ونهارا يحفظون أعمالكم ويحصونها، ولا يفرّطون في حفظ ذلك وإحصائه ولا يضيّعون".[3]

﴿ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً ﴾ فالمراد أنّ من جملة قهره لعباده إرسال الحفظة عليهم وهؤلاء الحفظة هم المشار إليهم بقوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾ الآية [سورة الرعد: الآية 11]، وقوله: ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ﴾[سورة الإنفطار: الآيتين 10-11].[4]

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ ﴾ الذي لا محيد له عنه ولا محيص، ﴿ تَوَفَّتۡهُ ﴾ أي أخذت روحه كاملة. ﴿ رُسُلُنَا ﴾ من ملك الموت وأعوانه على ما لهم من العظمة بالإضافة إلينا

---

[1] - الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 12/13.

[2] - البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 648/2.

[3] - الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 214/5.

[4] - ينظر الرازي، المصدر السابق: 13/13.

﴿وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ في نفس واحدة ولا ما دونه ولا ما فوقه بالتواني عنه ليتقدّم ذلك عن وقته أو يتأخّر.[1]

﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴿62﴾﴾.

أ- **المناسبة:**

لمّا أشار سبحانه إلى قوّته بذكر الجنود التي تفوت الحصر – وإن كان عنهم غني بصفة القهر – نبّه بصيغة المجهول إلى استحضار عظمته وشامل جبروته وقدرته فقال: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ﴾.[2]

ب- **المعنى:**

﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعني العباد؛ ردّتهم الملائكة بالموت إلى الله، أو أنّ الله عز وجل، ردّهم بالبعث في الآخرة. وفي معنى ردّهم إلى الله تعالى: أنّهم ردّوا إلى المكان الذي لا يملك الحكم فيه إلا الله وحده، أو أنّهم ردّوا إلى تدبيره وحده.[3]

يقول الطبري(310هـ): "﴿أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾ أي له الحكم والقضاء دون من سواه من جميع خلقه، ﴿وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾... وهو أسرع من حسب عددكم وأعمالكم وآجالكم وغير ذلك من أموركم، أيّها الناس، وأحصاها، وعرف مقاديرها ومبالغها".[4]

﴿أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾، تذييل ولذلك ابتدئ بأداة الإستفتاح المؤذنة بالتنبيه إلى أهميّة الخبر، والعرب يجعلون التذييلات مشتملة على اهتمام أو عموم أو كلام جامع.[5]

﴿قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

---

[1] – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 649/2.

[2] – ينظر البقاعي، المصدر نفسه.

[3] – ينظر ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي: 56/3.

[4] – الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 216/5.

[5] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 279/7.

أ- **المناسبة:**

يقول الإمام الرازي(606هـ) في مناسبة هذه الآية لما قبلها:" اعلم أنّ هذا نوع آخر من الدلائل الدالّة على كمال القدرة الإلهيّة، وكمال الرحمة والفضل والإحسان".[1] فالآية إذن استئناف ابتدائي.

ب- **المعنى:**

هذا الكلام استئناف ابتدائي، ولمّا كان تهديدا وافتتح بالإِستفهام التقريري، تعيّن أنّ المقصود بضمائر الخطاب المشركون دون المسلمين وإعادة الأمر بالقول للاِهتمام، والإِستفهام مستعمل في التقرير والإلجاء،• لكون ذلك لا ينازعون فيه بحسب عقائد الشرك.[2]

وبيّن تعالى في هذه الآية أنّه إذا شهدت الفطرة السليمة والخلقة الأصليّة في هذه الحالة بأنّه لا ملجأ إلا إلى الله، ولا تعويل إلا على فضل الله، وجب أن يبقى هذا الإخلاص عند كل الأحوال والأوقات. والتعلّق بشيء مما سوى الله في طريق العبوديّة يقرُب من أن يكون تعلّقا بالوثن، فإنّ أهل التحقيق يسمّونه بالشرك الخفي ولفظ الآية يدلّ على أنّ عند حصول هذه الشدائد يأتي الإنسان بأمور: الدعاء والتضرّع والإخلاص بالقلب وهو الخُفية والتزام الإشتغال بالشكر.[3]

﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ أي: لنكونن ممّن يوحّدك بالشكر، ويخلص لك العبادة، دون من كنّا نشركه معك في عبادتك.[4] وكان العرب يرون الشكر حقا عظيما ويعيّرون من يكفر بالنعمة.[5]

---

[1] – الرازي ،مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 18/13.

• – التقرير والإلجاء: هو حَمْل المخاطب على الإقرار والاِعتراف بأمر قد استقرّ عنده.(السيوطي، الإتقان، دار الكتاب العربي: ص637).

[2] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 280/7.

[3] – ينظر الرازي، المصدر السابق: 17/13–18.

[4] – ينظر الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 216/5.

[5] – ينظر ابن عاشور، المصدر السابق: 282/7.

يقول سيد قطب(1386هـ) عن حال المشركين عند رؤية الخطر:" إنّ تصوّر الخطر، وتذكّر الهول، قد يردّان النفوس الجامحة، ويرقّقان القلوب الغليظة، ويذكّران النفس لحظات الضعف والإنابة؛ كما يذكّرانِها رحمة الفرج ونعمة النجاة".[1]

فالخطاب القرآني متنوّع يخاطب كل أنواع البشر بما يناسبهم ويؤثّر فيهم؛ فهناك من الناس عقلانيّون، يتأثّرون بالخطاب الفكري. ومن الناس من هم عاطفيّون، ومنهم من هم أسراء مطامعهم ومخاوفهم؛ يقتنعون عند ذكر الجزاء: من محاسن الجنّة أو مخاوف النار.[2]

" على أنّه يجب دوما العناية بتَرَاكُمَات المفاهيم الفكريّة العقليّة، لأنّها هي الأساس الراسخ الثابت لتأسيس العقائد التي لا تتزلزل... وإقامة الأدلّة الفكريّة على حقائق الإيمان هي في مقدمّة ما اهتم القرآن ببيانه والتوجيه إليه".[3]

﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ٦٤ ﴾.

أ- المناسبة:

هذه الآية بمثابة الجواب على الاِستفهام الإنكاري في الآية السابقة.

ب- المعنى:

جملة ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا ﴾ تلقين لجواب الاِستفهام من قوله ﴿مَن يُنَجِّيكُم ﴾أن يجيب عن المسؤولين، ولذلك فُصِلت جملة ﴿ قُلِ ﴾؛ لأنّها جارية مجرى القول في المحاورة. وتولى الجواب عنهم؛ لأنّ هذا الجواب لا يسعهم إلا الاِعتراف به.[4]

﴿ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا ﴾ أي من تلك الحالة التي اضطربت لها نفوسكم وخشيتم فيها الهلاك

---

[1] – سيد قطب، في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي: 268/7.

[2] – ينظر عبد الرحمان حبنك الميداني، فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دار القلم، دمشق، ط1، 1417هـ–1996م: 617/1–618.

[3] – عبد الرحمان حبنك، المصدر السابق: 618/1.

[4] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 282/7.

وينجيكم أيضا من كل كرب، ثم مع هذا يا للعجب أنتم تشركون به تعالى أصنامكم.[1] و ﴿ ثُمَّ ﴾ من قوله ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ للترتيب الرتبي؛ لأنّ المقصود أنّ إشراكهم مع اعترافهم بأنّهم لا يلجؤون إلا إلى الله في الشدائد أمر عجيب.[2]

﴿ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ أي: وذلك منكم جهل بواجب حقّه عليكم، وكفر لأياديه عندكم، وتعرّض منكم لإنزال عقوبته عاجلا بكم.[3]

﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (65) ﴾.

أ- المناسبة:

هذا نوع آخر من دلائل التوحيد وهو ممزوج بنوع من التخويف؛ فبيّن كونه تعالى قادرا على إيصال العذاب إليهم من هذه الطرق المختلفة.[4]

وهو استئناف ابتدائي عقّب به ذكر النعمة التي في قوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم ﴾ بذكر القدرة على الاِنتقام؛ تخويفا للمشركين، وإعادة فعل الأمر بالقول للاِهتمام.[5]

ب- المعنى:

أي:" قل لهؤلاء العادلين بربّهم غيره من الأصنام والأوثان، يا محمد: إنّ الذي ينجيكم من ظلمات البرّ والبحر ومن كل كرب، ثم تعودون للإشراك به، هو القادر على أن يرسل عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم، لشرككم به، وادعائكم معه إلها آخر غيره، وكفرانكم نعمه، مع إسباغه عليكم آلاءه ومننه".[6]

---

[1] – ينظر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم: 73/2.
[2] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 283/7.
[3] – ينظر الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 217/5.
[4] – ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 19/13.
[5] – ينظر ابن عاشور، المصدر نفسه.
[6] – الطبري، المصدر نفسه.

وتصوّر العذاب الغامر من فوق، أو النابع من تحت، أشرّ وقعا في النفس من تصوّره آتيا عن يمين أو شمال؛ لتصوّر الإنسان قدرته على دفع الأخيرين دون الأوّلين.[1]

فالمخاطب بضمائر الخطاب هم المشركون، والمقصود من الكلام ليس الإعلام بقدرة الله تعالى فإنّها معلومة، ولكن المقصود التهديد بتذكيرهم بأنّ القادر من شأنه أن يخاف بأسه، فالخبر مستعمل في التعريض مجازا مرسلا مركبا.[2]

﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ أي: يخلط عليكم أمركم فتنازعوا فتختلفوا فتصبحوا شيعا وطوائف وفرقا متعادية يقتل بعضكم بعضا، فيذيق بعضكم بأس بعض.[3]

﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ أي:" أنظر يا محمد، بعين قلبك إلى ترديدنا حججنا على هؤلاء المكذّبين بربّهم، الجاحدين نعمه، وتصريفها فيهم. ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ أي: ليفقهوا ذلك ويعتبروه، فيذّكروا ويزدجروا عمّا هم عليه مقيمون ممّا يسخطه الله منهم، من عبادة الأوثان والأصنام، والتكذيب بكتاب الله تعالى ذكره ورسولهﷺ".[4]

وفي الأمر بالنظر؛ تنزيل للمعقول منزلة المحسوس لقصد التعجيب منه، وتصريف الآيات تنويعها بالترغيب تارة والترهيب أخرى؛ رجاء حصول فهمهم؛ لأنّهم لعنادهم كانوا في حاجة إلى إحاطة البيان بأفهامهم لعلّها تتذكّر.[5]

وأخرج البخاري(256هـ) في صحيحه عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:" **لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾. قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: (أَعُوذُ بِوَجْهِكَ). قَالَ: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قَالَ: (أَعُوذُ بِوَجْهِكَ). ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (هَذَا أَهْوَنُ، أَوْ: هَذَا أَيْسَرُ)**".[6]

---

[1] – ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي: 269/7.

[2] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 283/7.

[3] – ينظر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم: 73/2.

[4] – الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 224/5.

[5] – ينظر ابن عاشور، المصدر السابق: 286/7.

[6] – رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: ﴿**قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ**﴾ حديث رقم 4352، دار الهدى: 1694/4.

1- الهدايات المستنبطة:

1- من مظاهر قهره تعالى لعباده إرسال الحفظة؛ لإحصاء أعمالهم.

2- لله ملائكة موكّلة بقبض الروح وهم لا يقصّرون في حفظها، أو في أي أمر من الله بشأنها. كما له ملائكة تحفظ العباد من الآفات وهم المعقّبات.

ولا عجب في إرسال الحفظة لكتابة الأعمال؛ فسببه نفس سبب إرسال الرسل وهو: إقامة الحجّة على الإنسان، ودليل على العدل الإلهي. يقول تعالى: ﴿ **وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا** ﴿49﴾ ﴾ [سورة الكهف: الآية 49].

3- الحكم والقضاء لله وحده يوم القيامة دون من سواه، " وهو أسرع الحاسبين لا يحتاج إلى فكرة وروية".[1]

4- استدلت الآيات على توحيد الله بشهادة الفطرة السليمة عند الشدائد، ووبّخت المشركين على نسيان هذا الدليل عند الرخاء.

5- في قوله تعالى: ﴿ **قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ** ﴾ دليل على عناية الله بخلقه، ورحمته بهم، ممّا يضفي على قلب الإنسان شعور الحب الذي يربطه بخالقه؛ فتقع النفس ساجدة شاكرة منيبة إلى ربّها. " فالأسلوب القرآني يُقْلب بين الرغبة والرهبة والخوف والرجاء، حتى لا نبطش ولا نطغى".[2]

6- " تحذّر الآيات من الإختلاف المفضي إلى الإنقسام".[3] وهذا الحكم لا يخصّ المشركين وحدهم؛ ودليله حديث البخاري(256هـ) السابق، وما أصاب المسلمين بالفعل حين تهاونوا في تطبيق أحكام دينهم، وهجروا قرآنهم واستبدلوه بقوانين أخرى.

يقول سيد قطب(1386هـ):" إنّه لا نجاة للعصبة المسلمة في كل أرض من أن يقع عليها هذا العذاب: ﴿ **أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ** ﴾... إلا بأن تنفصل هذه العصبة عقيديا وشعوريا ومنهج حياة عن أهل الجاهليّة من قومها... إنّ موقف التميّز والمفاصلة قد يكلّف

---

[1] – وهبة الزحيلي، التفسير المنير، دار الفكر: 235/7.

[2] – الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن، دار الشروق: ص99.

[3] – أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم: ص74.

العصبة المسلمة تضحيّات ومشقّات... غير أنّ هذه التضحيات والمشقّات لن تكون أشدّ ولا أكبر من الآلام والعذاب الذي يصيبها نتيجة التباس موقفها وعدم تميّزه".[1]

2- مناسبة المطلب لسابقه:

لمّا ذكر مظاهر علمه في الآيات السابقة: من العلم بالظالمين، وعلمه بما في البرّ والبحر، وما يسقط من الورق والحَبّ. ذكر في هذه الآيات مظاهر قهره بإرسال الحفظة، والرجوع إلى الله، والحكم بين العباد، وقهرهم بالخوف من ظلمات البرّ والبحر.

3- مناسبة المطلب لموضوع السورة:

ما زالت هذه الآيات تجادل المشركين في توحيد الألهيّة، وتوبّخهم على شركهم ودعاء غير الله سبحانه وقت الفرج، ببيان بعض مظاهر ربوبيّته المتجليّة في صفة القهر، الأزمة عن عظيم قدرته تعالى.

المطلب الثاني: موقف المشركين من الآيات وبيان القرآن للتعامل الصحيح معهم.

[من الآية 66 إلى الآية 70]

1- تفسير الآيات:

﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ (66) لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ (67) وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (68) وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَلَٰكِن ذِكۡرَىٰ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ (69) وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ (70) ﴾[سورة الأنعام: الآيات 66-70].

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ (66) ﴾.

---

[1] - سيد قطب، في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي: 271/7.

أ- **المناسبة:**

عطف على: ﴿ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ﴾ أي: لعلهم يفقهون فلم يفقهوا وكذّبوا.[1]

ويقول الرازي(606هـ): " والضمير في قوله ﴿ وَكَذَّبَ ﴾ إلى ماذا يرجع، فيه أقوال: الأوّل: أنّه راجع إلى العذاب المذكور في الآية السابقة ﴿ وَهُوَ الْحَقُّ ﴾ أي: لا بدّ وأن ينزل بهم. الثاني: الضمير في﴿بِهِ﴾ القرآن ﴿ وَهُوَ الْحَقُّ ﴾ أي: في كونه كتابا منزّلا من عند الله. الثالث: يعود إلى تصريف الآيات ﴿ وَهُوَ الْحَقُّ ﴾ لأنّهم كذّبوا كون هذه الأشياء دلالات".[2]

فالمناسبة بين هذه الآية والتي قبلها منحصرة في ثلاثة احتمالات.

ب- **المعنى:**

أي:" ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ ﴾ أي: بالقرآن الذي جئتهم به، والهدى والبيان. ﴿ قَوْمُكَ ﴾ يعني قريش ﴿ وَهُوَ الْحَقُّ ﴾ أي: الذي ليس وراءه حقّ. ﴿ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ أي: لست عليكم بحفيظ... إنّما عليّ البلاغ، وعليكم السمع والطاعة".[3]

﴿ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ أي:" لست حفيظا عليكم، إنّما أطالبكم بالظواهر من الإقرار والعمل، لا بالأسرار".[4]

" والتعبير عنهم بـ ﴿ قَوْمُكَ ﴾ تسجيل عليهم بسوء معاملتهم لمن هو من أنفسهم، كقوله تعالى: ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ الآية [سورة الشورى: الآية 23]".[5]

﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (67) ﴾.

1- ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 286/7.

2 – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 20/13.

3 – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس: 42/3.

4 – ابن الجوزي، زاد الميسر، المكتب الإسلامي: 61/3.

5 – ابن عاشور، المصدر نفسه.

أ- المناسبة:

يقول ابن عاشور(1393هـ):" وجملة ﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞ﴾ مستأنفة استئنافا بيانيا؛ لأنّ قوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ﴾ يثير سؤالهم أن يقولوا: فمتى ينزّل العذاب؟ فأجيبوا بقوله: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞ﴾".[1]

ب- المعنى:

﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞ﴾ أي:" لكل خبر يخبر الله به، وقت يقع فيه من غير خلف ولا تأخير. قال السدي: فاستقرّ نبأ القرآن بما كان يعدهم من العذاب يوم بدر. وقال مقاتل: منه في الدنيا يوم بدر، وفي الآخرة جهنّم".[2]

﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٦٨﴾.

أ- المناسبة:

"عطف على جملة ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ﴾".[3] ويقول الرازي(606هـ):" اعلم أنّه تعالى قال في الآية الأولى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ﴾ فبيّن به أنّ الذين يكذّبون بهذا الدين فإنّه لا يجب على الرسول أن يلازمهم وأن يكون حفيظا عليهم. ثم بيّن في هذه الآية أنّ أولئك المكذّبين إن ضموا إلى كفرهم وتكذيبهم الِاستهزاء بالدين والطعن في الرسول فإنّه يجب الِاحتراز عن مقارنتهم وترك مجالستهم".[4]

---

[1] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 287/7.

[2] – ابن الجوزي، زاد المسير، المكتب الإسلامي: 61/3.

[3] – ابن عاشور، المصدر السابق: 288/7.

[4] – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 21/13.

ب- المعنى:

قال الرازي(606هـ):" ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ﴾ قيل: إنّه خطاب للنبيﷺ والمراد غيره، وقيل: الخطاب لغيره أي: إذا رأيت أيّها السامع الذين يخوضون في آياتنا".[1]

ويقول ابن الجوزي(597هـ):" وفيمن أريد بهذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: المشركون، والثاني: اليهود، والثالث: أصحاب الأهواء. والآيات: القرآن. وخوض المشركين فيه: تكذيبهم به واستهزاؤهم، ويقاربه خوض اليهود، وخوض أهل الأهواء بالمراء والخصومات".[2]

﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ أي:" فصدّ عنهم بوجهك، وقم عنهم، ولا تجلس معهم... حتى يأخذوا في حديث غير الإستهزاء بآيات الله من حديثهم بينهم".[3]

﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ يقول ابن كثير(774هـ):" والمراد بذلك كل فرد، فرد من آحاد الأمّة، أن لا يجلس مع المكذّبين الذين يحرّفون آيات الله...، فإن جلس أحد معهم ناسيا، **فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ** بعد التذكّر **مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**. ولهذا ورد في الحديث:" **رُفِعَ عَنْ أُمَتِي الْخَطَأُ وَالنِسيَانْ وما اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**"... وهذه الآية هي المشار إليها في قوله: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ ﴾ [سورة النساء: الآية 140]".[4]

إلا أنّ ابن عطية(541هـ) يقول:" لفظ هذا الخطاب محرّر للنبيﷺ وحده، واختلف في معناه فقيل: إنّ المؤمنين داخلون في الخطاب معه".[5]

﴿ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (69) ﴾.

---

[1] – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 21/13.

[2] – ابن الجوزي، زاد الميسر، المكتب الإسلامي: 62/3.

[3] – الطبري، جامع البيان، دار المكتب العلمية: 225/5.

[4] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس: 43/3.

[5] – ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1423هـ-2002م: ص630، وأيد ابن الجوزي ابن عطية فيما ذهب إليه في كتابه زاد المسير، المكتب الإسلامي: 62/3.

أ- **المناسبة:**

"لمّا كانت هذه الآية مكيّة، وكانوا إذ ذاك عاجزين عن الإنكار بغير القلب، قال: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾".[1]

وذكر ابن عاشور (1393هـ) مناسبة إذ يقول:" لمّا كان الإعراض عن مجالس الذين يخوضون بالطعن في الآيات قد لا يحول دون بلوغ أقوالهم في ذلك إلى أسماع المؤمنين عن غير قصد، أتبع الله النهي السابق بالعفو عمّا تتلقّفه أسماع المؤمنين من ذلك عفوا".[2]

ب- **المعنى:**

يقول ابن كثير (774هـ) في معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾: " إذا تجنّبوهم فلم يجلسوا معهم في ذلك، فقد برئوا من عهدتهم، وتخلّصوا من إثمهم".[3]

﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾يقول البقاعي(885هـ):" وما نَهَيْنَا عن المجالس لأنّ عليهم فيها – والحالة هذه – إثما ﴿وَلَٰكِن﴾ نَهَيْنَا لتكون المفارقة إظهارا للكراهة ﴿ذِكْرَىٰ﴾ للخائضين لِإستحيائهم من أذى الجليس. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: ليكون حالهم بذلك حال من يرجى منه التقوى، فيتجنّب الخوض في الآيات إكراما للجليس".[4]

و" فيما تذكّرونهم به، قولان: أحدهما: المواعظ، والثاني: قيامكم عنهم. قال مقاتل:" إذا قمتم عنهم، مَنَعهم من الخوض الحياءُ منكم والرغبةُ في مجالستكم".[5]

---

[1] – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 653/2.

[2] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 292/7.

[3] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الحديث: 315/3.

[4] – البقاعي، المصدر نفسه.

[5] – ابن الجوزي، زاد المسير، المكتب الإسلامي: 63/3.

﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿70﴾ ﴾.

أ- المناسبة:

يقول البقاعي(885هـ):" لمّا أبرز هذا الأمر في صيغة النهي، أعاده بصيغة الأمر اهتماما به وتأكيدا له، وأظهر لهم وصفا آخر هو غاية الوصف الأوّل مع ما ضمّ إليه من الإرشاد إلى الإنقاذ من المعاطب".[1] ففي الآية السابقة قال: ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ بصيغة النهي وهنا قال: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ بصيغة الأمر. كما وصفوا في هذه بكونهم: اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وكذلك غرتهم الحياة الدنيا؛ وهو المقصود من قوله في الأولى ﴿ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، كما زيد في الثانية عاقبة من اتصفوا بهذين الوصفين.

ويقول ابن عاشور(1393هـ) في مناسبة هذه الآية لما قبلها:" هي عطف على جملة ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ أو على جملة ﴿ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ وهذا حكم آخر غير حكم الإعراض عن الخائضين في آيات الله ولذلك عطف عليه".[2]

ب- المعنى:

يقول الإمام الطبري(310هـ) في معنى هذه الآية الكريمة:" ذر هؤلاء الذين اتخذوا دين الله وطاعتهم إياه لعبا ولهوا، فجعلوا حظوظهم من طاعتهم إيّاه اللعب بآياته، واللهو والاِستهزاء بها إذا سمعوها وتليت عليهم، فاعرض عنهم، فإنّي لهم بالمرصاد، وإنّي لهم من وراء الاِنتقام منهم والعقوبة لهم على ما يفعلون، وعلى اغترارهم بزينة الحياة الدنيا، ونسيانهم المعاد إلى الله تعالى ذكره والمصير إليه بعد الممات".[3]

---

[1] – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 653/2.

[2] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 294/7.

[3] – الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 228/5.

ويقول القرطبي(671هـ):" والاِستهزاء ليس مسوغا في دين".[1]

﴿ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ ﴾ أي:" وذكر بالقرآن هؤلاء الذين يخوضون في آياتنا وغيرهم ممن سلك سبيلهم من المشركين، كي لا تبسل نفس بذنوبها وكفرها بربّها، وترتهن فتغلق بما كسبت من إجرامها، في عذاب الله، ﴿لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يقول: ليس لها حين تبسل بذنوبها فترتهن بما كسبت من آثامها أحد ينصرها فينقذها من الله الذي جازاها بذنوبها جزاؤها، ﴿وَلَا شَفِيعٞ﴾ يشفع لها الوسيلة له عنده".[2]

﴿ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴾ فالمقصود من هذه الآية بيان أنّ وجوه الخلاص على تلك النفس منسدّة، فلا ولي يتولى دفع ذلك المحذور، ولا شفيع يشفع فيها، ولا فدية تقبل حتى لو جعلت الدنيا بأسرها فدية من عذاب الله. فإذا كانت وجوه الخلاص هي هذه الثلاثة في الدنيا، وثبت أنّها لا تفيد في الآخرة البتّة، وظهر أنّه ليس هناك إلا الاِبسال الذي هو الاِرتهان، والاِنغلاق والاِستسلام؛ فليس لها دافع من عذاب الله تعالى، الذي صاروا به مرتهنين وعليه محبوسين.[3]

2- الهدايات المستنبطة:

1- وجوب التذكير بالقرآن وخاصّة المؤمنين الذين يرجى توبتهم.[4]

2- وجوب الإعراض عن مجالس المستهزئين بالقرآن أو بالنبي أو بأحكام الإسلام، ومجالس المتأوّلين آيات القرآن بغير الحقّ، وتحريفها عن مواضعها.[5] يقول القرطبي: "ودلّ بهذا على أنّ الرجل إذا علم من الآخر منكرا، وعلم أنّه لا يقبل منه، فعليه أن يعرض عنه إعراض منكر ولا يُقبِل عليه".[6]

---

[1] – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي: 15/7.

[2] – الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 230/5.

[3] – ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر: 30/13.

[4] – ينظر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم: 77/2.

[5] – ينظر وهبة الزحيلي، التفسير المنير، دار الفكر: 250/7.

[6] – القرطبي، المصدر السابق: 12/7.

3- إنّ المستهزئين لاعبون غرّتهم الحياة الدنيا أي: لم يعلموا إلا ظاهرا منها، وإنّ تأصُّل الكفر فيهم أفسد عليهم فطرتهم، فحجب عنهم كل خير.[1]

4- الراجح أنّ الآية: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ الآية، ليست منسوخة، ومعناها الدائم: ليس عليكم شيء من حساب المشركين، وعليكم بتذكيرهم وزجرهم.[2]

5- من مات على كفره لم ينج من النار إذ لا يجد فداء، ولا شفيعا يخلّصه من النار بحال.[3]

3- مناسبة المطلب لسابقه:

لمّا بيّن الله تعالى مظاهر قهره وقدرته في آيات المطلب السابق، وبيّن قدرته على بعث العذاب، ناسب أن يبيّن في آيات هذا المطلب كيف كذّب قوم قريش بهذا العذاب، وتعاموا على تلك المظاهر، ونسوا تضرّعهم ساعة الخوف. وتفرّع عن ذلك بيانُ كيفية تعامل المؤمنين مع هؤلاء المنكرين الجاحدين الخائضين في آيات الله.

4- مناسبة المطلب لموضوع السورة:

لمّا كان موضوع السورة محاجّة المشركين في توحيده تعالى بمظاهر علمه وقدرته، ناسب أن يذكر الله عز وجل في هذه المجموعة من الآيات، موقفهم من هذه الدلائل الواضحات وهو تكذيبهم بها، وناسب كذلك أن يبيّن للرسولﷺ وأصحابه التعامل الصحيح مع هؤلاء الخائضين في الآيات فهو انتقال من المحاجّة والمجادلة بالقول إلى تطبيق مقتضاها.

المطلب الثالث: منهج المؤمنين في العبادة وذكر بعض صفات الله الموجبة لذلك.

[من الآية 71 إلى الآية 73].

﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (71) وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (72) وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ

---

[1] – ينظر وهبة الزحيلي، التفسير المنير، دار الفكر: 251/7.

[2] – وهبة الوحيلي، المصدر نفسه.

[3] – ينظر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم: 77/2.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿73﴾ ﴾[سورة الأنعام: الآيات 71- 73].

﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿71﴾ ﴾.

أ- المناسبة:

تظهر مناسبة الآية لما قبلها فيما يلي:

- لمّا تقرّر أنّ غير الله لا يمنع من الله بنوع، لا آلهتهم ولا غيرها، كانت هذه الآية في غاية التبكيت لهم.[1]

- قال ابن عاشور (1393هـ): " الجملة استئناف ابتدائي لتأييس المشركين من ارتداد بعض المسلمين عن الدين".[2]

- لمّا ذكر في الآية السابقة أوصاف المشركين التي تسبّبت لهم في العذاب، بيّنت هذه الآيات في المقابل ما هم عليه المؤمنون من الهدى والتسليم لله.

- لمّا أمرت الآيات السابقة بالإعراض عن الذين يخوضون في آيات الله، وقد كانوا يهدفون من ذلك إلى ردّ المسلمين على أعقابهم، جاءت هذه الآية تأييسا للمشركين وتثبيتا للمؤمنين.

- ربّما كان من بين الذكر في قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ الآية، أن يقولوا لهم ما جاء في هذه: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾ الآية.

---

[1] - ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 654/2.

[2] - ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 299/7.

– لمّا كان وصفهم بالكفر والشرك بعد دعائهم لله وحده في الشدّة، سببه عبادة غير الله والإخلال بتوحيد الألهية، جاءت هذه الآية كتصحيح وتبكيت لهم على تصوّرهم ذاك.

ب- المعنى:

يقول الإمام الطبري(310هـ):" وهذا تنبيه من الله تعالى ذكره نبيّه ﷺ على حجّته على مشركي قومه من عَبدة الأوثان، يقول له تعالى ذكره: قل يا محمد، لهؤلاء العادلين بربّهم الأوثان والأنداد، والآمرين لك بإتباع دينهم وعبادة الأصنام معهم: أندعو من دون الله حجرا أو خشبا لا يقدر على نفعنا أو ضرّنا، فنخصّه بالعبادة دون الله".[1]

وأمّا الاِستفهام في هذه الآية فهو:" استفهام إنكار وتأييس، وجيء بنون المتكلّم ومعه غيره؛ لأنّ الكلام من الرسولﷺ عن نفسه وعن المسلمين كلّهم".[2]

﴿ وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ يقول البقاعي(885هـ) في معناها:" ولمّا ذكر عدم المنفعة في دعائهم، أشار إلى وجود الخسارة في رجائهم فقال: ﴿ وَنُرَدُّ ﴾أي: برجوعنا إلى الشرك،... ﴿ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا ﴾أي: فنأخذ في الوجه المخالف لقصدنا فنصير كل وقت في خسارة بالبعد عن المقصود. ﴿ بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ أي: الذي لا خير إلا وهو عنده ولا ضرّ إلا وهو قادر عليه، إلى التوجّه نحو المقصد، ووفّقنا له وأنقذنا من الشرك".[3]

﴿ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ ﴾ يقول الطبري (310هـ):" وهذا مثَلٌ ضربه الله تعالى ذكره لمن كفر بالله بعد إيمانه، فاتبع الشياطين، من أهل الشرك بالله، وأصحابه الذين كانوا أصحابه في حال إسلامه، المقيمون على الدين الحقّ، يدعونه إلى الهدى الذي هم عليه مقيمون، والصواب الذي هم به متمسكون، وهو له مفارق".[4]

---

[1] – الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 231/5.

[2] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 300/7.

[3] – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 655/2.

[4] – الطبري، المصدر السابق: 232/5.

وشرح ابن عاشور هذا التمثيل البديع بلاغيا فقال:" وقد شبّهت بهذا التمثيل العجيب حالة من فُرض ارتداده إلى ضلال الشرك بعد هدى الإسلام، لدعوة المشركين إياه وتركه أصحابه المسلمين الذين يصدونه عنه، بحال الذي فسد عقله باستهواء من الشياطين والجنّ، فَتَاهَ في الأرض بعد أن كان عاقلا عارفا بمسالكها، وترك رفقته العقلاء يدعونه إلى مرافقتهم".[1]

﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ هذه الجملة مستأنفة استئناف تكرير لِما أُمر أن يقوله المؤمنون للمشركين إذا دعوهم للرجوع إلى الكفر.[2] يقول أبو السعود(982هـ): "﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ ﴾ الذي هدانا إليه وهو الإسلام ﴿ هُوَ الْهُدَىٰ ﴾ وحده وما عداه ضلال محض... وتكرير الأمر؛ للاِعتناء بشأن المأمور به، ولأنّ ما سيق، للزجر عن الشرك، وهذا حث على الإسلام، وهو توطئة لما بعده؛ فإنّ اختصاص الهدى بهداه تعالى مما يوجب الاِمتثال بالأوامر الواردة بعده".[3]

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ﴾ توطئة لما بعده باعتبار أنّه" دخل فيه جميع أقسام المأمورات والاِحتراز عن كل المنهيات".[4]

﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ هذه الجملة عطف على ما أُمر الرسول والمؤمنون أن يقولوه للمشركين. وهذا مقابل قوله: ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ الآية وقوله ﴿ قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ الآية.[5]

ويقول الطبري(310هـ) في معناها:" وأَمرنا ربّنا ورب كل شيء تعالى وجهه، لنسلم له، ولنخضع له بالذلّة والطاعة والعبوديّة، فنخلص ذلك له دون ما سواه من الأنداد والآلهة".[6]

﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿72﴾ ﴾.

---

[1] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 302/7.

[2] – ينظر ابن عاشور، المصدر السابق: 303/7.

[3] – أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 401/2.

[4] – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر: 22/13.

[5] – ينظر ابن عاشور، المصدر السابق: 304/7.

[6] – الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 234/5.

أ- المناسبة:

ذكر الرازي(606هـ) كلاما جامعا في علاقة هذه الآية بسابقتها إذ يقول:" والله سبحانه وتعالى لمّا بيّن أوّلا أنّ الهدى النافع هو هدى الله، أردف ذلك الكلام الكلي بذكر أشرف أقسامه على الترتيب وهو الإسلام الذي هو رئيس الطاعات الروحانية، والصلاة التي هي رئيسة الطاعات الجسمانية، والتقوى التي هي رئيسة لباب التروك والاِحتراز عن كل ما لا ينبغي، ثم بيّن منافع هذه الأعمال فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ يعني أنّ منافع هذه الأعمال إنّما تظهر في يوم الحشر والبعث والقيامة".[1]

ب- المعنى:

أي: أسلموا لله وأقيموا الصلاة لوجهه واتقوه، بأن تقيموها لا على وجه الهزأ بل على وجه المراقبة، ليدلّ ما ظهر منها على ما بطن من الإسلام للمحسن.[2]

وخُصّت الصلاة بالذكر هنا للاِهتمام؛[3] لذلك يكون الأمر بالتقوى في جميع المأمورات لا في أمر الصلاة وحده.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ هذه الآية" جملة مستأنفة موجبة للاِمتثال بما أَمر به من الأمور الثلاثة".[4] وقد جاءت مشتملة على عدّة مؤكّدات وهي: صيغة الحصر بتعريف الجزأين – هو والذي- وتقديم معمول ﴿تُحۡشَرُونَ﴾ - إليه- المفيد للتقوى.[5]

كما أقرّت البعث الذي ينكره المشركون، لكثرة ما أقام من الأدلّة على تمام القدرة، وذلك في سياقٍ دالٍ على أنّه ممّا لا مجال للخلاف فيه.[6] وسلكت في إثبات الحشر طريق الكناية بقصره على الله تعالى المستلزم وقوعه، وأنّه لا يكون إلا إلى الله، تعريضا بأنّ ألهتهم لا

[1] – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر: 32/13.
[2] – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 655/2-656.
[3] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 306/7.
[4] – أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 401/2.
[5] – ينظر ابن عاشور، المصدر نفسه.
[6] – ينظر البقاعي، المصدر السابق: 656/2.

تغني عنهم شيئا،[1] وكذلك للإشارة إلى أنّ لا كلام هناك لسواه، ولا تناصر بين المحشورين كما في الدنيا. والجملة أيضا كالتعليل للأمر بالتقوى.[2]

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿73﴾ ﴾.

أ- المناسبة:

لمّا بيّن في الآيات المتقدّمة فساد طريقة عبدة الأصنام، ذكر هنا أنّه لا معبود إلا الله وحده، بأنواع كثيرة من الدلائل.[3] وهذه الآية عطف على قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾.[4]

ب- المعنى:

يتحدّث الطبري(310هـ) عن معنى هذه الآية رابطا إيّاها بمقدّمة السورة وبالآية قبلها فقال:" يقول تعالى لنبيّه محمدﷺ : قل، يا محمد لهؤلاء العادلين بربّهم الأنداد، الدَّاعِيكَ إلى عبادة الأوثان: ﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الذي خلق السموات والأرض بالحقِّ، لا من ينفع ولا يضر، ولا يسمع ولا يبصر".[5] والقصر هنا حقيقي، إذ ليس ثَمَّ ردَّ اِعتقاد؛ لأنّ المشركين يعترفون بأنّ الله هو الخالق، والمقصود الِاستدلال بالقصر على استحقاقه العبادة.[6]

وجمع ابن الجوزي(596هـ) معنى قوله تعالى: ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ في أربعة أقوال: أحدها: خَلَقهما للحقِّ. والثاني: خَلَقهما حقًّا. والثالث: خَلَقهما بكلامه وهو الحقُّ. والرابع: خلقهما بالحكمة.[7]

---

[1] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 306/7.

[2] – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 656/2.

[3] – ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمي: 33/13.

[4] – ينظر ابن عاشور، المصدر نفسه.

[5] – الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 235/5.

[6] – ينظر ابن عاشور، المصدر نفسه.

[7] – ينظر ابن الجوزي، زاد المسير، المكتب الإسلامي: 67/3.

﴿وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ﴾ هذه الجملة استئناف لبيان أنّ خَلْقه تعالى لِما ذَكر من السماوات والأرض، يتمّ بمحض الأمر التكويني من غير توقّفٍ على شيءٍ آخر أصلا.[1] وهي معطوفة على التي قبلها لمناسبة ملابسة الحقّ لأفعاله تعالى؛ فبيّنت ملابسة الحقّ لأمره تعالى الدالّ عليه ﴿يَقُولُ﴾. والمراد بـ ﴿وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن﴾ يوم البعث لقوله بعده ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾.[2]

﴿وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ﴾، فإنّه خَصّ بالخبر عن ملكه يومئذ؛ لأنّه لا منازع له فيه يومئذ ولا مدّعي له، وأنّه المنفرد به دون كل من كان ينازعه فيه في الدنيا من الجبابرة.[3]

﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ﴾ يقول الرازي(606هـ):" ولا شُبهة أنّ المراد منه يوم الحشر، ولا شبهة عند أهل الإسلام أنّ الله سبحانه خلق قرنا يَنفخُ فيه ملك من الملائكة وذلك القرن يسمى بالصور".[4] وليس الصور جمع صُوَرْ كما زعم بعضهم؛ أي ينفخ في صُوَرِ الموتى.[5]

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ ومناسبة هذه الآية هنا أنّه" لمّا انتهى المقصود من الإخبار عن شؤون من شأن الله تعالى اتبع بصفات تشير إلى المحاسبة على كل جليل ودقيق وظاهر وباطن".[6] وهذا" على عادته سبحانه في أنّه ما ذكر أحوال البعث إلا قرّر فيه أصلين: القدرة على جميع الممكنات، والعلم بجميع المعلومات الكليات والجزئيات؛ لأنّه لا يقدر على البعث إلا من جمع الوصفين".[7] فالإيمان بالبعث راجع في أصله إلى الإيمان بصفاته تعالى.

﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ عطف على قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾.[8]

---

[1] – ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 401/2.
[2] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 307/7.
[3] – ينظر الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 237/5.
[4] – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 28/13.
[5] – ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي: 20/7.
[6] – ابن عاشور المصدر السابق: 309/7.
[7] – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 657/2.
[8] – ينظر ابن عاشور، المصدر نفسه.

﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ التام الحكمة، فلا يضع شيء في غير محلّه؛ فلا معقّب لأمره؛ فلابد من البعث. ﴿ٱلۡخَبِيرُ﴾ بجميع المصادر والموارد؛ فلا يخفى عليه شيء من أفعال عباده في ظاهر ولا باطن ليُهْمِلَهم من الحساب.[1]

فكانت الصفتان كالخلاصة لما فصّل في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾ وقوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾.[2]

2- الهدايات المستنبطة :

1- إنّ الله هو الضار النافع، والإنسان الفطن يدعو ويعبد من هذا وصفه لا من لا قدرة له، لا على النفع ولا على الضر. ويمكن لكل من استعمل عقله أن يصل إلى هذه النتيجة.

2- من توصل إلى النتيجة السابقة، لا يمكن له أن يترك الشياطين تلعب بعقله، ولا أن يجيب دعوة أهل الباطل، فيرتدّ عن دينه فتكون له سوء العاقبة؛ إذ لا هدى ولا نجاة إلا في اتباع دين الإسلام.

3- وجوب الإسلام لله تعالى وإقامة الصلاة واتقاء الله تعالى بفعل المأمور وترك المنهي،[3] وخصّ الصلاة لما لها من مكانة يوم الحساب إذ أنّها أوّل ما يسأل المرء عنه.

4- جمعت الآية الأخيرة كل صفات الكمال التي ذُكرت في هذا الفصل، من تمام القدرة وشمول العلم. فهو الذي خلق هذه الدنيا ثم يبعث الموتى ويملك يوم الفصل فلا حاكم سواه. كما أنّه يعلم كل ما ظهر وكل ما خفي؛ فلا يظلم بذلك أحدا. فالآية تنبيه لكل من ألقى السّمع وهو شهيد.

3- مناسبة المطلب لسابقه:

لمّا بيّنت الآيات السابقة تكذيب المشركين بالحقّ، وأمرت الرسولﷺ وأصحابه بالإعراض عنهم لِإستهزائهم بالآيات، ناسب أن تبيّن هذه في المقابل، حال المسلمين مع دلائل التوحيد وكيف أنّهم موحدين لله في ألوهيّته بعد توحيده في ربوبيّته.

---

1 - ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 657/2.

2 - ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 310/7.

3 - ينظر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم: 79/2.

4- **مناسبة المطلب لموضوع السورة:**

لمّا كان موضوع سورة الأنعام محاجّة المشركين في لازم الربوبيّة، ناسب أن تبيّن هذه الآيات توحيد المسلمين لله في ألوهيته؛ بدعائه والتسليم له وإقام الصلاة وغيرها، في مقابل إنكار المشركين وعبادة ما لا ينفعهم ولا يضرّهم.

5- **خلاصة المبحث:**

تناول هذا المبحث في ثلاث مطالب متناسبة موضوعيا؛ إذ تحدّث الأوّل عن بعض مظاهر القهر الإلهي والاستدلال بالفطرة على توحيد الله. وناسب أن يأتي بعده موقف المشركين من كل الآيات وبيان التعامل السليم للمسلمين معهم. ثم تلاه مطلب ثالث، وهو بيانٌ وبأسلوب التلقين لمنهج المؤمنين في العبادة كرد على الكافرين، وذكرٌ لصفات الله الموجبة لذلك. ومناسبة المطالب لموضوع السورة واضحة وجليّة؛ فهي تجادل المشركين بنصب الأدلّة، وبناء موقف سليم للمسلمين منهم، وبيان المنهج الحقّ في العبادة.

وتمثّلت مظاهر القهر في المطلب الأوّل في إرسال الحفظة؛ لإحصاء الأعمال وإقامة الحجّة عليهم، وفي إرسال الملائكة لقبض الروح، وفي الرجوع إلى الله والمحاسبة، وفي بعث العذاب من فوق ومن تحت الأرجل وأن يلبس الناس فرقا يتنازعون فيما بينهم. كما تعرّضت الآيات وبأسلوب التلقين إلى دليل الفطرة الذي أودعه الله في الإنسان؛ إذ لا يدعو في ظلمات البرّ والبحر وفي كل كرب إلا إياه إيمانا بقدرته، وبعد النجاة يشركون. ثم يُشهد الله نبيّه على وضع الآيات ليفقهها ويفهمها الناس.

وكان موقف المشركين من هذه الآيات- كما جاء في المطلب الثاني- غير ما كان مرجوا من وضعها؛ إذ كذّبوا بها وبالقرآن المنزّل من عند الله، الذي لقّن النبيﷺ أن يخبرهم بأنّه ليس عليهم بوكيل وأنّ لكلّ نبأ موعدا. وأمره أن يعرض عن الذين يخوضون في الآيات الموضوعة للإيمان، وأن يتجنّب الجلوس مع الظالمين فور تذكّره إن أنساه الشيطان. وأنّ المتّقين غير محاسبين على ما يسمعون من أقوال الكفرة دون قصد منهم، ولكن أُمروا فقط بعدم المجالسة لما له من تأثير على قلوب الظالمين الخائضين. ووصفهم أيضا بأنّهم اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وأنّهم مغرورون بالحياة الدنيا. ثم أُمر النبي أن يذكّرهم؛ حتى لا تُحبس

النفس بما كسبت من أعمال، ثم لا تجد وليا ولا شفيعا ولا يقبل منها عدل، ثم يكون لها شراب من حميم وعذاب أليم لكفرها.

وفي المطلب الأخير يلقّن الله رسوله أن يسأل قومه سؤال إنكار؛ ليخبرهم أنّه والمسلمين لا يعبدون من دون الله ما لا ينفع ولا يضر، ولن يُرَدّوا على أعقابهم بعد الهدى. ويلقّن الله تعالى رسوله أيضا أن يخبرهم ألا هدى إلا هدى الله، وأنّ المؤمنون مأمورون أن يسْلموا لله قلبَهم، وأن يقيموا الصلاة خاشعة قلوبهم وجوارحهم، وأن يتّقوه في كل شيء، وليُعلم أنّ الحشر إلى الله رب العالمين وحده. ويُختم المطلب بآية يقرّر الله فيها أنّه خلق السماوات والأرض بالحكمة، وأنّه يقول ليوم البعث كن فيكون، وأنّ الحقّ ملابس لأفعاله وأقواله، وأنّ له الملك وحده في ذلك اليوم العظيم الذي جعل مبدأه بالنفخ في الصور. وقرّر أيضا في فاصلة الآية علمه بعالم الغيب وعالم الشهادة وعلمه بما يكسب الإنسان في الدنيا فيحاسبه عليها حساب العليم، وهو الحكيم في خلق السموات والأرض وبوضع البعث؛ إذ لا يضع شيء في غير محلّه.

خاتمة الفصل:

1- تتمثّل العلاقة بين مبحثي الفصل الثاني في علاقة الإجمال والتفصيل؛ فلمّا فصّلت آيات المبحث الأوّل القهر الإلهي المتمثّل في حالة المكذبين عند معرفتهم لحقيقة ما ينتظرهم يوم البعث من عذاب، وسنّة الهلاك بالذنوب، تكفّلت آيات المبحث الثاني ببيانه من خلال من يقوم بهذا العذاب وهم الملائكة، ومراحل ذلك؛ بدءًا بإرسال الحفظة إلى قبض الروح ثم حشرهم إلى الله للمحاسبة، وكذلك بعث العذاب من فوق ومن تحت الأرجل وإلقاء الفتنة بين الناس جزاء لهم.

2- تَمثّل دليل الفطرة في المبحث الأوّل، بدعاء الله أثناء العذاب، وعند قيام الساعة، وكذلك عند ذهاب السمع والبصر. وتمثّل في الثاني بدعاء الله واللجوء إليه في ظلمات البر والبحر.

3- فصّلت الآيات في المبحث الأوّل بعض مواقف المشركين المتمثلة في: طلب الآيات، والتكذيب، واحتقار المؤمنين. وأجملت موقفهم في المبحث الثاني بكونهم كذّبوا بالآيات وبالقرآن وهو الحقّ.

4- فصّلت الآيات حال المشركين بين الدنيا والآخرة في المبحث الأوّل، ثم بيّنت في الثاني أنّ تلك الأنباء آت موعدُها لا محالة.

5- بيّنت آيات المبحث الأوّل حال النبيﷺ بالنسبة لتكذيبهم وحال الرسل أيضا. ثم بيّنت آيات الثاني أنّه ليس عليهم بوكيل. وناسب أن يعلّم الله نبيّه نتيجةً لتكذيبهم ذاك، كيف يعاملهم. وأن يذكّرهم بأنّهم لن يجدوا في ذلك اليوم الأولياء والشفعاء، ولن يُقبل منهم العدل، وأن ليس لهم إلا شراب من حميم وعذاب أليم.

6- تعرّض المبحثان لبراءة الرسولﷺ وكذا المؤمنين من عبادة غير الله؛ وذلك لملابسة الحقّ لأفعاله تعالى وأقواله، ولكون الحشر إليه وحده، والحكم له وحده، والملك له وحده يوم القيامة. إلا أنّ آيات المبحث الأوّل في الختام، فصّلت علمه تعالى ببعض الجزئيات وذكرت علمه سبحانه بمفاتيح الغيب، أما آيات الثاني فأجملت ذلك بكونه وحده عالم الغيب والشهادة.

7- المواضيع متكرّرة في سياقات مختلفة وعلاقة الإجمال والتفصيل بينها واضحة، وتقريرٌ لحقائق في المبحث الأوّل وبيانٌ لنتيجة ذلك في الثاني. وفي كليهما تلقينٌ للنبيﷺ

الردّ المناسب على المشركين بالقول والفعل، وذكرٌ لمآل تكذيبهم أحيانا، وضربٌ للأمثال في ذلك أحيانا أخرى.

الفصل الثالث

الاِستدلال بقصة ابراهيم على التوحيد.

(من الآية الرابعة والسبعين إلى الآية الرابعة والتسعين)

المبحث الأول: حجة إبراهيم على قومه.

(من الاية الرابعة والسبعين إلى الآية الثالثة والثمانين)

المبحث الثاني: تعداد لبعض الأنبياء وبيان هداهم وبعض أحكام الرسالة.

(من الآية الرابعة والثمانين إلى الآية التسعين)

المبحث الثالث: إنكار الرسالة شركٌ وظلمٌ يستحق العقاب.

(من الآية الواحدة والتسعين إلى الآية الرابعة والتسعين)

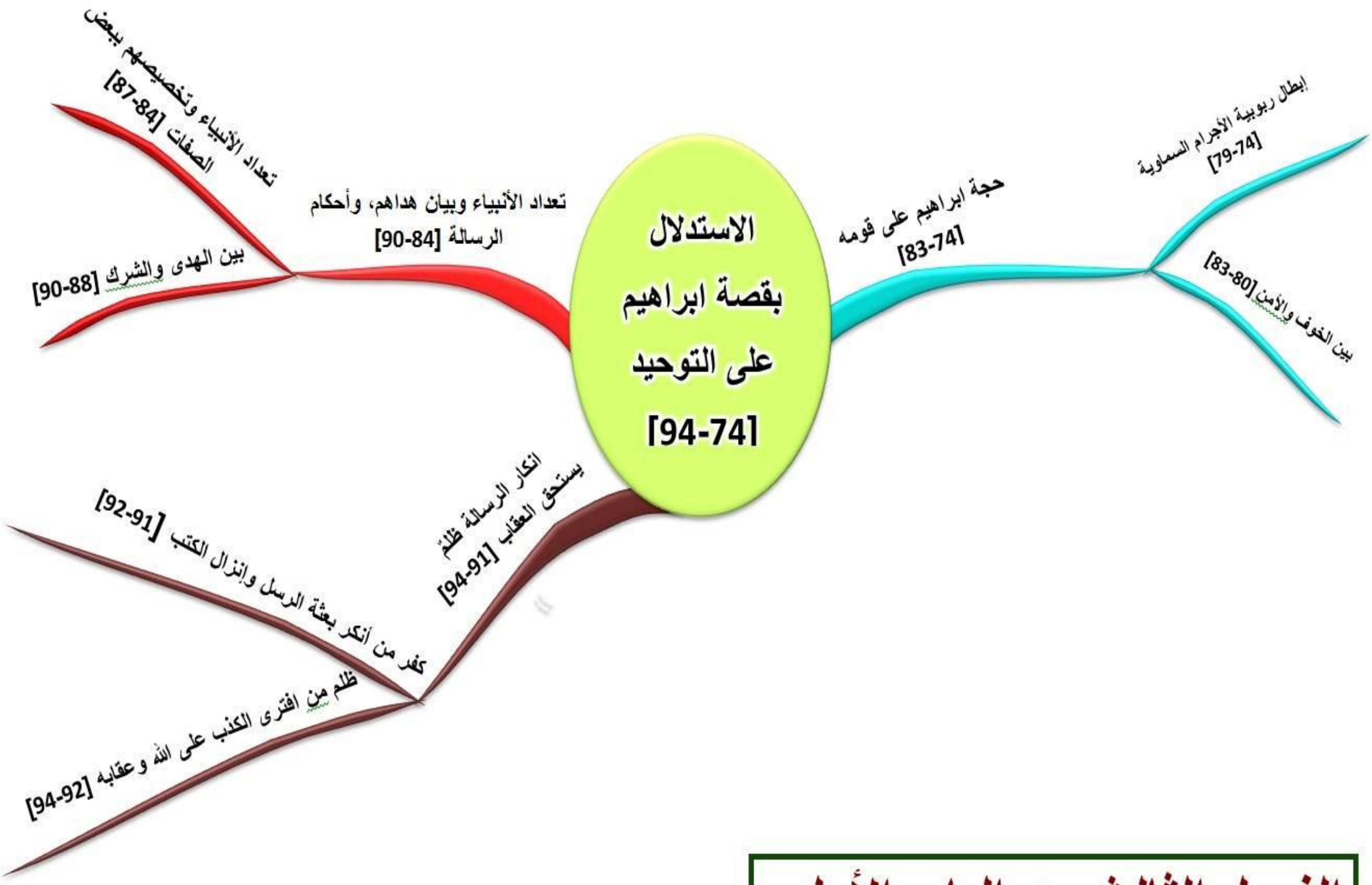

الفصل الثالث من الباب الأول

المبحث الأول: حجّة إبراهيم على قومه.

[من الآية 74 إلى الآية 83]

يتألف هذا المبحث من مطلبين جاء الأول في إبطال ربوبية الأجرام السماوية، وتحدث الثاني عن الأحق بالأمن ومن عليه أن يخاف من عقاب الله.

المطلب الأول: إبطال ربوبيّة وألوهيّة الأجرام السماوية.

[من الآية 74 إلى الآية 79].

1- تفسير الآيات:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ۖ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿74﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿75﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿76﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿77﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿78﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿79﴾ ﴾[سورة الأنعام: الآيات74-79].

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ۖ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿74﴾ ﴾.

أ- المناسبة:

قال أبو السعود(982هـ):" ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ ﴾ منصوب على المفعوليّة بمضمر خوطب به النبيﷺ معطوف على﴿ قُلْ أَنَدْعُوا ﴾[سورة الأنعام: الآية 71] لا على ﴿ أَقِيمُوا ﴾ كما

قيل لفساد المعنى".[1] والمضمر هو" قل" أي:" وقل إذ قال إبراهيم".

ولمّا انتهت آيات المطلب السابق بقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ ﴾ بدأ هذا المطلب بقوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ ليخبر الله أنّ الصفات الإلهية المذكورة في الآية السابقة قد عرفها إبراهيم بفطرته، وأنكر على أبيه وقومه عبادة الأصنام والكواكب والشمس والقمر التي لا تخلق شيئا والتي تظهر أحيانا وتغيب أخرى.

ب- **المعنى:**

يقول أبو السعود(982هـ) في معنى هذه الآية:" واذكر لهم بعد أن أنكرت عليهم عبادة ما لا يقدر على نفع وضر، وحَقَّقْتَ أنّ الهدى هو هدى الله ... وقت قول إبراهيم الذي يدّعُون أنّهم على ملّته مُوَبّخًا ﴿لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ على عبادة الأصنام فإنّ ذلك مما يبكِتهم وينادي بفساد طريقتهم".[2]

﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ أي: إنّي أراك يا آزر وقومك الذين يعبدون معك الأصنام ويتخذونها آلهة، في زوال عن محجَّة الحقّ، تائهين، في حيرة وجهل، وأَمْرُكم في الجهالة والضلال بيِّن لكل ذي عقل سليم.[3]

فمعرفة ضلال ما هم عليه لا يحتاج إلى كثير تأمّل، بل هو أمر بديهي؛ فإنّهم يباشرون أمرها، ويعلمون أنّها مصنوعة لا صانعة. إلى جانب مخالفة هذا الأمر لكلّ نبيّ نبّأه الله تعالى؛ فالإله الحقّ لا يكون إلا كافيا لمن يعبده.[4]

وقد أنكر إبراهيم على أبيه شيئين: الأوّل جعله الصور آلهة مع أنّها ظاهرة الاِنحطاط عن

---

[1] – أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 403/2.

[2] – أبو السعود، المصدر نفسه.

[3] – ينظر الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 240/5. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا: 173/3.

[4] – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 658/2.

صفة الألهيّة، والثاني: تعدّد الآلهة ولذلك جُعل مفعولاً "تتخذ" جمعَيْنِ، ولم يقل: أتتخذ الصنم إلها.[1]

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ ﴾.

أ- **المناسبة:**

عطف على جملة ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً ﴾؛[2] فكما بصّره الله يبطلان أَمرِ الأصنام، بصّره بحقيقة ملك السماوات والأرض.[3]

ب- **المعنى:**

﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ أي: وكما أريناه البصيرة في دينه، والحق في خلاف ما كانوا عليه من الضلال، نريه ملكوت السماوات والأرض، يعني ملكه.[4]

يقول ابن كثير(774هـ):" أي نبيّن له وجه الدِّلالة في نظره إلى خلقهما، على وحدانيّة الله عز وجل في ملكه وخلقه وأنّه لا إله غيره ولا ربّ سواه... أي ونريه ذلك ليكون عالِما مُوقِنا".[5]

وبعبارات مؤثِّرة يقول سيد قطب(1386هـ) في معنى هذه الآية:" بمثل هذه الفطرة السليمة، وهذه البصيرة المفتوحة، وعلى هذا النحو من الخُلوص للحقّ، ومن إنكار الباطل في قوة... نري إبراهيم حقيقة هذا الملك... ملك السماوات والأرض... ونطلعه على الأسرار المكنونة في صميم الكون، ونكشف له عن الآيات المبثوثة في صحائف الوجود ونصل بين قلبه

1 – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 313/7.
2 – ينظر ابن عاشور، المصدر السابق: 315/7.
3 – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 658/2.
4 – ينظر الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 241/5.
5 – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا: 173/3–174.

وفطرته وموحيات الإيمان ودلائل الهدى في هذا الكون العجيب؛ لينتقل من درجة الإنكار على عبادة الآلهة الزائفة، إلى درجة اليقين الواعي بالإله الحقّ...".[1]

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿76﴾ ﴾

أ- المناسبة:

هذه الآية الكريمة بيانٌ لكيفيّة استيقانه بوحدانيّة الله، وتفصيلُ ما أُجمل في الآيتين السابقتين من الإنكار على قومه، ورؤية ملكوت السماوات والأرض. و"خصّ الأمور السماويّة بالذكر؛ لأنّها مشاهدة لجميع الخلق: قاصيهم ودانيهم، فإذا بطلت صلاحيّتها للألهيّة بالبرهان القاطع بطلت الأرضيّة من باب أولى".[2]

ب- المعنى:

أي: فلمّا ستره الليل رأى نجما فقال: ﴿ هَٰذَا رَبِّي ﴾ فلمّا غاب، قال: ﴿ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ لعلمه أنّ الله دائم لا يزول.[3]

ويُفهم من الآيات أنّه: لمّا أظلم الليل على إبراهيم كان تحت السماء ولم يكن في بيت. ويُؤخذ من قوله: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ أنّه كان مع فريق من قومه يشاهدون الكواكب، وقد كان قوم إبراهيم صابئين يعبدون الكواكب ويصوّرون لها أصناما. وتلك ديانة الكلدانيين قوم إبراهيم.[4]

﴿ فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿77﴾ ﴾.

---

[1] – سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: 1139/7.

[2] – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 658/2-659.

[3] – ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا: 3/ 174.

[4] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 317/7.

أ- المناسبة:

بعد أن استدلّ في الآية الماضيّة على بطلان عبادة الأجرام بأفول الكواكب، استدلّ هنا على ذلك بأفول القمر، وذكر القمر بعد الكوكب باعتباره أكثر نورا ووضوحا.

ب- المعنى:

أي: فلمّا طلع القمر فرآه إبراهيم طالعا قال: هذا ربّي، فلمّا غاب وأفل قال إبراهيم: لئن لم يهدني ربّي ويوفّقني في إصابة الحقّ في توحيده﴿ لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ أي: من القوم الذين أخطأوا في ذلك، فلم يصيبوا الهدى، وعبدوا غير الله.[1]

﴿ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي ﴾ يقول البقاعي(885هـ) في معناها:"... لا شريك له بخلق الهداية في قلبي، فدلّ ذلك على أنّ الهداية ليست إلى غيره، ولا تُحمل على نصب الأدلّة؛ لأنّها منصوبة قبل ذلك، ولا على معرفة الاِستدلال فإنه عارف به".[2] أي: الهداية بتوفيق من الله ومشيئته، ولا يكفي في تحقيقها معرفة الأدلّة والاِستدلال بها.

﴿ فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿78﴾ ﴾.

أ- المناسبة :

استدلال آخر على بطلان ربوبيّة الأجرام وعبادتها، وانتقل إبراهيم هذه المرة إلى الشمس لكونها أكبر.

---

[1] - ينظر الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 247/5.

[2] - البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 660/2.

ب- المعنى:

فلمّا رأى إبراهيم الشمس طالعة قال: هذا الطالع ربّي، هذا أكبر من الكواكب والقمر، فحُذف ذلك لدلالة الكلام عليه، فلمّا غابت، تبرأ إبراهيم عليه السلام من عبادة الآلهة والأصنام ودُعائه إلها مع الله تعالى ذكره.[1]

فالأكبر الأكثر إضاءة أولى باستحقاق الألهيّة، فلمّا انتفى عنه ذلك، تبرّأ ممّا يشركون إقناعا لهم بأنّ لا يحاولوا موافقته إيّاهم على ضلالهم.[2]

﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (79) ﴾.

أ- المناسبة:

فلمّا أبطل بما سبق جميع مذهبهم، أظهر التوجّه إلى الإله الحقّ، وأنّه قد انكشف له الصواب بهذا النظر.[3]

ب- المعنى:

أي: إنّي وجّهت وجهي في عبادتي إلى الذي خلق السماوات والأرض، الدائم الذي يبقى ولا يفنى. حنيفا، أي: بإخلاص العبادة له، والإستقامة في ذلك

لربّه على ما يجب من التوحيد.[4]

فهو الاِتجاه إلى فاطر السماوات والأرض، الاِتجاه الحنيف الذي لا ينحرف إلى الشرك، وهي الكلمة الفاصلة واليقين الجازم، والاِتجاه الأخير، فلا تردّد بعد ذلك ولا حيرة فيما تجلّى للعقل من تصوّر مطابق للحقيقة التي في الضمير.[5]

---

[1] – ينظر الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 247/5.

[2] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 322/7.

[3] – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 660/2.

[4] – ينظر الطبري، المصدر السابق: 247/5– 248.

[5] – ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: 1141/7.

1- الهدايات المستنبطة:

1- تبيّن الآيات أنّ الضلال الذي كان فيه آزر وقومه، تُحسّه فطرة إبراهيم عليه السلام، وهي النموذج الكامل للفطرة التي فطر الله الناس عليها. ثم هي النموذج الكامل للفطرة وهي تواجه هذا الضلال البيّن، فتنكره وتستنكره وتجهر بكلمة الحقّ وتصدع، حينما يكون الأمر هو أمر العقيدة.[1]

2- كثرة التدبّر يورث العلم بمراتبه الثلاثة: علم اليقين ثم عين اليقين فحقّ اليقين بتوفيق الله.

3- نأخذ من مناظرة إبراهيم عليه السلام لقومه، أنّ من آدابها الذهاب مع الخصم بالحسنى؛ وبنقد موضوعي للفكرة دون تجريح للذات، حتى يبتعد عن الخصام والعناد، حتى يجادل بالأدلّة التي يراها مقنعة أو يستسلم للحقّ. وتطبيق هذا المنهج ضروري لمن أراد هداية الناس وإعلاء كلمة الله.

4- يقول وهبة الزحيلي عن حقيقة الشرك:" وأدرك قوم إبراهيم أنّ الأصنام لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع، وإنّما قلّدوا آباءهم؛ لذا اتخذوا الأصنام آلهة معبودة لا أربابا مدبّرين، لكنّهم اتخذوا الكواكب أربابا لتأثيرها النسبي في الأرض، وقلّد العرب آباءهم في عبادة الأصنام، ولا يسع المؤمن إلا التنديد بكل مظاهر الوثنيّة وأشكالها وطقوسها".[2]

2- مناسبة المطلب لسابقه:

آيات هذا المطلب معطوفة على الجمل السابقة التي أوّلها ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ﴾ [سورة الأنعام: الآية 66] المشتملة على الحجج والمجادلة في شأن إثبات التوحيد وإبطال الشرك، فعقّبت تلك الحجج بشاهد من أحوال الأنبياء بذكر مجادلة أوّل من حاجّ قومه في توحيده تعالى، وخاصة أنّ أب العرب إبراهيم لم يكن مشركا في قومه.[3]

3- مناسبة المطلب لموضوع السورة:

إنّ مضمون آيات هذا المطلب، مضمون الآيات الثلاث المُفتتح بها السورة؛ فهي تُنبِّه على أنّ الدلائل على اختصاص الله بالخلق وتمام القدرة، لم يزل ثابتا مقرّرًا على ألْسِنة

---

[1] - ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: 1138/7- 1139.

[2] - وهبة الزحيلي، التفسير المنير، دار الفكر: 280/7-281.

[3] - ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 310/7.

جميع الأنبياء في جميع الدهور، وكان في هذه المحاجّة التصريح بما لُوِّح إليه أوّل السورة من إبطال مذهب الثنوية، وهم أهل فارس قوم إبراهيم عليه السلام، وانعطف هذا على ذاك أيُّ انعطاف.[1]

فهذه الآيات تجادل المشركين بطريق آخر من طرق الإستدلال على توحيد الله وهو طريق القصص، وبقصّة إبراهيم عليه السلام الذي ينتسبون إليه، وكيف كان يحاجج قومه ويردّ شركهم؛ ليتأسّوا به.

وكان الدليل الجزئي الذي اعتمده إبراهيم عليه السلام في المحاجّة، هو الدليل الحسي المشاهد، المتمثّل في حركة الكواكب التي تدلّ على نقصها وقصورها في تسيير نفسها، وأنّها مسيّرة ممّن هو أعظم.

المطلب الثاني: بين الخوف والأمن.

[من الآية 80 إلى الآية 83].

1- تفسير الآيات:

﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (80) وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ (81) ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ (82) وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ (83) ﴾[سورة الأنعام: الآيات 80-83].

﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (80) ﴾.

[1] - ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 657/2.

أ- المناسبة:

لمّا أبدى الأدلّة في إبطال الضلال بالكواكب والشمس، التي هي أوضح من الشمس، عطف عليها الإخبار بأنّهم لم يرجعوا إليه بل حاجّوه، فقال: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ ﴾.[1]

و"عطف الجملة بـ "الواو" دون "الفاء"؛ لتكون مستقلّة بالإخبار بمضمونها مع أنّ تفرّع مضمونها على ما قبلها معلوم من سياق الكلام".[2]

ب- المعنى:

أخبر الله عن جدال إبراهيم قومُهُ ومغالبته في أمر التوحيد، وكيف ردّ إبراهيم عليه السلام بقوله:" أتجادلونني بتوحيدي الله وإخلاص العمل له دون ما سواه وقد وفّقني وبصّرني طريق الحقّ حتى أيقنت أن لا شيء يستحق العبادة سواه".[3]

وقوله تعالى: ﴿ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ ﴾كما يقول ابن عاشور(1393هـ): "معطوفة على: ﴿ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي ﴾ فتكون إخبار، أو على جملة ﴿ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ ﴾فتكون تأكيدا للإنكار وتأكيد الإنكار بها أظهر، لأنّ عدم خوف آلهتهم ظاهر دلائله عليه".[4]

ولا مناسبة بين ذكر هدى الله إياه وبين نفي خوف آلهتهم، إلا كونهم خوّفوه مكرها،[5] وذكر هذا التهديد والتخويف الطبري(310هـ) وغيره، ونظيره في القرآن تخويف قوم هود لنبيّهم: ﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ ﴾ الآية [سورة هود: الآية 54].

﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ ﴾ استثناء منقطع أي: لا يضر ولا ينفع إلا الله، إن شاء أن ينالني في نفسي بما شاء من نقصان أو فناء أو غيرها، نالني به؛ لأنّه قادر.[1] فإن أصاب إبراهيم عليه السلام شيء في هذا الوقت من سوء فهو من الله، لا من الشركاء.

---

1 – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 661/2.

2 – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 325/7.

3 – الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 248/5.

4 – ابن عاشور، المصدر السابق: 328/7.

5 – ينظر ابن عاشور، المصدر نفسه. والطبري، المصدر السابق: 248/5.

﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ولمّا كان ما ذكر سابقا في صورة التعليق الذي لا يخلو من شبهة التردّد، بيّن هنا أن تركه للجزم، لعدم علمه بالعواقب، إعلاما بأنّ تلك رُتبة لا تصلح إلا لله، العالم بحكمة إلحاق الضر.[2] وإظهار لفظ ﴿رَبِّي﴾ في موضع الإضمار؛ تأكيد للمعنى، واستلذاذ بذكره تعالى.[3]

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ معطوفة على جملة ﴿أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾، والاستفهام إنكار لعدم تذكّرهم مع وضوح دلائل التذكّر. والمراد التذكّر في صفات آلهتهم المنافية لمقام الألهيّة، وفي صفات الإله الحقّ، التي دلّت عليه مصنوعاته،[4] وكنه الألهيّة التي عبّر عنها إبراهيم عليه السلام بكونه عاجز عن إدراك سعة علمه الله وحكمته في بلوغ أمره فيمن أراد بما أراد.

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (81)﴾.

أ- المناسبة:

جملة معطوفة على جملة ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ سيقت لبيان أنّ عدم خوفه من آلهتهم أقلّ عجبا من عدم خوفهم من الله تعالى،[5] ولنفي الخوف بطريق الإلزام بعد نفيه عنه بحسب الواقع ونفس الأمر.[6]

---

1 – ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا: 175/3. والطبري، المصدر السابق: 248/5.

2 – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 662/2.

3 – ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 407/2.

4 – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 329/7.

5 – ينظر ابن عاشور، المصدر السابق: 330/7.

6 – ينظر الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، د ت: 205/7.

ب- **المعنى:**

يواصل إبراهيم عليه السلام في هذه الآية الاِحتجاج على قومه إذ يقول: كيف أخاف ما أشركتموه في عبادتكم وهو لا يضرّ ولا ينفع بدليل أنّها لم تدفع عن نفسها كسري إياها! وأنتم لا تخافون خالقكم ورازقكم وهو القادر على ضرّكم بشرككم إياه ما لم يعطكم في عبادته حجّة، ولم يجعل لكم به عذرا.[1]

و﴿ وَكَيْفَ ﴾ استفهام إنكاري قلب عليهم الحجّة؛ فأنكر عليهم أنّهم لم يخافوا الله حين أشركوا به غيره بدون دليل نصّبه لهم فجمعت " كيف" الإنكار على الأمرين.[2]

﴿ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ﴾ قال البقاعي(885هـ):" ولمّا بَانَ كالشمس بما أقام من الدليل أنّه أحقّ بالأمن منهم، قال مسببًا عمّا مضى تقريرًا لهم: ﴿ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ ﴾... ولم يقل " فأيّنا" تعميما للمعنى ﴿ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ﴾، وألزمهم بالجواب حتما بقوله: ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾".[3]

﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ استئناف ابتدائي، وجواب شرطه محذوف دلّ عليه الاِستفهام، تقديره: فأجيبوني. وفيه استحثاث على الجواب.[4]

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿82﴾ ﴾.

أ- **المناسبة:**

إن كانت هذه الآية حكاية كلام إبراهيم فهو جوابًا منه عن قوله: ﴿ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ﴾ وهو مذهب جمهور المفسّرين. وإن كان من كلام الله، فتكون الجملة مستأنفة

---

[1] – ينظر الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 249/5.

[2] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 330/7.

[3] – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 663/2.

[4] – ينظر ابن عاشور، المصدر السابق: 331/7.

استئنافا ابتدائيا تصديقا لقول إبراهيم.[1] وقال البقاعي(885هـ) بالأوّل، واختار الطبري(310هـ) وابن كثير (774هـ) وأبو السعود(982هـ) الثاني.

ب- **المعنى:**

والمعنى أنّ " هؤلاء الذين اخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له، ولم يشركوا به شيئًا، هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة".[2]

وأخرج البخاري(256هـ) في صحيحه عن عبد الله، قال:" **لَمَّا نَزَلَتْ** ﴿ **وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ** ﴾ **قَالَ أَصْحَابُهُ وأَيُنَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ؟ فَنَزَلَتْ**﴿ **إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ [سورة لقمان: الآية 13]".[3]

ونقل الطبري(310هـ) عن آخرين قولهم:" بل معنى ذلك: ولم يخلطوا إيمانهم بشيء من معاني الظلم، وذلك: فعل ما نهى الله عن فعله، أو ترك ما أمر الله بفعله، وقالوا: الآية على العموم؛ لأنّ الله لم يخص به معنى من معاني الظلم".[4] واختار الطبري الرأي الأوّل لحديث عبد الله ابن مسعود.

﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ** ﴾ الإشارة، للتنبيه على أنّ المسند إليه جدير بالمسند من أجل ما تقدم من أوصاف المسند إليه، وقوله: ﴿ **وَهُم مُّهْتَدُونَ** ﴾ معطوف على قوله: ﴿ **لَهُمُ ٱلْأَمْنُ** ﴾ أو جملة معطوفة على جملة: ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ** ﴾.[5]

﴿ **وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (83)** ﴾.

---

[1] - ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 7/331-332.

[2] - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس: 3/58.

[3] - رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب:" **وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ**"، حديث رقم4353، دار الهدى: 4/1694.

[4] - الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 5/254-255.

[5] - ينظر ابن عاشور، المصدر السابق: 7/333-334.

أ- **المناسبة:**

لمّا كان إبراهيم عليه السلام قد انتصب لإظهار حجّة الله في التوحيد والذبّ عنها، وكان التقدير تنبيه السامع على حسن ما مضى؛ ندبًا لتدبّره، عطف عليه قوله معدّدًا وجوه نعمه عليه وإحسانه إليه، دالا على إثبات النبوّة بعد إثبات الوحدانية.[1]

وهذه الآية عبارة عن كلام جامع لكل ما سبق من الكلام ابتداء من محاجّة إبراهيم لقومه. كما أنّها فائدة وعبرة لكل مؤمن استدعاها المقام؛ لذلك أدرجت في نهاية هذه المجموعة من الآيات، وهناك من نظر إلى كونها نعمة أنعمها الله على إبراهيم عليه السلام فوضعها بداية المجموعة التالية مع قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ الآية [سورة الأنعام: الآية 84].[2]

ب- **المعنى:**

قال القرطبي(671هـ) في معنى هذه الآية:" ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾، ﴿وَتِلْكَ﴾ إشارة إلى جميع احتجاجاته حتى خاصمهم وغلبهم بالحجّة... ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ أي بالعلم والفهم والإمامة والملك".[3] فالله أرشد إبراهيم عليه السلام إلى تلك الحجّة ووفّقه لها ليقنع قومه، كما رفع تعالى درجاته بسبب ما أتاه من قوة الحجّة،[4] فهي من أهمّ ما اتُّصف به وهي ليست لكل نبيّ.

وفي اسم الإشارة ﴿وَتِلْكَ﴾ من معنى البعد؛ لتفخيم شأن المشار إليه، وفي إضافة نون العظمة إلى الحجّة في قوله: ﴿حُجَّتُنَآ﴾من التفخيم ما لا يخفى.[5]

---

[1] – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 664/2.

[2] – البقاعي، المصدر السابق: 663/2.

[3] – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي: 30/7.

[4] – ينظر وهبة الزحيلي، التفسير المنير، دار الفكر: 273/7.

[5] – ينظر الألوسي، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي: 208/7.

﴿مَّن نَّشَآءُ﴾ تأخيره للاِعتناء بالمقدّم والتشويق إلى المؤخّر، وإيثار صيغة الاِستقبال للدلالة على أنّ ذلك سنّة في كل المصطفين الأخيار غير مختصّة بإبراهيم عليه السلام، وهي جملة مستأنفة مقرِّرة لما قبلها.[1]

﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ جملة مستأنفة استئنافا بيانيا؟ لأنّها جواب لسؤال تقديره: لماذا يرفع بعض الناس دون بعض؟[2]

ومعنى هذه الفاصلة التي ختم بها الكلام: أنّ ربّك يا محمد، ﴿حَكِيمٌ﴾في سياسته خلقَه، وتلقينه أنبياءَه الحجج على أممهم الجاحدة في توحيد ربهم، وفي غير ذلك من تدبيره.

﴿عَلِيمٌ﴾ بما يؤولُ إليه أمر رُسُله والمُرسَل إليهم، من ثبات الأمر على التكذيب وهلاكهم على ذلك، أو إنابتهم وتصديق رسله.[3]

1- الهدايات المستنبطة:

1- تبيّن الآيات أنّ معرفة الله تعالى لا تكون كاملة إلا بالوحي؛ لتعليم الله أنبياءَه حقيقة الألهية والعبادة التي يستحقها، وما يصلح لعباده من معاملات.

2- الحجّة والجدال والمناظرة محمود كلّه، إلا إذا دعا صاحبها إلى باطل أو كان بغير حجّة ولا دليل.

3- إنّ استشعار المؤمن نفاذ إرادته تعالى ومشيئته في كل أمر، والاِستسلام لحكمته وعلمه الواسع، درجة عالية من درجات الإيمان. كما جاء في قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السّلام: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗا﴾الآية.

---

[1] - ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 409/2-410.

[2] - ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 336/7-410.

[3] - ينظر الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 256/5.

4- إنّ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ أمر للنبيﷺ بالتأسي بإبراهيم عليه السلام في الصبر على قومه.[1] وفيها تسلية له ولكلّ مؤمن صابر.

5- تقرّر هذه الآيات معنى قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [سورة البقرة: الآية 257].[2]

6- تتفاوت درجات الدعاة إلى الله، بمدى مراعاتهم المنطق المعقول المنصف، في التعريف به واقتياد النّاس إليه.[3]

2- مناسبة المطلب لسابقه:

لمّا وجد إبراهيم عليه السلام قومه عبّادا للأجرام السماويّة استدلّ على توحيده تعالى وبطلان شركهم بالدليل الحسي، وهو أفول الكواكب والشمس وضعفهما، وبكونه بذلك وجّه وجهه لفاطرها. ولمّا خوّفه قومه هنا، من أذى الأصنام بعد تحطيمه لها، استدلّ بالحجج العقلية بكون الله قد بصّره بالحق بعد الحجّة الحسيّة السابقة، فهو مطمئن قلبه فلا يخاف الأصنام الضعيفة التي لا حجّة على ربوبيتها.

3- مناسبة المطلب لموضوع السورة:

مازالت الآيات تحتجّ على المشركين وإبطال ما هم عليه بقصّة إبراهيم عليه السلام، وهذه المرّة بصفات الألهية اللازمة عن صفات ربوبيّته؛ إذ بيّن بما علّمه الله، أنّ إرادته تعالى نافذة، وأنّ الخوف من الله وحده، والإطمئنان والإستسلام لقضائه واجب؛ لأنّه حكيم عليم.

4- خلاصة المبحث:

تبيّن آيات المطلب الأوّل الفطرة السليمة التي كان عليها إبراهيم عليه السلام؛ إذ بصّره الله ببطلان أمر الأصنام، وبوحدانيّة الله في ملك السماوات والأرض؛ ليزيده يقينا. ثمّ فصّل

---

[1] – ينظر الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 256/5.

[2] – ينظر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم: 84/2.

[3] – ينظر محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، دار الشروق: ص101.

في الآيات اللاحقة حجّته على من يعبد الأجرام، ونقض عبادتهم بأفول الكواكب ثم القمر ثم الشمس. وفي الأخير تبرّأ إبراهيم من شرك المشركين، وقرّر توّجهه بالعبادة إلى فاطر السماوات والأرض.

ولمّا احتّج على قومه بالأدّلة الحسيّة، جاءت آيات المطلب التالي لتجادلهم بأدّلة العقل على الأحقّ بالأمن- بعد تخويف قومه له من عقوبة الأصنام- فالهداية والأمن لمن لم يشرك بالله شيء بمشيئة الله العليم. وفي الآية الأخيرة امتنّ الله على إبراهيم عليه السلام بإيتائه الحجّة، وأثبت لنفسه مرّة أخرى المشيئة المقترنة بالعلم والحكمة في رفع درجات الناس بالعلم.

فكلا المطلبين في الِاحتجاج على المشركين في توحيد الله على لسان إبراهيم عليه السلام. وكانا بطريق الحوار لما له من أثر في الإقناع. ويختلفان في كون الأول بالأدلّة الحسيّة، والثاني بالأدلّة العقلية.

المبحث الثاني: تعداد لبعض الأنبياء وبيان هداهم وبعض أحكام الرسالة.

[من الآية 84 إلى الآية 90]

منونالمطلب الأول: تعداد بعض الأنبياء وتخصيصهم ببعض الصفات.

[من الآية 84 إلى الآية 87].

ينقسم هذا المبحث إلى مطلبين؛ عدّد الأول بعض الأنبياء وخصهم بما يليق بكل واحد منهم من الصفات، وتحدث الثاني عن الهدى والهداية وحذر من الشرك.

1- تفسير الآيات:

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿84﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿85﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿86﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿87﴾ ﴾ [سورة الأنعام: الآيات 84-87].

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿84﴾ ﴾.

أ- المناسبة:

يقول الرازي(606هـ) عن مناسبة هذه الآية لما قبلها:" اعلم أنّه لمّا حكى عن إبراهيم عليه السلام أنّه أظهر حجّة الله في التوحيد ونصرها وذبّ عنها، عدّد وجوه نعمه وإحسانه عليه، فأوّلها قوله: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ ﴾وثانيها: أنّه تعالى خصّه بالرفعة وهي قوله: ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ﴾وثالثها: ... لأنّه تعالى جعل أشرف الناس وهم الأنبياء

والرسل من نسله فقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ﴾ من نسله ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ بعده من إسحاق".[1]

وهذه الآية عطف على قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ﴾؛ لأنّ عطف كل من الجملة الإِسميّة والفعليّة على أخرى لا خلاف في جوازه.[2]

وموقع هذه الجملة هو موقع التذييل للجمل المقصود منها إبطال الشرك وإقامة الحجج على فساده وعلى أنّ الصالحين كلّهم كانوا على خلافه.[3]

ب- المعنى:

أي: جزينا إبراهيم عليه السلام على طاعته إيانا، بأن رفعنا درجته في عليّين، وأتيناه أجره في الدنيا، ووهبنا له أولادا خصّصناهم بالنبّوة، فهدينا إلى سبيل الرشاد كل من إسحاق ويعقوب من ولده، وكذلك نوحا من قبل إبراهيم.[4]

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: ومن ذريّة إبراهيم أو نوح -على خلاف- هدينا كذلك داوود وسليمان وأيّوب ويوسف وموسى وهارون.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ اعتراض بين المتعاطفات.[5] أي: وبنفس الجزاء البديع الذي جازينا به إبراهيم نجازي المحسنين المذكورين.[6]

وقد يراد بالمحسنين أولئك المهديين من ذريّة نوح أو من ذرية إبراهيم، فالمعنى أنّهم أحسنوا فكان جزاء إحسانهم أن جعلناهم أنبياء.[7]

---

1 – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 52/13.

2 – ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 410/2.

3 – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 337/7.

4 – ينظر الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 256/5.

5 – ينظر ابن عاشور، المصدر السابق: 340/7.

6 – ينظر أبو السعود، المصدر السابق: 411/2.

7 – ينظر ابن عاشور، المصدر نفسه.

﴿وَزَكَرِيَّآءَ وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٥﴾.

أ- المناسبة:

ما زالت الآيات في تعداد بعض الأنبياء وهذه المرّة تذكر من وصفتهم بالصلاح.

ب- المعنى:

ذكر الله تعالى أنّه هدى كذلك إلى حمل رسالته والدعوة إلى القيام بواجباته وتكاليف شرعه، كلا من زكرياء ويحيا وإلياس. وأخبر أنّ كل واحد منهم كان من الصالحين لأنّهم كانوا أهل زهد في الدنيا.[1] فهم الكاملين في الصلاح الذي هو الإتيان بما ينبغي والتحرّز عمّا لا ينبغي.[2]

ويرى ابن عاشور (1393هـ) أن ﴿كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ اعتراض، والتنوين في ﴿ ﴾ عوض عن المضاف إليه، أي: كل المذكورين، إسحاق ومن بعده.[3]

﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٦﴾.

أ- المناسبة:

وهذه الآية أيضا تعداد للأنبياء المصطفين. والمذكورين في هذه الآية هم الذين فضّلهم الله على العالمين.

ب- المعنى:

ذكر الله في المجموعة الثالثة إسماعيل واليسع ويونس ولوطا وهؤلاء الأنبياء الأربع أخبر الله أنّهم فضّلهم على عالمي زمانهم، وكفى بذلك شرفا وكرما وخيرا.[4]

---

[1] – ينظر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، دار الكتب العلمية: 85/2.

[2] – ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 411/2.

[3]- ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 341/7.

[4] – ينظر أبو بكر الجزائري، المصدر السابق: 86/2.

﴿ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ جملة معترضة، والواو اعتراضيّة والتنوين عوض المضاف إليه. و"كل" يقتضي استغراق ما أضيف إليه؛ أي كل المذكورين من إسحاق إلى هنا.[1]

وقد ذكر الرازي وجها من وجوه ذكر هؤلاء الأنبياء وبهذا الترتيب، وهو اختصاص كل طائفة منهم بنوع من الفضل. فأوّلا ذكر من خصّهم بالملك والسلطان، ثم بالبلاء الشديد ثم من كان مستجمعا لهاتين الخاصّتين الملك والبلاء وهو يوسف. ثم من خصّهم بقوّة المعجزة، ثم من خصّهم بالزهد، كما في حقّ زكريا ويحيا وعيسى واليأس. ثم ذكر الأنبياء الذين لم يبق لهم فيما بين الخلق أتباع وأشياع وهم: إسماعيل واليسع ويونس ولوط.[2]

وهناك وجوه أخرى في مناسبة ترتيب الأنبياء على هذه الصفة، ذكرها كل من ابن عاشور (1393هـ) والبقاعي(885هـ).[3]

﴿ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (87) ﴾.

أ- **المناسبة:**

يقول ابن عاشور:" وقوله ﴿ وَمِنْ آبَائِهِمْ ﴾ عطف على قوله ﴿ كُلًّا ﴾ فالتقدير: وهدينا من آبائهم وذريتهم وإخوانهم".[4]

أو أنّه معلّق بما تعلّق به ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ ﴾ و"من" ابتدائيّة، والمفعول محذوف. وأمّا معطوفا على ﴿ كُلًّا ﴾ و"من" التعجبيّة.[5]

[1] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 343/7.

[2] – ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 13/53-54.

[3]– ينظر ابن عاشور، المصدر السابق: 348/7. والبقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 667/2.

[4] – ابن عاشور، المصدر السابق: 349/7.

[5] – ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 412/2.

ب- المعنى:

فعلى المناسبة الأولى يكون معنى الآية: وهدينا من آبائهم وذريّاتهم وإخوانهم جماعات كثيرة.[1]

وعلى المناسبة الثانية: هدينا بعض أبائهم وذرياتهم وإخوانهم.[2] وهو في الواقع معنى واحد.

﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ﴾ أي: اخترناهم لديننا وبلاغ رسالتنا، ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، أي: سدّدناهم وأرشدناهم إلى طريق غير ذي عوج وهو الإسلام الذي ارتضاه الله لأنبيائه، وأمر به عباده.[3]

﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾تكرير للتأكيد وتمهيد لبيان ما هُدوا إليه.[4]

1- الهدايات المستنبطة:

1- في الآيات تسفيه لقريش ومشركي العرب، بإثبات أنّ الصالحين المشهرين كانوا على ضد معتقدهم.[5]

2- خصّ الله تعالى كل من تعلّق بهؤلاء الأنبياء، من آباء وذرية وإخوان، بنوع من الشرف والكرامة.[6]

3- الهداية نوعان: إمّا هداية محضة من الله لا تنال بالسعي والكسب وهي: تخصيص العبد بفيض إلهي يتحصّل له منه أنواع من النعم، وذلك للأنبياء، وبعض ممن يقاربهم من الصديقين والشهداء.[7] وإمّا هداية تنال بالسعي والكسب مع التوفيق الإلهي لنيل المراد.[8]

---

[1] - ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 412/2.

[2] - ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي: 34/7.

[3] - ينظر الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 258/5.

[4] - أبو السعود، المصدر نفسه.

[5] - ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 337/7.

[6] - وهبة الزحيلي، التفسير المنير، دار الفكر: 287/7.

[7] - الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ضبط: هيثم طعيمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1423هـ- 2002م: ص92-93.

[8] - وهبة الزحيلي، المصدر نفسه.

4- لا منافة بين الملك والنبّوة أو الإمارة والصلاح.[1]

5- "الكفر قديما وحديثا هو الجهل بالله وعصيان أمره. والدين قديما وحديثا هو حسن معرفة الله وإخلاص الطاعة له وهو ما انفرد المسلمون الآن به".[2] لأنّ الإسلام آخر الأديان ولم يمسه التحريف.

2- مناسبة المطلب لسابقه:

لمّا امتنّ الله على إبراهيم بهدايته إلى الدين الحقّ والتوحيد وإتيانه الحجّة، امتنّ عليه أيضا بأن جعل من ذريّته أنبياء، ومن آبائهم وذريّاتهم أنبياء أيضا، صالحين مهديين، اصطفاهم الله جزاء لهم على إحسانهم. وكما احتجّت الآيات السابقة على المشركين بإيمان أبيهم إبراهيم وبتوحيده لله في ألهيّته لكونه لا يخاف إلا الله، احتجّ عليهم هذه المرّة بأنّ الصالحين كلهم كانوا على خلاف شركهم.

3- مناسبة المطلب لموضوع السورة:

لمّا كان موضوع السورة مجادلة المشركين في لازم الربوبيّة، كان هذا المطلب تقرير لإيمان الأنبياء والصالحين من ذريّة إبراهيم عليه السلام بالله، وعدم شركهم في ألهيّته، متّبعين في ذلك أبيهم الذي قرّر في الآيات السابقة خوفه من الله والإستسلام لإرادته.

المطلب الثاني: بين الهدى والشرك.

[من الآية 88 إلى الآية 90].

1- تفسير الآيات:

﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝88 أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ۝89 أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى

[1] - ينظر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم: 86/2.

[2] - محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، دار الشروق: ص102.

ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ (90) ﴾ [سورة الأنعام: الآيات 88–90].

﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (88) ﴾.

أ- المناسبة:

استئناف بياني، أي: لا تعجبوا من هديهم وضلال غيرهم.[1]

ب- المعنى:

يعني تعالى ذكره بقوله ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ ﴾: هذا الهدي الذي هديتُ به من سمّيتُ من الأنبياء والرسل، فوفّقتهم به لإصابة الدين الحقّ الذي نالوا بإصابتهم إياه رضا ربّهم، وشرفَ الدنيا، وكرامة الآخرة، هو: توفيق الله ولطفه لمن أحبّ من خلقه، حتى ينيب إلى طاعة الله، وإخلاص العمل له، وإقراره بالتوحيد، ورفضِ الأوثان والأصنام. ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ أي: ولو أشرك هؤلاء الأنبياء؛ فعبدوا معه غيره، لبطل وذهبَ عنهم أجرُ أعمالهم التي كانوا يعملون؛ لأنّ الله لا يقبل مع الشرك به عملا.[2]

وهذا شرط والشرط لا يقتضي جواز الوقوع كقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾ [سورة الزخرف: الآية 81] وقوله عز وجل: ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾[سورة الأنبياء: الآية 17].[3]

يبيّن الله أنّ المهديين أنفسهم والمصطفين لو أشركوا لسقطت أعمالهم، "مظهرا لعز الألهيّة، بالغنى المطلق منزّها نفسه عمّا لوحظ فيه غيره ولو بأدنى لحظ".[4]

---

[1] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 350/7. والبقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 670/2.

[2]– ينظر الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، طـ[illegible]، [illegible] هـ – [illegible]: [illegible].

[3] – ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا: 179/3.

[4] – البقاعي، المصدر نفسه.

وفيه تعريض بالمشركين الّذين أنكروا نبوءة محمّد ﷺ حسداً.[1]

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿89﴾ ﴾

أ- المناسبة:

استئناف ابتدائي للتّنويه بهم، فهي فذلكة• ثانيّة؛ لأنّ الفذلكة الأولى راجعة إلى ما في الجمل السابقة من الهدى وهذه راجعة إلى ما فيها من المهديّين.[2]

ب- المعنى:

يقرّر الله أنّ المذكورين سابقا العالو الرتبة، آتاهم الله التفهيم التام، ونفاذ الحكم، والنبوّة. ثم أخبر تسليّة للرسولﷺ أنّه إن يكفر بهذه الثلاث كفار قريش- لأنّهم بكفرهم بالقرآن كفروا بما يصدّقه جميعا- فقد وفّقنا للإيمان بها من هم باقون ومستمرون على إيمانهم. وهم كما نُقل عن ابن عباس: الأنصار وأهل المدينة. وقيل أصحاب النبي ﷺ، وقيل كل مؤمن من بني آدم، وقيل الفرس، وقيل هم الأنبياء المذكرون؛ فكلهم موفّقون للإيمان والعمل بالكتب المنزّلة.[3]

وتقديم المجرور على عامله في قوله تعالى: ﴿لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾؛ لرعاية الفاصلة مع الاِهتمام بمعاد الضمير: الكتاب والحكم والنبوءة.[4]

---

[1] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 351/7.

• – 1- ص فذلك. 2- خلاصة ما فصّل أوّلا من حساب أو غيره. (جبران مسعود، الرائد، دار العلم للملايين، ط8، بيروت، 2001: ص935).

[2] – ينظر ابن عاشور، المصدر السابق: 352/7.

[3] – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 670/2. وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 412/2.

[4] – ينظر ابن عاشور، المصدر السابق: 354/7.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ۝٩٠ ﴾.

أ- المناسبة:

جملة ابتدائيّة قصد من استئنافها استقلالها للاِهتمام بمضمونها، ولأنّها وقعت موقع التكرير لمضمون الجملتين قبلها. وتكرير اسم الإشارة لتأكيد تمييز المشار إليه.[1]

والآية استئناف لتكرير أمداحهم بما يحمل على التحلي بأوصافهم، مؤكدا على إثبات الرسالة.[2]

ب- المعنى:

المشار إليهم في هذه الآية هم أيضا المذكورون من الأنبياء، مع من أضيف إليهم من الآباء والذريّة والإخوان، وقد وُصفوا بأنّهم هم أهل الهدى لا غير، وأُمر النبيﷺ بالاِقتداء بهم واتباعهم، وأمّته تبعا له في ذلك. كما أُمر النبيﷺ أن يقول بأنّ إبلاغه العالمين: من الإنس والجنّ، لا لأجرة، وإنّما لإرشادهم إلى الإيمان.[3]

وفي قوله تعالى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ تعريض للمشركين بأنّ محمدا ﷺ ما جاء إلا على سنّة الرسل كلهم وأنّه ما كان بدعا من الرسل.[4]

﴿هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي: ما القرآن إلا موعظة للعالمين يتعظون بها إن هم ألقوا أسماعهم وتجرّدوا من أهوائهم وأرادوا الهداية ورغبوا فيها.[5]

---

[1] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 7/354-355.

[2] – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 2/671.

[3] – ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا: 3/179.

[4] – ينظر ابن عاشور، المصدر السابق: 7/356.

[5] – ينظر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم: 2/88.

والذّكرى: اسم مصدر الذِكر بالكسر، وهو ضدّ النّسيان، والمُراد بها هنا ذكر التّوحيد والبعث والثّواب والعقاب.[1]

1- الهدايات المستنبطة:

1- أُمر النبيﷺ باتباع هدي الأنبياء المشترك وهو: أصل التوحيد وعبادة الله والفضائل والأخلاق الشريفة.[2]

6- تقرّر الآيات أنّه إذا تنكّر قوم لرسالة نبيّ، فإنّ الله يهيّأ لها أقواما آخرين، كما هيّأ أهل المدينة عوضا عن أهل مكة.[3] وهذا ينطبق على المسلمين إذا أهملوا أصول دينهم، وفرّقتهم الفروع التي تتبني عليها.

7- يلقّن الله الرسول أن يخبر قومه بأنّه لا يسأل الأجر، وإنّما جاء لهداية كل البشر بهذا القرآن؛ وذلك زيادة في الحجّة عليهم، وترغيبا في اتباع الرسولﷺ.

2- مناسبة المطلب لسابقه:

لمّا عدّد الله الأنبياء وبيّن أنّه اجتباهم وهداهم إلى الصراط المستقيم في الآيات السابقة، فصّل هنا بذكر بعض ما يتعلّق بهذا الهدى وما يتعلّق بهؤلاء الأنبياء وهذا النبيّ.

3- مناسبة المطلب لموضوع السورة:

لمّا كان موضوع سورة الأنعام المختار، هو مجادلة المشركين في لازم الربوبيّة، استأنفت هذه الآيات جدالهم؛ مقرّرة أنّ الأنبياء على الصراط المستقيم الذي هداهم الله إليه، ورغم علوّ شأنهم لو فُرض شركهم لأحبط الله أعمالهم. ومبيّنتا كذلك أنه إن كَفر قوم قرش بما جاء به الرسول ﷺ ومن قبله من الرسل عليهم السلام، لهدَى الله لحمل الرسالة قوما آخرين. وهذا تعظيم لذنب الشرك وحطٌ لأهله، وتعظيم لشأن الإيمان ورفع لأهله، وبيان لِاستغناء الله عن كل خلقه.

---

[1] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 360/3.

[2] – ينظر وهبة الزحيلي، التفسير المنير، دار الفكر: 299/7.

[3] – ينظر وهبة المصدر نفسه.

4- خلاصة المبحث:

جاء هذا المبحث في مطلبين؛ ذكر الأوّل بعض الأنبياء من ذرّية إبراهيم وغيره. وصف الله بعضهم بالإحسان، وبعضهم بالصلاح، وفضّل آخرين على العالمين. وقرّرت الآية الأخيرة أنّه تعالى جزاهم لإحسانهم، هداية آبائهم وإخوانهم وذرّياتهم إلى الصراط المستقيم الذي هو التوحيد، وهذا بعد أن ذكرت آيات المبحث السابق أنّ الله تعالى قد هدى إبراهيم عليه السلام إلى توحيده بالفطرة.

وتستمرّ الآيات الموالية في الحديث عن الهدى والهداية وتحذّر من الشرك؛ لأنّه محبط للأعمال حتى وإن صدر من الأنبياء. كما تقرّر أنّ كفر الكافرين لا يضرّ؛ لأنّ الله وكّل بالرسالة قوما مؤمنين. ثم يلقّن الله رسوله ما يقوله لقومه بخصوص مهمّته، وهي تذكير العالمين دون طلبٍ للأجر.

فالمطلب الأوّل الذي تحدّث عن الأنبياء المهديين إلى الصراط المستقيم وإخوانهم وذرّياتهم... إلخ، كان كالتمهيد للمطلب الثاني الذي أمر الرسول بالاِقتداء بهدي أولئك الأنبياء الذين آتاهم الله الحكم والنبوّة.

المبحث الثالث: إنكار الرسالة شركٌ وظلمٌ يستحق العقاب.

[من الآية 91 إلى الآية 94].

ينقسم المبحث الثالث من هذا الفصل إلى مطلبين متناسبين؛ قرر الأول منهما كفر من أنكر بعثة الرسل وإنزال الكتب. وقرر الثاني ظلم من افترى الكذب على الله تعالى وبيّن عقابه.

المطلب الأول: كفر من أنكر بعثة الرسل وإنزال الكتب.

[من الآية 91 إلى الآية 92].

1- تفسير الآيات:

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿91﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿92﴾ ﴾[سورة الأنعام: الآيات 91-92].

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿91﴾ ﴾.

أ- المناسبة:

لمّا بيّن شأن القرآن العظيم وأنّه نعمة جليلة منه تعالى على كافّة الأمم، عقّب ذلك ببيان غمطهم إياها وكفرهم بها على وجه سرى ذلك إلى الكفر بجميع الكتب الإلهيّة،[1] والآية تأكيد لأمر الرسالة، بالإنكار على من جحدها وإلزاما لهم بما هم معترفون به، أمّا أهل الكتاب

[1] – ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 413/2.

فعلما قطعيّا، وأمّا العرب فتقليدا لهم، ولأنّهم سلّموا لهم العلم وجعلوهم محطّ سؤالهم عن محمد ﷺ.[1]

ووجود واو العطف في صدر هذه الجملة ينادي على أنّها نزلت متناسقة مع الجمل الّتي قبلها، وأنّها وإيّاها واردتان في غرض واحد، هو إبطال مزاعم المشركين، فهذا عطف على جملة ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ﴾ [سورة الأنعام: الآية ٨٩]، وأنّها ليست ابتدائيّة في غرض آخر.[2]

ب- المعنى:

قال الطبري(رحمه الله): " يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ وما أجلُّوا الله حق إجلاله، ولا عظموه حق تعظيمه، ﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾، يقول: حين قالوا: لم ينزل الله على آدميٍّ كتابًا ولا وحيًا".[3]

واختلف المفسّرون في من نزلت هذه الآية على عدّة أقوال، ذكر الطبري معظمها، واختار قول من قال أنّ هذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن مشركي قريش؛ لكون هذه السورة مكيّة كلّها.[4]

والمراد بـ ﴿شَيْءٍ﴾ هنا: شيء من الوحي؛ ولذلك أمر الله نبيّه ﷺ بأن يُفْحمهم باستفهامِ تقريرٍ وإلجاءٍ بقوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ﴾، فذكَّرهم بأمر لا يستطيعون جحده لتواتره في بلاد العرب، وهو رسالة موسى ومجيئه بالتّوراة وهي تُدرس بين اليهود في البلد المجاور لمكّة.[5]

---

[1] – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 671/2.

[2] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 361/7.

[3] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 521/11.

[4] – ينظر الطبري، المصدر السابق: 523/11.

[5] – ينظر ابن عاشور، المصدر السابق: 363/7.

﴿ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ أي: ليستضاء بها في كشف المشكلات ويهتدى بها من ظلم الشبهات.[1]

﴿ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ أي: تجعلون جملتها قراطيس أي: قطعا تكتبونها من الكتاب الأصلي الذي بأيديكم وتحرّفون فيها وتبدّلون وتتأوّلون وتقولون هذا من عند الله أي في كتابه المنزّل وما هو من عند الله.[2]

وفي هذا زيادة توبيخ لليهود، وكأنّهم أخرجوا التوراة من جنس الكتاب، ونزّلوه منزلة القراطيس الخالية من الكتابة.[3]

﴿ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ يقول الطبري(رحمه الله): "وعلّمكم الله جل ثناؤه بالكتاب الذي أنزله إليكم، ما لم تعلموا أنتم من أخبار من قبلكم، ومن أنباء من بعدكم، وما هو كائن في معادكم يوم القيامة... ولم يعلمه آباؤكم، أيّها المؤمنون بالله من العرب وبرسوله ﷺ".[4]

وهذا أيضا قول مجاهد،[5] فهذه الآية من أوّلها إلى آخرها خطاب للمشركين. أمّا آية ﴿ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ ﴾ الآية فهي معترضة، وهي" خطابٌ لليهود على طريقة الإدماج – أي: الخروج من خطاب إلى غيره– تعريضاً باليهود وإسماعاً لهم وإن لم يكونوا حاضرين"؛[6] زيادة في التبكيت وتعظيما لفعلهم. وخاصة أنّ المشركين يتردّدون على اليهود لمعرفة ما في التوراة من أنباء عن محمد ﷺ.

وعلى هذا فسياق الآية مازال مع العادلين بربهم أصنامهم وأوثانهم. فقد أنكر تعالى عليهم إنكارهم للوحي الإلهي، وتكذيبهم بالقرآن الكريم. ولقّن رسوله الحجّة فأمره أن يسألهم بأسلوب

---

1 – ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا: 180/3.

2 – ينظر ابن كثير، المصدر نفسه.

3 – ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 414/2.

4 – ينظر الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 527/11.

5 – ينظر ابن الجوزي، زاد المسير، المكتب الإسلامي: 83/3.

6 – ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 364/7.

الإستفهام التقريري عن منزّل كتاب موسى، الذي يستضاء به في معرفة الطريق إلى الله تعالى، وهدى يهتدى به إلى ذلك وهو "التوراة"، التي جعلها اليهود قراطيس يبدون بعضها ويخفون بعض حسب أهوائهم وأطماعهم. ثمّ يمنّ الله عليهم بأن علّمهم بهذا القرآن من الحقائق العلميّة: كتوحيد الله تعالى وأسمائه وصفاته، والدار الآخرة وما فيها من نعيم، وعذاب. ثم أمر الرسول في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾أن يجيب بطريق التبكيت عن السؤال الذي وجهه إليهم، بكون لله هو منزّل التوراة على موسى. ثم قال مهدّدا:[1] ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾وأمره أن يتركهم في باطلهم، الذي لا يحصلون منه أي فائدة تعود عليهم.[2]

واعلم أنّ نظم الآية صالح للردّ على كلا الفريقين، مراعاة لمقتضى الروايتين– أي على قراءة ﴿تَجْعَلُونَهُ﴾ و﴿يَجْعَلُونَهُ﴾–. فعلى الرّواية الأولى فـ "واو الجماعة" في ﴿قَدَرُوا﴾ و﴿قَالُوا﴾ عائدة إلى ما عاد إليه إشارة ﴿هَؤُلَاءِ﴾ [في الآية 89]. وعلى الرّواية الثّانيّة فـ "واو الجماعة" مستعملة في واحد معيّن على طريقة[3] "التّعريض بشخص، وذلك من قبيل عود الضّمير على غير مذكور اعتماداً على أنّه مستحضر في ذهن السامع".[4]

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿92﴾﴾.

أ- المناسبة:

لمّا أثبت سبحانه أنّه الذي أنزل التوراة والإنجيل تكميلا لإثبات الرسالة، عطف على ذلك قوله تأكيدا لإثباتها وتقريرا: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ﴾.[5]

---

1 – ينظر ابن الجوزي، زاد المسير، المكتب الإسلامي: 84/3.

2 – ينظر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم: 89/2–90.

3 – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 364/7.

4 – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 527/11.

5 – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 673/2.

والآية عطف على جملة ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ أي: وقل لهم الله أنزل الكتاب على موسى وهذا كتاب أنزلناه.[1]

ب- المعنى:

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ أنزلناه للبركة والإنذار.[2]

﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ من الكتب. ومعنى كون القرآن مصدّقها من وجهين، أحدهما: أنّ في هذه الكتب الوعد بمجيء الرّسول المقفّى على نبوءة أصحاب تلك الكتب؛ فمجيء القرآن قد أظهر صدق ما وعدت به تلك الكتب ودلّ على أنّها من عند الله. وثانيهما: أنّ القرآن مصدّق أنبيائها وصدّقها وذكر نورها وهداها، وجاء بما جاءت به من أصول الدّين وأصول الشّرائع الثابتة.[3]

﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ يعني مكّة ومن حولها من أحياء العرب، ومن سائر طوائف بني آدم: من عرب وعجم.[4]

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾.

قال الطبري(رحمه الله):" يقول تعالى ذكره: ومن كان يؤمن بقيام الساعة والمعادِ في الآخرة إلى الله، ويصدِّق بالثواب والعقاب، فإنّه يؤمن بهذا الكتاب الذي أنزلناه إليك، يا محمد، ويصدق به، ويقرّ بأنّ الله أنزله، ويحافظ على الصلوات المكتوبات التي أمرَه الله بإقامتها؛ لأنّه منذرُ من بلغه وعيدَ الله على الكفر به وعلى معاصيه".[5]

وأخبر عن المؤمنين بأنّهم يؤمنون بالقرآن، تعريضاً بأنّهم غير مقصودين بالإنذار فيعلم أنّهم أحقّاء بضدّه وهو البشارة. وزادهم ثناء بوصفهم بأنّهم على صلاتهم يحافظون؛ إيذاناً

[1] - ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 369/7.

[2] - ينظر ابن الجوزي، زاد المسير، المكتب الإسلامي: 84/3.

[3] - ينظر ابن عاشور،المصدر السابق: 370/7- 371.

[4] - ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس: 65/3.

[5] - الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 532/11.

بكمال إيمانهم وصدقه، إذ كانت الصّلاة هي العمل المختصّ بالمسلمين،[1] وللإيذان بإنافتها وارتفاعها من بين سائر الطاعات وكونها أشرفَ العبادات بعد الإيمان.[2]

ﭸ- الهدايات المستنبطة:

ﭹ- من عرف الله من خلال صفاته، وعرف البشر بأحوالهم ومميزاتهم، علِم علم اليقين أنّ إرسال الرسل وإنزال الكتب من آثار تلك الصفات التي هي مصادر النظام ومظاهر الكمال. وكان إرشاد الوحي سببا لكل ارتقاء إنساني، في ركني وجوده الجسماني والروحاني.[3]

ﭺ- بيان تلاعب اليهود بكتاب الله في إبداء بعض أخباره وأحكامه وإخفاء بعض. وهو تصرّف ناتج عن الهوى واتباع الشهوات وإيثار الدنيا على الآخرة.[4]

ﭻ- الإيمان باليوم الآخرة والخوف من شدّة هوله، سببُ التصديق بالقرآن وسببُ تطبيق أصول الشريعة عند معظم الناس.

ﭼ- القرآن كتاب مبارك؛ خيره لا ينضب، صالح لكل زمان. وقد جاء مصدّقا لما جاءت به الكتب السابقة قبل التحريف، وما كان مخالفا لها فهو في فروع الأديان لا في أصولها. والنبي ﷺ منذر به جميع أجناس وطوائف البشر.

3- مناسبة المطلب لسابقه:

- لمّا تحدثت الآيات السابقة عن هدى الأنبياء، وشرك من كفر بهم وبهديهم، قرّر الله هنا أنّ سبب إنكارهم النبوّة والكتب؛ عدم تعظيم الله حقّ تعظيمه. ولقّن الرسول الردّ عليهم، وبيّن له كيف يعاملهم. وأكدّ أنّ الذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون بالقرآن ويحافظون على الصلاة.

---

[1] - ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 373/7.

[2] - ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 416/2.

[3] - ينظر رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، دار الكتب العلمية: 507/7.

[4] - ينظر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم: 91/2.

– لمّا بيّنت الآيات السابقة الحدود البشريّة للتذكير؛ وهما الإنس والجنّ، بينت الآيات هنا الحدود المكانيّة للإنذار؛ وهي مكّة ومن حولها وهي جميع المعمورة؛ " لثبوت توسّط هذه المدينة المباركة لليابسة، بتساوي أبعاد القارات السبعة عنها بفروق طفيفة نتيجة لعدم تساوي زحف القارات وتباعدها عن بعضها البعض".[1]

– وقد جاءت هذه الآيات في هذا الموقع كالنتيجة لما قبلها من ذكر الأنبياء وما جاءوا به من الهدى والشّرائع والكتب. وعليه يكون وقع هذه الآيات في هذا الموقع لمناسبة قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ الآية [سورة الأنعام: الآية ٨٩]، وتكون الجملة كالمعترضة في خلال إبطال حجاج المشركين.[2]

4– مناسبة المطلب لموضوع السورة:

لمّا كان موضوع السورة مجادلة المشركين في توحيد الألهيّة بأدلّة الربوبيّة، قرّرت الآيات هنا عدم تعظيم المشركين لله حقّ التعظيم، سواء بإنكارهم لقدرته تعالى على بعث الرسل، وإنزال الكتب. أو بنفي عدالته بعدم بعث الرسل بالكتب للتبليغ. فجادلهم في نفيهم عنه صفتي العدل والقدرة، التي هي من أوصاف الربوبيّة الأزمة للعبوديّة. كما جادلهم بطريق التبكيت؛ إذ أثبت إيمان المؤمنين المحافظون على الصلاة خوفا وطمعا، بالبعث والجزاء، وبهذا القرآن المصدّق لما بين يديه من التوراة والإنجيل.

ويلحظ ابن عاشور ملحوظة مفيدة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ إذ يقول:" وعطفَ بـ " ثمّ"؛ للدّلالة على التّرتيب الرتبي، أي أنّهم لا تنجع فيهم الحجج والأدلّة فَتَرْكُهم وخَوْضهم بعد التّبليغ هو الأولى ولكن الِاحتجاج عليهم؛ لتبكيتهم وقطع معاذيرهم".[3]

[1] – زغلول النجار، تأملات في كتاب الله، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، 1429هـ– 2008م: ص91.

[2] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 7/361–362.

[3] – ابن عاشور، المصدر السابق: 7/368.

المطلب الثاني: ظلم من افترى الكذب على الله وعقابه.

[من الآية 93 إلى الآية 94]

1- تفسير الآيات:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (93) وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (94) ﴾[سورة الأنعام: الآيات 92-94].

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (93) ﴾.

أ- المناسبة:

لمّا شرح تعالى كون القرآن كتاباً نازلاً من عند الله وبيّن ما فيه من صفات الجلالة والشرف والرفعة، ذكر عقيبه ما يدل على وعيد من ادعى النبوّة والرسالة على سبيل الكذب والإفتراء.[1]

ب- المعنى:

أي: لا أحد أظلم ممن كذب على الله فجعل له شريكا أو ولدا. أو ادعى أنّ الله أرسله إلى الناس ولم يرسله. أو ادعى أنّه يعارض ما جاء من عند الله من الوحي مما يفتريه من القول،

---

[1] - ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 68/13.

كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [سورة الأنفال: الآية 31].[1]

يقول الطبري(310هـ):" فقد دخل في هذه الآية كل من كان مختلقًا على الله كذبًا، وقائلا في ذلك الزمان وفي غيره:" أوحى الله إلي"، وهو في قيله كاذب، لم يوح الله إليه شيئًا. وأمّا التنزيل، فإنّه جائز أن يكون نزل بسبب بعضهم، وجائز أن يكون نزل بسبب جميعهم، وجائز أن يكون عنى به جميعُ المشركين من العرب، إذ كان قائلو ذلك منهم، فلم يغيّروه".[2]

ومن هذا النمط من أعرض عن الفقه والسنن وما كان عليه السلف فيقول: وقع في خاطري كذا، أو أخبرني قلبي بكذا، فيحكمون بما يقع في قلوبهم ويزعمون أنّ ذلك لصفائها من الأكدار والأغيار، فتتجلى لهم العلوم الإلهيّة والحقائق الربانيّة، فيقفون على أسرار الكليّات ويعلمون أحكام الجزئيّات فيستغنون بها، ويقولون: هذه الأحكام الشرعيّة العامّة، إنّما يحكم بها على الأغبياء والعامة، وأمّا الأولياء وأهل الخصوص، فلا يحتاجون لتلك النصوص.[3]

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ ﴾ هذه الجملة معطوفة على الجملة قبلها؛ لأنّ هذه وعيد بعقاب أولئك الظالمين المفترين وغيرِهم. والخطاب في ﴿ تَرَىٰٓ ﴾ للرسولﷺ أو كل من تتأتَّى منه الرؤية؛ فلا يختص به مخاطب. والمقصود من هذا الشرط تهويل هذا الحال؛ ولذلك حذف جوابه والتقدير: لرأيت أمرا عظيما.[4]

يقول الطبري(٣١٠هـ) في معنى هذه الآية:" يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد ﷺ: ولو ترى، يا محمد، حين يغمر الموت بسكراته هؤلاء الظالمين العادلين بربهم الآلهة والأنداد، والقائلين: ﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾ [سورة الأنعام: الآية ٩١]، والمفترين على الله كذبًا، الزاعمين أنّ الله أوحى إليه ولم يوحَ إليه شيء. والقائلين: ﴿ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾، فتعاينهم وقد غشيتهم

---

[1] – ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا: 181/3.
[2] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 536/11.
[3] – ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي: 39/7.
[4] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 376/7–377.

سكرات الموت، ونزل بهم أمر الله، وحان فناء آجالهم، والملائكة باسطو أيديهم يضربون وجوههم وأدبارهم".[1]

فالملائكة التي طالبوا من قبل إنزالها ولم يُستجب لهم، نزلت اليوم لإحدى مهمّاتها المخوّلة بها، وهي بسط الأيدي لسلّ أرواح الظالمين التي لا يعسر عليهم تمييزها من الجسد. قائلين ترويعا لهم وتصويرا للعنف والشدّة في السياق ومن غير تنفيس وإمهال، وأنّهم يفعلون بهم فعل الغريم المسلّط الملازم ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ﴾.[2] وفيه إضمار "يقولون"، ومعناه استسلموا لإخراج أنفسكم، أو أخرجوا أنفسكم من العذاب إن قدِرتم.[3]

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ الجملة استئناف وعيد، فُصِلت للاِستقلال والاِهتمام، وهي من قول الملائكة.[4] والمعنى: اليوم تهانون غاية الإهانة كما كنتم تكْذبون، وتجدّدون القول بغير الكلام الثابت والبالغ أعلى درجات اليقين على الله، كاتخاذ الولد له ونسبة الشريك إليه وادعاء النبوّة والوحي كذبا. وتستكبرون على اتباع آياته فلا تتأمّلون فيها ولا تؤمنون بها. وتستكبرون عن الاِنقياد لرسله.[5]

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿94﴾﴾.

أ- **المناسبة:**

لمّا بيّن القرآن حال الظالمين في غمرات الموت، بيّن هنا حالهم يوم البعث. وهو معطوف على قول الملائكة ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ﴾.

---

1 – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 537/11.

2 – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 674/2–675.

3 – ينظر ابن الجوزي، زاد المسير، المكتب الإسلامي: 87/3–88.

4 – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 379/7.

5 – ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا: 181/3. وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 471/2.

ب- **المعنى:**

يقول الطبري(رحمه الله): " هذا خبر من الله جل ثناؤه عمّا هو قائل يوم القيامة لهؤلاء العادلين به الآلهة والأنداد، يخبر عبادَه أنّه يقول لهم عند ورودهم عليه: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ ﴾ ويعني بقوله: ﴿ فُرَادَىٰ ﴾، وُحدانًا لا مال معهم، ولا إناث، ولا رقيق، ولا شيء ممّا كان الله خوّلهم في الدنيا ﴿ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾، عُراة غُلْفًا غُرْلا حُفاة، كما ولدتهم أمهاتهم، وكما خلقهم جل ثناؤه في بطون أمهاتهم، لا شيء عليهم ولا معهم مما كانوا يتباهَوْن به في الدنيا".[1] والمعنى: أنّ ما دأبتم في تحصيله في الدنيا فنى، وبقي الندم على سوء الِاختيار.[2]

وجئتمونا فرادى، وضعفاء وفقراء، فما أغنى عنكم جمعكم الذي كنتم به تستكبرون. وتركتم ما أنعمنا عليكم من مال؛ لتتوصلوا به إلى رضانا، فظننتم أنّه لكم بالأصالة وبدّلتم ذلك بالِاستهانة بأوامرنا.[3]

﴿ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ ثم قال تعالى تهكّما: ما نرى شركائي في الربوبيّة، واستحقاق العبادة. وتقطّع شملُكم أو تقطّع ما بينكم من الأسباب والوصلات والوسائل. وضاع ماكنتم تردّدون دائما من شفاعة الآلهة، وغاب عن أذهانكم ما زعمتم من عدم البعث، كقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (101) ﴾ [سورة المؤمنون: الآية ١٠١] وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ (25) ﴾

[سورة العنكبوت: الآية ٢٥].[4]

---

[1] - الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 543/11.

[2] - ينظر ابن الجوزي، زاد المسير، المكتب الإسلامي: 89/3.

[3] - ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 675/2- 676.

[4] - ينظر ابن الجوزي، المصدر نفسه. وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 417/2. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا: 181/3-182.

وتقديم المجرور في قوله تعالى: ﴿فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ﴾ للاِهتمام الذي وجهُه التعجيب من هذا المزعوم؛ إذ جعلوا الأصنام شركاء لله في أنفسهم، وقد علموا أنّ الخالق هو الله تعالى فهو المستحقّ للعبادة وحده.[1]

وجملة ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ استئناف بياني لجملة ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ﴾ وقيل لهم ذلك تأييسا لهم بعد الإطماع التهكّمي.[2]

1- الهدايات المستنبطة:

1- تقرّر الآيات أنّ أشدّ الناس ظلما، من افترى على الله الكذب، أو ادعى في النبوّة الأباطيل.

2- تقرّر الآيتين أنّ غمرات الموت حقّ، والبعث حقّ لا مراء فيه. وتصوّر للسامع حال الكافر في هذه اللحظات- كعادة القرآن في هذه السورة - بمشاهد كأنّها مرئيّة، يتّعض بها صاحب عقل وصاحب قلب حي.

3- إبطال قاعدتي الفداء والشفاعة التي تقوم عليها الأديان الوثنيّة، من شفاعة الملائكة وخيار البشر، أو تماثيلهم وقبورهم؛[3] إذ لا شفاعة إلا لمن أذن له الله كالنبي والعلماء والشهداء، وكان الله راضيا عن المشفوع له كما تقرّره السنّة الصحيحة.

2- مناسبة المطلب لسابقه:

- لمّا بيّنت الآيتين السابقتين أنّ إنكار المشركين للنبوّة المستلزمة لإنزال الكتب؛ سببه جهلهم بحقيقة الله وصفاته، وحقيقة أنفسهم من الحاجة إلى الرسالة، قرّرت هاتين الآيتين أنّ ذلك ظلم، وذكرت بعض متعلّقات الظلم في مجال النبوّة.

- ولمّا أمرت الآيات السابقة أن يذر المشركين في خوضهم يلعبون تهديدا لهم، بيّنت الآيات هنا بعض ذلك التهديد.

---

[1] – ينظر ابن عاشور، التحري والتنوير، الدار التونسية: 384/7.

[2] – ينظر ابن عاشور، المصدر السابق: 385/7.

[3] – ينظر رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، دار الكتب العلمية: 520/7.

- ولمّا بيّنت تلك الآيات أنّ الذين يؤمنون بالآخرة، يؤمنون بالقرآن ويحافظون على الصلاة، بيّنت هاتين الآيتين؛ سبب ذلك وهو الخوف من هول ما يحدث للكافر لحظة الموت ولحظة البعث، لتكذيبه بالرسالة وافتراءه الكذب على الله.

3- مناسبة المطلب لموضوع السورة:

لمّا كان مجادلة المشركين في لازم الربوبيّة هو موضوع السورة، وكان الجزاء من لوازم الأمر بالإيمان بالله وعبادته والنهي عن الكفر به، ناسب أن تذكر الآيات هنا بعض أصناف الظالمين من المشركين ومنكري النبوّة، وتصوير حالهم المخزي في لحظة الموت ويوم البعث لعلهم يرجعون.

4- خلاصة المبحث:

اقتصر المبحث الثالث من هذا الفصل على مطلبين، بيّن الأوّل العلاقة بين الإيمان بالله وبعث الرسل. وهو ردّ على المشركين المنكرين للنبوّة، بنبوّة موسى عليه السلام وإنزال التوراة عليه، التي كان قومه يخفون كثيرا منها. وأمر الله الرسول أن يترك المشركين في خوضهم يلعبون، وهو منهج القرآن في التعامل مع من ينكر الأمور الواضحات. وكنتيجة لما سبق، قرّرت الآيات أنّ القرآن أيضا أنزل من عند الله؛ لإنذار أمّ القرى ومن حولها من العالم ولا ينكره إلا من لا يخاف الآخرة.

ولمّا بيّنت آيات المطلب السابق أنّ من أنكر الرسالة لم يقدّر الله حقّ قدره، أوضح المطلب الثاني أنّ ذلك ظلم، وكذلك من ادعى النبوّة، ومن رفع نفسه إلى مرتبة الألهيّة وادعى قدرته على إنزال الآيات. وناسب أن تبيّن الآيات بعد ذلك ما ينتظر الظالمين في غمرات الموت، وتصوير حالهم عند لقاء الله وقد ذهب المال وفارق الأهل، وتنكّر الشركاء لهم.

فالمطلب الأوّل فصّل في الردّ على من أنكر الرسالة. أمّا المطلب الثاني فبيّن حكم ذلك وهو أنّه ظلم، إلى جانب ذكر إنحرافين آخرين في مجال النبوّة. ثم ختم بحالهم السيّىء في الدنيا والآخرة كنتيجة حتميّة لظلمهم.

وجاءت الآيات بأسلوب التلقين يتخلّلها أسلوب الاِستفهام الإنكاري والترهيب؛ تسليّة للرسولﷺ من جهة، وإيقاظا لضمائر المشركين من جهة أخرى.

خاتمة الفصل:

1- جاء الفصل الثالث من هذا الباب في ثلاث مباحث متتاليّة، كل واحد منها كالتمهيد بالنسبة للآخر؛ فقد تحدّث الأوّل عن دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه إلى التوحيد بالحجج العقليّة والحسيّة وبأسلوب المحاورة الذي يعتبر من أهمّ أساليب التبليغ عند الأنبياء؛ لدقّته في توصيل الحقيقة دون شائبة. وقرّر الثاني ما كان عليه الأنبياء من ذرّية إبراهيم عليه السلام وذرّية غيره من الهدى والصراط المستقيم. وأما الثالث فهو بيانٌ لما يؤدي إليه إنكار النبوّة من تعطيل لصفتي القدرة والعدل، وما يَستتبع ذلك من جزاء حتمي للمنحرفين في مجال النبوّة.

2- وظّفت السورة في هذا الفصل، القصّة في مجادلة المشركين؛ لما لها من قوّة في لفت انتباه السامع، وتوصيل الأفكار إليه بكل سهولة. ولما لها من أثر في النفس والوجدان ما يمكّن المتلقي من استخلاص العبر والعضات والعمل بمقتضاها، وهو ما يصبو إليه القرآن من إيرادها.

3- اختيرت قصّة إبراهيم عليه السلام؛ لمكانته الرفيعة عند العرب وأهل الكتاب من جهة، ولما أتاه الله من الحجّة البيّنة على قومه من عبدة الأوثان وعبدة الكواكب من جهة أخرى، وهذا مناسب تماما لموضوع السورة المتمثّل في مجادلة المشركين بالأدلّة العقليّة وبمظاهر خلقه الدالّة على التوحيد.

4- تخلّلت الآيات أساليب بلاغيّة ووعظية مؤثّرة في الوجدان ومحفّزة للعقل على التفكّر والتدبّر: كالإِستفهام الإنكاري والترهيب والترغيب، في إطار أسلوبي التلقين والتقرير اللذين لا يكونان إلا من عليم مقتدر، بالغ أمره.

الباب الثاني

مجادلة المشركين في أصول التشريع.

(من الآية الخامسة والتسعين إلى الآية مئة وخمسة وستين)

الفصل الأول

بيان ثلاث مواقف للمشركين وتقرير ضلالها .

(من الآية الخامسة والتسعين إلى الآية مئة وأربعين)

الفصل الثاني

تنويع الحجج في رد ما حرمه المشركون، وبيان أصول المحرّمات، وتقرير مهمة الإنسان.

(من الآية مئة وواحد وأربعين إلى الآية مئة وخمسة وستين)

الفصل الأول

بيان ثلاث مواقف للمشركين وتقرير ضلالها.

(من الآية الخامسة والتسعين إلى الآية مئة وأربعين)

المبحث الأول(مقدّمة): بعض مظاهر الخلق الدالة على صفتي العلم والقدرة.

(من الآية الخامسة والتسعين إلى الآية التاسعة والتسعين)

المبحث الثاني: جعلهم لله شركاء من الجن وخرقهم له البنين.

(من الآية مئة إلى الآية مئة وثمانية)

المبحث الثالث: قسمهم بالإيمان إن جاءت الآيات.

(من الآية مئة وتسعة إلى الآية مئة وخمسة وثلاثين)

المبحث الرابع: بعض جهالات العرب في الأنعام والحرث والأولاد.

(من الآية مئة وستة وثلاثين إلى الآية مئة وأربعين)

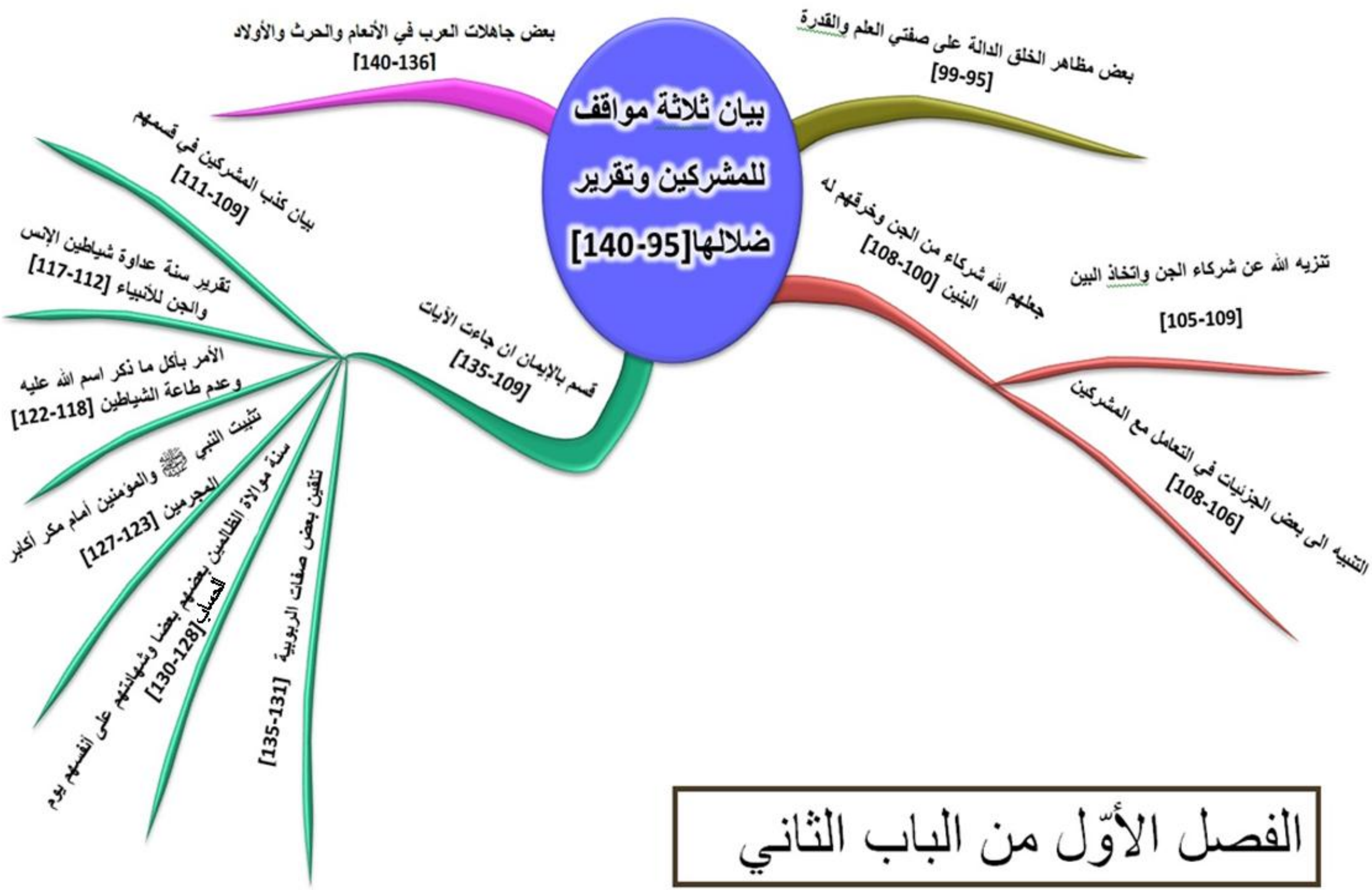

الفصل الأوّل من الباب الثاني

تمهيد:

يتألّف الباب الثاني[من الآية 95 إلى الآية 165] من فصلين. يحتوي كل منهما على مباحث، يأخذ الأوّل منها شكل المقدّمة، ما سهّل التفريق بين الفصلين. وهي تتحدّث عن مظاهر خلقه الدالّة عن عظيم قدرته وواسع علمه المستلزمة لِاستحقاقه العبادة. ونفس مضمونها نلاحظه في خاتمة السور ة. وهو ما عُبّر عنه في المدخل بالعنصر المتكرّر.

أمّا ما مكّن من تقسيم الفصل الأوّل إلى مقدّمة وثلاثة مباحث، هو كونها معطوف بعضها على بعض، ويبدأ كل منها بفعل ماضي يقرّر موقفا من مواقف الكافرين.[1]

فيبدأ المبحث الأوّل بقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾ الآية [سورة الأنعام: الآية 100]. والثاني بقوله عز وجل: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ الآية ﴾ [سورة الأنعام: الآية 109] والثالث بقوله سبحانه:﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ ﴾ الآية [سورة الأنعام: الآية 136].

وأمّا الفصل الثاني فينقسم إلى مقدّمة ومبحثين، وهو عبارة عن حجج متنوّعة في الردّ على المشركين وإبطال ما حرّموه على أنفسهم، كما يبيّن أصول المحرمات، وحقيقة العبودية، ومهمّة الإنسان على الأرض؛ فجاء المبحث الأوّل في إبطال ما حرّموه على أنفسهم افتراءا على الله بالأدلّة المتنوّعة، ثم بيّن تعالى الحقّ في ذلك بتلقين النبيﷺ ما يتلو عليهم من أصول المحرّمات. وأما المبحث الثاني فقطع عليهم تعليلاتهم؛ بإنزال القرآن لما فيه من هدى وتفصيل، وببيان حقيقة العبوديّة، وبتقرير وظيفة الإنسان.

[1] – ينظر سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام: 1715/3.

المبحث الأول[المقدّمة]:بعض مظاهر الخلق الدالّة على صفتي العلم والقدرة.

[من الآية 95 إلى الآية 99]

1- تفسير الآيات:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (95) فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ (96) وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (97) وَهُوَ ٱلَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (98) وَهُوَ ٱلَّذِي أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (99)﴾ [سورة الأنعام: الآيات 95-99].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (95)﴾

أ- المناسبة:

قال الرازي (رحمه الله):" اعلم أنّه تعالى لمّا تكلّم في التوحيد ثم أردفه بتقرير أمر النبوّة ثم تكلّم في بعض تفاريع هذا الأصل، عاد ههنا إلى ذكر الدلائل الدالّة على وجود الصانع وكمال علمه وحكمته وقدرته؛ تنبيهاً على أنّ المقصود الأصلي من جميع المباحث العقليّة والنقليّة وكل المطالب الحكمية إنّما هو معرفة الله بذاته وصفاته وأفعاله".[1]

والكلام استئناف ابتدائي انتُقل به من تقرير التّوحيد والبعث والرّسالة وأفانين المواعظ والبراهين الّتي تخلّلت ذلك، إلى الإستدلال والإعتبار بخلق الله تعالى وعجائب مصنوعاته المشاهدة، على انفراده تعالى بالربوبيّة المستلزم لإنفراده بالألهية.[2]

[1] - الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 73/13.

[2] - ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 387/7.

وآيات هذا المطلب كلّها، عودة إلى الاِستدلال على الوحدانية بمظاهر من خلقه الحسيّة المشاهدة إن في الكون أو في الإنسان أو في النبات. وهذا النوع من الاِستدلال هو العنصر المتكرر في السورة كما سبق ذكره.

ب- المعنى:

يقول الطبري(ت310هـ) في معنى الآية:" وهذا تنبيهٌ من الله جل ثناؤه هؤلاء العادلين به الآلهة والأوثان على موضع حجّته عليهم، وتعريفٌ منه لهم خطأ ما هم عليه مقيمون من إشراك الأصنام في عبادتهم إياه. يقول تعالى ذكره: إنّ الذي له العبادة، أيّها الناس، دون كل ما تعبدون من الآلهة والأوثان، هو الله الذي فَلق الحبَّ، يعني: شقّ الحبَّ من كلّ ما ينبت من النبات، فأخرج منه الزرع. ﴿ وَالنَّوَىٰ ﴾، من كل ما يغرس مما له نَواة، فأخرج منه الشجر".[1] وأنكر أن يكون الفلق بمعنى الخلق.

يقول الأصفهاني(502هـ):" الفلق شقّ الشيء وإبانة بعضه عن بعض يقال: فلقته فانفلق".[2] ولم يذكر له قولا بمعنى الخلق.

﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ﴾، والشجر ما دام قائمًا على أصوله لم يجفّ، والنبات على ساقه لم ييبَس، فإنّ العرب تسميه "حَيًّا"، فإذا يبس وجفّ أو قطع من أصله، سمّوه "ميتًا".[3]

فلمّا كان فلقهما عن النبات من جنس الإحياء لما فيه من النمو فسّر معنى الفلق وبيّنه إشارة إلى الاِعتناء به وقتاً بعد وقت بقوله: ﴿ يُخْرِجُ ﴾ أي على سبيل التجدد والاِستمرار تثبيتاً لأمر البعث. ﴿ الْحَيَّ﴾ كالنجم والشجر والطير والدواب ﴿ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾ من الحب والنوى والبيض والنطف فكيف تتكرون قدرته على البعث. ولما انكشف معناه وبان مغزاه بإخراج الأشياء من أضدادها وليس فقط من أمثالها؛ لئلا يُتوهّم أنّ الفاعل الطبيعة والخاصيّة،

---

[1] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 550/11.

[2]– الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار إحياء التراث العربي: ص401. وأبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1422هـ- 2001م: 188/4.

[3] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 553/11.

عطف على ﴿ فَالِقُ ﴾ اسم الفاعل الدّال على الثبات لأنّه لا منازعة لهم فيه، فقال: ﴿ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾.[1]

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾. ولمّا تقررت له سبحانه هذه الأوصاف التي لا قدرة أصلاً لأحد غيره على شيء منها، قال منبهاً لهم على غلطهم في إشراكهم، إعلاماً بأن كل شريك ينبغي أن يساوي شريكه في شيء ما من الأمر المشرك فيه، ولا مكافئ له سبحانه وتعالى في شيء من الأشياء فلا شريك له بوجه:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾.[2]

والمعنى أنّ صانع هذا الصنع العجيب هو المستجمع لكل كمال، والمفضّل بكل إفضال، والمستحق لكل حمد وإجلال. فكيف تصرفون عن الحق وتعدلون عنه إلى الباطل، مع ما ترون من بديع صنعه وكمال قدرته، فتعبدون معه غيره؟[3]

والإشارة بـ﴿ ذَٰلِكُمُ ﴾ لزيادة التّمييز وللتعريض بغباوة المخاطبين المشركين لغفلتهم عن هذه الدلائل الدالّة على التفرّد بالألهيّة. و﴿ فَأَنَّىٰ ﴾ هو استفهام تعجيبي إنكاري؛ إذ لا يوجد موجب يصرفهم عن التوحيد، لا وسوسة الشيطان، ولا تضليل كبرائهم، ولا هوى أنفسهم؛ لأنّها لا سيطرة لها على الإنسان إن عقلها وقاومها. وجملة ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ﴾ مستأنفة مقصود منها الِاعتبار، فتكون الفاصلة كلّها اعتراضا.[4]

﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿96﴾ ﴾

أ- المناسبة:

تستأنف الآيات هنا في ذكر دلائل التوحيد؛ فالنوع الأوّل كان مأخوذا من دلالة أحوال النبات والحيوان، وهذا النّوع مأخوذ من الأحوال الفلكية، وهي أعظم في القلوب وأكثر وقعا

---

[1] – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 678/2.

[2] – ينظر البقاعي، المصدر نفسه.

[3] – ينظر الشوكاني، فيض القدير، دار المعرفة: 179/2. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصّفا: 182/3.

[4] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 389/7–390.

من الأحوال الأرضية.[1] وهناك مناسبة ظاهرة بين الآيتين وهي كونها " ترقية من العالم السفلي إلى العالم العلوي".[2]

ب- المعنى:

أي: شاقٌّ عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده؛[3] فهو سبحانه يفلق ظلام الليل عن غرة الصباح، فيضيء الوجود، ويستنير الأفق، ويضمحل الظلام.[4]

﴿ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا ﴾ عطفٌ على ﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ ﴾.[5] وأخبر جل ثناؤه أنه جعل الليل سكنًا، لأنه يسكن فيه كل متحرك بالنهار، ويهدأ فيه، فيستقر في مسكنه ومأواه.[6]

﴿ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ ﴾ لما ذكر الضياء والظلمة ذكر منشأهما، وهو الشمس التي ينشأ عن غروبها وشروقها كل منهما. والقمر الذي هو آية الليل. ﴿ حُسۡبَانٗا ﴾ أي: بدوَرانِهما وسيرهما نظّم سبحانه مصالح العالم في الفصول الأربعة،[7] وهما اللذان يُحدّد بهما الإطار الزمني للتكليف.

﴿ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ أي: ذلك التسيير البديع، وفيه معنى البعد لعلو رتبة المشار إليه. ﴿ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ﴾ الغالب القاهر الذي لا يستعصي عليه شيء ومنها تسيرُهما على الوجه المخصوص. ﴿ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ فالله عليم بجميع المعلومات بما فيها مصالح الخلق في معاشهم ومعادهم.[8]

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٩٧ ﴾

---

1 – ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر: 13/99- 100.

2 – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 2/679.

3 – ينظر الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 11/554.

4 – ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس: 3/68.

5 – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 7/391.

6 – ينظر الطبري، المصدر السابق: 11/557.

7 – ينظر البقاعي، المصدر السابق: 2/679-680.

8 – ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 2/419

أ- **المناسبة:**

شروع في بيان نعمته تعالى في الكواكب إثر بيان نعمته تعالى في النَّيِّرين.[1] وإنما امتنّ عليهم بالنجوم؛ لأن سالكي القفار وراكبي البحار، إنما يهتدون في الليل لمقاصدهم بها.[2]

والآية عطف على قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا﴾.[3]

ب- **المعنى:**

أي: والله الذي جعل لكم، أيّها الناس، النجوم أدلّةً في البرّ والبحر إذا ضللتم الطريق أو تحيّرتم، فتهتدون بها إلى الطريق والمحجّة، فتسلكونه وتنجون بها من ظلمات ذلك، أي: من ضلال الطريق في البرّ والبحر. وعنى بالظلمات: ظلمة الليل، وظلمة الخطأ والضلال، وظلمة الأرض أو الماء.[4]

قال بعض السلف: من اعتقد في هذه النجوم غير الثلاث فقد أخطأ وكذب على الله سبحانه؛ أنّ الله جعلها زينة للسماء، ورجُومًا للشياطين، ويُهتدى بها في ظلمات البرّ والبحر.[5]

﴿قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ أي: بيّناها بيانا مفصّلا لتكون أبلغ في الِاعتبار.[6] وهي مستأنفة للتسجيل والتبليغ وقطع معذرة من لم يِؤمنوا.[7]

﴿لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ أي: يعلمون معانيَ الآيات المذكورة ويعملون بموجبها. أو يتفكرون في

---

[1] - ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 419/2.
[2] - ينظر ابن الجوزي، زاد المسير، المكتب الإسلامي: 91/3.
[3] - ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 392/7.
[4] - ينظر الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 561/11.
[5] - ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس: 69/3.
[6] - ينظر الشوكاني، فتح القدير، دار المعرفة: 180/2.
[7] - ينظر ابن عاشور، المصدر السابق: 394/7.

الآيات التكوينية فيعلمون حقيقة الحال. وتخصيص التفصيل بهم مع عمومه للكل؛ لأنّهم المنتفعون به.[1]

يقول الطبري(رحمه الله) في معنى هذه الفاصلة:" قد ميَّزنا الأدلّة، وفرَّقنا الحُجج فيكم وبيّناها، أيّها النّاس؛ ليتدبّرها أولو العلم بالله منكم، ويفهمها أولو الحِجا منكم، فيُنِيبوا من جهلهم الذي هم مقيمون عليه، وينزجروا عن خطأ فعلهم الذي هم عليه ثابتون، ولا يتمادوا عنادًا لله... في غَيِّهم".[2]

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ٩٨ ﴾.

أ- المناسبة:

استدلت الآية هنا على التوحيد، بحال من أحوال الإنسان. " وذكّرت بنعمة أخرى من نعمه تعالى، دَالَّة على عظيمِ قدرته ولطيفِ صنعه وحكمته".[3]

ب- المعنى:

يقول ابن عاشور (رحمه الله):" هذا تذكير بخلق الإنسان وكيف نشأ هذا العدد العظيم من نفْس واحدة كما هو معلوم لهم، فالّذي أنشأ النّاس وخلقهم هو الحقيق بعبادتهم دون غيره ممّا أشركوا به، والنّظر في خِلقة الإنسان، من الاِستدلال بأعظم الآيات".[4]

﴿ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞ ﴾ أي: إنّ الله جلّ ثناؤه عمّ بقوله: ﴿ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞ ﴾ ، كلَّ خلقه الذي أنشأَ من نفس واحدة، مستقرًّا ومستودعًا، ولم يخصّص من ذلك معنى دون معنى. ولا شك أنّ من بني آدم مستقَرًّا في الرّحم، ومستودَعًا في الصلب، ومنهم من هو مستقَرٌّ على ظهر الأرض أو بطنها، ومستودَعٌ في أصلاب الرجال، ومنهم مستقَرٌّ في القبر، مستودَعٌ على ظهر الأرض. فكلٌّ " مستقَرٌّ" أو"مستودَعٌ " بمعنى من هذه المعاني، فداخل في عموم قوله

[1] – ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 419/2.

[2] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 561/11.

[3] – أبو السعود، المصدر نفسه.

[4] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 395/7.

تعالى ومراد به، إلا أن يأتي خبرٌ يجب التسليم له بأنّه معنيٌّ به معنًى دون معنًى، وخاص دون عام.[1]

﴿ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ ذكر سبحانه هاهنا ﴿ يَفْقَهُونَ ﴾ وفيما قبله ﴿يَعْلَمُونَ ﴾؛ لأنّ في إنشاء الأنفس من نفس واحدة وجعل بعضها مستقَرا وبعضها مستودَعا من الغموض والدقّة ما ليس في خلق النّجوم للاِهتداء، فناسبه ذكر الفقه لإشعاره بمزيد تدقيق وإمعان فكر.[2]

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿99﴾ ﴾.

أ- المناسبة:

هذا دليل آخر من دلائل قدرته تعالى، وفيها بيان لبعض وجوه إحسانه إلى خلقه.[3]

ب- المعنى:

أي: والله الذي له العبادة خالصةً لا شريك فيها لشيء سواه، هو الإله الذي أنزل من السّماء ماءً، فأخرج بالماء الذي أنْزله من السماء من غذاءِ الأنعام والبهائم والطير والوحش وأرزاقِ بني آدم وأقواتِهم، ما يتغذون به ويأكلونه فينبُتُون عليه وينمُون. ومعنى قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ فأخرجنا به ما ينبُتُ به كل شيءٍ وينْمُو عليه ويصلُحُ.[4]

ومجمل معنى الآيات: أنّ الله أنزل من السماء ماءً بقدر مباركا ورزقا للعباد وإحياءً وغياثا للخلائق ورحمة من الله بخلقه.[5] قابلا للإنبات من سائر الزّروع والنباتات. وأخرج من ذلك النبات خضراً، وهو القصيل للقمح والشعير، ومن الخَضِر يخرج حباً متراكباً في سنابله.

[1] – ينظر الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 571/11.

[2] – ينظر الشوكاني، فتح القدير، دار الفكر: 144/2.

[3] – ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر: 110/13.

[4] – ينظر الطبري، المصدر السابق: 573/11.

[5] – ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا: 183/3.

ويَخرُج بإذن الله تعالى من طلع النّخل قنوان: جمع قنو العَذَق دانيةً متدليّةً وقريبة لا يَتَكلَّف مشقّة كبيرة من أراد جنيَها. وأخرج به بساتين من نخيلٍ وأعنابٍ، وأخرج به كذلك الزيتون والرمان حال كونه مشتبهاً في اللون وغير متشابه في الطعم، فكلوا من ثمره إذا أثمر وينْعِه، ينبت لديكم ذلك التشابه وعدمه. وختم الآية بقوله: إنّ في ذلكم المذكور كله علامات ظاهرات تدلّ على وجوب ألوهيّة الله تعالى وبطلان ألوهيّة غيره.[1]

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ﴾ إشارة إلى ما أُمِر بالنّظر إليه، وفي اسم الإشارة معنى البعد للإيذان بعلو رتبة المشار إليه وبُعد منزلته. وتلك الآيات عظيمة أو كثيرة دالّة على وجود القادر الحكيم ووحدتِه، فإنّ حدوث هاتيك الأجناس المختلفة والأنواع المتشعّبة من أصل واحد، وانتقالها من حال إلى حال على نمطٍ بديعٍ يَحار في فهمه الألباب لا يكاد يكون إلاّ بإحداث صانع يعلم تفاصيلها ويرجّح ما تقتضيه حكمتُه من الوجوه الممكنة على غيره ولا يعوقُه عن ذلك ضدٌ يناوئُه أو ندٌ يقاويه.[2]

﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ حكم بأنّهم – بحذقهم ونشاطهم وقوّتهم على ما يحاولونه– يجدّدون الإيمان كلّما تأمّلوا في مصنوعات الله سبحانه وتعالى الدّالة عليه المشيرة بكلّ لسان إليه.[3]

2- الهدايات المستنبطة:

1- إنّ كلا من الشمس والقمر يجري بنظام محكم دقيق يمكّن الإنسان من حساب الزمن، والتأريخ للأحداث، والقيام بمختلف العبادات، والوفاء بمختلف الحقوق والعهود.[4]

2- إنّ الحُب المتراكب في النبات يخرج من الخَضِر (اليَخضُور أو الكلوروفيل)، وهو ما أثبتته الدراسات المختبريّة والحقليّة مؤخرا.[5]

3- إذا كان الكلام دليلا من بعض الوجوه، وإنعاما وإحسانا من سائر الوجوه، كان تأثيره في القلب عظيما. فظهر أنّ المشتغل بدعوة الخلق إلى طريق الحق، لا ينبغي أن يعدل عن

[1] – ينظر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم: 97/2.

[2] – ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 421/2.

[3] – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 687/2.

[4] – ينظر زغلول النجار، تأملات في كتاب الله، الدار المصرية اللبنانية: ص92.

[5] – ينظر زغلول النجار، المرجع نفسه.

هذه الطريق؛[1] فعليه أن يستدلّ على التّوحيد بمظاهر خلقه، مبرزا أوجه النّعم والإحسان فيها.

4- تضمّنت الآيات خمسة أنواع من الأدلة الدالّة على توحيد الربوبية:

فالنّوع الأوّل مأخوذ من دلالة أحوال النبات والحيوان. والثاني من الأحوال الفلكيّة. والثالث من ظاهرة سماويّة وهي خلق النجوم. والرابع من أحوال الإنسان. والنوع الخامس مأخوذ من طريقة الإنبات وتنوّع النبات واختلاف أصناف الفواكه والثمار.[2]

5- يتم إدراك ظواهر الأمور بالعقل وإدراك أسرار الأشياء بالفقه.[3]

6- يقول سيد قطب(1386هـ) عن منهج القرآن في الإِستدلال على العقيدة:" وتبقى مزيّة المنهج القرآني في مخاطبة الفطرة بالحقائق الكونيّة، لا في صورة نظريّة، ولكن في صورة واقعيّة... صورة تتجلى من ورائها يد المبدع، وتقديره، ورحمته، وتدبيره. صورة مؤثّرة في العقل والقلب، موحيّة للبصيرة والوعي، دافعة إلى التذّكر، وإلى استخدام العلم والمعرفة للوصول إلى الحقيقة الكبرى المتناسقة".[4]

3- مناسبة آيات المبحث للمطلب السابق:

لما بيّنت الآيات السابقة ظلم من افترى على الله الكذب، وعدّدت بعض افترآتهم في مجال النبّوة. وصوّرت حالهم في سكرات الموت ويوم البعث جزاء هذا الإِفتراء والظلم. جاءت هذه الآيات لترشدهم إلى الوجهة الصحيحة حتى لا يكونوا من الظالمين فيعاقبوا، وهي معرفة الله عزّ وجلّ من خلال مظاهر خلقه في السموات والنبات والإنسان، ووجوب إدراك أسرارها حتى يكونوا مؤمنين. وتمتاز هذه السورة برجوعها في كلّ مرة إلى عظيم خلق الله وأسرار الكون المختلفة؛ لإبراز صفاته تعالى من خلالها، وإلزام المشركين بتوحيد الألهية.

4- مناسبة المبحث لموضوع السورة:

لما كان موضوع السورة محاجّة المشركين في لازم الربوبيّة بمظاهر العلم والقدرة، ناسب أن تجادلهم آيات هذا المطلب بذكر علمه تعالى وقدرته، في فلق الحب والنوى، وفلق

---

[1] – ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر: 111/13.

[2] – ينظر وهبة الزحيلي، التفسير المنير، دار الفكر: 327/7– 329.

[3] – ينظر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم: 97/2.

[4] – ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: 1159/7.

الإصباح وجعل الليل سكنا، والشمس والقمر حسبانا، وخلق النجوم للاهتداء بها، وبيان أحوال الإنسان الذي خلقه من نفس واحدة، وإنزال الماء لإخراج النّبات والجنّات، مبيّنا عزّ وجلّ عنايته بعباده ورحمته بهم.

5- خلاصة المبحث:

تضمّنت هذه المقدّمة خمسة أنواع من مظاهر خلقه الدالّة على توحيد الربوبية:

فالنّوع الأوّل مأخوذ من دلالة أحوال النبات والحيوان. والثاني من الأحوال الفلكيّة. والثالث من ظاهرة سماويّة وهي خلق النجوم. والرابع من أحوال الإنسان. والنوع الخامس مأخوذ من طريقة الإنبات وتنوّع النبات واختلاف أصناف الفواكه والثمار. وهي مظاهر تستدعي التفكّر في عظمتها وعظمة خالقها.

فخاطبت الآيات العقول ملزمة إياهم عبادة من يتّصف بالعلم والخلق والقدرة، وخاطبت قلوبَهم ببيان أوْجُه رحمتِه وعنايتِه بخلقه، فلا يكفر بعد ذلك إلا متكبّر جبار.

المبحث الثاني: جعلهم لله شركاء من الجن وخرقهم له البنين.

[من الآية 100 إلى الآية 108].

جاء هذا المبحث في مطلبين تحدث الأول عن تنزيه الله عن شركاء الجن وعن اتخاذه البنين سبحانه. وكان الثاني عبارة عن تنبهات تتعلق بالتعامل مع المشركين.

المطلب الأول: تنزيه الله عن شركاء الجن واتخاذ البنين.

[من الآية 100- إلى الآية 105].

1- تفسير الآيات:

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا
يَصِفُونَ (100) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ (101) ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (102) لَا
تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (103) قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ
فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (104) وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (105) ﴾ [سورة الأنعام: الآيات 100- 105].

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا
يَصِفُونَ (100) ﴾

أ- المناسبة:

لمّا ذكرت الآية السابقة أنَّ الذين ينتفعون بالآيات المذكورة هم القوم المؤمنين تعريضا بالمشركين، بيّنت هذه الآية ما يفعله المشركين بدل الإيمان وهو جعلهم الجنّ شركاء لله في عبادتهم.

ب- المعنى:

يقول الإمام الرازي (رحمه الله) في المقصودين بهذه الآية:" والطائفة الثالثة من المشركين الذين قالوا: لجملة هذا العالم بما فيه من السماوات والأرضين إلهان أحدهما فاعل الخير والثاني فاعل الشر والمقصود من هذه الآية حكاية مذهب هؤلاء".[1]

ويقول الطبري(رحمه الله):" يعني بذلك جل ثناؤه: وجعل هؤلاء العادلون بربهم الآلهةَ والأندادَ لله شركاء الجنّ، كما قال جل ثناؤه: ﴿ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ﴾ [سورة الصافات: الآية ١٥٨]".[2]

وهذا رد على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره، وأشركوا في عبادة الله أن عبدوا الجن، فجعلوهم شركاء الله في العبادة. وإنّما عبدوا الأصنام عن طاعة الجنّ وأمرهِم إياهم بذلك، كما في قوله تعالى: ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [سورة الكهف: الآية ٥٠].[3]

والعبادة هي أن يطيع العابد المعبود فيما يأمره به، وهم كانوا يعبدون الجنّ؛ لأنّهم كانوا يطيعونهم فيما يأمرونهم به وينهونهم عنه.[4]

﴿ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ ينبّه تعالى هنا على ضلال من ضلّ في وصفه تعالى بأنّ له ولدا، كما اختلق وجعل له اليهود والنصارى وكما قال المشركون من العرب في الملائكة: إنها بنات الله.[5]

---

[1] – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 92/13.

[2] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 7/12.

[3] – ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، دب، ط2، 1420هـ- 1999م: 307/3.

[4] – ينظر متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، أخبار اليوم (قطاع الثقافة)، مصر، دط، دت: 3832/6.

[5] – ينظر ابن كثير، المصدر السابق: 307/3.

﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ﴾ أي!" وتخرَّصوا لله كذبًا، فافتعلوا له بنين وبنات بغير علم منهم بحقيقة ما يقولون، ولكن جهلا بالله وبعظمته، وأنه لا ينبغي لمن كان إلهًا أن يكون له بنون وبنات ولا صاحبة، ولا أن يشركه في خلقه شريك".[1]

﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ استئنافٌ مسوقٌ لتنزيهه عز وجل عمّا نسبوه إليه، والتسبيح: التبعيد عن السوء اعتقادا وقولا.[2]

﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ يقول البقاعي(885هـ) في مناسبة هذا الكلام لما قبله:" ولمّا كان معنى التسبيح الإبعاد عن النقص، وكان المقام يقتضي كونه في العلو، صرّح به فقال: ﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾ أي تباعد أمر علوّه إلى حد لا حدّ له ولا انتهاء ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾[أي منزه عمّا خرقوا له من البنين والشركاء]".[3]

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١﴾.

أ- **المناسبة:**

يقول البقاعي(885هـ):" لما ختم بالتنزيه عما قالوا من الشريك والولد استدلّ على ذلك التنزيه بأنَ الكل خلقه، محيط بهم علمه ولن يكون المصنوع كالصانع".[4]

ويقول ابن عاشور(١٣٩٣هـ) عن مناسبة هذه الآية لما قبلها:" جملة مستأنفة وهذا شروع في الإخبار بعظيم قدرة الله تعالى، وهي تفيد مع ذلك تقوية التّنزيه في قوله: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [سورة الأنعام: الآية 100] فتتنزّل منزلة التَعليل لمضمون ذلك التّنزيه بمضمونها أيضاً".[5] والأظهر أنّ هذه الآية استدلال على التنزيه في قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

---

[1] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 10/11.

[2] – ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 422/2.

[3] – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 689/2.

[4] – البقاعي، المصدر نفسه.

[5] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 410/7.

ب- المعنى:

أي:" ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ أي مبدعها، وله صفة الإبداع، أي القدرة على الإختراع ثابتة، ومن كان كذلك فهو غني عن التوليد، فلذا حسن التعجيب في قوله: ﴿ أَنَّىٰ ﴾ أي كيف ومن أي وجه ﴿ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ ﴾ وزاد في التعجيب بقوله! ﴿ وَلَمۡ ﴾ أي الحال أنه لم ﴿ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ ﴾[1]

﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ ﴾ "عطف على جملة: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ باعتبار ظاهرها وهو التّوصيف بصفات العظمة والقدرة، فبعد أن أخبر بأنّه تعالى مبدع السّماوات والأرض أخبر أنّه خالق كلّ شيء".[2]

و" هذا إبطال ثالث بطريق الكليّة بعد أن أبطل إبطالاً جزئياً، والمعنى أنّ الموجودات كلّها متساوية في وصف المخلوقيّة، ولو كان له أولاد لكانوا غير مخلوقين".[3]

﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ أي:" والله الذي خلق كل شيء، لا يخفى عليه ما خلق ولا شيء منه، ولا يعزب عنه مثقالُ ذرة في الأرض ولا في السماء، عالم بعددكم وأعمالكم، وأعمال من دعوتموه ربًّا أو لله ولدًا، وهو محصيها عليكم وعليهم، حتى يجازي كلا بعمله".[4]

وهي" تذييل لإتمام تعليم المخاطبين بعض صفات الكمال الثّابتة لله تعالى، فهي جملة معطوفة على جملة: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ ﴾ باعتبار ما فيها من التّوصيف لا باعتبار الردّ".[5]

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾.

---

[1] – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 2/ 689.

[2] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 7/411.

[3] – ابن عاشور، المصدر السابق: 7/412.

[4] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 11/12.

[5] – ابن عاشور، المصدر نفسه.

أ- **المناسبة:**

" لمّا ثبت أنّه لا كفؤ له بما ذكر من صفاته وأفعاله، وبيّن فساد أقوال المشركين، وفصّل مذاهبهم على أحسن الوجوه، وبيّن فساد كل واحد منها بأمتن الحجج، قال مشيرا إلى ذلك كله بمبتدإ خَبَر بعده أخبار: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ﴾ الآية".[1]

ب- المعنى:

يجمل الإمام الطبري(رحمه الله) معنى هذه الآية في قوله:" وهذا تكذيبٌ من الله جل ثناؤه للذين زعموا أن الجنّ شركاء الله. يقول جل ثناؤه لهم: أيها الجاهلون، إنّه لا شيء له الألوهية والعبادة، إلا الذي خلق كل شيء، وهو بكل شيء عليم، فإنه لا ينبغي أن تكون عبادتكم وعبادةُ جميع من في السموات والأرض إلا له خالصة بغير شريك تشركونه فيها، فإنّه خالق كل شيء وبارئه وصانعه، وحق على المصنوع أن يفرد صانعه بالعبادة".[2]

و" وقوع اسم الإشارة بعد إجراء الصّفات والأخبار المتقدّمة، للتّنبيه على أنّ المشار إليه حقيق بالأخبار والأوصاف الّتي تَرد بعد اسم الإشارة ".[3]

و﴿ خَٰلِقُ ﴾ من قوله ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ اسم الفاعل وهو يتناول الأوقات كلّها. وذكر هناك قوله ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ ليجعله مقدّمة في بيان نفي الأولاد، وههنا ذكر قوله ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ليجعله مقدّمة في بيان أنّه لا معبود إلا هو. والحاصل أن هذه المقدمة مقدمة توجب أحكاماً كثيرة ونتائج مختلفة فهو تعالى يذكرها مرة بعد مرة ليفرّع عليها في كل موضع ما يليق بها من النتيجة.[4]

---

[1] – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 689/2.

[2] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 12/12-13.

[3] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 412/7.

[4] – ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 101/13.

﴿ فَٱعۡبُدُوهُ ﴾ "حكم مترتب على مضمون الجملة، فإنّ من جمع هذه الصفات كان هو مستحق للعبادة خاصة".[1]

﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾ " يجوز أن تكون معطوفة على الصّفات المتقدّمة فتكون جملة ﴿ فَٱعۡبُدُوهُ ﴾ معترضة. ويجوز أن تكون معطوفة على جملة ﴿ فَٱعۡبُدُوهُ ﴾ بناء على جواز عطف الخبر على الإنشاء والعكس، وهو الحقّ على وجه تكميل التّعليل للأمر بعبادته دون غيره".[2]

ومعناها:" والله على كل ما خلق من شيء رقيبٌ وحفيظ، يقوم بأرزاق جميعه وأقواته وسياسته وتدبيره وتصريفه بقدرته".[3]

﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣ ﴾.

أ- المناسبة:

جملة ابتدائيّة لإفادة عظمته تعالى وسعة علمه.[4] وهذا المعني أفادته الآية السابقة أيضا.

ب- المعنى:

ذكر ابن الجوزي(٥٩٧هـ) ثلاثة أقوال في معنى ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ أحدها: لا تحيط به الأبصار. والثاني: لا تدركه الأبصار إذا تجلى بنوره. والثالث: لا تدركه الأبصار في الدنيا.[5]

يقول ابن عاشور(١٣٩٣هـ):" فلعظمته جلّ عن أن يحيط به شيء من أبصار المخلوقين، وذلك تعريض بانتفاء الألهية عن الأصنام الّتي هي أجسام محدودة محصورة متحيّزة، فكونُها

---

[1] – أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 424/2.

[2] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 413/7.

[3] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 13/12.

[4] – ينظر ابن عاشور، المصدر نفسه.

[5] – ينظر ابن الجوزي، زاد المسير، المكتب الإسلامي: 98/3.

مدركة بالأبصار من سمات المحدثات لا يليق بالألهيّة. ولو كانت آلهة لكانت محتجبة عن الأبصار، وكذلك الكواكب التي عبدها بعض العرب".[1]

﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ أي:" يحيط بها ويعلمها على ما هي عليه؛ لأنه خلقها كما قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [سورة الملك: الآية ١٤]".[2] وأصل اللطف دقّة النظر في الأشياء.[3]

وجملة:" ﴿ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ معطوفة على جملة: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ فهي صفة أخرى. أو هي تذييل للاِحتراس، دفعا لتوهّم أنّ من لا تدْركه الأبصار لا يعلم أحوال من لا يدركونه".[4]

ووقوع الخبير بعد اللّطيف" على المحمل الأوّل وقوعُ صفة أخرى هي أعمّ من مضمون ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ فيكمّل التّذييل بذلك، ويكون التّذييل مشتملاً على محسّن النشر بعد اللّف. وعلى المحمل الثّاني موقعه موقع الاِحتراس لمعنى اللّطيف، أي هو الرّفيق المحسن الخبير بمواقع الرّفق والإحسان وبمستحقّيه".[5]

﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿104﴾ ﴾.

أ- المناسبة:

يقول أبو السعود(982هـ) أنّ الآية " استئناف وارد على لسان النبي ﷺ".[6]

ومناسبة وقوع هذا الاِستئناف عقب الكلام المسوق إليهم من الله تعالى، أنّه كالتّوقيف

---

[1] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 7/413-414.

[2] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة: 3/311.

[3] – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 2/690

[4] – ابن عاشور، المصدر السابق: 7/416.

[5] – ابن عاشور، المصدر السابق: 7/418.

[6] – أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 2/425.

والشّرح للكلام السّابق فيقدّر: قُل يا محمّد قد جاءكم بصائر.[1]

ويقول البقاعي(885هـ) في مناسبة هذه الآية لما قبلها:" ولمّا أكثر لهم من إقامة الأدلّة على وحدانيّته... ناسب أن يَعِظهم ويمدح الأدلّة حثا على تدبّرها... وجعل ذلك على لسان النبيﷺ إشارة إلى أنّه حقيق بأن يقول بعد إقامتها تقريرا لأمر دعوته بعد تقرير المطالب العالية الإلهيّة: ﴿ قَدْجَآءَكُم ﴾".[2]

كما نلمح التناسق بين الآية السابقة وهذه الآية، واستخدام الأبصار والبصائر، والبصر والعمى، في السياق المتناسق المتناغم.[3]

ب- المعنى:

يقول الطبري(310هـ):" وهذا أمرٌ من الله جل ثناؤه نبيَّهﷺ أن يقول لهؤلاء الذين نبَّههم بهذه الآيات من قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ على حججه عليهم، وعلى سائر خلقه معهم، العادلين به الأوثان والأنداد، والمكذبين بالله ورسولهﷺ وما جاءهم من عند الله قل لهم يا محمد: ﴿ قَدْجَآءَكُم ﴾... ﴿ بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ أي: ما تبصرون به الهدى من الضلال، والإيمان من الكفر".[4]

﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ ﴾ وعمل بالأدلّة ﴿ فَلِنَفْسِهِۦ ﴾ خاصة؛ لأنّه خلّصها من الضلال المؤدي إلى الهلاك. ﴿ وَمَنْ عَمِيَ ﴾ ولم يهتد بالأدلة ﴿ فَعَلَيْهَا ﴾ أي: عليها العمى خاصة -لا على غيرها- لأنّه يضلّ فيعطب.[5]

﴿ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ أي:" بحافظ ولا رقيب بل إنّما أنا مبلّغ والله يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء".[6]

---

[1] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 418/7.

[2] – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 691/2.

[3] – ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: 1167/7.

[4] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 23/12-24.

[5] – ينظر البقاعي، المصدر السابق: 692/2.

[6] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا: 186/3.

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ١٠٥ ﴾

أ- المناسبة:

جملة معترضة تذييلاً لما قَبلها. والواو اعتراضيّة فهو متّصل بجملة: ﴿ قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ ﴾ الّتي هي من خطاب الله تعالى رسوله ﷺ بتقدير" قل".[1]

وقوله تعالى في الآية السابقة ﴿ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴾ كالتمهيد لتوجيه الخطاب للنبي ﷺ في هذه الآية أو الآيات اللاحقة.

ب- المعنى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ﴾ أي: ومثل هذا التصريف العظيم ننقل جميع الآيات من حال إلى حال في المعاني المتنوّعة سالكين من وجوه البراهين ما يفوت القوى ويعجز القُدَر لتحِير ألباب المارقين وتتطلس أفكار المانعين.[2]

وقول المشركين للرّسول عليه الصلاة والسلام ﴿ دَرَسۡتَ ﴾ لا يناسب أن يكون علّة لتصريف الآيات، فتعيَّن أن تكون اللاّم مستعارة لمعنى العاقبة والصيرورة، كالّتي في قوله تعالى: ﴿ فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ٨ ﴾ [سورة القصص: الآية ﮋ] أي: فكان لهم عدوّاً، وكذلك هنا.[3]

ويقول الطبري (310هـ) في معني الآية إجمالا:" كما صرّفنا الآيات والعبر والحجج في هذه السورة لهؤلاء العادلين بربّهم الآلهة والأنداد، كذلك نصرّف لهم الآيات في غيرها، كيلا يقولوا لرسولنا الذي أرسلناه إليهم:" إنّما تعلمت ما تأتينا به تتلوه علينا من أهل الكتاب"، فينزجروا عن تكذيبهم إياه، وتقوُّلهم عليه الإفك والزور، ولنبيّن بتصريفنا الآيات الحقَّ، لقوم

[1] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 421/7.
[2] – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 692/2.
[3] – ينظر ابن عاشور، المصدر السابق: 422/7.

يعلمون الحق إذا تبيَّن لهم فيتبعوه ويقبلوه، وليسوا كمن إذا بُيِّن لهم عَمُوا عنه فلم يعقلوه، وازدادوا من الفهم به بعدًا".[1]

1- الهدايات المستنبطة:

يذكر ابن عاشور(رحمه الله) لطيفة تتعلّق بقوله تعالى ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ فاصلة الآية إذ يقول:" ولكون هذه الجملة الأخيرة بمنزلة التّذييل عدل فيها عن الإضمار إلى الإظهار في قوله: ﴿بِكُلِّ شَيۡءٍ﴾ دون أن يقول" به"؛ لأنّ التّذييلات يقصد فيها أن تكون مستقلّة الدّلالة بنفسها لأنّها تشبه الأمثال في كونها كلاماً جامعاً لمعان كثيرة".[2]

- يقول سيد قطب(رحمه الله):" ويتّكئ السياق – في مواجهتهم- على حقيقة "الخلق" لنفي كل ظل للشرك؛ فالمخلوق لا يكون أبدا شريكا للخالق، وحقيقة الخالق غير حقيقة المخلوق. كما يواجههم بعلم الله المطلق الذي لا تقابله منهم إلاّ أوهام وظنون...ويتّكئ على هذه الحقيقة مرة أخرى، لتقرير أنّ الذي يعبد ويطاع وحده...هو خالق كلّ شيء؛ فلا إله إذن غيره".[3]

2- آي القرآن حجج بيّنة ظاهرة تدلّ على صدق الرسالة ونبوّة محمدﷺ، ومهمّته التبليغ والإنذار، لا القهر والإكراه، ولا الرقابة على أعمال الناس؛ فمن أبصر الحقّ فلنفسه ومن عمي فعليها.[4]

3- تقرّر الآيات أنّ الذي ينتفع بتصريف الآيات وما تحمله من هدايات العالمون لا الجاهلون.[5] أي: المنتفعون هم الباحثون عن الحقيقة بمناهج العلم الصحيحة، لا الجاحدون الحاقدون الذين ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون؛ فيستعملون المنهج الصحيح للبحث عن الحقيقة في قضايا، ويتنكّرون له في قضايا أخرى، سهوا وغفلة أحيانا، واستكبارا وترصّدا في أكثر الأحيان.

---

[1] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 31/12.
[2] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية: 412/7.
[3] – سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: 1163/7.
[4] – ينظر وهبة الزحيلي، التفسير المنير، دار الفكر: 339/7.
[5] – ينظر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم: 102/2.

4- دلّت قراءة ابن عامر ويعقوب ﴿ دَرَسَتْ ﴾ التي تعني "بَلِيَتْ"، على اتّهامهم للقرآن الكريم بأنّه لا يناسب عصرهم ولا يواكب مجتمعهم. وهذه تهمة قديمة حديثة؛ يقولها اليوم المتعصّبين من المستشرقين والعلمانيين والحداثيين، مع كونه هو الرسالة المتجدّدة والمعجزة الخالدة، والخطاب الذي يواكب جميع العصور والبيئات، ولا يشبع منه العلماء ولا يملُّه البلغاء.[1]

2- مناسبة المطلب لآيات المقدّمة:

بعد أن عرضت آيات مقدّمة هذا الفصل دلائل وحدانيّته عز وجل، ناسب أن يأتي بعدها الإِنكار على المشركين عبادة غير الله، وما نسبوا له بغير علم.

فعندما يبلغ السياق إلى هذا المقطع، وقد عرض على القلب البشري صفحة الوجود الحافلة بدلائل وجود الله، ووحدانيّته، الناطق ببديع صنع الخلاّق، يعرض شرك المشركين فإذا هو غريب في هذا الجو، ويعرض أوهامهم فإذا هي سخف تشمئزّ منه القلوب والعقول، ثم يستنكر عليهم والجوّ مهيّأ لذلك الإستنكار.[2]

3- مناسبة المطلب لموضوع السورة:

مناسبة آيات هذا المطلب لموضوع السورة واضحة ومعبّرة عن مضمونه؛ إذ تجادل المشركين في عبادتهم الجنّ ونسبتهم الولد إلى الله، وتبطل ذلك بتقرير سعة علمه، وبدليل الخلق الدالّ على عظيم قدرته.

المطلب الثاني: التنبيه إلى بعض الجزئيات في التعامل مع المشركين.

[من الآية 106 إلى الآية 108].

1- تفسير الآيات:

﴿ ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿106﴾ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴿107﴾ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا

---

[1]- ينظر أحمد الشرقاوي وأخرون، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: 2/526-527. http://www.sharjah.ac.ae

[2] - ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: 7/1161.

بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿108﴾ ﴾[سورة الأنعام: الآيات 106–108].

﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿106﴾ ﴾.

أ- المناسبة:

يقول أبو السعود(982هـ) في مناسبة هذه الآية لما قبلها:" لمّا حُكي عن المشركين قدحهم في تصريف الآيات عُقّب ذلك بأمره عليه السلام بالثبات على ما هو عليه وبعدم الاِعتداد بهم وبأباطيلهم".[1]

ويوضّح ابن عاشور(سمي سمترهـ) كذلك أنها:" استئناف في خطاب النّبي عليه الصّلاة والسّلام لأمره بالإعراض عن بهتان المشركين وأن لا يكترث بأقوالهم، فابتداؤه بالأمر باتّباع ما أوحي إليه يتنزّل منزلة المقدّمة للأمر بالإعراض عن المشركين، وليس هو المقصد الأصلي من الغرض المسوق له الكلام".[2]

ب- المعنى:

يقول ابن كثير(774هـ):" أي اقتدي به واقتفي أثره واعمل به فإنّ ما أوحي إليك من ربّك هو الحق الذي لا مرية فيه لأنّه لا إله إلا هو واعف عنهم واصفح واحتمل أذاهم حتى يفتح الله لك وينصرك ويظفرك عليهم".[3]

وجملة: ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ معترضة، والمقصود منها إدماج التّذكير بالوحدانيّة لزيادة تقرّرها وإغاظة المشركين.[4] ومعناه: لا يستحق غيره أن يُتّبع له أمر، ولا يلتفت إليه في نفع ولا ضر.[5]

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿107﴾ ﴾.

أ- المناسبة:

جاء قوله عز وجل: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ﴾ عطف على قوله: ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾.[6]

---

[1] – أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 426/2.

[2] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 423/7.

[3] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا: 187/3.

[4] – ينظر ابن عاشور، المصدر السابق: 425/7.

[5] – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 693/2.

[6] – ينظر ابن عاشور، المصدر نفسه.

ب- المعنى:

يقول الإمام الطبري(310هـ) في تفسير هذه الآية الكريمة:" لو أراد ربُّك هدايتهم واستنقاذهم من ضلالتهم، للطف لهم بتوفيقه إياهم فلم يشركوا به شيئًا، ولآمنوا بك فاتبعوك وصدَّقوا ما جئتهم به من الحقّ من عند ربك ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ يقولُ جل ثناؤه: وإنّما بعثتك إليهم رسولا مبلّغًا، ولم نبعثك حافظًا عليهم ما هم عاملوه، تحصي ذلك عليهم، فإنّ ذلك إلينا دونك ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ يقول: ولست عليهم بقيِّم تقوم بأرزاقهم وأقواتهم ولا بحفظهم ما لم يُجْعل إليك حفظه من أمرهم".[1]

وهذا تلطّف مع الرّسولﷺ وإزالة لما يلقاه من الكَدَر من استمرارهم على الشّرك وقلّة إغناء آيات القرآن ونُذُره في قلوبهم.[2]

﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (108)﴾

أ- المناسبة:

هذه الآية معطوفة على قوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ تزيد معنى الإعراض المأمور به بياناً.[3]

ومن بين المناسبة أيضا، أنّه لمّا بيّن في الأولى أنّه ليس حفيظا عليهم ولا بوكيل وما عليه إلا البلاغ، بيّن هنا أنّ الأمر الوحيد المؤثر من المؤمنين في شركهم، هو أن يسبوا آلهتهم فيسب المشركين الله عز وجلّ بغير علم.

ب- المعنى:

نهى الله سبحانه الرسولﷺ والمؤمنين في هذه الآيات عن سبّ آلهة المشركين، وإن كان فيه مصلحة إلا أنّه يترتّب عليه مفسدة أعظم منها وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين وهو الله لا إله إلا هو.[4]

ويرى الإمام البقاعي(885هـ) أنّ النهي عن سبّ آلهتهم هنا جاء موجّها إلى المؤمنين،

---

[1] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 33/12.

[2] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 425/7.

[3] – ينظر ابن عاشور، المصدر السابق: 427/7.

[4] – ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا: 188/3.

إكراما للنبيﷺ، وقد كانت الأوامر السابقة موجّهة إليه وحده.[1] وربما لأسباب النزول الواردة في الآية. ولكن الشيخ ابن عاشور له رأي آخر؛ إذ اعتبر المخاطب بهذا النّهي المسلمون ابتداءا، لا الرسولﷺ لأنّ الرّسول لم يكن فحّاشاً ولا سبّاباً لأنّ خُلقه العظيم حائل بينه وبين ذلك، وأن ما دلّ على غير هذا فهو تفسير للآية وليس سببا لنزولها.[2]

﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿108﴾﴾.

أي:" كما زيّنا لهؤلاء العادلين بربهم الأوثَانَ والأصنام، عبادةَ الأوثان وطاعةَ الشيطان بخذلاننا إيّاهم عن طاعة الرحمن، كذلك زيَّنا لكل جماعةٍ اجتمعت على عملٍ من الأعمال من طاعة الله ومعصيته، عملَهم الذي هم عليه مجتمعون، ثم مرجعهم بعد ذلك ومصيرهم إلى ربهم...فيُوقفهم ويخبرهم بأعمالهم التي كانوا يعملون بها في الدنيا، ثم يجازيهم بها، إن كان خيرًا فخيرًا، وإن كان شرًّا فشرًّا، أو يعفو بفضله، ما لم يكن شركًا أو كفرًا".[3]

ولم يذكر الطبري وابن كثير والبقاعي وغيرهم أنّ هذه الآية منسوخة، بخلاف ابن الجوزي(596هـ) الذي قال:" قال المفسّرون أنّ هذه الآية نسخت بتنبيه الخطاب في آية السيف".[4]

وإن سلّمنا بالنسخ، فإنّ حكم سبِّ ما يعبد الكافر هو النهي دائما؛ لأنّه يؤدي إلى سب الله تعالى حتما، فوجب تحريمه سدا للذريعة واعتبارا للمآل. ودليله أيضا، ما أخرجه البخاري(256هـ) في صحيحه **عن عبد الله بن عمرو قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ. قِيلَ: يَا رَسُولُ اللهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ".**[5] والحكم في الله أولى لأنّه أعلى وأجل.

وابتداء بضع الآية بقوله ﴿كَذَٰلِكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ ينبّأ بكونها سنّة في كل الأمم السابقة، كما أنّها مشاهدة في الواقع عند كلّ الناس، حسنهم وسيّئهم.

---

[1] – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 693/2.

[2] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 427/7–428.

[3] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 37/12.

[4] – ابن الجوزي، زاد المسير، المكتب الإسلامي: 103/3.

[5] – رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: "لا يسب الرجل والديه"، حديث رقم5628، دار الهدى: 2228/5.

والإنباء:" الإعلام، وهو توقيفهم على سوء أعمالهم. وقد استُعمل هنا في لازم معناه، وهو التّوبيخ والعقاب، لأنّ العقاب هو العاقبة المقصودة من إعلام المجرم بجرمه. والفاء للتّفريع عن المَرْجِع مؤذِنة بسرعة العقاب إثر الرّجوع إليه".[1]

وفي الآية معنى التسلية للنبيّﷺ كما في الآيات السابقة.[2]

ج- **الهدايات المستنبطة:**

1- تقرّر الآيات أنّ مهمّة الرسولﷺ هي التبليغ، ولم يجعل الله من مهامه الرقابة على أعمال المشركين، ولا التوكّل بمصالحهم.

2- تقرّر الآيات أيضا الإيمان بمشيئة الله.

3- هذه الآيات تسليّة من الله تعالى لنبيّه ﷺ لمّا اتهمه قومه المشركون بأنّه درس على يدي غيره، ولِكفرهم المستمر رغم تصريف الآيات.

4- في قوله تعالى:﴿ **وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ** ﴾[سورة الأنعام: الآية 107] تقرير لحرية الدين والاِعتقاد، ما لا نظير له في قانون ولا كتاب.[3]

5- على الداعيّة أن يكون دقيقا في اختيار طرق الخطاب والمناقشة؛ فالتجريح المباشر والمواجهة به لا يوصل إلى الغرض من نقل المخالف إلى حالة أطيب وأكرم. ووضع الأمور في مواضعها هو الحكمة، والحكمة معنى زائد عن العلم ومعرفة الأحكام.[4]

6- تقرّر هذه الآيات سنّة من سننه تعالى، وهي التزيين لكلّ أمّة أعمالها ومعتقداتها، سواء كانت صحيحة أم باطلة.

2- مناسبة المطلب لسابقه:

يقول الرازي في مناسبة هذا المطلب لسابقه:" اعلم أنّه تعالى لمّا حكى عن الكفار أنّهم ينسبونه في إظهار هذا القرآن إلى الاِفتراء أو إلى أنّه يدارس أقواماً ويستفيد هذه العلوم منهم

---

[1] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 434/7.

[2] – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 693/2-694.

[3] – ينظر رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، دار الكتب العلمية: 548/7.

[4] – ينظر سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام: 1743/3.

ثم ينظمها قرآناً ويدّعي أنّه نزل عليه من الله تعالى أتبعه بقوله: ﴿ ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ لئلا يصير ذلك القول سبباً لفتوره في تبليغ الدعوة والرسالة والمقصود تقوية قلبه".[1]

وقال أيضا عن قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ (107) ﴾ " وهذا الكلام أيضاً متعلق بقولهم للرسول عليه السلام إنّما جمعت هذا القرآن من مدارسة الناس ومذاكرتهم".[2] والآية الأخيرة كذلك؛ بالنظر إلى ما جاء في تفسيرها.

فآيات هذا المطلب متعلّقة بآيات المطلب السابق؛ وهي كالنتيجة لها.

كما أنّ إمعان النظر في مقدّمة المبحث ونهايته تظهر الصلة واضحة بين المطلبين؛ إذ بدأ بالحديث عن الشرك وهو إيذاءٌ لله عز وجل، وانتهى بالنهي عن سبّ آلهة المشركين لأنّ ذلك سبب في إيذاء الله.[3]

3- مناسبة المطلب لموضوع السورة:

لمّا كان موضوع السورة مجادلة المشركين ببيان تصرّفاتهم والردّ عليها، ناسب أن ترشد آيات هذا المطلب الرسولﷺ والمؤمنين إلى السبل الصحيحة في معاملتهم. وكانت في هذا المطلب: أمر الرسولﷺ باتباع الوحي، والإعراض عنهم، ونهي المؤمنين عن سبّ آلهتهم حتى لا يسبوا الله.

4- خلاصة المبحث:

جاء المبحث في مطلبين متناسبين؛ إذ كان الثاني كالنتيجة للأوّل.

تحدّث الأوّل منهما عن أحد مواقف المشركين الضالّة إذ جعلوا لله شركاء من الجنّ، كما خرقوا له بنين وبنات. وقد ردّت الآيات عن ذلك بدليل الخلق؛ فهو خالق كلّ شيء، ومبدع السماوات والأرض اللذين يمثّلان هذا الكون الهائل العجيب. كما ردت بإنتفاء الصاحبة، وبكونه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء وكيل؛ فهو بهذا غير محتاج إلى غيره.

وإن كانت عبادتهم للجنّ وطاعتهم لها لأجل احتجابها عن الأبصار، وادّعائها علم الغيب؛ فإنّ الله لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير حقيقة.

---

[1] – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 112/13– 113.

[2] – الرازي، المصدر السابق: 113/13.

[3] – ينظر سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام: 1743/3.

وجاءت الخاتمة لهذه الأدلّة على لسان الرسولﷺ لتقرّر أنّ الآيات التي يُبصَر بها الحقّ واضحة إلا من عمي عليها، وأنّ الرسولﷺ ليس عليهم بحفيظ. ورغم البصائر ورغم تفصيل الآيات في القرآن، أخبرت الآية الأخيرة عن اتّهام المشركين للرسول بدراسته على يد أهل الكتاب.

ونتيجة لذلك جاء المطلب الموالي ليبيّن للرسولﷺ وللمؤمنين طريقة تعاملهم مع هؤلاء؛ إذ أمر الله نبيّه باتباع الوحي والإعراض عن المشركين، وسلاّه بتقرير أنّ شركهم بمشيئته تعالى وأنّه ليس حفيظا عليهم ولا بوكيل، ونهى المؤمنين عن سبّ الشركاء حتى لا يسبّ المشركون الله جاهلين بقدره؛ لأنّ ما من أمّة إلا وزُيّن لها أعمالها ثمّ تُردّ إلى مولاها لينبّئها بما عملت.

فقد وضّفت الآيات دليل الخلق وصفات الله العلى للردّ على انحرافات المشركين في العبادة. وكان استعمال التقريرات القويّة والإِستفهام الإنكاري في خطاب المشركين، وسيلة من وسائل إقناعهم بأنّهم ظالمون بعبادتهم وطاعتهم الجنّ، وخرقهم لله البنين والبنات.

المبحث الثالث: قسمهم بالإيمان إن جاءت الآيات.

[من الآية 109 إلى الآية 135].

جاء هذا المبحث في ست مطالب متناسبة؛ تحدث الأول عن كذب المشركين في قسمهم. والثاني عن عداوة شياطين الإنس والجن الأزلية للأنبياء. وجاء في الثالث أمر الله تعالى بأكل كل ما ذكر اسم الله عليه وعدم طاعة الشياطين في ذلك. وفي الرابع تثبيت النبي ومن معه أمام مكر أكابر المجرمين. أما الخامس فبين سنّة موالاة الظالمين لبعضهم البعض وشهادتهم على أنفسهم يوم التناد. وفي المطلب الأخير تلقين لبعض صفات الربوبية.

المطلب الأول: بيانُ كذب المشركين في قسمهم.

[من الآية 109 إلى الآية 111].

1- تفسير الآيات:

﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (109) وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ (110) وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (111) ﴾[سورة الأنعام: الآيات 109- 111].

﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (109) ﴾.

أ- المناسبة:

تظهر مناسبة هذه الآية لما قبلها مباشرة، في كون تزيين الأعمال سنّة في كل أمّة، وهي من الأسباب التي تمنع المشركين من الإيمان حتى وإن أقسموا جهد أيمانهم.

ب- المعنى:

يقول ابن كثير(774هـ):" يقول تعالى إخبارا عن المشركين أنّهم أقسموا بالله ﴿ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ﴾ أي: حلفوا أيمانا مؤكّدة ﴿ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ ﴾ أي: معجزة وخارقة ﴿ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾

أي: ليصدّقنّها ﴿ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء الذين يسألونك الآيات تعنّتا وكفرا وعنادا لا على سبيل الهدى والاِسترشاد، إنّما مرجع هذه الآيات إلى الله إن شاء أجابكم وإن شاء ترككم".[1]

وهذا سدٌّ لباب الاِقتراح على أبلغ وجه وأحسنه؛ ببيان علوِّ شأن الآيات وصعوبة منالها وتعاليها من أن تكون عرضة للسؤال والاِقتراح.[2]

﴿ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ وفي معنى هذه الآية قولان: أحدهما: وما يدريكم لعلّها إذا جاءت لا يؤمنون، والعرب تجعل "أن" بمعنى "لعل". والثاني: وما يدريكم أنها إذا جاءت يؤمنون، وتكون "لا" صلة.[3]

واختار الإمام الطبري(310هـ) المعنى الأوّل إذ يقول:" وإنّما معنى الكلام: وما يدريكم، أيّها المؤمنون، لعل الآيات إذا جاءت هؤلاء المشركين لا يؤمنون، فيُعاجَلوا بالنقمة والعذاب عند ذلك، ولا يؤخَّروا به".[4]

فالخطاب بذلك للمؤمنين؛ لاِستفاضة القراءة في قراءة الأمصار بـ "الياء" من قوله تعالى: ﴿ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾. وقراءة المكّيين بـ "التاء" شاذة لمخالفتها قراءة هؤلاء الجمع.[5]

ويقول ابن عاشور(١٣٩٣هـ) عن الاِستفهام في هذه الآية:" فلنحمل اسم الاِستفهام هنا على معنى التّنبيه والتشكيك في الظنّ، ونحمل فعل يشعركم على أصل مقتضى أمثاله من أفعال العِلم، وإذا كان كذلك كان نفي إيمان المشركين بإتيان آية وإثباتُه سواء في الفرض الّذي اقتضاه الاِستفهام، فكان المتكلّم بالخيار بين أن يقول: إنّها إذا جاءت لا يؤمنون، وأن يقول: إنّها إذا جاءت يؤمنون. وإنّما أوثر جانب النفي للإيماء إلى أنّه الطرف الرّاجح الّذي ينبغي اعتماده في هذا الظنّ".[6]

﴿ وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١١٠ ﴾.

---

[1] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا: 188/3.

[2] – ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 427/2.

[3] – ينظر ابن الجوزي، زاد المسير، المكتب الإسلامي: 104/3-105.

[4] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 43/12.

[5] – ينظر الطبري، المصدر نفسه.

[6] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 439/7.

أ- **المناسبة:**

لما كان التقدير: فإنّا نطبع على قلوبهم، ونزيّن لهم سوء أعمالهم، عطف عليه قوله: ﴿وَنُقَلِّبُ﴾.[1] أي أنّ هذه الآية مناسِبة للتي قبلها في معنى الطبع على القلوب وتزيين الأعمال.

وقوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ "عطف على لا يؤمنون داخل في حكم ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ مقيد بما قيد به".[2] أي ما يشعركم أنّهم لا يؤمنون، وما يشعركم أنّنا لا نقلّب قلوبهم وأبصارهم فيصبحوا كافرين.

أما ابن عاشور (رحمه الله) فقال:" يجوز أن يكون عطفاً على جملة ﴿أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[سورة الأنعام: الآية ١٠٩] فتكون بياناً لقوله: ".[3]

ب- **المعنى:**

يقول الإمام الطبري (رحمه الله) في معنى هذه الآية الجليلة المعبّرة عن المعنى العميق للقضاء والقدر وعن المشيئة الإلهية في الكفر والإيمان:" إن الله جل ثناؤه، أخبر عن هؤلاء الذين أقسموا بالله جهدَ أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمننّ بها: أنَّه يقلّب أفئدتهم وأبصارهم ويصرِّفها كيف شاء، وأنّ ذلك بيده يقيمه إذا شاء، ويزيغه إذا أراد... فالواجب أن يكون معنى الكلام: ونقلب أفئدتَهم، فنزيغها عن الإيمان، وأبصارَهم عن رؤية الحق ومعرفة موضع الحجّة، وإن جاءتهم الآية التي سألوها، فلا يؤمنوا بالله ورسوله وما جاء به من عند الله، كما لم يؤمنوا بتقليبنا إياها قبلَ مجيئها مرَّة قبل ذلك".[4]

وهذا ليس مع توجّه أفئدتهم إلى الحقّ واستعدادها لقبوله، بل لكمال نبوّها عنه وإعراضها بالكلية؛ ولذلك أخّر ذكره عن ذكر عدم إيمانهم إشعارا بأصالتهم في الكفر وحسما لتوهّم أنّ عدم إيمانهم ناشئ من تقليبه تعالى مشاعرهم بطريق الإجبار. ويكون عدم إيمانهم هذا، كما لم يؤمنوا به أوّل مرة عند ورود الآيات السابقة.[5]

---

[1] – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 696/2.

[2] – أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 428/2.

[3] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 441/7.

[4] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 45/12.

[5] – ينظر أبو السعود، المصدر نفسه.

وقد عبّر عن ذلك الحال المخالف للفطرة السليمة بأنّه تقليب لعقولهم وأبصارهم، لأنّها كانت مقلوبة عن المعروف عند أهل العقول السليمة، وليس داعي الشّرك فيها تقليباً عن حالة كانت صالحة لأنّها لم تكن كذلك حيناً، ولكنّه تقليب لأنّها جاءت على خلاف ما الشّأن أن تجيء عليه.[1]

﴿ وَنَذَرُهُمْ ﴾ هي" عطفٌ على لا يؤمنون، داخلٌ في حكم الاِستفهام الإنكاري، مقيّدٌ بما قيّد به، مبيّنٌ لما هو المراد بتقليب الأفئدة والأبصار، ومعربٌ عن حقيقته؛... بأن يُخلّيَهم وشأنهم بعد أن عُلم فسادُ استعدادِهم، وفرطُ نفورِهم عن الحق، وعدمُ تأثير اللطف فيهم أصلا".[2]

﴿ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ أي:" ونذر هؤلاء المشركين الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم: لئن جاءتهم آية ليُؤمنُنّ بها عند مجيئها، في تمرُّدهم على الله واعتدائهم في حدوده، يتردَّدون، لا يهتدون لحق، ولا يبصرون صوابًا، قد غلب عليهم الخِذْلان، واستحوذ عليهم الشيطانُ".[3]

﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾.

أ- المناسبة:

هذه الآية" تصريحٌ بما أشعر به قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[سورة الأنعام: الآية ١٠٩] من الحكم الداعية إلى ترك الإجابة إلى ما اقترحوه من الآيات إثر بيان أنها في حُكمه وقضاءه. وبيانٌ لكذبهم في أيمانهم الفاجرة على أبلغ وجه وآكده".[4]

وأيّد الشيخ ابن عاشور الإمام أبو السعود في كونها بيانا لجملة ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[سورة الأنعام: الآية 109]. وزاد عليه بأنّها معطوفة على نفس الجملة، التي

---

[1] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 441/7.

[2] – أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 2/ 428-429.

[3] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 46/12.

[4] – أبو السعود، المصدر السابق: 430/2.

بدورها عطفاً على جملة ﴿قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾[سورة الأنعام: الآية ﮒ]؛ فتكون ثلاثتها ردّا على مضمون جملة ﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ ﴾[سورة الأنعام: الآية 109].[1]

ب- المعنى:

يقول الطبري(ﮒﮓ) في معنى الآية:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمدﷺ: يا محمد، آيسْ من فلاح هؤلاء العادلين بربهم الأوثانَ والأصنام، القائلين لك:" لئن جئتنا بآية لنؤمنن لك"، فإننا لو نزّلنا إليهم الملائكة حتى يروها عيانًا، وكلّمهم الموتى بإحيائنا إياهم حُجَّةً لك، ودلالة على نبوّتك، وأخبروهم أنّك محقٌّ فيما تقول، وأنّ ما جئتهم به حقٌّ من عند الله، وحشرنا عليهم كل شيء فجعلناهُم لك قبلا، ما آمنوا ولا صدّقوك ولا اتبعوك إلا أن يشاء الله ذلك لمن شاء منهم".[2]

وفي معنى "ﮤ" ثلاثة أقوال: الصنف، والكفيل أي: يَكفَل بصحة ما يقول الرسولﷺ، والمقابل.[3] ولا تضاد بين هذه المعاني؛ إذ يمكن لها أن تجتمع معا، ويحشر الله لهم كلّ شيء صنفا صنفا، فيقابلهم، ويكفل بصحّة ما يقول النبيﷺ.

﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ "استثناء من عموم الأحوال التي تضمّنها عموم نفي إيمانهم، فالتّقدير:" إلاّ بمشيئة الله"، أي حال أن يشاء الله تغيير قلوبهم فيؤمنوا طوعاً، أو أن يكرههم على الإيمان بأن يسلّط عليهم رسوله ﷺ كما أراد الله ذلك بفتح مكّة وما بعده. ففي قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ تعريض بوعد المسلمين بذلك".[4]

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ ﴾ فيه قولان: أحدهما: يجهلون أنّ الأشياء لا تكون إلا بمشيئة الله عز وجل. والثاني: أنّهم يجهلون أنهم لو أُوتوا بكلّ آية ما آمنوا.[5]

---

[1] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 5/8.

[2] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 46/12-47.

[3] – ينظر ابن الجوزي، زاد المسير، المكتب الإسلامي: 107/3.

[4] – ابن عاشور، المصدر السابق: 6/8-7.

[5] – ينظر ابن الجوزي، المصدر نفسه.

ومعنى هذه الآية كما قال البقاعي(رحمه الله):" أي [هم] أهل جهل مطبوعون فيه، يقسمون على الإيمان عند مجيء آية مقترحة ولا يشعرون أنّ المانع لهم من الإيمان إنّما هو المشيئة وإلا لآمنوا بما جاءهم من الآيات، فإنّه كفاية في المبادرة إلى الإيمان، والآيات كلّها متساوية الأقدام في الدلالة على صدق الداعي بخرق العادة والعجز عن الإتيان بمثلها".[1]

فهو مثل الطبري يرى أنّ المقصود بالذين يجهلون؛ المشركين لا المؤمنين خلافا لمن جوّز ذلك من المفسرين كأبي السعود.[2]

ج- **الهدايات المستنبطة:**

أ- يقلّب الله أفئدة الكفار وأبصرهم؛ حتى لا يؤمنوا وإن جاءت الآيات التي طلبوها؛ وذلك بما كفروا بها أوّل مرّة جحودا، ولأنّ المعجزات واحدة في قوّة الدلالة على صدق القرآن والنبوّة. فالآيات هنا تقرّر المشيئة الإلهية التي لا تنفكّ عن العدالة والحكمة. وهي تمثّل حقيقة القضاء والقدر في الإسلام.

ب- كانت قلوب المشركين مملوءة طغياناً ومكابرة للحقّ، وكانت تصرِف أبصارهم عن النّظر والاِستدلال، ولذلك أضاف الطّغيان إلى ضمير "هم" للدّلالة على تأصّله فيهم ونشأتهم عليه وأنّهم حُرموا لين الأفئدة الّذي تنشأ عنه الخشيةُ والذّكرى.[3]

ج- تتلخّص مشيئته تعالى في قوله "كن"، أو بتيسير الأسباب، فهي لازمة عن قهره فوق عباده، وعظيم قدرته، وواسع علمه وحكمته.

د- نفهم من هذه الآيات معنى تيسير الله للأسباب، ومعنى توفيقه لعباده وعدمه، وأثر ذلك في كلّ شؤون حياتهم؛ لذلك من أراد سؤال العطاء فليسأل الله.

تنكر الآيات على المشركين قسمهم بالإيمان بالآيات إن جاءت، دون اعتبار لمشيئته سبحانه. فلا يُقسِم أحد على شيء في المستقبل؛ لأنّه يجهل مشيئة الله وحكمته، وليعلم أنّ الله وحده العلم المطلق. يقول عزّ وجل: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿23﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿24﴾ ﴾[سورة الكهف: الآية

[1] - البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 696/2.

[2] - ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 431/2.

[3] - ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 444/7.

سمير–شمير] وذلك ليس تأدّبا مع الله فحسب، بل هو تجسيد عملي لمعاني الصفات، وبيان أثارها في حياة الأفراد والمجتمعات.

هـ– تقرّر الآيات أنّ ضلال المشركين ليس لنقص الدلائل والبراهين، وإنّما لآفة في القلب، وعطل في الفطرة. وأنّ الهدى جزاءٌ لا يستحقّه إلاّ الذين يتّجهون إليه، والذين يجاهدون فيه. وهذه حقيقة يجهلها أكثر النّاس في طبائع القلوب.[1]

ي– مناسبة المطلب لسابقه:

تتحدّث آيات المطلبين عن أسباب بقاء الكافر على كفره؛ وتتمثل في تزيين الله الأعمال في قلوب أصحابها وإن كانت باطلة كسنّة عامة في الأمم والأفراد في الأوّل، وفي عدم المشيئة في الثاني بتقليب قلوب المشركين وأبصارهم عن الحق لإصرارهم على إنكار الآيات.

س– مناسبة المطلب لموضوع السورة:

تجادل هذه الآيات الكريمات المشركين في صفة لازمة عن قدرته تعالى وعلمه، مؤثّرة في أفعالهم وتصرّفاتهم، دافعة لهم إلى عبادته وحده، ألا وهي صفة المشيئة. فتبيّن الآيات أثرها في شرك المشركين، وكونها سببا من أسبابه، من غير ظلم لهم، وتنكر عليهم قسمهم الذي أقسموه لعدم اعتبارهم لها.

المطلب الثاني: تقرير سنّة عداوة شياطين الإنس والجن للأنبياء.

[من الآية 112 إلى الآية 117].

1– تفسير الآيات:

﴿ وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ ﴿113﴾ أَفَغَيۡرَ
ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ
بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿114﴾ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ

[1] – ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: 1170/7.

﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ (116) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ (117) ﴾ [سورة الأنعام: الآيات 112–117].

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ (112) ﴾.

أ- المناسبة:

الآية:" اعتراض قصد منه تسليّة الرّسولﷺ و"الواو" واو الاعتراض؛ لأنّ الجملة بمنزلة الفذلكة، وتكون للرّسولﷺ تسليّة بعد ذكر ما يحزنه من أحوال كفار قومه، وتصلبّهم في نبذ دعوته، فأنبأه الله: بأنّ هؤلاء أعداؤه، وأنّ عداوة أمثالهم سنّة من سنن الله تعالى في ابتلاء أنبيائه كلّهم".[1]

ب- المعنى:

يقول الإمام الطبري(رحمه الله):" يقول تعالى ذكره لنبيه محمدﷺ... وكما ابتليناك، يا محمد، بأن جعلنا لك من مشركي قومك أعداء شياطينَ يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول، ليصدُّوهم بمجادلتهم إياك بذلك عن اتباعك والإيمان بك وبما جئتهم به من عند ربّك، كذلك ابتلينا من قبلك من الأنبياء والرسّل، بأن جعلنا لهم أعداءً من قومهم يؤذُونهم بالجدال والخصومات...لأبتليهم وأختبرهم، مع قدرتي على منع من آذاهم من إيذائهم".[2] فالطبري يرى أنّ شياطين الإنس هم من يضلون الإنس، وشياطين الجن هم من يضلون الجن.

ويقول ابن الجوزي (رحمه الله):" وفي شياطين الإنس والجن ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم مردة الإنس والجن قاله الحسن وقتادة والثاني: أن شياطين الإنس الذين مع الإنس وشياطين الجن الذين مع الجن قاله عكرمة والسدي والثالث: أن شياطين الإنس والجن كفارهم قاله مجاهد".[3]

---

[1] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 8/8.

[2] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 51/12.

[3] – ابن الجوزي، زاد المسير، المكتب الإسلامي: 3/ 108.

﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ يعني:" أنّه يلقي الملقي منهم القولَ، الذي زيّنه وحسَّنه بالباطل إلى صاحبه، ليغترّ به من سمعه، فيضلّ عن سبيل الله".[1]

﴿ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ أي:" إذا كان ما فعلوه من أحكام عداوتك من فنون المفاسد بمشيئته تعالى فاتركهم وافتراءهم أو وما يفترونه من أنواع المكايد فإنّ لهم في ذلك عقوبات شديدة ولك عواقب حميدة لِابتناء مشيئته تعالى على الحكم البالغة البتّة".[2]

﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿113﴾ ﴾.

أ- المناسبة:

﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ ﴾ يقول ابن عاشور (رحمه الله):" عُطِف قوله:﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ ﴾ على ﴿ غُرُورًا ﴾[سورة الأنعام: الآية ١١٢] لأنّ ﴿ غُرُورًا ﴾ في معنى ليغرّوهم. واللام لام كي وما بعدها في تأويل مصدر، أي: ولصغي، أي مَيل قلوبهم إلى وحيِهم فتقوم عليهم الحجّة".[3]

ب- المعنى:

أي:" ﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ ﴾ أي: تميل ميلاً قوياً تعرض به ﴿ إِلَيْهِ ﴾ أي كذبهم وما في حيزه ﴿ يز ﴾ أي: قلوب ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ أي ليس في طبعهم الإيمان بها لأنها غيب، وهم لبلادتهم واقفون مع الوهم؛ ولذلك استولت عليهم الدنيا التي هي أصل الغرور ﴿ وَلِيَرْضَوْهُ ﴾ أي بما تمكّن من ميلهم إليه ﴿ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ ﴾ أي يفعلوا بجهدهم ﴿ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾".[4]

---

[1] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 51/12.

[2] – أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 432/2.

[3] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 11/8.

[4] – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 697/2-698.

وخصّ من صفات المشركين عدمُ إيمانهم بالآخرة، فعُرّفوا بهذه الصّلة للإيماء إلى بعض آثار وحي الشّياطين لهم. وهذا الوصف أكبر ما أضرّ بهم؛ إذ كانوا بسببه لا يتوخّون فيما يصنعون خشية العاقبة وطلَبَ الخير.[1]

وجيء في صلة الموصول بالجملة الاِسميّة في قوله: ﴿ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ للدلالة على تمكّنهم في ذلك الاِقتراف وثباتهم فيه.[2]

وترتيب هذه المفاعيل في غاية الفصاحة؛ لأنّه أولاً يكون الخداع فيكون الميل فيكون الرضا فيكون الفعل فكأنّ كلّ واحد مسبّب عمّا قبله.[3]

﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ۚ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (114) ﴾.

أ- المناسبة:

تكمن مناسبة هذه الآية لما قبلها في كونها:" كلام مستأنف واردٌ على إرادة القول، والهمزة للإنكار، والفاء للعطف على مقدّر يقتضيه الكلام أي قل لهم: أأميل إلى زخارف الشياطين فأبتغي حكما غير الله يحكم بيننا ويفصل المحقّ منا من المبطل؟"[4]

ب- المعنى:

أي: لا أطلب حكَماً بيني وبينكم غير الله الّذي حكم حُكمَه عليكم بأنّكم أعداء مقترفون.[5]

ثم إنّ الدليل الدال على نبوّته قد حصل لوجهين:

الوجه الأول: أنّ الله قد حكم بنبوّته من حيث إنّه أنزل إليه الكتاب المفصّل المبيّن المشتمل على العلوم الكثيرة والفصاحة الكاملة وقد عجز الخلق عن معارضته. والوجه

---

[1] – ينظر ابن عاشور، المصدر السابق: 12/8.

[2] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 13/8.

[3] – ينظر أبو حيان، البحر المحيط، دار الكتب العلمية: 211/4.

[4] – أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 433/2– 434.

[5] – ينظر ابن عاشور، المصدر السابق: 14/8.

الثاني: اشتمال التوراة والإنجيل على الآيات الدالّة على أنّ محمداًﷺ رسول حقّ وعلى أنّ القرآن كتاب حقّ من عند الله تعالى.[1]

يقول ابن الجوزي(ت597هـ):" و ﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾: القرآن، و"المفصّل": المبيّن الذي بان فيه الحق من الباطل، والأمر من النهي، والحلال من الحرام".[2]

﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ " فيه وجوه الأول: أنّ هذا من باب التهييج والإلهاب كقوله ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ الآية [سورة الأنعام: الآية ١٤]. والثاني: التقدير فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ في أنّ أهل الكتاب يعلمون أنّه منزّل من ربك بالحق. والثالث: يجوز أن يكون خطاباً لكلّ واحد والمعنى أنّه لمّا ظهرت الدلائل فلا ينبغي أن يمتري فيها أحد. الرابع: قيل هذا الخطاب وإن كان في الظاهر للرسول إلا أنّ المراد منه أمّته".[3]

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (115) ﴾.

أ- المناسبة:

يقول الإمام الرازي(606هـ):" تعلُّق هذه الآية بما قبلها أنّه تعالى بيّن في الآية السابقة أنّ القرآن معجز، فذكر في هذه الآية أنّه تمّت كلمة ربّك والمراد بالكلمة القرآن أي تمّ القرآن في كونه معجزاً دالاً على صدق محمد عليه السلام".[4]

وهي أيضا شروعٌ في بيان كمال الكتاب المذكور من حيث ذاتُه إثر بيان كماله من حيث إضافتُه إليه تعالى بكونه منزّلا منه بالحق.[5]

[1] – ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 130/13.

[2] – ابن الجوزي، زاد المسير، المكتب الإسلامي: 110/3.

[3] – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 130/13.

[4] – الرازي، المصدر السابق: 131/13.

[5] – ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 435/2.

ب– المعنى:

جمع ابن الجوزي أقوال المفسّرين المختلفة في معنى﴿ كَلِمَتُ ﴾ و﴿ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ وفي ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ فقال:" المراد بهذه الكلمات ثلاثة أقوال: أحدها: أنّها القرآن قاله قتادة. والثاني: أقضيته وعداته. والثالث: وعده ووعيده وثوابه وعقابه. وفي قوله صدقا وعدلا قولان: أحدهما: صدقا فيما أخبر وعدلا فيما قضى وقدر. والثاني: صدقا فيما وعد وأوعد وعدلا فيما أمر ونهى. وفي قوله لا مبدل لكلماته قولان: أحدهما: لا يقدر المفترون على الزيادة فيها والنقصان منها والثاني: لا خلف لمواعيده ولا مغيّر لحكمه".[1] وهذه الأقوال مختلفة فيما بينها اختلاف تنوّع لا اختلاف تضاد؛ فإذا كان معنى الكلمة هو القرآن وهو الراجح، فإنّ أقضيته وعاداته ووعده ووعيده وثوابه وعقابه متضمّنة فيه. والأقوال الأخرى كلّها صحيحة؛ لا يمكن القول بواحد منها دون الآخر.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ معناه:" والله ﴿ٱلسَّمِيعُ ﴾ لما يقول هؤلاء العادلون بالله، المقسمون بالله جهد أيمانهم: ﴿لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾ وغير ذلك من كلام خلقهٖ ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴾ بما تؤول إليه أيمانهم من برٍّ وصدق وكذب وحِنْثٍ، وغير ذلك من أمور عباده".[2]

وهي تذييل لجملة: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ أي: وهو المطّلع على الأقوال، العليم بما في الضّمائر، وهذا تعريض بالوعيد لمن يسعى لتبديل كلماته.[3]

فذكر هاتين الصّفتين هنا: وعيد لمن شملته آيات الذمّ السابقة، ووعد لمن أُمر بالإعراض عنهم وعن افترائهم، وبالتحاكم معهم إلى الله، والّذين يعلمون أنّ الله أنزل كتابه بالحقّ.[4]

﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (116) ﴾.

---

[1] – ابن الجوزي، زاد المسير، المكتب الإسلامي: 111/3.

[2] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 63/12.

[3] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 22/8.

[4] – ينظر ابن عاشور، المصدر نفسه.

أ- المناسبة:

يقول الرازي في المناسبة:" أنه تعالى لما أجاب عن شبهات الكفار ثم بيّن بالدليل صحّة نبوّة محمدﷺ، بيّن أنّ بعد زوال الشبهة وظهور الحجّة لا ينبغي أن يلتفت العاقل إلى كلمات الجهّال ولا ينبغي أن يتشوّش بسبب كلماتهم الفاسدة".[1]

فهذه الجملة: متّصلة بجملة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١١٢] وبجملة: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١١٤] وما بعدها إلى: ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١١٥].[2]

ب- المعنى:

أي:" لا تطعهم فيما دعوك إليه، فإنك إن تطعهم ضللت ضلالهم، وكنتَ مثلهم؛ لأنهم لا يدعونك إلى الهدى وقد أخطأوه. ثم أخبر جل ثناؤه عن حال الذين نَهَى نبيّه عن طاعتهم فيما دعوه إليه في أنفسهم، فقال: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴾، فأخبر جلّ ثناؤه أنّهم من أمرهم على ظنّ عند أنفسهم، وحسبان على صحّة عزمٍ عليه، وإن كان خطأ في الحقيقة ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ يقول: ما هم إلا متخرِّصون، يظنّون ويوقعون حَزْرًا، لا يقينَ علمٍ".[3]

وذكر ابن الجوزي(٥٩٧هـ) أربعة أقوال في الأمر الذي يطيعهم فيه:" أحدها: في أكل الميتة والثاني: في أكل ما ذبحوا للأصنام والثالث: في عبادة الأوثان والرابع: في اتباع ملل الآباء".[4]

وأمر المشركين كله ضلال، لأنّهم يتّبعون الظن ولا يسلكون الطريق الذي يوصل إلى الحقيقة. فقد زُيّن لهم عبادة الأوثان التي كان يعبدها أباهم، وأكل الميتة وكذا أكل ما ذبح للأصنام، وخصّ المفسّرون الأمرين الأخيرين بالذكر لأنهما المقصود من الآيات اللاحقة.

[1] – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 133/13.

[2] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 23/8.

[3] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 64/12- 65.

[4] – ابن الجوزي، زاد المسير، المكتب الإسلامي: 111/3.

وجملة: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴾ استئناف بياني، نشأ عن قوله: ﴿ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ فبيّن سبب ضلالهم: أنّهم اتَّبعوا الشّبهة، من غير تأمّل في مفاسدها، فالمراد بالظنّ ظنّ أسلافهم، كما أشعر به ظاهر قوله: ﴿ يَتَّبِعُونَ ﴾. وأما قوله ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ عطف على جملة: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴾، وبوجود حرف العطف، تعيّن أنّ المراد بالأولى غير الثانية، والسّياق اقتضى ذمّ الإستدلال بالخرص، لأنّه حزر وتخمين لا ينضبط.[1]

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿117﴾ ﴾.

أ- المناسبة:

يقول الإمام البقاعي(رحمه الله): " ولما كان المقام للعلم، الكاشف للحقائق، المبيّن لما يتّبع وما يجتنب، قال معللاً لهذا الإخبار: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ ﴾ الآية".[2]

والآية تقريرٌ لمضمون الشرطية وما بعدها من الآية السابقة وتأكيد لما يفيده من التحذير.[3]

ب- المعنى:

يخاطب تعالى ذكره نبيّه محمدﷺ قائلا: إن ربك الذي نهاك أن تطيع هؤلاء العادلين بالله الأوثانَ، لئلا يُضِلّوك عن سبيله، هو أعلم منك ومن جميع خلقه أيُّ خلقه يَضلّ عن سبيله بزخرف القول الذي يوحِي الشياطين بعضُهم إلى بعض، فيصدُّوا عن طاعته واتباع ما أمر به. وهو أعلم أيضًا منك ومنهم بمن كان على استقامة وسدادٍ، لا يخفى عليه منهم أحد.[4]

و"التفضيل في العلم بكثرته وإحاطته بالوجوه التي يمكن تعلّق العلم بها ولزومُه وكونُه بالذات لا بالغير".[5]

---

[1] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 8/27–28.

[2] – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 2/701.

[3] – ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 2/436.

[4] – ينظر الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 2/65.

[5] – ينظر أبو السعود، المصدر نفسه.

تر- **الهدايات المستنبطة:**

تر- في الآيات تسلية للرسولﷺ وكل داع إلى الله تعالى بإعلامه أنّه ما من نبيّ ولا داع إلا وله أعداء.

ير- التحذير من التمويه والتغرير فإنّ أمضى سلاح للشياطين هو التزيّين والتغرير.[1]

سم- يُفهم من الآيات أنّه كما أنّ من سنّته تعالى أن يجعل للأنبياء أعداء من شياطين الإنس والجن، كذلك تمّت كلمته بنصر المرسلين، وخذلان الأعداء المفسدين.[2]

شم- القلوب الفارغة من الإيمان باليوم الآخر، أكثر القلوب ميلاً إلى الباطل والشر والفساد.

له- الظنّ، في اصطلاح القرآن، هو الاِعتقاد المخطئ عن غير دليل، الّذي يحسبه صاحبه حقّا وصحيحاً، قال تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾[سورة يونس: الآية لي سم] وليس هو الظنّ الّذي اصطلح عليه فقهاؤنا في الأمور التّشريعية، فإنَّهم أرادوا به العلم الرّاجح في النّظر، مع احتمال الخطأ احتمالاً مرجوحاً، لتعسّر اليقين في الأدلّة التكليفيّة.[3]

لي- يحتوي القرآن على دلائل تدلّ على مصدره الرباني، وعلى صدق نبوّة محمدﷺ، ويشهد على ذلك أيضا أهل الكتاب.

بي- القرآن الكريم كتاب محفوظ، ومن بين أحكامه ما لا يتبدّل ولا يتغير على مرّ الزمن؛ فلن يصبح – مثلا- أكل ما لم يذكر اسم الله عليه، أو أكل الميتة حلالا يوما. كما يحتوي سننا ربانيّة على المسلم قبل غيره تدبّرها والاِستفادة منها.

تي- وجوب تحكيم شرع الله في كل ما يرد إلى العالَم الإسلامي من رؤى وأفكار وتحليلات وسائر ما تبثّه وسائل الإعلام؛ لزخرفتها الأباطيل وطمسها للحقائق، فهذا منهج القرآن في التلقي والقبول.[4]

---

[1] – ينظر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم: 107/2.

[2] – ينظر رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، دار الكتب العلمية: 11/8.

[3] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 16/8.

[4] – ينظر أحمد محمد الشرقاوي وآخرون، التفسير الموضوعي لآيات القرآن الكريم: 544/2.

ي- يقرّر السياق في هذه الآيات جهة الحاكمية في أمر العباد كلّه كتمهيد طويل لتقرير جهة الحاكمية في التحليل والتحريم في الذبائح، الأمر الذي يزاول فيه المشركون حق الحاكمية افتراء على الله واعتداء على سلطانه.[1]

ير- **مناسبة المطلب لسابقه:**

تر- لما بيّنت آيات المطلب السابق تعلّق المشيئة بإيمان المشركين حتى وإن جاءت الآيات، بيّنت الآيات هنا تعلّقها بعداوة شياطين الإنس والجن للأنبياء، بالإيحاءات المزخرفة والإفتراءات.

2- لما بيّن في الآيات السابقة أنّ المشركين لا يؤمنون مهما أنزل الله من الآيات، وأنّه يقلّب أفئدتهم، جاء هنا ما يفصّل ذلك، ويبيّن سببه في قوله: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾[سورة الأنعام: الآية 114]؛ فلا يُحتاج إلى دليل آخر. وكذلك قوله: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾[سورة الأنعام: الآية 116]؛ فهذا منهجهم في التفكير فلا يجب أن يُصدّقوا إذا أقسموا.

سم- لما حكى تعالى عن الكفار أنّهم أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها، أجاب عنه بأنّه لا فائدة في إظهار تلك الآيات لأنّه تعالى لو أظهرها لبقوا مصرّين على كفرهم. ثم إنّه تعالى بيّن في قوله: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ﴾ الآية، أنّ الدليل الدال على نبوّته قد حصل وكمل فكان ما يطلبونه طلباً للزيادة وذلك مما لا يجب الإلتفات إليه.[2]

4- ولمّا اشتملت الآيات المتقدّمة على بيان ضلال الضالّين، وهدى المهتدين، كان قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿117﴾ ﴾ تذييلاً لجميع تلك الأغراض.[3]

سم- **مناسبة المطلب لموضوع السورة:**

لما كان موضوع السورة مجادلة المشركين في لازم الربوبية، بيّنت الآيات هنا سبب تعنّتهم وطلبهم المستمر للآيات وكثرة الجدال عندهم؛ بكونهم يصغون لإغراءات الشياطين لأنّهم لا

---

[1] – ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: 1193/8.

[2] – ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر: 167/13.

[3] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 28/8.

يؤمنون بالآخرة، وأنّهم يتّبعون الظنّ فيما يعتقدون. وأمرت الرسولﷺ أن لا يطيعهم لأنّهم مضلون، وأن يذرهم وما يقترفون، وأن يردّ بأنّ القرآن هو أعظم دليل على كونه من عند الله وعلى صدق الرسالة، وكذا شهادة أهل الكتاب. فهذا جدال فعلي وقولي لهم، يفضح حقيقة كفرهم أمام الرسولﷺ والمؤمنين ويبيّن لهؤلاء سبل التعامل مع ما يفترون.

المطلب الثالث: الأمر بأكل ما ذُكر اسم الله عليه وعدم طاعة أولياء الشياطين.

[من الآية 118 إلى الآية 122].

1- تفسير الآيات:

﴿ فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ١١٨ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تَأۡكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَقَدۡ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ إِلَّا مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا لَّيُضِلُّونَ بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُعۡتَدِينَ ١١٩ وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ ١٢٠ وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ١٢١ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢ ﴾ [سورة الأنعام: الآيات ١١٨- ١٢٢].

﴿ فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ١١٨ ﴾.

أ- المناسبة:

يقول أبو السعود(رحمه الله) في مناسبة هذه الآية لما قبلها:" أمر مترتّب على النهي عن اتباع المضلّين الذين من جملة إضلالهم تحليل الحلال وتحريم الحرام".[1]

وما تُشعر به الفاء من التفريع يقضي باتّصال هذه الجملة بالّتي قبلها؛ فلمّا نهى الله عن اتّباعهم، وسمّى شرائعهم خرْصاً، وذيّل ذلك بقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ

[1] – ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 436/2.

﴿أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (117)﴾، فرّع عليه هنا الأمر بأكل ما ذكر اسم الله عليه.[1]

فالآية وما بعدها تفصيل بالمثال عمّا يمكن أن يضلّ المشركون به المؤمنين.

ب- المعنى:

يقول الإمام الطبري(رحمه الله):" يقول تعالى ذكره لنبيّه محمدﷺ وعباده المؤمنين به وبآياته: ﴿فَكُلُوا﴾، أيّها المؤمنون، مما ذكّيتم من ذبائحكم وذبحتموه الذبح الذي بيّنت لكم أنّه تحلّ به الذبيحة لكم... إن كنتم بحجج الله التي أتتكم وأعلامه، بإحلال ما أحللت لكم، وتحريم ما حرّمت عليكم من المطاعم والمآكل، مصدّقين، ودَعوا عنكم زخرف ما توحيه الشياطين بعضها إلى بعض من زخرف القول لكم، وتلبيس دينكم عليكم غرورًا".[2]

و" هذا إباحة من الله لعباده المؤمنين أن يأكلوا من الذبائح ما ذكر عليه اسمه، ومفهومه أنّه لا يباح ما لم يذكر اسم الله عليه كما كان يستبيحه كفار قريش من أكل الميتات وأكل ما ذبح على النصب وغيرها".[3]

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (119)﴾.

أ- المناسبة:

هذه الآية مناسبة تماما لما قبلها؛ فلمّا أباحت الآية السابقة أكل ما ذكر اسم الله عليه، "أنكرت هذه أن يكون للمؤمنين شيء يدعوهم لِاجتناب أكل ما ذُكر عليه اسم الله".[4]

ب- المعنى:

ندب الله إلى الأكل مما ذكر اسم الله عليه؛ إذ لا يوجد سبب أو غرض يحمل المؤمنين على غير ذلك، والحال أنه قد " فصل" - بالتشديد أو بالتخفيف- أي: بيّن ووضّح لهم ما

---

[1] - ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 8/30-31.

[2] - الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 12/67.

[3] - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا: 3/192.

[4] - أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 2/436.

حرّم عليهم. ثم استثنى حال الاِضطرار؛ إذ يباح لهم أكل ما وجدوا وإن لم يُذكر اسم الله عليه.[1]

﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ لما كان مفهوم قوله تعالى السابق حرمة أكل ما لم يذكر اسم الله عليه، بيّن سبحانه هنا جهالة المشركين في آرائهم الفاسدة من استحلالهم الميتات وما ذكر عليه غير اسم الله تعالى.[2]

﴿ لَّيُضِلُّونَ ﴾ فمن قرأها بالفتح أراد أنّهم هم الذين ضلّوا، ومن ضمّ أراد أنّهم أضلّوا غيرهم وذلك أبلغ في الضلال لأنّ كلّ مضل ضال وليس كل ضال مضلا.[3]

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ ثم أثبت الله لنفسه الشريفة، أنّه أعلم باعتدائهم وافترائهم وتجاوزهم لحدود الحق إلى الباطل، والحلال إلى الحرام، واجتهادهم في ذلك.[4]

و" هو تذييل، وفيه إعلام للرّسولﷺ بتوعّد الله هؤلاء الضالّين المضلين، فالإخبار بعلم الله بهم كناية عن أخذه إيَّاهم بالعقوبة وأنَّه لا يفلتهم. وسمّاهم الله معتدين، والاِعتداء: الظلم؛ لأنَّهم تقلّدوا الضّلال من دون حجّة ولا نظر، فكانوا معتدين على أنفسهم، ومعتدين على كلّ من دَعوه إلى موافقتهم".[5]

﴿ وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ ﴿120﴾ ﴾.

أ- المناسبة:

هذه جملة معترضة ، والواو اعتراضيّة.[6]

---

[1] - ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية المص: 437/2. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا: 192/3.

[2] - ينظر ابن كثير، المصدر نفسه.

[3] - ينظر ابن الجوزي، زاد المسير، المكتب الإسلامي: 113/3.

[4] - ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 702/2- 703. وأبو السعود، المصدر نفسه.

[5] - ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 36/8.

[6] - ينظر المصدر السابق: 37/8.

ويقول الإمام الرازي(رحمه الله):" اعلم أنّه تعالى لمّا بيّن أنّه فصّل المحرّمات أتبعه بما يوجب تركها بالكليّة بقوله: ﴿ وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ ﴾".[1]

ب- **المعنى:**

نقل المفسّرون ثلاث أقوال عن التابعين في معنى ﴿ ٱلۡإِثۡمِ ﴾ أحدها: أنّه الزنا رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنّه عام في كل إثم والمعنى: ذروا المعاصي سرّها وعلانيتها وهذا مذهب أبي العالية ومجاهد وقتادة. والثالث: أنّ الإثم المعصيّة.[2]

وذهب الطبري وابن كثير وغيرهم كثير إلى أنّ الآية عامة؛ ويدخل فيها كلّ ما سبق. يقول الإمام الطبري(رحمه الله):" والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره تقدم إلى خلقه بترك ظاهر الإثم وباطنه، وذلك سرّه وعلانيته. و﴿ ٱلۡإِثۡمِ ﴾ كل ما عُصِي الله به من محارمه... لم يكن لأحد أن يخصّ من ذلك شيئًا دون شيء، إلا بحجة للعذر قاطعة".[3]

وأضاف الإمام الرازي أمرا آخر إذ يقول:" المراد من الإثم ما يوجب الإثم... وقال آخرون: ظَاهِرَ الإِثْمِ أفعال الجوارح وَبَاطِنَهُ أفعال القلوب من الكبر والحسد والعجب وإرادة السوء للمسلمين ويدخل فيه الِاعتقاد والعزم والنظر والظنّ والتمنّي واللوم على الخيرات. وبهذا يظهر فساد قول من يقول إنّ ما يوجد في القلب لا يؤاخذ به إذا لم يقترن به عمل فإنّه تعالى نهى عن كل هذه الأقسام بهذه الآية".[4]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ ﴾ تعليل للأمر بترك الإثم، وإنذارٌ وإعذار للمأمورين؛ ولذلك أكَّد الخبر بـ " إنّ "، وهي في مثل هذا المقام، أي مقام تعقيب الأمر أو الإخبار تفيد معنى التّعليل، وتغني عن الفاء. وإظهار لفظ الإثم في مقام إضماره ولم يستبدل

---

[1] – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 137/13.

[2] – ينظر ابن الجوزي، زاد المسير، المكتب الإسلامي: 113/3– 141.

[3] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 75/12.

[4] – الرازي، المصدر نفسه.

بالضمير؛ لزيادة التّنديد بالإثم، ولتكون الجملة مستقلّة فتسير مسير الأمثال والحكم. وحرف السّين الموضوع للخبر المستقبل، مستعمل هنا في تحقُّق الوقوع واستمراره.[1]

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (121) ﴾.

أ- المناسبة:

يقول ابن عاشور(رحمه الله):" لمّا كانت الآية السّابقة قد أفادت إباحة أكل ما ذكر اسمُ الله عليه، وأفهمت النّهيَ عمَّا لم يذكر اسم الله عليه، وهو الميتة، وتَمّ الحكم في شأن أكل الميتة والتفرقةُ بينها وبين ما ذُكّي وذُكر اسم الله عليه، ففي هذه الآية أفيد النّهي والتّحذير من أكل ما ذُكر اسم غيرِ الله عليه".[2]

ب- المعنى:

قال الطبري(رحمه الله):" يعني: لا تأكلوا، أيّها المؤمنون، مما مات فلم تذبحوه أنتم، أو يذبحه موحِّدٌ يدين لله بشرائع شَرَعها له في كتاب منزّل، فإنّه حرام عليكم. ولا ما أهلَّ به لغير الله مما ذبَحه المشركون لأوثانهم، فإن أكل ذلك "فسق"، يعني: معصية كفر".[3] و" الضمير في ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ من ﴿ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ عائد على الأكل الذي تضمّنه الفعل في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا ﴾ ويحتمل أن يعود على " ترك الذكر" الذي يتضمّنه قوله تعالى: ﴿ لَمْ يُذْكَرِ ﴾. والفسق: الخروج عن الطاعة، هذا عرفه في الشرع".[4] والفسق أيضا خروج عن الحق والدين، قاله ابن الجوزي(رحمه الله).[5]

﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾ ثمّ أخبر أنّ الشياطين يوحون إلى أوليائهم ليجادلوا المؤمنين في تحريمهم أكل الميتة، وجائز أن يكون الموحون، شياطين

---

[1] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 38/8.

[2] – ابن عاشور، المصدر السابق: 39/8.

[3] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 76/12.

[4] – ابن عطية، المحرّر الوجيز، مؤسسة دار العلوم: 334/5-335.

[5] – ينظر ابن الجوزي، زاد المسير، المكتب الإسلامي: 115/3.

الإنس يوحون إلى أوليائهم منهم، وجائز أن يكونوا شياطين الجن أوحوا إلى أوليائهم من الإنس، وجائز أن يكون الجنسان كلاهما تعاونا على ذلك، كما أخبر الله عنهما في الآية الأخرى التي يقول فيها: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (112) ﴾[سورة الأنعام: الآية ١١٢].[1]

أخرج أبو داود(رحمه الله) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ:" **جَاءَتِ الْيَهُودُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: نَأْكُلُ مِمَّا قَتَلْنَا، وَلاَ نَأْكُلُ مِمَّا قَتَلَ اللهُ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ... ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ**".[2] وهذا ما كان يوحي به الشياطين إلى أولياءهم من المشركين ليجادلوا به المؤمنين.

روى مسلم(رحمه الله) في صحيحه عن عِيَاضِ بْنُ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ أنّ رسول الله ﷺ، قال ذات يوم في خطبته:"...**إني خلقت عبادي حنفاءَ كلَهُم، وإنهم أتتهم الشياطينُ فاجتالتهم عن دينهِم، وحرَّمتْ عليهِم ما أحللتُ لهُم، وأمرتْهُم أن يشركوا بي ما لم أنزّلُ به سلطانًا...**".[3]

وفي المراد بما لم يذكر اسم الله عليه أربعة أقوال: أحدها أنّه الميتة. والثاني: أنّه الميتة والمنخنقة إلى قوله وما ذبح على النصب. والثالث: أنّها ذبائح كانت العرب تذبحها لأوثانها. والرابع: أنّه عام فيما لم يسم الله عند ذبحه.[4]

﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ أي: إن أطعتموهم في استحلال الحرام وساعدتموهم على أباطيلهم، فأنتم مشركون بالضرورة؛ لأنّ من ترك طاعة الله إلى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد أشركه به تعالى، بل آثره عليه سبحانه.[5]

---

[1] – ينظر الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 12/82–83.

[2] – رواه أبو داود، سنن أبي داود، كتاب: الأضاحي، باب: في ذبائح أهل الكتاب، حديث رقم2819، دار الفكر: 2/644. وقال الشيخ الألباني: صحيح؛ لكن ذكر اليهود فيه منكر، والمحفوظ أنّهم المشركون. (الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن أبي داود، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1419هـ– 1998م: 2/191).

[3] – رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب:" الجنّة وصفة نعيمها وأهلها"، باب:" الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنّة وأهل النّار"، حديث رقم 2865، دار إحياء التراث العربي: 4/2197.

[4] – ينظر ابن الجوزي، زاد المسير، المكتب الإسلامي: 3/115.

[5] – ينظر أبو السعود، إرشاد العقل، دار الكتب العلمية: 2/437–438.

يقول ابن العربي(سمشمهـ) الْمَسْأَلَةُ الْعَاشِرَةُ:" قَوْله تَعَالَى: ﴿ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴾ إنَّمَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ بِطَاعَةِ الْمُشْرِكِ مُشْرِكًا إذَا أَطَاعَهُ فِي اعْتِقَادِهِ: الَّذِي هُوَ مَحَلُّ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ؛ فَإِذَا أَطَاعَهُ فِي الْفِعْلِ وَعَقْدُهُ سَلِيمٌ مُسْتَمِرٌّ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالتَّصْدِيقِ فَهُوَ عَاصٍ، فَافْهَمُوا ذَلِكَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ. وَاَللَّهُ أَعْلَمُ".[1]

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢ ﴾.

أ- **المناسبة:**

الواو في قوله: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا ﴾ عاطفة لجملة الاستفهام على جملة: ﴿ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴾[سورة الأنعام: الآيةتريرتر] لتضمّن قوله: ﴿ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ ﴾ أنّ المجادلة المذكورة من قَبْلُ، مجادلة في الدين: بتحسين أحوال أهل الشرك وتقبيح أحكام الإسلام.[2]

ويقول الإمام الرازي(لِيبرلِيهـ) في مناسبة الآية لما قبلها": اعلم أنّه تعالى لما ذكر في الآية الأولى أنّ المشركين يجادلون المؤمنين في دين الله ذكر مثلاً يدل على حال المؤمن المهتدي وعلى حال الكافر الضال".[3]

ب- **المعنى:**

يقول الإمام أبو السعود(982هـ) في معنى الآية:" تمثيل مسوق لتنفير المسلمين عن طاعة المشركين إثر تحذيرهم عنها بالإشارة إلى أنّهم مستضيئون بأنوار الوحي الإلهي. والمشركون خابطون في ظلمات الكفر والطغيان فكيف يعقل إطاعتهم لهم؟"[4]

---

[1] – ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله، أحكام القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، دط، بيروت، دت: 752/2.

[2] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 43/8.

[3] – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 139/13.

[4] – أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 438/2.

فالمؤمن الذي كان ميّتا في الضلال هالكا حائرا، فأحيى الله قلبه بالإيمان وهداه له ووفّقه لِاتباع رسله، ليس كمن هو في الجهالات والأهواء والضلالات المتفرّقة، لا يهتدي إلى منفذ ولا مَخلص مما هو فيه.[1]

﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: حسّنا للمشركين ما كانوا فيه من الجهالة والضلال قدرا من الله وحكمة بالغة.[2]

والآية استئناف بياني؛ لأنّ التمثيل المذكور قبلها يثير في نفس السّامع سُؤالاً، أن يقول: كيف رضوا لأنفسهم البقاء في هذه الضّلالات، وكيف لم يشعروا بالبَون بين حالهم وحال الّذين أسلموا.[3]

1- الهدايات المستنبطة:

تر- تأمر الآيات بذكر اسم الله على الذبح، وعلى كل مطعوم ومشروب.

ير- تقرّر الآيات أنَّ الأكل مما ذكر اسم الله عليه من الإيمان.

سم- في الآيات النهي عن أكل ما لم يذكر اسم الله عليه: كالميتة وما ذبح على النصب؛ لأنّها فسق ومعصية.

شم- تقّرر الآيات يسر الإسلام؛ بإباحة أكل ما لم يذكر اسم الله عليه للمضطر.

هـ- تقرّر الآيات أنّ مجادلة المشركين للمؤمنين من وحي الشياطين أي كان نوعهم، وأنّهم مضلون؛ لا دليل على ما يجادلون به.

لي- تقرّر الآيات العلم الإلهي بحقيقة من يعتدي على نفسه وعلى غيره بالإضلال.

بي- يحاسَب الإنسان على كل معصية اكتسبها بجوارحه أو بقلبه: كالحسد والغيرة وغيرها.

تي- طاعة من يستحلل الحرام، ويحرّم الحلال، شرك بالله.

ني- عدم مساواة المؤمن الذي يمشي بنور الله، للكافر الغارق في الظلمات.

برتر- تأكد الآيات سنّة تزيين الأعمال للكافرين.

---

[1] – ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا: 196/3.

[2] – ينظر ابن كثير، المصدر السابق: 197/3.

[3] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 46/8.

2- مناسبة المطلب لسابقه:

بين المطلب السابق وهذا المطلب علاقة إجمال وتفصيل:

تر- فلمّا بيّن في الآيات السابقة أنّ الله جعل للأنبياء أعداء من الشياطين توحي إلى بعضها البعض زخرف القول غرورا، يسمعه من لا يؤمن بالآخرة ثم يقترفه، فصّلت هنا بذكر أحد جزئيات هذا الوحي، وهو أكل ما لم يذكر اسم الله عليه.

ير- ولمّا بيّنت الآيات السابقة أنّ الذين تُصْغِي قلوبهم إلى وحي شياطين الإنس والجن هم من لا يؤمنون بالآخرة، أمرت هنا المؤمنين بأكل ما ذكر اسم الله عليه إن كانوا حقا مؤمنين بما جاء به الرسولﷺ؛ فتطبيق أحكام الشريعة لها علاقة مباشرة بالإيمان.

سمـ- ولما قال في الآيات السابقة: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾ الآية [سورة الأنعام: الآية شمترتر]، بيّن هنا أنّ موضوع الاِحتكام كان فيما وسوست به الشياطين من عدم أكل ما ذكر اسم الله عليه. ودليله ما أجمل في الآية نفسها من المطلب السابق في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ﴾ وما فُصِّل في هذا المطلب في قوله سبحانه: ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾[سورة الأنعام: الآية يترتر].

شمـ- وكما جاء في المطلب السابق أنّ طاعة أكثر من في الأرض في عامة الأمر يضلّ عن سبيل الله؛ لأنّهم يتّبعون الظنّ، جاء في هذا المطلب – بعد ذكر الأكل مما ذكر اسم الله عليه – أنّ الكثير من الناس في هذا الأمر يُضلون غيرهم اتّباعا لأهوائهم دون أن يكون لهم علم أكيد في ذلك.

ـه- ولما قرّرت الآيات السابقة أنّ الذين يصغون إلى وحي الشياطين يقترفون ما يأمرونهم به، قرّرت هنا أنّ ذلك الاِقتراف إثم وأنّهم سوف يجزون به.

لي- ولما خُتمت الآيات السابقة بتقرير علم الله بمن ضلّ عن سبيله وبالمهتدي، خُتمت هذه الآيات ببيان مَثل المهتدي ومَثل المضل.

3- مناسبة المطلب لموضوع السورة:

تظهر المناسبة بين موضوع السورة وآيات هذا المطلب بجلاء؛ إذ قرنت أكل ما ذكر اسم الله عليه بالإيمان، ومن أطاع المشركين في تحريم الحلال بالشرك؛ لأنّ الله هو وحده المشرّع.

وكذلك جادلت المشركين بتقرير علمه تعالى بضلالهم واعتدائهم، ووحي الشياطين إليهم لمجادلة المؤمنين، وإخبارهم بأنهم غارقون في الظلمات.

المطلب الرابع: تثبيت النبيّ ﷺ والمؤمنين أمام مكر أكابر المجرمين.

[من الآية 123 إلى الآية 127].

1- تفسير الآيات:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿123﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۘ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ۗ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿124﴾ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿125﴾ وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿126﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿127﴾ ﴾ [سورة الأنعام: الآيات ١٢٣-١٢٧].

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿123﴾ ﴾.

أ- المناسبة:

عطف الله تعالى على التزيين للكافرين قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ أي: كما زيّنا للكافرين سوء أعمالهم، كذلك جعلنا أكابر أهل مكّة يمكرون فيتّبع غيرهم مكرهم.[1]

ولمّا بيّن ابن عاشور(١٣٩٣هـ) هذا العطف قال:" فلها حكم الإستئناف البياني، لبيان سبب آخر من أسباب استمرار المشركين على ضلالهم".[2]

1 – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 708/2.

2 – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 47/8.

ب- المعنى:

يقول الطبري(رحمه الله) في معنى هذه الآية الكريمة:" وكما زينا للكافرين ما كانوا يعملون، كذلك جعلنا بكل قرية عظماءَها مجرميها يعني: أهل الشرك بالله والمعصية له ﴿لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ بغرور من القول أو بباطل من الفعل، بدين الله وأنبيائه ﴿فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾ أي: ما يحيق مكرهم ذلك، إلا بأنفسهم؛ لأنّ الله تعالى ذكره من وراء عقوبتهم على صدّهم عن سبيله. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ يقول: لا يدرون ما قد أعدّ الله لهم من أليم عذابه، فهم في غيِّهم وعتوِّهم على الله يتمادَوْن".[1]

ويقول ابن كثير(رحمه الله):" وكما جعلنا في قريتك يا محمد أكابر من المجرمين، ورؤساء دعاة... إلى مخالفتك وعداوتك، كذلك كانت الرسل من قبلك يبتلون بذلك، ثم تكون لهم العاقبة".[2] فالمقصود من التشبيه عند ابن كثير هم أقوام الرسل السابقين، وهو الظاهر من كلام الطبري، وهو ما يراه أبو السعود(رحمه الله) أيضا.[3] وهذا المعنى لا يخرج الآيات عن سياقها.

﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾ اعتراض على سبيل الوعدِ لرسول الله ﷺ والوعيد للكفرة.[4]

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي:" فهم في حالة مكرهم بالنّبيء متّصفون بأنّهم ما يمكرون إلاّ بأنفسهم وبأنّهم ما يشعرون بلحاق عاقبة مكرهم بهم، والشّعور: العلم".[5]

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۘ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ۗ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ (124)﴾.

---

1 - الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 93/13.

2 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس: 94/3.

3 - ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 439/2.

4 - ينظر أبو السعود، المصدر نفسه.

5 - ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 51/8.

أ- **المناسبة:**

الآية عطف على جملة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا ﴾ الآية [سورة الأنعام: الآية ١٢٣] لأنّ هذا حديث عن شيء من أحوال أكابر مجرمي مكّة، وهم المقصود من التشبيه في قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا ﴾ ومكّة هي المقصود من عموم كلّ قرية.[1]

وعلى رأي أبو السعود(٩٨٢هـ) وغيره فهي" رجوع إلى بيان حال مجرمي أهل مكّة بعد ما بُيّن بطريق التسليّة أنّ حال غيرهم أيضا كذلك وأنّ عاقبة مكر الكلّ ما ذُكِر؛ فإنّ العظيمة المنقولة إنّما صدرت عنهم لا عن سائر المجرمين".[2]

ب- **المعنى:**

﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ﴾ أي: إذا جاءتهم آية وبرهان وحجة قاطعة قالوا: لن نؤمن حتى تأتينا الملائكة من الله بالرسالة كما تأتي إلى الرسل.[3]

﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ المعنى:" أن للرسالة موضعاً مخصوصاً لا يصلح وضعها إلا فيه، فمن كان مخصوصاً موصوفاً بتلك الصفات التي لأجلها يصلح وضع الرسالة فيه كان رسولاً وإلاّ فلا، والعالم بتلك الصفات ليس إلا الله تعالى".[4]

﴿ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾ فلما كشف هذا النظم عن أنّهم اجترؤوا على الله عزّ وجل، وأنّهم أصروا على الكفر لا لطلب الدليل بل لداء الحسد؛ تاقت النفس إلى معرفة ما يحلّ بهم؛ فأجاب بوعد لا خُلف فيه، أنّه صغار عند الله الجامع لصفات العظمة أي: الرضى بالذل لعدم الناصر، إلى جانب العذاب الشديد في الدنيا بالقتل والخزي، وفي الآخرة بالنار؛ بسبب مكرهم.[5]

---

1 – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 51/8.

2 – أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 439/2.

3 – ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا: 197/3.

4 –ينظرر الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 144/13.

5 – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 710/2.

ويفصّل الإمام الطبري في معنى قوله عزّ وجل: ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ بما يتناسب وسياق الآيات بقوله:" يصيب هؤلاء المكذّبين بالله ورسوله، المستحلّين ما حرَّم الله عليهم من الميّتة، مع الصغار عذابٌ شديد، بما كانوا يكيدون للإسلام وأهله بالجدال بالباطل، والزخرف من القول، غرورًا لأهل دين الله وطاعته".[1]

﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (125)﴾.

أ- **المناسبة:**

يوضّح ابن عاشور (رحمه الله) العلاقة بين هذه الآية والتي قبلها مباشرة فيقول:" الفاء مُرتِّبة الجملةَ الّتي بعدها على مضمون ما قبلها من قوله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [سورة الأنعام: الآية 122] وما ترتَّب عليه من التّفاريع والاعتراض. وهذا التّفريع إبطال لتعلّلاتهم بعلّة ﴿حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ [سورة الأنعام: الآية 124] وأنّ الله منعهم ما علّقوا إيمانَهم على حصوله؛ فتفرّع على ذلك بيان السّبب المؤثّر بالحقيقة في إيمان المؤمن وكُفْرِ الكافر، وهو: هداية الله المؤمن، وإضلالُه الكافرَ، فذلك حقيقة التّأثير، دون الأسباب الظّاهرة".[2]

ب- المعنى:

ومعنى الآية: فمن يرد الله أن يهديه للإيمان به وبرسوله وما جاء به من عند ربه، فيوفقه له، وفسح صدره لذلك وهوَّنه عليه، وسهّله له، بلطفه ومعونته، حتى يستنير الإسلام في قلبه، فيضيء له، ويتّسع له صدره بالقبول.[3]

﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ الضيق ضد السعة.[4] وأصل الحرج والحراج مجتمع الشيئين، وتَصوُّر منه ضيق ما بينهما فقيل: للضيق حرج وللإثم حرج.[1]

[1] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 97/12.

[2] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 57/8.

[3] – ينظر الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 98/8.

[4] – ينظر الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ط1، 1412هـ: ص513.

ومعنى ﴿صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾:" كأنّه قد كلّف أن يصعد إلى السماء إذا دعي إلى الإسلام من ضيق صدره عنه. ويجوز أن يكون المعنى: كأنّ قلبه يصعد في السماء نبوا عن الإسلام والحكمة".[2]

ويقول الطبري(رحمه الله) ردا على المخالفين لأهل السنّة:" وفي هذه الآية أبينُ البيان لمن وُفّق لفهمهما، عن أن السبب الذي به يُوصل إلى الإيمان والطاعة، غير السبب الذي به يُوصل إلى الكفر والمعصية، وأن كلا السببين من عند الله. وذلك أنّ الله جل ثناؤه أخبر عن نفسه أنّه يشرح صدرَ من أراد هدايته للإسلام، ويجعل صدر من أراد إضلاله ضيِّقًا عن الإسلام حَرَجًا كأنَّما يصّعّد في السماء".[3]

﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وفي ﴿ٱلرِّجْسَ﴾ خمسة أقوال: أحدها: أنّه الشيطان. والثاني: أنّه المأثم. والثالث: أنّه مالا خير فيه. والرابع: أنّه العذاب. والخامس: أنّه اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة.[4]

والمعنى:" كما يجعل الله صدر من أراد إضلاله ضيّقا حرجا، كذلك يسلّط الله الشيطان عليه وعلى أمثاله ممن أبى الإيمان بالله ورسوله فيغويه ويصدّه عن سبيل الله".[5]

وهي تذييل للتي قبلها، فلذلك فصّلت، فالرجس يعمّ سائر الخباثات النفسيّة، الشاملة لضيق الصدر وحرجه، وبهذا العموم كان تذييلاً، فليس خاصا بضيق الصدر.[6]

و ﴿عَلَى﴾ في قوله: ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ تفيد تمكّن الرجس من الكافرين، والمراد تمكّنه من قلوبهم وظهور آثاره عليهم. وجيء بالمضارع في ﴿يَجْعَلُ﴾ لإفادة التّجدّد في

---

[1] – ينظر الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار القلم: ص226.

[2] – ابن الجوزي، زاد المسير، المكتب الإسلامي: 121/3.

[3] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 108/12.

[4] – ينظر ابن الجوزي، المصدر نفسه.

[5] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا: 200/3.

[6] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 60/8–61.

المستقبل، أي هذه سنّة الله في كلّ من ينصرف عن الإيمان، ويُعرض عنه.[1]

﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿126﴾﴾.

أ- المناسبة:

يقول الإمام الرازي:" قوله ﴿وَهَٰذَا﴾ إشارة إلى مذكورٍ تقدّم ذكره وفيه قولان: الأول: وهو الأقوى عندي أنّه إشارة إلى ما ذكره وقرّره في الآية المتقدّمة وهو أنّ الفعل يتوقّف على الداعي وحصول تلك الداعية من الله تعالى".[2]

ولمّا مثّل سبحانه حال الضال بحال المضطرب، أتبعه وصف سبيله بالإستقامة، فعطف عليه قوله: ﴿وَهَٰذَا﴾ أي: الذي ذكرناه من الشرائع الهادية في هذا القرآن التي ختمناها بأنّ الهادي المضل هو الله وحده لا الإتيان بالمقترحات.[3]

والآية" عطف على جملة: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[سورة الأنعام: الآية ١٢٥] إلى آخِرها؛ لأنّ هذا تمثيل لحال هدي القرآن بالصّراط المستقيم الذي لا يُجهد متّبعه، فهذا ضدّ لحال التّمثيل في قوله: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٢٥]. وتمثيل الإسلام بالصّراط المستقيم يتضمّن تمثيل المسلم بالسّالك صراطاً مستقيماً، فيفيد توضيحاً لقوله: ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾[سورة الأنعام: الآية ١٢٥] وعطفت هذه الجملة مع أنّها بمنزلة بيان الجملة التي قبلها لتكون بالعطف مقصودة بالإخبار. وهو إقبال على النبيّ ﷺ بالخطاب".[4]

ب- المعنى:

أي:" وهذا الذي بيّنا لك، يا محمد، في هذه السورة وغيرها من سور القرآن هو... طريق ربّك، ودينه الذي ارتضاه لنفسه دينًا، وجعله مستقيمًا لا اعوجاج فيه. فاثبُتْ عليه، وحرِّم ما

---

[1] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 61/8.

[2] – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 153/13.

[3] – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 713/2.

[4] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 62/8.

حرّمته عليك، وأحلل ما أحللته لك، فقد بيّنا الآيات والحجج على حقيقة ذلك وصحّته. ﴿لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ﴾ يقول: لمن يتذكّر ما احتجَّ الله به عليه من الآيات والعبر فيعتبر بها. وخصّ بها "الذين يتذكرون"؛ لأنّهم هم أهل التمييز والفهم، وأولو الحجى والفضل".[1]

﴿مُسۡتَقِيمٗاۗ﴾ والمستقيم:" حقيقته السّالم من العوج، وهو مستعار للصّواب لسلامته من الخطأ، أي: سَنَن الله الموافق للحكمة والّذي لا يتخلّف ولا يعطّله شيء".[2]

﴿قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ﴾ استئناف وفذلكة لما تقدم.[3]

وقال الإمام الرازي(606هـ):" أما تفصيل الآيات فمعناه ذكرها فصلاً فصلاً بحيث لا يختلط واحد منها بالآخر. والله تعالى قد بيّن صحّة القول بالقضاء والقدر في آيات كثيرة من هذه السورة متوالية متعاقبة بطرق كثيرة ووجوه مختلفة".[4]

﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (127)﴾.

أ- المناسبة:

لمّا بيّن تعالى عظيم نعمه في الصراط المستقيم وبيّن أنّه معد ومهيّئ لقوم يذّكرون، بيّن الفائدة الشريفة التي تحصل من التمسّك بذلك الصراط المستقيم فقال: ﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ﴾[5]

ويفصّل الإمام ابن عاشور العلاقات الجزئية بين هذه الآية والتي تسبقها قائلا:" الضّمير في: ﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ عائد إلى ﴿لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ﴾[سورة الأنعام: الآية ١٢٦] والجملة إمّا مستأنفة استئنافاً بيانياً: لأنّ الثّناء عليهم بأنّهم فُصّلت لهم الآيات ويتذكّرون بها يثير، سؤال مَن يسأل عن أثر تبيين الآيات لهم وتذكُّرهم بها، فقيل: ﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾. وإمّا صفة:

---

[1] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 113/12.

[2] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 62/8.

[3] – ابن عاشور، المصدر السابق: 63/8.

[4] – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 154/13. والبقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 713/2.

[5] – الرازي، المصدر نفسه.

﴿ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴾ سورة الأنعام: الآية ﴿١٢٦﴾] وتقديم المجرور لإفادة الاختصاص للقوم الذين يذكّرون لا لغيرهم".[1]

ب- المعنى:

أي:" للقوم الذين يذكرون آيات الله فيعتبرون بها، ويوقنون بدلالتها على ما دلّت عليه من توحيد الله ومن نبوّة نبيّه محمدﷺ وغير ذلك؛ فيصدِّقون بما وصلوا بها إلى علمه من ذاك. وأما ﴿ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ فهي دار الله التي أعدَّها لأوليائه في الآخرة، جزاءً لهم على ما أبلوا في الدنيا في ذات الله، وهي جنته. و"السلام"، اسم من أسماء الله تعالى".[2]

﴿ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ أي:" الجنّة، أضافها الله سبحانه إليه زيادة في الترغيب فيها، وخصّ هذا الإسم الشريف؛ لأنّه لا يلمّ بها شيء من عطب ولا خوف ولا نصب. ثم زاد الترغيب فيها بقوله: ﴿ عِندَ رَبِّهِمۡۖ ﴾ أي: في ضمان المحسن إليهم وحضرته بما هيّأهم له ويسّره لهم".[3]

﴿ وَهُوَ وَلِيُّهُم ﴾ هذا" إخبار بأنّه تعالى متكفّل بجميع مصالحهم في الدين والدنيا ويدخل فيها الحفظ والحراسة والمعونة والنصرة وإيصال الخيرات ودفع الآفات والبليّات".[4]

ثم ذكر الإمام الرازي(رحمه الله) كلاما لطيفا في قوله تعالى: ﴿ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ إذ يقول:" وإنمّا ذكر ذلك لئلا ينقطع المرء عن العمل فإنّ العمل لا بد منه؛ وتحقيق القول فيه أنّ بين النفس والبدن تعلّقاً شديداً فكما أنّ الهيآت النفسانيّة قد تنزل من النفس إلى البدن مثل ما إذا تصوّر أمراً مغضباً ظهر الأثر عليه في البدن فيسخن البدن ويحمى؛ فكذلك الهيآت البدنيّة قد تصعد من البدن إلى النفس فإذا واظب الإنسان على أعمال البرّ والخير ظهرت الآثار المناسبة لها في جوهر النفس وذلك يدلّ على أنّ السالك لا بدّ له من العمل وأنّه لا سبيل له إلى تركه البتّة".[5]

---

[1] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 63/8.

[2] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 114/12.

[3] – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 714/2.

[4] – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 155/13.

[5] – الرازي، المصدر نفسه.

ت- **الهدايات المستنبطة:**

ت- اقتضت سنّته تعالى أن يجعل في كل قرية من يمكر فيها.

ير- اقتضت سنّته أنّ المكر يرجع عليهم في الدنيا والآخرة؛ لأنّ النصر في الأخير للمؤمنين.

سم- تعوّد أكابر المشركين بأن يكونوا في مقام الربوبيّة للأتباع، وأن يشرّعوا لهم فيقبلوا منهم التشريع؛ فدفعهم هذا إلى طلب امتياز ذاتي يحفظ لهم خصوصيتهم بين الأتباع فقالوا:

﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ الآية [سورة الأنعام: الآية 124].[1]

شم- تنبّه الآية الأولى على أنّ أهل البداوة أقرب إلى قبول الخير من أهل القرى، للقرب طباعهم من الفطرة السّليمة، فإذا سمعوا الخير تقبّلوه. بخلاف أهل القرى، فإنَّهم لتشبّثهم بعوائدهم وما ألفوه، ينفرون من كلّ ما يغيّره عليهم.[2]

ه- أفادت الآيات: أنّ الرّسالة ليست ممّا يُنال بالأماني ولا بالتشهّي، ولكن الله يعلم مَن يصلح لها؛ فإنّ النّفوس متفاوتة في قبول الفيض الإلهي والاستعداد له والطّاقة على الاضطلاع بحمله، فلا تصلح للرّسالة إلاّ نفس خُلقت قريبة من النفوس الملكيّة، بعيدة عن رذائل الحيوانية، سليمة من الأدواء القلبية.[3]

ي- تبيّن الآيات أنّ الصغَار عند الله عقوبة الذين أجرموا في مقابل الإِستعلاء على الأتباع، والإِستكبار عن الحق، والتطاول إلى مقام رسل الله. والعذاب الشديد يقابل المكر الشديد، والعداء للرسل، والأذى للمؤمنين.[4]

بي- تشبيه عدم قبول من أضلّه الله للإيمان بالذي يضيق صدره عند صعوده إلى السماء، هو مقابلة أمر معنوي بأمر حسي حقيقي يعتبر من الإعجاز العلمي؛ إذ أثبتت الدراسات العلمية ورحلات الفضاء أنّ التصعّد في السماء- بغير وقايات حقيقية ضدّ مخاطر ذلك- يجعل صدر الصاعد ضيّقا حرجا.[5]

---

[1] – ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: 1202/8.

[2] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 47/8.

[3] – ينظر ابن عاشور، المصدر السابق: 54/8.

[4] – ينظر سيد قطب، المصدر السابق: 1203/8.

[5] – ينظر زغلول النجار، تأملات في كتاب الله، الدار المصرية اللبنانية: ص92.

ج- صراط الله المستقيم يشمل سنّته في الهدى والضلال، وشريعته في الحلّ والحرمة؛ فكلاهما سواء في ميزان الله، وكلاهما لحمة في سياق قرآنه.[1]

ب- مناسبة المطلب لسابقه:

ذكرت آيات المطلبين نفس المعاني والسنن والحكم؛ ولكن ما أجمل في الأوّل فصّل في الثاني وما أجمل في الثاني فصّل في الأوّل:

أ- فلمّا فصّلت آيات المطلب السابق في كون المعتدين يضلّون غيرهم بالتحليل والتحريم في المطعم، أجملت الآيات هنا أنّ أكابر المجرمين يمكرون في كل قرية.

ب- ولمّا أجملت الآيات السابقة عقوبة الذين يكسبون الإثم بتحريم الحلال، فصّلت الآيات هنا عقوبة الذين يمكرون بأنّه سيصيبهم صغار عند الله وعذاب شديد.

ج- ولمّا ذكرت الآيات السابقة أنّ الله قد فصّل ما حرّم من المأكل، بيّنت آيات هذا المطلب أنّ الله قد فصّل الآيات والأدلّة في القرآن.

د- لمّا شبّهت الآيات السابقة الإيمان بالنور للمؤمن والكفر بالظلمات؛ إذ لا تهدي صاحبه إلى خير، بيّنت الآيات هنا أنّ الله يشرح صدر المؤمن، ويجعل صدر من ليس بمستعد للإيمان ضيقا مختنقا؛ فلا يتحمّل ولا يقبل الإسلام.

هـ- وكما ذكر المطلب الأوّل سنّة تزيين الأعمال للكافرين، ذكر في هذا المطلب سنّة المكر للمجرمين في كلّ قرية.

ج- مناسبة المطلب لموضوع السورة:

تحدّث هذا المطلب عن بعض أفعال المشركين وبعض أقوالهم الشنيعة؛ من مكر في القرى، واشتراطهم أن يجعل الله الرسالة فيهم حتى يؤمنوا، وردّت الآيات على ذلك ببيان جزاءهم على هذا المكر والقول وصوّرت حالة كفرهم. وكانت للمجادلة غرض آخر؛ هو تسلية النبيّ ﷺ والمؤمنين لما يتلقّونه من أذى.

فقد جادلت الآياتُ المشركين؛ ببيان علم الله بأفعالهم وأقوالهم، وقهره فوق عباده بوضع السّنن، وقدرته بإنزال العقاب بمستحقّيه في الدنيا والآخرة. وبيان بعد ذلك ما يستحقّه عباده الصالحين من تسلية، وتوفيق، وجنّة، ونصر، ومعيّة إلهيّة تفضّلا منه عليهم.

---

[1] - ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: 8/1205.

المطلب الخامس: سنّة موالاة الظالمين بعضهم بعضا، وشهادتهم على أنفسهم يوم التناد.

[من الآية 128 إلى الآية 130].

1- تفسير الآيات:

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (128) وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (129) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (130) ﴾[سورة الأنعام: 128 - 130].

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (128) ﴾.

أ- المناسبة:

يقول الإمام الرازي(ت606هـ) في مناسبة هذه الآية لما قبلها:" اعلم أنّه تعالى لمّا بيّن حال من يتمسّك بالصراط المستقيم بيّن بعده حال من يكون بالضدّ من ذلك لتكون قصّة أهل الجنّة مردفة بقصّة أهل النّار وليكون الوعيد مذكوراً بعد الوعد".[1] كما هي عادة القرآن في ذكر الوعد بعد الوعيد، أو العكس.

وفصّل البقاعي(ت885هـ) أكثر فقال:" ولمّا فصّل سبحانه أحوال الفريقين، وحضّ على التذكّر تنبيهاً على أنّ كلّ ما في القرآن مما يهدي إليه العقل، وذكر مآل المتذكّرين فأفهم أنّ غيرهم إلى عطب، لأنّهم تولوا ما يضرّهم لأنّهم تبعوا شهواتهم... ذكر سبحانه ما يتقدّم ذلك المآل من الأهوال في الأجل المسمّى الذي أخفاه عنده وجعله من أعظم مباني هذه السورة".[2]

---

[1] – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 156/13.

[2] – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 714/2.

ويقصد بالجملة الأخيرة ما ذكرته السورة من أهوال ومواقف وأسئلة من الله عز وجلّ للمجرمين وأقوال يقولونها، سواء قبل الموت أو عند المحاسبة، وهي أحد موضوعات السورة.

وزاد ابن عاشور(ت1393هـ) في المناسبة قوله:" لمّا ذكر ثواب القوم الذين يتذّكرون بالآيات، وهو ثواب دار السّلام، ناسب أن يعطف عليه ذكر جزاء الّذين لا يتذكّرون، وهو جزاء الآخرة أيضاً؛ فجملة: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ معطوفة على جملة: ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[الأنعام: الآية127]. والمعنى: وللآخرين النّار مثواهم خالدين فيها".[1]

ب– المعنى:

أي: ويوم يحشر الله هؤلاء العادلين بالله الأوثانَ والأصنامَ وغيرَهم من المشركين، مع أوليائهم من الشياطين الذين كانوا يُوحون إليهم زخرف القول غرورًا ليجادلوا به المؤمنين، فيجمعهم جميعًا في موقف القيامة يقول للجنّ: قد استكثرتم من إضلال الإنس وإغوائهم.[2]

﴿ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾ ذكر ابن الجوزي(596هـ) فيها ثلاثة أقوال، وما يظهر مناسبا لسياق الآيات ومقصد السورة هو من يرى أنّ:" استمتاع الجنّ بالإنس طاعتهم لهم فيما يغرونهم به من الضلالة والكفر والمعاصي. واستمتاع الإنس بالجنّ؛ أنّ الجنّ زيّنت لهم الأمور التي يهوونها وشهّوها إليهم حتى سهُل عليهم فعلها".[3]

و" الكلام توبيخ للجنّ وإنكار، أي: كان أكثر الإنس طوعاً لكم، والجنّ يشمل الشّياطين، وهم يغوون النّاس ويطوّعونهم: بالوسوسة، والتخييل، والإرهاب، والمسّ، ونحو ذلك... وفي الكلام تعريض بتوبيخ الإنس الّذين اتَّبعوهم، وأطاعوهم، وأفرطوا في مرضاتهم، ولم يسمعوا مَن يدعوهم إلى نبذ متابعتهم، كما يدلّ عليه قوله الآتي: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿30﴾ ﴾[سورة الأنعام: الآية 30] فإنّه تدرّج في التّوبيخ وقطع المعذرة".[4]

---

[1] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 66/8.

[2] – ينظر الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 115/12.

[3] – ابن الجوزي، زاد المسير، المكتب الإسلامي: 123/3. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا: 201/3.

[4] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 68/8.

﴿ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ﴾ أي: بلغنا نحن والجنّ أجلنا الذي هو الموت الذي كتبته علينا وسوّيت بيننا في سوط قهره وتجرّع كؤوس حرّه وقرّه، ثم هذا اليوم الذي كنّا مشتركين في التكذيب به فاستوجبنا العذاب كلّنا.[1]

﴿ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ﴾ استئناف بياني ومعناه: قال المخاطِب عن الله: النار منزلكم جميعاً خالدين فيها إلى ما لا آخر له؛ لأنّ الأعمال بالنيّة وقد كنتم على عزم ثابت أنّكم على هذا الكفر ما بقيتم ولو إلى ما لا آخر له؛ فالجزاء من جنس العمل.[2]

﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ هو استثناء من يوم القيّامة والمعنى خالدين فيها مذ يبعثون إلاّ ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومدّتهم في محاسبتهم. ويجوز أن تكون ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ أن يزيدهم من العذاب.[3] واختار الطبري(رحمه الله) المعنى الأوّل.[4]

﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ تذييل، والخطاب للنّبيﷺ.[5] ومعناه أنّ الله ﴿ حَكِيمٌ ﴾ في تدبيره في خلقه، وفي تصريفه إياهم في مشيئته من حال إلى حال، وغير ذلك من أفعاله. ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بعواقب تدبيره إياهم، وما إليه صائرةُ أمرهم من خير وشر.[6]

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿129﴾ ﴾.

أ- **المناسبة:**

يقول الإمام البقاعي(رحمه الله) في مناسبة الآية للتي قبلها:" ولمّا استبان بهذا أنّه ولّى الكفرة من ظالمي الجنّ ظالمي الإنس وسلّطهم عليهم، أخبر تعالى أنّ هذا عمله مع كل ظالم من أيّ قبيل كان؛ سواء كان كافراً أو لا".[7]

---

[1] – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 715/2.

[2] – ينظر البقاعي، المصدر نفسه.

[3] – ينظر ابن الجوزي، زاد المسير، المكتب الإسلامي: 124/3.

[4] – ينظر الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 118/12.

[5] – ينظر ابن عاشور، المصدر السابق: 72/8.

[6] – ينظر ابن عاشور، المصدر نفسه.

[7] – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 716/2.

ويضيف الإمام ابن عاشور(سمي سمترهـ) أنّ الآية من تمام التذييل، وأنّها معطوفة على قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[سورة الأنعام: الآية تيبرتر].[1]

ب- المعنى:

يقول الإمام ابن كثير(شميي هـ) في معنى الآية الكريمة:" كما ولّينا هؤلاء الخاسرين من الإنس تلك الطائفة التي أغوتهم من الجنّ، كذلك نفعل بالظالمين نسلّط بعضهم على بعض ونهلك بعضهم ببعض وننتقم من بعضهم ببعض جزاء على ظلمهم وبغيهم".[2]

﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي:" بسبب ما كانوا مستمرين على كسبه من الكفر والمعاصي".[3]

والمقصود من الآية الإعتبار والموعظة، والتّحذير من الإغترار بولاية الظّالمين، وتوخي الأتباع صلاحَ المتبوعين، وبيانُ سنّة من سنن الله في العالَمين.[4]

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (130)﴾.

أ- المناسبة:

لمّا بيّن الله عز وجلّ أنّه يولّي بعض الظالمين بعضا بسبب الأعمال الضالّة التي داوموا عليها، بيّن هنا أنّهم ليسوا معذورين في ذلك؛ لأنّ الله قد أرسل رسلا ينذرونهم لقاء يوم هذا.

يقول الرازي(لي بري هـ) في ذلك:" اعلم أنّ هذه الآية من بقيّة ما يذكره الله تعالى في توبيخ الكفّار يوم القيّامة وبيّن تعالى أنّه لا يكون لهم إلى الجحود سبيل؛ فيشهدون على أنفسهم بأنّهم كانوا كافرين وإنّهم لم يعذّبوا إلاّ بالحجّة".[5]

---

1 - ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 73/8.

2 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا: 202/3.

3 - أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 444/2.

4 - ينظر ابن عاشور، المصدر السابق: 75/8.

5 - الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 159/13.

ولمّا انقضت المحاورة الأولى وما أنتجته من بغيض الموالاة والمجاورة وكان حاصلها أنّها موالاة من ضرّت موالاته [وذيّلت بسنّة عامة عن الظلم]، أتبعها سبحانه بمحاورة أخرى حاصلها معاداة من ضرت معاداته، فقال مبدلاً من الأولى إتماماً للتقريع والتوبيخ والتشنيع: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ ﴾.[1]

ثم إنّ المحاورة الأولى لمّا حكت توبيخ معشر الجنّ بإغواء الإنس وإضلالهم، حكت في هذه ما سيكون من توبيخ المعشرين بتفريطهم فيما يتعلّق بخاصّة أنفسهم.[2]

ب- المعنى:

هذا خبر من الله جل ثناؤه عما هو قائل يوم القيامة لهؤلاء العادلين به من مشركي الإنس والجنّ، وهو تقريع وتوبيخ لهؤلاء الكفرة على ما سلف منهم في الدنيا من الفسوق والمعاصي. ومعناه: قد أتاكم رسلٌ منكم ينبِّهونكم على خطأ ما كنتم عليه، بالحجج البالغة، وينذرونكم وعيدَ الله على مقامكم على ما كنتم عليه مقيمين، فلم تقبلوا ذلك، ولم تتذكروا ولم تعتبروا.[3]

﴿ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ﴾ استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام السابق.[4]

﴿ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴾. أي:" وقد فرّطوا في حياتهم الدنيا، وهلكوا بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم المعجزات، لِمَا اغتروا به من زخرف الحياة الدنيا وزينتها وشهواتها، وشهدوا على أنفسهم في يوم القيامة أنّهم كانوا كافرين في الدنيا، بما جاءت به الرسل عليهم صلوات الله".[5]

﴿ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴾ " فأمّا الإنس فلأنّهم أشركوا به وعبدوا الجنّ، وأمّا الجنّ فلأنّهم أغروا الإنس بعبادتهم ووضعوا أنفسهم شركاء لله تعالى".[6]

---

1 – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 717/2.

2 – ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 444/2.

3 – ينظر الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 12/120-121.

4 – ينظر أبو السعود، المصدر نفسه.

5 – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس: 103/3.

6 – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 8/79-80.

والمقصود من إيراد هذا الخبر عنهم"... كشف حالهم، وتحذير السّامعين من دوام التورّط في مثله؛ فإنّ حالهم سواء".[1]

- **الهدايات المستنبطة:**

- في الآيات دلالة على أنّ الرعيّة متى كانوا ظالمين فالله تعالى يسلّط عليهم ظالماً مثلهم فإن أرادوا أن يتخلّصوا من ذلك الأمير الظالم فليتركوا الظلم.[2]

- في الآيات أيضا دلالة على أنّ الظالم محاسب على ظلمه أيا كان نوعه، وأنّ يوم القيّامة يوم ندامة فقط؛ لا يمكن فيه تصليح ما أفسده الظلم. فعلى المؤمن أن يتحرى اليقين في أقواله وأفعاله وأحكامه حتى لا يخطئ. وإن تعذّر، فالخطأ في العفو خير من الخطأ في العقوبة. إنّ سلامة قلب المؤمن من الأحقاد ونشر الحبة في المجتمع، مقصد شرعي، يصبوا إليه الإسلام في وضع أحكامه.

- لغة تبادل المصالح، لغة شائعة وعرف سائد بين طوائف المجرمين في كل العصور، على اختلاف سطوتهم ونفوذهم، حيث يتحالفون على الشرّ ويتستّرون على الجرائم، في مقابل منافع متبادلة.[3]

- أسلوب القرآن عجيب في رسم مشاهد الآخرة كمشاهد حاضرة، وردّ المستقبل المنظور واقعا مشهودا، وجعل الحاضر القائم ماضيا بعيدا.[4]

- إرادة الله مطلقة يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد؛ فلا يؤثّر فيها شيء.[5]

- الاِغترار بزخرف الحياة الدنيا وزينتها وشهواتها سبب كفر الإنس والجن.

- **مناسبة المطلب لسابقه:**

- لمّا بيّن تعالى في أهل الجنّة أنّ لهم دار السلام بيّن أنّه تعالى وليّهم، وكذلك لمّا بيّن حال أهل النّار ذكر أنّ مقرّهم ومثواهم النّار ثم بيّن أنّ أولياءهم من يشبههم في الظلم والخزيّ والنكال.[6]

---

[1] – ابن عاشور، المصدر السابق: 79/8.

[2] – ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 159/13.

[3] – ينظر أحمد الشرقاوي وآخرون، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: 563/2. http://www.sharjah.ac.ae

[4] – ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: 1209/8.

[5] – ينظر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم: 118/2.

[6] – ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 158/13.

ير– لمّا جاء في الآيات السابقة أنّ الله سبحانه فصّل الآيات لمن يريد التذكّر، بيّن هنا أنّه أرسل الرسل ليقصّوا الآيات وينذروا الكفّار مواقف وأهوال يوم القيامة.

3– مناسبة المطلب لموضوع السورة:

لم تخرج آيات هذا المطلب عن موضوع السورة الأساس؛ فهي تجادل المشركين ببيان بعض مظاهر قدرته تعالى والمتمثّلة في: قدرته على تحريك الأحداث في الدنيا وفق سننه التي تحكم الأفراد والجماعات، والتي لا يمكن لأحد الخروج عليها. وقدرته عزّ وجل على بعثهم وتسليط عذابه عليهم، مع تقرير علمه وحكمته في ذلك. وفي الآيات تحذير لكلّ من خرج عن طاعة الله إلى طاعة غيره من أجل تلبية رغباته وأهوائه، ودعوة إلى الرجوع إليه في ذلك؛ لتجسيد توحيده في ألهيّته بعد توحيده في ربوبيته.

المطلب السادس: تلقينٌ لبعض صفات الربوبيّة.

[من الآية 131 إلى الآية 135].

1– تفسير الآيات:

﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ (131) وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (132) وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ (133) إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ ۖ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (134) قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (135) ﴾[سورة الأنعام: الآيات ترسمتر– لهسمتر].

﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ (131) ﴾.

أ– المناسبة:

الآية" استئناف ابتدائي، تهديد وموعظة، وعبرة بتفريط أهل الضّلالة في فائدة دعوة الرّسل، وتنبيه لجدوى إرسال الرّسل إلى الأمم".[1]

---

[1] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 80/8.

فلمّا بيّن تعالى أنّه ما عذّب الكفار إلا بعد أن بعث إليهم الأنبياء والرسل، بيّن بهذه الآية أنّ هذا هو العدل والحق والواجب.[1]

ب- المعنى:

يقول الإمام الطبري(رحمه الله):" أي: إنّما أرسلنا الرسل، يا محمد، إلى من وصفتُ أمرَه، وأعلمتك خبره من مشركي الإنس والجن، يقصون عليهم آياتي وينذرونهم لقاء معادهم إليَّ، من أجل أنّ ربّك لم يكن مهلك القرى بظلم".[2]

﴿ بِظُلْمٍ ﴾ فيه وجهان: الأوّل: بظلم أهلها بالشرك ونحوه. والثاني: أي: لم يكن ربّك ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسل والآيات والعبر فيظلمهم.[3] ورجّح الطبري بعد ذكر الوجهين الأوّل منهما، ورجّح بعض المفسرين الثاني؛ لأنّ الاِختيار الأوّل ينافي صيغة العموم، ولكونه سنّة تحكم الفرد والمجتمع.[4]

قال ابن عاشور(رحمه الله):" وجملة: ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴾ هو شأن عظيم من شؤون الله تعالى، وهو شأن عَدله ورحمته، ورضاه لعباده الخير والصّلاح، وكراهيته سوء أعمالهم، وإظهاره أثر ربوبيّته إياهم بهدايتهم إلى سبل الخير، وعدم مباغتتهم بالهلاك قبل التقدّم إليهم بالإنذار والتنبيه".[5]

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (132) ﴾

أ- المناسبة:

لمّا شرح تعالى أحوال أهل الثواب والدرجات، وأحوال أهل العقاب والدركات، ذكر كلاماً كلياً فقال ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾ الآية[6]

[1] – ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 161/13.

[2] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 124/12.

[3] – ينظر الطبري، المصدر السابق: 124/12–125.

[4] – ينظر رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، دار الكتب العلمية: 95/8.

[5] – ابن عاشور، المصدر السابق: 81/8.

[6] – ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 162/13.

والآية على رأي ابن عاشور (سمي سمترهِ)" احتراس على قوله: ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ ﴾ [سورة الأنعام: الآية ترسمتر] للتنبيه على أنّ الصّالحين من أهل القرى الغالبِ على أهلها الشركُ والظّلم لا يُحرمون جزاء صلاحهم".[1]

ولمّا قرر تعالى أنّه لا يهلك المجرمين إلاّ بعد الإعذار إليهم، وتضمّن ذلك إمهالهم، نفى عن نفسه الغفلة على وجه يثبت إحاطة العلم بجميع أعمالهم.[2]

ب – المعنى:

يقول الإمام الطبري(برترسمه) في معنى الآية الكريمة:" ولكل عامل في طاعة الله أو معصيته، منازل ومراتب من عمله يبلغه الله إياها، ويثيبه بها، إن خيرًا فخيرًا وإن شرًا فشرًا.... وكل ذلك من عملهم، يا محمد، بعلم من ربِّك، يحصيها ويثبتها لهم عنده، ليجازيهم عليها عند لقائهم إياه ومعادهم إليه".[3]

ويحتمل أن يكون المعنى: ولكل من كافري الجنّ والإنس درجة في النار بحسبه كقوله تعالى: ﴿ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ ﴾ الآية [سورة الأعراف: الآية 38].[4]

وتبعا للمناسبة التي قرّرها قبلُ، ولورود كلمة "درجات" في الآية يقول ابن عاشور:" ولمّا كان لفظ "كلّ" مراداً به جميع أهل القرية، وأتى بلفظ "الدّرجات" كان إيماء إلى تغليب حال المؤمنين لِتَطمئنّ نفوسُ المسلمين من أهل مكّة بأنّهم لا بأس عليهم من عذاب مشركيها، ففيه إيماء إلى أنّ الله منجيهم من العذاب: في الدّنيا بالهجرة، وفي الآخرة بحشرهم على أعمالهم".[5] وقد اصطلح على استعمال الدرجات للجنة والدركات للنار.

﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ (133) ﴾.

---

1 – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 83/8.

2 – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 718/2.

3 – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 125/12.

4 – ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا: 203/3.

5 – ابن عاشور، المصدر السابق: 84/8.

أ- **المناسبة:**

عُطفت هذه الجملة على جملة: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٣٢].[1]

فلمّا بيّن سبحانه ثواب أصحاب الطاعات وعقاب أصحاب المعاصي والمحرمات، وذكر أنّ لكلّ قوم درجة مخصوصة ومرتبة معيّنة، بيّن أنّ ذلك لا لأنّه محتاج إلى طاعة المطيعين أو ينتقص بمعصية المذنبين؛ فإنّه تعالى غنيّ لذاته عن جميع العالمين.[2]

ولمّا كان الإمهال قد يظنّ أنّه عن عجز قال عز وجلّ مرغباً مرهباً: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ ﴾ الآية.[3]

ب- **المعنى:**

﴿ وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ ﴾ أي: وربّك يا محمّد الغنيّ عن جميع خلقه من جميع الوجوه، وهم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، وهو مع ذلك رحيم بهم ورؤوف.[4]

﴿ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ ﴾ أي: إن يشأ ربُّك، يا محمد، يهلك خلقه هؤلاء الذين خلقهم من ولد آدم، ويأت بخلق غيركم وأمم سواكم، يخلفونكم في الأرض من بعد فنائكم وهلاككم، كما أحدثكم وابتداعكم من بعد خلق آخرين كانوا قبلَكم.[5]

---

1 – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 85/8.

2 – ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 163/13.

3 – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 719/2.

4 – ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا: 203/3.

5 – ينظر الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 126/12.

أمّا الإمام ابن الجوزي(ﷺ)- وغيره من المفسرين كثير- فيقول:" ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ﴾ بالهلاك، وقيل هذا الوعيد لأهل مكّة ﴿ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم ﴾ أي: ابتدأكم.﴿ مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾ يعني: آباءهم الماضين".[1]

ويؤيّد الإمام الرازي(ﷺ) الإمام الطبري(ﷺ) فيما ذهب إليه ودليله في ذلك أنّه متى حُمل المعنى على خلق ثالث ورابع من غير الإنس والجن، يكون أقوى في الدلالة على القدرة.[2]

وخالف صاحب المنار الرازي في بناء اختياره على أساس أنّه أدلّ على القدرة؛ لأنّ الآية – حسب رأيه- لم تأت لبيان قدرته تعالى. بل جاءت في سياق الحديث عن السنن الإلهية المؤيّدة بمحفوظ التاريخ وبقايا الآثار.[3] ولكن لا يناف حديث الآية عن السنن، أن يريد الله إظهار قدرته وقهره من خلالها، حتى يخاف المشرك، ويتّجه إلى عبادته؛ فهذا مقصد القرآن الأساس.

﴿ وَرَبُّكَ ﴾ إظهار، في مقام الإضمار؛ لما في اسم الربّ من دلالة على العناية بصلاح المربوب، ولتكون الجملة مستقلّة بنفسها فتسير مسرى الأمثال والحِكَم، وللتنويه بشأن النبيﷺ.[4]

﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (134) ﴾.

أ- **المناسبة:**

هذه الجملة" بدل اشتمال من جملة: ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ﴾[سورة الأنعام: الآية ١٣٣] فإنّ المشيئة تشتمل على حالين: حالِ ترك إهلاكهم، وحالِ إيقاعه، فأفادت هذه الجملة أنّ مشيئة الله تعلّقت بإيقاع ما أوعدهم به من الإذهاب".[5]

---

[1] – ابن الجوزي، زاد المسير، المكتب الإسلامي: 127/3. وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 446/2.
[2] – ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 166/13.
[3] – ينظر رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، دار الكتب العلمية: 101/8.
[4] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 85/8.
[5] – ابن عاشور، المصدر السابق: 88/8.

ب- المعنى:

يقول الطبري(رحمه الله):" يقول تعالى ذكره للمشركين به: أيها العادلون بالله الأوثانَ والأصنامَ، إن الذي يُوعدكم به ربكم من عقابه على إصراركم على كفركم، واقعٌ بكم... ولن تعجزوا ربّكم هربًا منه في الأرض فتفوتوه؛ لأنّكم حيث كنتم، في قبضته. وهو عليكم وعلى عقوبتكم بمعصيتكم إيّاه قادر. يقول: فاحذرُوه وأنيبوا إلى طاعته، قبل نزول البلاء بكم".[1]

ويذكر الرازي احتمالا آخر في معنى الآية إذ يقول:"... فقوله: ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ ﴾ يعني كل ما تعلّق بالوعد بالثواب فهو آت لا محالة فتخصيص الوعد بهذا الجزم يدلّ على أنّ جانب الوعيد ليس كذلك. ويقوّي هذا الوجه، آخر الآية وهو أنّه قال: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ يعني لا تخرجون عن قدرتنا وحكمنا فالحاصل أنّه لمّا ذكر الوعد جزم بكونه آتياً، ولمّا ذكر الوعيد ما زاد على قوله: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ وذلك يدلّ على أنّ جانب الرحمة والإحسان غالب".[2]

وعلى الضد يرى ابن عاشور أنّ المقصود الأوّل من الآية وعيد المشركين فيقول:" ومن بديع الفصاحة اختيار بنائه للمجهول، ليصلح لفظه لحال المؤمنين والمشركين... وهذا من بديع التّوجيه المقصود منه أن يأخذ منه كلّ فريق من السّامعين ما يليق بحاله، ومعلوم أنّ وعيد المشركين يستلزم وعْداً للمؤمنين، والمقصود الأهمّ هو وعيد المشركين، فلذلك عقّب الكلام بقوله: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ فذلك كالتّرشيح لأحد المحتمَلين من الكلام الموجَّه".[3]

وكل من ذُكر من المفسّرين تدبّروا الآية بكل ما أوتوا من علم، وأبدعوا في تفسيرها، وكل المعاني محتملة.

---

[1] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 125/12.

[2] – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 166/13.

[3] – ابن عاشور، المصدر نفسه.

وجيء بصيغة الاِستقبال، للدلالة على الاِستمرار التجدّدي. وقوله: ﴿لَآتٍ﴾ أي: لواقع لا محالة، وإيثاره لبيان كمال سرعة وقوعه بتصويره بصورة طالب حثيث لا يفوته هارب. كما أنّ إيثار صيغة الفاعل على المستقبل للإيذان بكمال قرب الإتيان.[1]

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿135﴾﴾

أ- المناسبة:

الآية" استئناف ابتدائي بعد قوله: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٣٤] فإنّ المقصود الأوّل منه هو وعيد المشركين... فأعقبه بما تمحّض لوعيدهم: وهو الأمر المستعمل في الإنذار والتّهديد، لِيُمْلِيَ لَهُمْ في ضلالهم إملاء يشعر، في متعارف التّخاطُب، بأنّ المأمور به ممّا يزيد المأمور استحقاقاً للعقوبة، واقتراباً منها".[2]

ويقول الإمام أبو السعود(رحمه الله) في مناسبتها لما قبلها:" إثر ما بيّن لهم حالهم ومآلهم بطريق الخطاب، أمر رسول الله ﷺ بطريق التلوين بأن يواجههم بتشديد التهديد وتكرير الوعيد، ويُظهر لهم ما هو عليه غاية النصاب في الدين ونهاية الوثوق بأمره وعدم المبالاة بهم".[3]

ب- المعنى:

يقول الإمام ابن كثير(رحمه الله) في معنى الآية:" تهديد شديد ووعيد أكيد أي: استمروا على طريقتكم وناحيتكم إن كنتم تظنون أنّكم على هدى، فأنا مستمر على طريقتي ومنهجي".[4]

[1] - ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 446/2.

[2] - ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 90/8.

[3] - أبو السعود، المصدر السابق: 447/2.

[4] - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا: 203/3.

والأمر في قوله سبحانه: ﴿ اعْمَلُوا ﴾ لإظهار اليأس من امتثالهم للنّصح بحيث يغيِّر ناصِحهم نُصحهم إلى الإطلاق لهم فيما يحبّون أن يفعلوا.[1]

﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ﴾ أي: فسوف تعلمون عند نزول نقمة الله بكم، أيُّنا كان المحقّ في عمله، والمصيب سبيلَ الرشاد، أنا أم أنتم.[2]

وهذا صريح في التّهديد؛ لأنّ إخبارهم بأنَّهم سيعلمون، يفيد أنّه يعلم وقوع ذلك لا محالة، وتصميمه على أنَّه عامل على مكانته، ومخالف لعملهم، يدلّ على أنّه موقن بحسن عقباه. وأنّ علمهم يقع في المستقبل، وأمّا هُو فَعَالِم من الآن، ففيه كناية عن وثوقه بأنَّه مُحِق، وأنَّهم مبطلون.[3]

ويقول الزمخشري(رحمه الله):" وهذا طريق من الإنذار، لطيف المسلك، فيه إنصاف في المقال، وأدب حسن، مع تضمّن شدّة الوعيد والوثوق بأنّ المنذِر محق والمنذَر مبطل".[4]

﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ تذييل للوعيد يتنزّل منزلة التّعليل، أي: لأنّه لا يفلح الظّالمون ستكون عقبى الدار للمسلمين، لا لكم، لأنّكم ظالمون. والتّعريف في ﴿ الظَّالِمُونَ ﴾ للاِستغراق، فيشمل هؤلاء الظّالمين ابتداء.[5]

- الهدايات المستنبطة:

- اليقين بعدله سبحانه، ونفي الظلم عنه، من مستلزمات الإيمان التي يجب على المؤمن أن يستصحب معانيها في كلّ جزئيات حياته.
- سنّته تعالى مع كلّ أنواع الظلم، الإمهال للاِستدراك والتوبة، دون الإهمال.
- ترشد الآيات إلى وجوب الثقة بنصر الله، ووجوب ثقة المظلوم بظهور الحق يوما.
- من الطرق التي يوصي بها الله نبيّه ﷺ في المجادلة، أن يُترك المخالف لنفسه حتى يتبيّن الحقّ. وهي طريقة صالحة مع كلّ ظالم متعنّت غلبته أهواءه.

---

[1] - ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 90/8.

[2] - ينظر الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 129/12.

[3] - ينظر ابن عاشور، المصدر السابق: 92/8.

[4] - الزمخشري، الكشاف، دار إحياء التراث العربي: 64/2.

[5] - ينظر ابن عاشور، المصدر السابق: 93/8.

- **مناسبة المطلب لسابقه:**

- لمّا بيّن تعالى في آيات المطلب السابق حال الجنّ والإنس يوم الحشر وما يجيبونه على تبكيت وإنكار الله عليهم، بيّنت الآيات هنا بعض السنن الربّانية التي تحكم ذلك اليوم والحياة التي تسبقه.

- ولمّا قرّرت الآيات السابقة بعض ما يحدث في يوم الحشر، وصّورت مشاهده وكأنّها حاضر وواقع، رجعت إلى الدنيا لتنبيه الغافلين إلى وجوب استدراك الأمر قبل وقوعه.

- **مناسبة المطلب لموضوع السورة:**

لمّا كان موضوع السورة مجادلة المشركين في لازم الربوبيّة بمظاهر العلم والقدرة، جاءت آيات هذا المطلب مناسبة لذلك؛ إذ تتحدّث عن بعض سنن الله عز وجلّ التي تحكم الحياة للاِعتبار بها، والتي تبرز علمه المطلق، وحكمته، وقهره فوق عباده الناتج عن عظيم قدرته، والمستلزم لعبادة الله حقّ عبادته بالطاعة والخوف والرجاء...إلخ.

- **خلاصة المبحث:**

يتحدّث المبحث الثالث من هذا الفصل عن قسم المشركين بالإيمان إن جاءت الآيات. فبدأ ببيان كذب المشركين في قسمهم؛ لأنّ إيمانهم معلّق بمشيئة الله وهو قادر على قلب أفئدتهم وأبصارهم؛ لعدم إيمانهم أوّل مرّة فكل الآيات لها نفس القوّة في الدلالة على الله. وقرّر طبعهم في الكفر وهو التعنّت والإصرار على الباطل؛ فلا يؤمنون حتى لو نزلت أعظم وأعجب الآيات.

وفي المطلب الموالي ذِكْر لسبب هذا الكذب، وهو اتباع ما توحي به شياطين الإنس والجنّ الذين جُعلوا أعداء للأنبياء منذ الأزل، وأنّه لا يصغي إليهم ولا يقترف أوامرهم إلا من لا يؤمن بالآخرة جاهلين عظمة يوم الحساب. وتردّ الآيات مستنكرة ومقرّرة؛ أنّ الحكم لله وحده، منزِّل القرآن الذي فيه تفصيل كلّ شيء، وأنّ أهل الكتاب يعلمون أنّ القرآن وحي من الله، وأنّ أكثر من في الأرض ضالون مضلون لا يتبّعون إلا الظنّ، وأنّ الله أعلم بهم وبالمهتدين، وفي هذا تثبيت للرسولﷺ وتسلية له.

ثم أتبع بما هو كالنتيجة لكون الحكم لله وحده، وبما هو كالتمهيد لما يأتي من الآيات؛ فأمر الله بأكل ما ذكر اسمه عليه وربط ذلك بالإيمان؛ وأمر المؤمنين ألا يتّبعوا أصحاب

الأهواء؛ لأنّ الله قد فصّل ما حرّمه عليهم إلا ما اضطروا إليه. وهدّدتهم الآيات بالمحاسبة إن هم اعتدوا باكتساب ظاهر الإثم وباطنه، أو أكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه؛ لأنّ ذلك من وحي الشياطين ليجادل به المشركون المؤمنين. وخُتمت الآيات بتقرير أنّ المشركين زُيّن لهم عملهم؛ لذلك فهم باقون في ظلمات الشرك لا يبصرون الحق، وأنّ المؤمن المطيع لأوامر الله وأوامر رسوله كمن أنير له طريقه؛ فهو يرى كل شيء على حقيقته.

وناسب أن يلي ذلك تثبيت المؤمنين والرسولﷺ أمام مكر أكابر المجرمين؛ فبيّنت الآيات أنّ مكرهم على أنفسهم. وأضافت إلى أفعالهم السابقة، تعليق إيمانهم حتى يؤتوا الرسالة، متجاهلين أنّ الله أعلم بمن يستحقّها، مهدّدة إياهم بالصغار عند الله وبالعذاب الشديد لمكرهم. ثم تؤكّد الآيات مرّة أخرى على المشيئة الإلهية في الهداية والإضلال، وصوّرت ذلك بانشراح الصدر أو بجعله ضيّقا حرجا كأنّما يصعّد في السماء. ويتضح تثبيت الله للمؤمنين جليا ببيان أنّهم قوم يذّكّرون، وأنّ لهم دار السلام عند ربّهم، وأنّه وليّهم.

ثم في مطلب خامس بيّن تعالى حال المقترفين لما توحي به الشياطين في يوم الحشر، مقرّرا سنّة موالاة الظالمين بعضهم بعضا، ثم شهادتهم على أنفسهم يوم التناد بأنّهم كانوا كافرين، ولم يأخذوا بعين الاِعتبار إنذار الرسل عليهم السلام، وأنهم غرّتهم الحياة الدنيا.

وفي خاتمة المبحث تقرير لبعض صفات الله التي تنفي الظلم عنه ومناسبة لما سبق من التقريرات. فالله لم يظلم المشركين بجعل النار مثواهم؛ لأنّه بعث الرسل ولم يترك الناس غافلين، وهم مثابون على قدر أعمالهم ولم يكن الله غافلا عنهم. وبأسلوب التهديد يبيّن الله قدرته في إذهابهم واستخلاف قوم آخرين، وأنّه لا يعجزه شيء مما وعدهم، وأنّهم سوف يعلمون من تكون لهم عاقبة الدار وأنّ الظالمين لا يفلحون.

فالمبحث الثالث في ستة مطالب متناسبة؛ كل مطلب يفصِّل جزئية من جزئيات سابقه، وأحيانا كالنتيجة له. وكان أسلوب الاِستفهام الإنكاري والتهديد بارزا فيها؛ لأنّها جاءت لتقرّر أنّ المشركين يتّبعون ما توحي به شياطين الإنس والجنّ، وأنّهم يجادلون المؤمنين في ذلك، وأنّ المؤمنين مثلهم إن أطاعوهم.

المبحث الرابع: بعض جهالات العرب في الأنعام والحرث والأولاد.

[من الآية 136 إلى الآية 140].

1- تفسير الآيات:

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا ۖ
فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ ۗ
سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (136) وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ
شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (137)
وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ
اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (138) وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ
خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ
إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (139) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى
اللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (140) ﴾ [سورة الأنعام: الآيات 136-140].

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا ۖ
فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ ۗ
سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (136) ﴾.

أ- المناسبة:

يقول الإمام الرازي(رحمه الله) في مناسبة الآية الكريمة لسابقتها:" اعلم أنّه تعالى لمّا بيّن قبح طريقتهم في إنكارهم البعث والقيامة، ذكر عقيبه أنواعاً من جهالاتهم وركاكات أقوالهم تنبيهاً على ضعف عقولهم وقلة محصولهم وتنفيراً للعقلاء عن الالتفات إلى كلماتهم".[1]

[1] – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 167/13.

ولمّا خُتمت الآيات السابقة بحال الظالم، ابتدأت هذه ببيان أسلوب آخر من ظلمهم وجهالاتهم وأباطيلهم؛ تنبيهاً على سخافة عقولهم تنفيراً عنهم بوضعهم الأشياء في غير مواضعها وإخراجها عمن هي له ونسبتها إلى من لا يملك شيئا.[1]

وهذه الآية" ابتداءُ بيان تشريعاتهم الباطلة، وأوّلُها مَا جعلوه حقّاً عليهم في أموالهم للأصنام: ممّا يشبه الصّدقات الواجبة، وإنّما كانوا يوجبونها على أنفسهم بالالتزام مثل النّذور، أو بتعيين من الّذين يشرّعون لهم".[2]

ب- المعنى:

يقول ابن العربي:" وَكَانَ هَذَا النَّصِيبُ الَّذِي لِلْأَوْثَانِ جَعَلُوهُ لِلَّهِ مِنْ الْحَرْثِ مَصْرُوفًا فِي النَّفَقَةِ عَلَيْهَا وَعَلَى خُدَّامِهَا، وَكَذَلِكَ نَصِيبُ الْأَنْعَامِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَجْعَلُونَهَا قُرْبَانًا لِلْآلِهَةِ. وَقِيلَ: كَانَ لِلَّهِ الْبَحِيرَةُ وَالسَّائِبَةُ وَالْوَصِيلَةُ وَالْحَامُ، وَكَانَ مَا جَعَلُوهُ لِلَّهِ إذَا اخْتَلَطَ بِأَمْوَالِهِمْ لَمْ يَرُدُّوهُ، وَإِذَا اخْتَلَطَ مَا لِلْأَوْثَانِ بِهَا رَدُّوهُ وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ﴾ الْآيَةَ. وَقِيلَ: كَانَ ذَلِكَ إذَا هَلَكَ مَا جَعَلُوهُ لِلَّهِ لَمْ يَغْرَمُوهُ، وَإِذَا هَلَكَ مَا جُعِلَ لِلْأَوْثَانِ غَرِمُوهُ.

وَقِيلَ: كَانُوا يَذْكُرُونَ اسْمَ الْأَوْثَانِ عَلَى نَصِيبِ اللَّهِ، وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَلَى نَصِيبِ الْأَوْثَانِ... وكَانَ ذَلِكَ أَصْلًا فِي تَرْكِ أَكْلِ مَا لَمْ يُسَمَّ اللَّهُ عَلَيْهِ".[3]

و" نصيب الله كانوا يجعلونه للضيوف وإكرام الصبيان والتصدّق على المساكين، ونصيب آلهتهم لسدنتها وخدمها ومصالحها".[4]

و" عنى بذلك تعالى ذكره الخبرَ عن جهلهم وضلالتهم، وذهابهم عن سبيل الحق، بأنّهم لم يرضوا أن عدلوا بمن خلقهم وغذّاهم وأنعم عليهم بالنعم التي لا تحصى ما لا يضرّهم ولا ينفعهم، حتى فضّلوه في أقسامهم عند أنفسهم بالقَسْم عليه".[5]

---

[1] - ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 720/2.

[2] - ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 94/8.

[3] - ابن العربي، أحكام القرآن، دار المعرفة: 753/2-754.

[4] - وهبة الزحيلي، التفسير المنير، دار الفكر: 57/8.

[5] - الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 135/12.

﴿ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾ أي:" ساء ما يقسمون فإنّهم أخطئوا أوّلا القسمة؛ فإنّ الله تعالى هو رب كلّ شيء ومليكه وخالقه وله الملك، وكلّ شيء له، وفي تصرّفه وتحت قدرته ومشيئته لا إله غيره ولا ربّ سواه. ثم لمّا قسموا فيما زعموا القسمة الفاسدة لم يحفظوها بل جاروا فيها".[1]

﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ لِيُرۡدُوهُمۡ وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾.

أ- **المناسبة:**

الآية" عطفٌ على جملة: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا ﴾[سورة الأنعام: الآية ١٣٦] والتقدير: جَعَلوا وزيَّنَ لهم شركاؤُهم قتلَ أولادِهم فقتلوا أولادَهم، فهذه حكاية نوع من أنواع تشريعاتهم الباطلة، وهي راجعة إلى تصرّفهم في ذُرِّيَّاتهم بعد أن ذكر تصرّفاتهم في نتائج أموالهم. ولقد أعظم الله هذا التّزيين العجيب في الفساد الّذي حَسَّن أقبح الأشياء".[2]

ب- **المعنى:**

أي:" وكما زينت الشياطين لهؤلاء المشركين أن يجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا، كذلك زينوا لهم قتل أولادهم خشية الإملاق، ووأد البنات خشية العار".[3]

و" إقدامهم على قتل أولاد أنفسهم نهاية في الجهالة والضلالة وذلك يفيد التنبيه على أنّ أحكام هؤلاء وأحوالهم يشاكل بعضها بعضاً في الركاكة والخساسة".[4]

﴿ لِيُرۡدُوهُمۡ وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ ﴾ أي: ليهلكوهم هلاكاً لا فائدة فيه بوجه، ويخلطوا ويشبهوا عليهم دينهم الذي هو دين إبراهيم الذي أمره الله بذبح ولده إسماعيل عليهما السلام؛

---

[1] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا: 204/3.

[2] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 98/8.

[3] – ابن كثير، المصدر السابق، دار طيبة: 345/3.

[4] – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 169/13.

فما أقدم عليه إلاّ بأمر الله ثم إنّه فداه ولم يمض ذبحه. فخالف هؤلاء عن أمر الشركاء الأمرين معاً فجمعوا لهم بذلك بين إهلاكين: في النفس والدين.[1]

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ﴾ أي:" ولو شاء الله أن لا يفعلوا ما كانوا يفعلون من قتلهم، لم يفعلوه؛ بأن كان يهديهم للحقّ، ويوفّقهم للسداد، فكانوا لا يقتلونهم، ولكن الله خذلهم عن الرشاد فقتلوا أولادهم، وأطاعوا الشياطين التي أغوتهم".[2]

﴿ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ أي:" يقول الله لنبيه، متوعدًا لهم على عظيم فريتهم على ربهم فيما كانوا يقولون في الأنصباء التي يقسِمونها... وفي قتلهم أولادهم ذرهم، يا محمد، ﴿ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ وما يتقوّلون عليَّ من الكذب والزور، فإنّي لهم بالمرصاد، ومن ورائهم العذاب والعقاب".[3]

وفي هذا التذييل، تسليّة للنبيﷺ وتخفيفا عليه.[4]

﴿ وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ (138) ﴾.

أ- المناسبة:

لمّا ذكر إقدامهم على ما قبّحه الشرع، وما قبّحه العقلُ من قتل الأولاد، أتبعه إحجامهم عمّا حسّنه الشرع من ذبح بعض الأنعام لنفعهم، وضمّ إليه جملة ممّا منعوا أنفسهم منه ودانوا به لمجرد أهوائهم.[5]

و" اعلم أنّ هذا نوع ثالث من أحكامهم الفاسدة وهي أنّهم قسّموا أنعامهم أقساماً".[6]

---

[1] - ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 723/2.

[2] - الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 136/12.

[3] - الطبري، المصدر نفسه.

[4] - ينظر البقاعي، لمصدر نفسه.

[5] - ينظر البقاعي، المصدر نفسه.

[6] - الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 170/13.

والآية" عطف على جملة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾[سورة الأنعام: الآية ١٣٧] وهذا ضرب آخر من دينهم الباطل، وهو راجع إلى تحجير التّصرّف على أنفسهم في بعض أموالهم، وتعيين مصارفه، وفي هذا العطف إيماء إلى أنّ ما قالوه هو من تلقين شركائهم وسدنة أصنامهم".[1]

ب- **المعنى:**

أي: قال المشركون، جهلا منهم، لأنعامٍ لهم وحرث: هذه أنعامٌ وهذا حرث حجر؛ ويعني بـ ﴿ أَنْعَٰمٌ ﴾﴿ وَحَرْثٌ ﴾ ما كانوا جعلوه لله ولآلهتهم، التي قد مضى ذكرها في الآية قبل هذه. و"الحِجْر" في كلام العرب، الحرام.[2]

﴿ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ﴾ المعنى: أنّهم قسّموا أنعامهم فقالوا: هذه أنعام حجر، وأنعام محرّمة الظهور، وهذه أنعام لا يذكر عليها اسم الله. فجعلوها أجناساً بهواهم، ونسبوا ذلك التجنيس إلى الله، وفعلوا ذلك كله على جهة الافتراء.[3]

﴿ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ أي: سيجزيهم بوعد صادق لا خلف فيه، بسبب ما كانوا بالجبلّة والطبع يتعمدون من الكذب.[4] و" في إبهام الجزاء من التهويل ما لا يخفى".[5]

﴿ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ١٣٩ ﴾.

أ- **المناسبة:**

الآية:" عطف على قوله: ﴿ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ ﴾[سورة الأنعام: الآية ١٣٨]

---

[1] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 105/8.

[2] – ينظر الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 139/12-140.

[3] – ينظر الزمخشري، الكشاف، دار إحياء التراث العربي: 67/2.

[4] – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 724/2.

[5] – أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 451/2.

وأعيد فعل "قالوا" لإختلاف غرض المقول".[1]

ب- المعنى:

أي أنّهم قالوا:" ما في بطون تلك الأنعام من لبن وجنين حِلٌّ لذكورهم خالصة دون إناثهم، وإنهم كانوا يؤثرون بذلك رجالهم، إلا أن يكون الذي في بطونها من الأجنّة ميتًا، فيشترك حينئذ في أكله الرجال والنساء".[2] وقد ذكر الطبري اللبن والجنين، خلافا للكثير من المفسّرين الذين ذكروا مما في بطون الأنعام، الجنين فقط.

ويقول الإمام الرازي(ﷺ):" هذا نوع رابع من أنواع قضاياهم الفاسدة كانوا يقولون في أجنة البحائر والسوائب: ما ولد منها حياً فهو خالص للذكور لا تأكل منها الإناث، وما ولد ميتاً اشترك فيه الذكور والإناث. ﴿سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ﴾ والمراد منه الوعيد. ﴿ و ﴾ ليكون الزجر واقعاً على حد الحكمة وبحسب الاستحقاق".[3]

﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾ " في ذلك أتمّ إشارة إلى أنّ هذه الأشياء في غاية البعد عن الحكمة، فهو متعال عن أن يكون شرّعها وهي سفه محض لا يفعلها إلاّ ظالم جاهل".[4]

﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٤٠﴾.

أ- المناسبة:

لمّا" ذكر تعالى تفاصيل سفههم، وأشار إلى معانيها، جمعها وصرّح بما أثمرته من الخيبة في سبع خلال كل واحدة منها سبب تام في حصول الندم".[5]

---

[1] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 109/8.

[2] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 148/12.

[3] – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 171/13.

[4] – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 725/2.

[5] – البقاعي، المصدر نفسه.

والآية" تذييل جُعل فذلكة للكلام السّابق، المشتمل على بيان ضلالهم في قتل أولادهم، وتحجير بعض الحلال على بعض من أُحلّ له. وتحقيق الفعل بـ " قد"؛ للتّنبيه على أنّ خسرانهم أمر ثابت؛ فيفيد التّحقيق، التّعجيب منهم كيف عَمُوا عمَّا هم فيه من خسرانهم".[1]

ب- المعنى:

فسّر الطبري(رحمه الله) هذه الآية بكلام جامع إذ يقول:" قد هلك هؤلاء المفترون على ربّهم الكذبَ، العادلون به الأوثانَ والأصنام، الذين زيّن لهم شركاؤهم قتل أولادهم، وتحريم [ما أنعمتُ به] عليهم من أموالهم، فقتلوا طاعة لها أولادهم، وحرّموا ما أحلّ الله لهم وجعله لهم رزقًا من أنعامهم...جهالة منهم بما لهم وعليهم...وقلّة فهم بعاجل ضرّه وآجل مكروهه، من عظيم عقاب الله عليه لهم. تكذّبًا على الله وتخرّصًا عليه الباطل. ﴿قَدْ ضَلُّوا﴾ يقول: قد تركوا محجّة الحقّ في فعلهم ذلك، وزالوا عن سواء السبيل ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ يقول: ولم يكن فاعلو ذلك على هدًى واستقامة في أفعالهم التي كانوا يفعلون قبل ذلك، ولا كانوا مهتدين للصواب فيها، ولا موفقين له".[2]

ج- الهدايات المستنبطة:

أ- " ما ينذره الجهّال اليوم من نذور للأولياء وإعطائهم شيئاً من الأنعام والحرث والشجر، هو من عمل المشركين زيّنه الشيطان لجهّال المسلمين".[3]

ب- تبيّن الآيات" أنّ العالم ينبغي له أن يتعلّم قول من خالفه وإن لم يأخذ به، حتى يعرف فساد قوله، ويعلم كيف يردّ عليه؛ لأنّ الله تعالى أعلم النبيﷺ وأصحابه قول من خالفهم من أهل زمانهم، ليعرفوا فساد قولهم".[4] أو أن يعلم المرء الأسس العامّة التي يبني عليها المخالف في الدين أو المذهب أو الإتجاه مذهبه، حتى يردّ عليها، ويبيّن فسادها. وذلك قدر الحاجة؛ حتى لا يُعطى للمذاهب الضالّة أهميّة أكبر من حجمها. كما يمكن التقليل من انتشارها في

---

[1] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 113/8.

[2] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 12/153-154.

[3] – أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم: 127/2.

[4] – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار عالم الكتب: 96/7.

أوساط العامّة أو الطلاب المبتدئين، بتقديم مبادئ الإسلام والعلم الشرعي بدقّة وعمق، وترسيخ ذلك بأساليب الإلقاء والإقناع الحديثة.

- يقول محمد الغزالي:" وقد لاحظت أنّ المتديّنين في بيئات شتى يتواضعون على أمور معيّنة يجعلونها مقياس الخير أو الشرّ، فيضمون إلى الدين ما ليس منه ويتمسّكون بما ابتدعوا ويتهاونون بما كُلّفوا به".[1]

- مثل هذه الجهالات والتصوّرات الغامضة، تنبثق منها أعراف اجتماعيّة تضغط على الناس بثقلها الساحق. وتظهر في زماننا على شكل عادات لا مفرّ منها، تكلّف الجميع العنت الشديد في حياته ونفقات لا يطيقها. والأزياء والمراسم التي تفرض نفسها، تأكل حياة الناس واهتماماتهم ثم تفسد أخلاقهم و حياتهم، ومع ذلك لا يملكون إلا الخضوع لها.[2]

- **مناسبة المبحث لسابقه:**

بين آيات المطلب السابق وهذه الآيات إجمال وتفصيل إذ:

- لمّا ذكر في آيات المطلب السابق أنّ الله ليس بغافل عمّا يعملون، فصّل في هذه أفعال أخرى من أفعالهم الشنيعة التي ينسبونها إلى الله.

- ولمّا أمر الله عز وجلّ في الآيات السابقة الرسولﷺ أن يترك المشركين وما يعملون، فصّل في هذه تلك الأعمال، وهي أعمال استوجبت خسرانهم في الدنيا والآخرة.

- **مناسبة المبحث لموضوع السورة:**

لمّا كان موضوع السورة مجادلة المشركين في لازم الربوبيّة، ناسب أن تتحدّث هذه الآيات عن بعض ما يفعله المشركون طاعة لأوليائهم من الإنس والشياطين، وما يفترونه على الله من الكذب، وكان عليهم أن يطيعوا الله وحده فيما شرّع وأن يتّخذوه وليا. كما تبرز الآيات علمه المطلق بكلّ الجزئيات، مما يؤكّد المحاسبة على الأعمال في الدنيا والآخرة، والذي يستوجب الخوف من الله الجبّار القهّار.

---

[1] - محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، دار الشروق: ص106.

[2] - ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: 1219/8.

هـ- **خلاصة المبحث:**

يقول الإمام ابن تيمية(ﷺ) ملخّصا ما جاء في هذه الآيات:" أخبر عمّا ذمّه من حال المشركين في دينهم وتحريمهم حيث قال: ﴿ **وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا** ﴾ الآية [سورة الأنعام: الآية ١٣٦] فإنّه ذكر فيه ما كانوا عليه من العبادات الباطلة من أنواع الشرك، ومن الإباحة الباطلة في قتل الأولاد ومن التحريمات الباطلة، من السائبة، والبحيرة، والوصيلة والحامي، ونحو ذلك. فذم المشركين في عباداتهم، وتحريماتهم، وإباحتهم".[1]

فهم" بهذا الصنع القبيح اعتدوا على حقّ الله في التشريع، وأشركوا به غيره وعبدوا معه إله آخر، وفضّلوه ورجّحوه عليه بجعل ما لله لشركائهم، ولم يستندوا في حكمهم على سند صحيح من عقل أو هداية من شرع إلهي".[2]

وقد ذيّل كل فعل أو قول من أفعالهم وأقوالهم التي قرّرتها الآيات بما يناسبها من أوصاف للمشركين، وما يستحقّونه من جزاء بسبب ذلك. وفي هذه التهديدات وفي وصف الله تعالى نفسه بأنّه عليم حكيم، ما يكفي لأنْ ينتهي المشركون من هذه الإفتراءات، ولأنْ يتعض المسلمون اليوم.

---

[1] – ابن تيمية، مجموع الفتاوى، المكتب التعليمي السعودي: 65/20.

[2] – وهبة الزحيلي، التفسير المنير، دار الفكر: 58/8.

خاتمة الفصل:

1- جاءت مباحث هذا الفصل متناسبة تماما؛ إذ تقرّر ثلاث مواقف من مواقف المشركين الضالة، وتتمثّل في جعلهم لله شركاء وهو خالقهم وخرقهم له البنين، وقسمهم بالإيمان بالله ورسوله وبالقرآن إن جاءت الخوارق من الآيات، وجعلهم لله مما ذرأ وخلق من الحرث والأنعام نصيبا وحرّموا على أنفسهم ما أحلّ الله. وأُتبع الموقفين الأوّلين بما يناسبهما من الردود؛ من الحجج البالغة، والأدلّة القاطعة، وأساليب الخطاب المتنوّعة.

2- ذيّلت آيات المبحث الثاني بأوصاف للمشركين تتناسب وأفعالهم التي اقترفوها، ولم تكن متبوعة بالحجج المبطلة لها؛ إذ أجّلت للمبحث الموالي ليكون هذا المبحث كالتمهيد له. وقد بدأ الفصل بدلائل التوحيد الحسيّة المشاهدة في الكون والنبات وحتى في الإنسان؛ ليستحضر عباد الله عظمة خالقهم، وواسع علمه قبل أن يتجرّأوا عليه سبحانه بما لا يليق من الأقوال والأفعال.

3- واعتبر ابن عاشور(رحمه الله) الموقف الأخير معطوف على أقوال وأفعال سابقة إذ يقول:" عطفٌ على نظائره ممّا حكيت فيه أقوالهم وأعمالهم من قوله: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾الآية [سورة الأنعام: الآية 91] وقوله: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾ الآية[سورة الأنعام: الآية 100] وقوله: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾ الآية[سورة الأنعام: الآية 109] وقوله: ﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ﴾ الآية[سورة الأنعام: الآية 124] وما تخلّل ذلك فهو إبطال لأقوالهم، وردّ لمذاهبهم، وتمثيلات ونظائر، فضمير الجماعة يعود على المشركين الّذين هم غرض الكلام من أوّل السّورة من قوله: ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[سورة الأنعام: الآية 1]".[1]

---

[1] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 94/8.

الفصل الثاني

تنويع الحجج في ردّ ما حرّمه المشركون، وبيان أصول المحرّمات، وتقرير مهمّة الإنسان.

(من الآية مئة وواحد وأربعين إلى الآية مئة وخمسة وستين)

المبحث الأول (المقدمة): بعض مظاهر الإنشاء والرزق.

(من الآية مئة وواحد واربعين إلى الآية مئة واثنان وأربعين)

المبحث الثاني: إبطال ما افتراه المشركون بالحجّة، وبيان أصول المحرّمات.

(من الآية مئة وثلاثة وأربعين إلى الآية مئة وثلاثة وخمسين)

المبحث الثالث: الاحتجاج على المشركين بإنزال القرآن، وبيان حقيقة العبودية، وتقرير الاستخلاف في الأرض.

(من الآية مئة واربعة وخمسين إلى الآية مئة وخمسة وستين)

الفصل الثاني من الباب الثاني

المبحث الأوّل[المقدّمة]: بعض مظاهر الإنشاء والرزق.

[من الآية 141 إلى الآية 142]

1- تفسير الآيات:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿141﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿142﴾ ﴾.[سورة الأنعام: الآيات141-142].

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿141﴾ ﴾.

أ- المناسبة:

يقول ابن عاشور(رحمه الله):" الواو في: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ ﴾ للعطف، فيكون عطف هذه الجملة على جملة ﴿وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ﴾[سورة الأنعام: الآية 140] تذكيراً بمنّة الله تعالى على النّاس بما أنشأ لهم في الأرض ممّا ينفعهم؛ فبعد أن بيّن سوء تصرّف المشركين فيما مَنّ به على النّاس كلّهم مع تسفيه آرائهم في تحريم بعضها على أنفسهم، عطف عليه المنّة بذلك استنزالاً بهم إلى إدراك الحقّ والرجوع عن الغي".[1]

[1] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 117/8.

ب- **المعنى:**

يقول الطبري(رحمه الله):" وهذا إعلام من الله تعالى ذكره ما أنعم به عليهم من فضله، وتنبيهٌ منه لهم على موضع إحسانه، وتعريفٌ منه لهم ما أحلَّ وحرَّم وقسم في أموالهم من الحقوق لمن قسم له فيها حقًّا".[1]

﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ** ﴾ أي: وربكم، أيّها الناس، أحدث وابتدع خلقًا -لا الآلهة والأصنام- بساتين.[2]

﴿ **مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ** ﴾ أيَ:" رُفِعَتْ عَلَى الْأَعْوَادِ، وَصِينَتْ عَنْ تَدَلِّي الثَّمَرِ عَلَى الْأَرْضِ، وَأُظْهِرَتْ لِلْإِدْرَاكِ، وَسَهُلَ جَمْعُهَا دُونَ انْحِنَاءٍ... وَالْعَرْشُ: كُلُّ مَا ارْتَفَعَ فَوْقَ غَيْرِهِ. وَقِيلَ: تَعْرِيشُهَا حِيَاطَتُهَا بِالْجُدُرِ... وَالْأَوَّلُ أَقْوَى فِي الِاشْتِقَاقِ".[3]

فبعض الجنّات لا تصلح إلاّ معروشة، وجنّات لا تصلح إلاّ مطروحة على الأرض مثقلة بما يحكم وصولها إليها، ومتى ارتفعت عن الأرض تلفت. وما هذا الإختلاف إلاّ بفاعل مختار واحد لا شريك له، لا يكون إلا ما يريد.[4]

﴿ **وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ** ﴾ أي: وخلق النخل والزرع مختلفًا ما يخرج منه مما يؤكل من الثمر والحب. ﴿ **وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ** ﴾ في الطعم؛ منه الحلو، والحامض، والمزّ.[5]

﴿ **كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ** ﴾ وهذا" أمر إباحة. وقيل إنّما قدّم الأكل لينهى عن فعل الجاهلية في زروعهم من تحريم بعضها".[6]

---

[1] - الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 155/12.

[2] - ينظر الطبري، المصدر السابق: 155/12-156.

[3] - ابن العربي، أحكام القرآن، دار المعرفة: 756/2.

[4] - ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 726/2-727.

[5] - ينظر الطبري، المصدر السابق: 157/12.

[6] - ابن الجوزي، زاد المسير، المكتب الإسلامي: 135/3.

﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ﴾ اختلفوا في هذا الحقّ على قولين: أحدها: أنّها الزكاة المفروضة من العشر ونصف العشر. والثاني: أنّه حقّ في المال سوى الزكاة، أُمر بإتيانه لأنّ الآية مكيّة، وفرضت الزكاة بالمدينة.[1]

ونقل عن ابن عباس قوله: نسخت الزكاة كلّ صدقة في القرآن.[2] ومن المعلوم أنّه إذا ذُكر النسخ عند المتقدّمين أريد به التخصيص، أو التقييد، لا إلغاء الحكم.

والْآيَةُ خَاصَّةٌ أَيْ: مُبَيِّنَةٌ لمخْرَجَاتِ الْأَرْضِ التِي أُجْمِلَتْ فِي البَقَرَة، مُجْمَلَةٌ فِي مِقْدَارِ الْحَق الْذِي بَيَّنَتْهُ السُنَّةُ وَحَدَّدَتْهُ بِالْعُشْرِ وَنِصْفَ الْعُشْرِ.[3]

﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١﴾.

"ولمّا أمر الله بالأكل من ثمره وبإيتاء حقّه، نهى عن مجاوزة الحدّ في البسط أو القبض... وهذا النهي يتضمّن أفراد الإسراف، فيدخل فيه الإسراف في أكل الثمرة حتى لا يبقى شيء منها للزكاة، والإسراف في الصدقة حتى لا يبقى لنفسه ولا لعياله شيئاً... ثم علّله بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ أي: لا يعاملهم معاملة المحب فلا يكرمهم".[4]

﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ١٤٢﴾.

أ- المناسبة:

"الواو" في قوله سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ﴾ توجب العطف على ما تقدّم من قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ﴾ والتقدير وهو الذي أنشأ جنّات معروشات وغير

[1] – ينظر البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، دار الفكر، بيروت، 1405هـ-1985م: 2/ 427-428.

[2] – ينظر البغوي، المصدر السابق: 428/2.

[3] – ينظر ابن العربي، أحكام القرآن، دار المعرفة: 758/2.

[4] – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 728/2.

معروشات وأنشأ من الأنعام حمولة؛ فلمّا ذكر تعالى كيفية إنعامه على عباده بالمنافع النباتية، أتبعها بذكر إنعامه عليهم بالمنافع الحيوانية.[1]

وينسحب على المعطوف القصر الّذي في المعطوف عليه، أي هو الّذي أنشأ من الأنعام حمولة وفرشاً لا آلهة المشركين، فكان المشركون ظالمين في جعلهم للأصنام حقّاً في الأنعام.[2]

والآية" شروع في تفصيل حال الأنعام وإبطال ما تقوّلوا على الله تعالى في شأنها بالتحريم والتحليل".[3]

ب- **المعنى:**

أي:" وأنشأ من الأنعام حمولة وفرشًا، مع ما أنشأ من الجنّات المعروشات وغير المعروشات".[4]

و" تقديم المجرور على المفعول الّذي هو أولى بالتّقديم في ترتيب المتعلّقات، أو تقديمُ الصّفة على الموصوف، لقصد الِاهتمام بأمر الأنعام، لأنَّها المقصود الأصلي من سياق الكلام، وهو إبطال تحريم بعضها، وإبطالُ جعل نصيب منها للأصنام، وأمَّا الحمل والفَرْش فذلك امتنان أُدمج في المقصود توفيراً للأغراض، ولأنّ للاِمتنان بذلك أثراً واضحاً في إبطال تحريم بعضها الّذي هو تضييق في المنّة ونبذ للنّعمة، وليتمّ الإيجاز".[5]

و" في الحمولة والفرش خمسة أقوال: أحدها: أنّ الحمولة ما حمل من الإبل والفرش صغارها. والثاني: أنّ الحمولة ما انتفعت بظهورها والفرش الراعية. والثالث: أنّ الحمولة الإبل والخيل والبغال والحمير وكل شيء يحمل عليه والفرش الغنم. والرابع: الحمولة من

---

[1] – ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 177/13.
[2] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار الكتب العلمية: 124/8.
[3] – أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 452/2.
[4] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 178/12.
[5] – ابن عاشور، المصدر السابق: 125/8.

الإبل والفرش من الغنم. والخامس: الحمولة الإبل والبقر والفرش الغنم وما لا يحمل عليه من الإبل".[1]

﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ يقول الإمام الطبري(رحمه الله):" يقول جل ثناؤه: كلوا مما رزقكم الله، أيها المؤمنون، فأحلّ لكم ثمرات حروثكم وغروسكم، ولحوم أنعامكم، إذ حرّم بعض ذلك على أنفسهم المشركون بالله، فجعلوا لله ما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبًا وللشيطان مثله. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ كما اتبعها باحرُو البحيرة، ومسيِّبو السوائب، فتحرموا على أنفسكم من طيب رزق الله الذي رزقكم ما حرموه، فتطيعوا بذلك الشيطان، وتعصوا به الرحمن".[2]

1- الهدايات المستنبطة:

أ- تدلّ الآيات عَلَى الْمِنَّةِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْنَا وَالنِّعْمَةِ الَّتِي هَيَّأَهَا لَنَا بِفَضْلِهِ، وَالشَّهَادَةِ عَلَى الِابْتِدَاءِ بِالثَّوَابِ قَبْلَ الْعِقَابِ، وَبِالْعَطَاءِ قَبْلَ الْعَمَلِ. وعَلَى قُدْرَتِهِ فِي أَنْ يَكُونَ الْمَاءُ الَّذِي مِنْ شَأْنِهِ الرُّسُوبُ، يَصْعَدُ بِقُدْرَةِ الْوَاحِدِ الْقَادِرِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ مِنْ أَسَافِلِ الشَّجَرِ إِلَى أَعَالِيهَا. وَهَذَا ليس فِي قُدْرَةِ الطَّبِيعَةِ، بَلْ لَا يَتِمُّ ذَلِكَ فِي الْمَعْقُولِ إِلَّا لِحَيٍّ عَالِمٍ قَادِرٍ مُرِيدٍ.[3]

ب- الإسراف مذموم في كلّ شيء؛ فعلى المسلم أخذ حذره في ذلك. والمتتبّع للفقه الإسلامي يجد أنّ الفقهاء قد بنوا على الإسراف أحكاما حتى في مجال العبادات: كالوضوء.

ج- تذكّر الآيات أنّ هذا رزق الله وخلقه، والشيطان لم يخلق شيئا، فما بال المشركين يتّبعونه في رزق الله؟ وتذكّر أنّ الشيطان لهم عدو مبين، فما بالهم يتّبعون خطواته؟[4]

د- ليس هناك أجهل ولا أظلم لنفسه؛ ممّن اتّبع خطوات عدوّه حتى في حرمان نفسه من منافعها.[5]

[1] – ابن الجوزي، زاد المسير، المكتب الإسلامي: 137/3.

[2] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 182/12.

[3] – ينظر ابن العربي، أحكام القرآن، دار المعرفة: 756/2.

[4] – ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: 1223/8.

[5] – ينظر رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، دار الكتب العلمية: 122/8.

2- مناسبة المبحث لسابقه:

1- لمّا فصّلت الآيات السابقة بعض جزئيات التحليل والتحريم المتعلّقة بالأنعام والحرث والأولاد، والتي اتّبع فيها المشركون ما توحي به شياطين الإنس والجن، بيّنت هذه فساد أصلهم الذي بنوا عليه أحكامهم، وقرّرت كونه عز وجل المصدر الوحيد في تشريع الأحكام.

2- يقول الإمام الرازي(606هـ):" لمّا كان المقصود من الآيات السابقة، التنبيه على ضعف عقولهم وقلّة محصولهم وتنفير الناس عن الاِلتفات إلى قولهم والاِغترار بشبهاتهم، فلمّا تمّم هذه الأشياء، عاد بعدها إلى ما هو المقصود الأصلي، وهو إقامة الدلائل على تقرير التوحيد".[1]

3- مناسبة المبحث لموضوع السورة:

1- لمّا كان موضوع "سورة الأنعام" مجادلة المشركين في لازم الربوبيّة، بيّن هذا المطلب" أنّ قضيّة التشريع وقضيّة الألهيّة، قضيّة واحدة في العقيدة الإسلاميّة".[2]

2- بيّنت الآيات أنّه لمّا كان الله هو الرازق والخالق والمنشئ لهذه الأنعام وغيرها، والمالك لها حقيقة، وقد أباحها لكم وهو ربّكم، فأنّى لغيره أن يحرّم عليكم ما ليس له خلقا وإنشاء ولا ملكا، ولا هو برب لكم فيتعبّدكم به تعبّدا.[3]

4- خلاصة المبحث:

يلخّص البقاعي(885هـ) هذا المبحث بكلام جامع مبيّنا علاقته بسابقه فيقول:"...إلى أن عجّب منهم فيما شرّعوه لأنفسهم فيما رزقهم سبحانه من حيوان وجماد ومضوا عليه خلفاً عن سلف، تنبيهاً على ضعف عقولهم وقلّة علومهم؛ تنفيراً للناس عن الالتفات إليهم والاِغترار بأقوالهم، قال في موضع الحال من﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٣٦] مبيناً عظيم ملكه وشمول قدرته وباهر اختياره وعظمته، زيادة في التعجيب منهم في تصرّفهم في ملكه بغير إذنه سبحانه، وشرعهم ما لم يأذن فيه في سياق

[1] - الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 173/13.

[2] - سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: 1223/8.

[3] - ينظر رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، دار الكتب العلمية: 122/8.

كافل بإقامة الحجّة على تقرير التوحيد عوداً على بدء وعلاً بعد نهل؛ لأنّه المدار الأعظم والأصل الأقوم ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ﴾...".[1]

[1] – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 726/2.

المبحث الثاني: إبطال ما افتراه المشركون بالحجّة، وبيان أصول المحرّمات في كلّ الشرائع.

[من الآية 143 إلى الآية 153].

ينقسم هذا المبحث إلى مطلبين؛ جاء في الأول إبطال ما افتراه المشركون على الله من التحليل والتحري. وجاء في الثاني بيانٌ لأصول المحرمات في كلّ الشرائع.

المطلب الأوّل: إبطال ما افتراه المشركون على الله من التحليل والتحريم.

[من الآية 143 إلى الآية 150].

1- تفسير الآيات:

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (143) وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (144) قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (145) وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ (146) فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ (147) سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (148) قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ (149) قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (150)﴾[سورة الأنعام: الآيات 143- 150].

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (143) وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (144)﴾.

أ- المناسبة:

يقول البقاعي(رحمه الله) مبيّنا المناسبة بين هذه الآية والتي قبلها:" ولمّا ردّ دين المشركين وأثبت دينه، وكانوا قد فصّلوا الحرمة بالنسبة إلى ذكور الآدميّ وإناثه، ألزمهم تفصيلها بالنسبة إلى ذكور الأنعام وإناثه، ففصل أمرها في أسلوب أبان فيها أنّ فعلهم رثّ القوى هلهل النسيج بعيد من قانون الحكمة، فهو موضع للاِستهزاء وأهل للتهكم، فقال بياناً لـ ﴿ يـ يه هميّة ه﴾: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ ".[1]

ب- المعنى:

يقول الإمام الطبري(رحمه الله): "وهذا تقريعٌ من الله جل ثناؤه العادلين به الأوثان من عبدة الأصنام، الذين بحروا البحائر، وسيَّبوا السوائب، ووصلوا الوصائل وتعليمٌ منه نبيَّهﷺ والمؤمنين به، الحجّةَ عليهم في تحريمهم ما حرّموا من ذلك. فقال للمؤمنين به وبرسوله: وهو الذي أنشأ جنّات معروشات وغير معروشات، ومن الأنعام أنشأ حمولة وفرشًا. ثمّ بيّن جلّ ثناؤه "الحمولة" و"الفرش"، فقال: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾".[2]

والمعنى: "إنكار أن يحرّم الله تعالى من جنسي الغنم ضأنها ومعزها شيئاً من نوعي ذكورها وإناثها، ولا مما تحمل إناث الجنسين. وكذلك الذكران من جنسي الإبل والبقر والأنثيان منهما وما تحمل إناثهما".[3]

---

[1] – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 729/2.

[2] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 183/12.

[3] – الزمخشري، الكشاف، دار إحياء التراث العربي: 70/2.

و" الحجاج كلّه في تحريم أكل بعض هذه الأنواع من الأنعام، وفي عدم التّفرقة بين ما حرّموا أكله وما لم يحرّموه مع تماثل النّوع أو الصنف".[1]

﴿نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ أي:" ولمّا علم أنّه لا نظام لهم فعلم أنّهم جديرون بالتوبيخ، زاد في توبيخهم فقال: ﴿نَبِّـُٔونِي﴾ أي: أخبروني عمّا حرّم الله من هذا إخباراً جليلاً عظيماً؛ ولمّا كان هذا الإخبار الموصوف لا يكون بشيء فيه شك، قال: ﴿بِعِلۡمٍ﴾ أي: أمر معلوم من جهة الله لا مطعن فيه﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ أي: إن كان لكم هذا الوصف".[2]

و" لمَّا كانوا عاجزين عن الإنباء دلّ ذلك على أنَّهم حرّموا ما حرّموه بجهالة وسوء عقل لا بعلم، وشأن من يتصدّى للتحريم والتّحليل أن يكون ذا علم.[3]

﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ﴾ أي: الذي قلتم من تحريم ما حرّمتم" أخبركم به رسول عن ربّكم، أم شهدتم ربّكم فرأيتموه فوصَّاكم بهذا الذي تقولون وتزوّرون على الله؟[4] " ثم إنّكم" لا تعترفون بنبوّة أحد من الأنبياء فكيف تثبتون هذه الأحكام المختلفة".[5]

﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي:" فمن أشدّ ظلمًا لنفسه، وأبعد عن الحقّ ممّن تخرَّص على الله قيلَ الكذب، وأضاف إليه تحريم ما لم يحرّم، وتحليل ما لم يحلّل.﴿لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ﴾ يقول: ليصدّهم عن سبيله. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يقول: لا يوفّق الله للرشد من افترى على الله وقال عليه الزُّور والكذب، وأضاف إليه تحريم ما لم يحرّم، كفرًا بالله، وجحودًا لنبوّة نبيِّه محمدﷺ".[6]

---

[1] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 131/8.
[2] – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 730/2.
[3] – ينظر ابن عاشور، المصدر السابق: 133/8.
[4] – ينظر الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 188/12.
[5] – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 178/13.
[6] – الطبري، المصدر السابق: 189/12.

و" أوّل من دخل في هذه الآية: عمرو بن لُحَيّ بن قَمَعَة، فإنّه أوّل من غيّر دين الأنبياء، وأوّل من سيّب السوائب، ووصل الوصيلة، وحمى الحامي، كما ثبت ذلك في الصحيح".[1]

﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿145﴾ ﴾

أ- **المناسبة:**

الآية" استئناف بياني نشأ عن إبطال تحريم ما حرّمه المشركون، إذ يتوجّه سؤال سائل من المسلمين عن المحرّمات الثابتة؛ إذْ أبطلت المحرّمات الباطلة".[2]

يقول الإمام الرازي(رحمه الله): " اعلم أنّه تعالى لمّا بيّن فساد طريقة أهل الجاهليّة فيما يحل ويحرّم من المطعومات أتبعه بالبيان الصحيح في هذا الباب".[3]

ولمّا بيّن الله تعالى أنّ التحريم والتحليل لا يثبت إلا بالوحي في الآية السابقة ناسب أن تبدأ هذه الآية بقوله عزّ وجل: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ﴾ الآية.[4]

ب- **المعنى:**

يقول الإمام أبو السعود(رحمه الله): " أُمر رسول الله بعد إلزام المشركين وتبكيتهم وبيان أنّ ما يتقوّلونه في أمر التحريم، افتراء بحت لا أصل له قطعا؛ بأن يبيّن لهم ما حرّمه عليهم وفي قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ﴾ إيذان بأنّ مناط الحلّ والحرمة هو الوحي، وأنّه قد تتبّع في جميع ما أوحي إليه وتفحّص عن المحرمات فلم يجد غير ما فصّل. وفيه مبالغة في بيان انحصارها في ذلك".[5]

---

[1] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة: 352/3.

[2] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 136/8.

[3] – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 179/13.

[4] – ينظر الرازي، المصدر نفسه.

[5] – أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 454/2.

يقول الإمام الطبري(ت310هـ) في معنى الآية الكريمة:" قل، يا محمد، لهؤلاء الذين جعلوا لله ممّا ذَرأ... فإني لا أجد فيما أوحي إليّ من كتابه وآي تنزيله، شيئًا محرَّمًا على آكل يأكله مما تذكرون أنّه حرّمه من هذه الأنعام التي تصفون تحريمَ ما حَرّم عليكم منها بزعمكم، ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً﴾ قد ماتت بغير تذكية.﴿أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا﴾ وهو المُنْصَبّ. أو إلا أن يكون لحم خنزير ﴿فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا﴾ يعني بذلك: أو إلا أن يكون مذبوحًا ذبحه ذابحٌ من المشركين من عبدة الأوثان لصنمه وآلهته، فذكر عليه اسم وثنه، فإنّ ذلك الذبح فسقٌ نهى الله عنه وحرّمه...؛ لأنه ميتة".[1]

﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ﴾ أي:" فمن اضطر إلى أكل شيء ممّا حُرّم في هذه الآية الكريمة، وهو غير متلبّس ببغي ولا عدوان، ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ أي: غفور له، رحيم به".[2]

وعلى المضطر أن لا يكون باغ في ذلك على مضطرٍ مثلَه، ولا عاد قدر الضرورة؛ فإنّ الله غفور رحيم مبالِغ في المغفرة والرحمة لا يؤاخذه بذلك.[3]

ويقول الإمام ابن عاشور(1393هـ):" وقد دلّت الآية على انحصار المحرّمات من الحيوان في هذه الأربعة، وذلك الإنحصار بحسب ما كان مُحرّماً يوم نزول هذه الآية، فإنَّه لم يحرّم بمكّة غيرها من لحم الحيوان الّذي يأكلونه، وهذه السّورة مكّيّة كلّها على الصّحيح، ثمّ حرّم بالمدينة أشياء أخرى... وحُرّم لحم الحُمر الإنسيّة بأمر النّبيﷺ".[4]

و" على هذا أكثر أهل العلم من أهل النظر، والفقه والأثر. ونظيره نكاح المرأة على عمّتها وعلى خالتها مع قوله: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ﴾ [سورة النساء: الآية 24]".[5]

ويضيف الإمام أبو السعود(982هـ) قوله:" والآية محكمة لأنّها تدلّ على أنّه لم يجد فيما أوحي إليه في تلك الغاية غيره ولا ينافيه ورود التحريم بعد ذلك في شيء آخر فلا يصح

[1] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 12/190–191.
[2] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة: 3/154.
[3] – أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 2/455.
[4] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 8/139–140.
[5] – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار عالم الكتب: 7/116.

الإستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حلّ الأشياء التي هي غيرها إلاّ مع الإستصحاب".[1]

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ (146) ﴾

أ- المناسبة:

الجملة عَطْف على جملة: ﴿ قُل ﴾[سورة الأنعام: الآية ١٤٥] عطفَ خبرٍ على إنشاء، أي بيِّن لهم ما حرّم في الإسلام، واذكُرْ لهم ما حرّمنا على الّذين هادوا قبل الإسلام.[2]

و" لمّا كان قوله : ﴿ عَلَىٰ طَاعِمٖ ﴾ نكرة في سياق النفي، يعمّ كل طاعم من أهل شرعنا وغيرهم، وكان سبحانه قد حرّم على اليهود أشياء غير ما تقدّم، اقتضت إحاطة العلم أن قال مبيّناً لإحاطة علمه وتكذيباً لليهود: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾".[3]

ويقول الإمام القرطبي(٦٧١هـ):" لمّا ذكر الله عز وجل ما حرّم على أمّة محمدﷺ عقب ذلك بذكر ما حرّم على اليهود؛ لما في ذلك من تكذيبهم في قولهم: إنّ الله لم يحرّم علينا شيئا، وإنّما نحن حرّمنا على أنفسنا ما حرّمه إسرائيل على نفسه. وهذا التحريم على الذين هادوا إنّما هو تكليف بلوى وعقوبة".[4]

ب- المعنى:

أي:" حرّم على اليهود أكل كل ذي ظفر؛ وهو ما ليس له أصابع مفرقة مثل: الإبل والنعام والبط والإوز. ومن البقر والغنم حرّم عليهم شحومهما وهو الشحم اللاصق بالكرش والكلى، وأباح لهم من الشحوم ما حملته البقرة أو الشاة على ظهرها. وما كان لاصقاً

---

[1] – أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 455/2.

[2] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 141/8.

[3] – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 736/2.

[4] – البقاعي، المصدر السابق: 124/7.

بالمباعر؛ وهي الحوايا جمع حاوية، وكذا الشحم المختلط بالعظام كشحم الليلة، وشحم الجانب والأذن والعين وما إلى ذلك".[1]

﴿ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ ﴾ أي:" هذا التضييق إنّما فعلناه بهم وألزمناهم به مجازاة لهم على بغيهم ومخالفتهم أوامرنا".[2]

﴿ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ أي:" وإنّا لصادقون في خبرنا هذا عن هؤلاء اليهود عمّا حرّمنا عليهم من الشحوم ولحوم الأنعام والطير التي ذكرنا أنّا حرّمنا عليهم، وفي غير ذلك من أخبارنا، وهم الكاذبون في زعمهم أنّ ذلك إنّما حرّمه إسرائيل على نفسه، وأنّهم إنّما حرّموه لتحريم إسرائيل إيّاه على نفسه".[3]

ويمكن أن يكون معنى التذييل﴿ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ أي: إنّا لصادقون في مجازاتهم، تعريضا بمجازاة غيرهم إن بغوا.

﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٤٧ ﴾.

أ- المناسبة:

الآية" تفريع على الكلام السّابق الذي أبطل تحريم ما حرّموه".[4]

وربما المناسبة بين ذكر جزاء اليهود في الآية السابقة وهذه الآية، هو أنّه كما جزينا الذين هادوا ببغيهم، كذلك لا يردّ بأسنا عن كلّ المجرمين، ومشركي قريش جزء منهم.

ب- المعنى:

أي:" إن كذّبوك في ادعاء النبوّة والرسالة وكذّبوك في تبليغ هذه الأحكام﴿ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ ﴾؛ فلذلك لا يعجل عليكم بالعقوبة ﴿ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ ﴾ أي: عذابه إذا جاء الوقت

---

[1] – أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم: 134/2.

[2] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا: 211/3.

[3] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 206/12.

[4] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 144/8.

﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ يعني الذين كذبوك فيما تقول".[1]

و" في هذه الآية من شديد التهديد مع لطيف الإستعطاف ما هو مسبوك على الحدّ الأقصى من البلاغة"[2]

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (148)﴾.

أ- المناسبة:

بعد أن ذكرت الآية السابقة أنّ بأس الله لا يردّ على القوم المجرمين ومنهم المكذّبين لرسول الله ﷺ، ذكرت هذه الآية اعتذارهم بالمشيئة هروبا من استحقاقهم الجزاء، وبينت أن لو كانت المشيئة عذرا، لما ذاق بأس الله من كانوا قبلهم.

ومناسبتها للآيات السابقة من نفس المطلب، أنّها استئناف رجع به الكلام إلى مجادلة المشركين، بعد أن اعترض بينها بقوله: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا﴾ الآية [سورة الأنعام: الآية 145].[3]

ويقول الإمام الرازي(ت606هـ):" واعلم أنّه تعالى لمّا حكى عن أهل الجاهلية إقدامهم على الحكم في دين الله بغير حجّة ولا دليل حكى عنهم عذرهم في كل ما يقدمون عليه من الكفريات فيقولون: لو شاء الله منّا أن لا نكفر لمنعنا".[4]

ب- المعنى:

قال الطبري (ت310هـ) في معناها:" قالوا احتجازًا من الإذعان للحق بالباطل من الحجّة... لو أراد الله منّا الإيمان به، وإفراده بالعبادة دون الأوثان والآلهة، وتحليل ما حرّم من البحائر

[1] – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 184/13.
[2] – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 737/2.
[3] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 146/8.
[4] – الرازي، المصدر نفسه.

والسوائب وغير ذلك من أموالنا، ما جعلنا لله شريكًا، ولا جعل ذلك له آباؤنا من قبلنا، ولا حرّمنا ما نحرّمه من هذه الأشياء التي نحن على تحريمها مقيمون".[1]

ويقولون ذلك في معرض إفحام الرّسول عليه الصّلاة والسّلام وإبطال حُكمه عليهم بالضّلالة، وهذه شبهة أهل العقول الأفِنة الذين لا يُفرّقون بين تصرّف الله تعالى بالخَلْق والتّقدير وحفظِ قوانين الوجود، وبين تصرّفه بالأمر والنّهي، فالأوّل تصرّف التّكوين والثّاني تصرّف التّكليف.[2]

﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ ﴾ أي:" بهذه الشبهة ضلّ من ضلّ قبل هؤلاء. وهي حجّة داحضة باطلة؛ لأنّها لو كانت صحيحة لما أذاقهم الله بأسه، ودمّر عليهم، وأدال عليهم رسله الكرام، وأذاق المشركين من أليم الاِنتقام".[3]

﴿ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ ﴾ أي:" هل عندكم من أمر معلوم يصحّ الاِحتجاج به على ما زعمتم، فتظهروه لنا".[4]

﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ﴾ أي: قل لهم: إن تقولون ما تقولون، أيّها المشركون، وتعبدون من الأوثان والأصنام ما تعبدون، وتحرّمون من الحروث والأنعام ما تحرّمون، إلا ظنًّا وحسبانًا أنّه حقّ، وأنّكم على حقّ، وهو باطلٌ، وأنتم على باطل. وما أنتم في ذلك كلّه ﴿ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ﴾ يقول: إلا تتقوّلون الباطل على الله، ظنًّا بغير يقين علم، ولا برهان واضح.[5]

﴿ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٤٩ ﴾.

[1] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 208/12.

[2] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 146/8.

[3] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة: 358/3.

[4] – أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 457/2.

[5] – ينظر الطبري، المصدر السابق: 211/12.

أ- المناسبة:

الآية" جواب عن قولهم: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا ﴾[سورة الأنعام: الآية ﵢ] تكملة للجواب السّابق لأنَّه زيادة في إبطال قولهم".[1]

ويقول البقاعي(﵀):" ولمّا انتفى أن يكون لهم حجّة، وثبت أنّ الأمر إنّما هو لله، ثبت أنّه المختصّ بالحجّة الواضحة".[2]

ب- المعنى:

أي:" قل يا محمد، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان... إن عجزوا عن إقامة الحجّة عند قيلك لهم: "هل عندكم من علم بما تدّعون على ربكم فتخرجوه لنا"، وعن إخراج علم ذلك لك وإظهاره، وهم لا شك عن ذلك عَجَزَة...؛ لأنّه باطل لا حقيقة له، ﴿ فَلِلَّهِ ﴾ الذي حرّم عليكم أن تشركوا به شيئًا، وأن تتّبعوا خطوات الشيطان في أموالكم من الحروث والأنعام ﴿ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ﴾ دونكم أيّها المشركون...ويعني بـ ﴿ ٱلْبَٰلِغَةُ ﴾، أنّها تبلغ مراده في ثبوتها على مَنْ احتجّ بها عليه من خلقه، وقَطْعِ عُذْرِهِ إذا انتهت إليه فيما جُعِلت حجّة فيه".[3]

﴿ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ﴾ " أمر الله سبحانه نبيّه ﷺ، بأن يخبرهم أنّ لله الحجّة البالغة على الناس أي: التي تنقطع عندها معاذيرهم وتبطل شبههم وظنونهم وتوهّماتهم والمراد بها الكتب المنزّلة والرسل المرسلة وما جاءوا به من المعجزات".[4]

وأعيد فعل الأمر بالقول لِاسترعاء الأسماع لِما سيرد بعد فعل: ﴿ قُلْ ﴾ وقد كُرّر ثلاث مرات متعاقبة بدون عطف، والنكتة؛ كون القول جارياً على طريقة المقاولة".[5]

---

[1] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 151/8.

[2] – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 739/2.

[3] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 211/12–212.

[4] – الشوكاني، فتح القدير، دار الفكر: 175/2.

[5] – ابن عاشور، المصدر نفسه.

﴿ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ أي: له الحكمة التامّة، والحجّة البالغة في هداية من هَدى، وإضلال من أضلّ، وكل ذلك بقدرته ومشيئته واختياره.[1]

فلو شاء الله تعالى؛ لهدى الناس أجمعين بالتوفيق للهداية، والحمل عليها. ولكن لم يشأ هداية الكل، بل هداية البعض الصارفين هممهم إلى سلوك طريق الحقّ. وضلال آخرين صرفوا اختيارهم إلى خلاف ذلك من غير صارف يلويهم.[2]

﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (150) ﴾.

أ- المناسبة:

يقول الإمام الرازي(ت606هـ):" اعلم أنّه تعالى لمّا أبطل على الكفار جميع أنواع حججهم بيّن أنّه ليس لهم على قولهم شهود البتة".[3]

وهي" استئناف ابتدائي: للاِنتقال من طريقة الجدل والمناظرة في إبطال زعمهم، إلى إبطاله بطريقة التّبيين".[4]

ب- المعنى:

أي:" قل، يا محمد، لهؤلاء المفترين على ربهم من عبدة الأوثان، الزاعمين أنّ الله حرّم عليهم ما هم محرّموه من حروثهم وأنعامهم ﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ﴾ يقول: هاتوا شهداءكم الذين يشهدون على الله أنّه حرّم عليكم ما تزعمون أنّه حرّمه عليكم... فإن جاءوك بشهداء يشهدون... ﴿ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ﴾؛ فإنّهم كذبة وشهود زور في شهادتهم بما شهدوا به من ذلك على الله".[5]

---

[1] – ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة: 358/3.

[2] – ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 457/2.

[3] – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 188/13.

[4] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 153/8.

[5] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 213/12-214.

وهذا أيضا من باب التبكيت لهم؛ حيث يأمرهم بإحضار الشهود على أنّ الله حرّم تلك الأشياء مع علمه أن لا شهود لهم، وإن حدث أنّ الشهود شهدوا لهم بغير علم بل مجازفة وتعصب ﴿ فَلَا تَشۡهَدۡ مَعَهُمۡۚ ﴾[1] أي:" فلا تصدق أداء الشهادة إلا من كتاب أو على لسان نبي، وليس معهم شيء من ذلك".[2]

﴿ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾

أي:" لا تتبع أهواء الذين يجمعون بين تكذيب آيات الله وبين الكفر بالآخرة وبين الإشراك به سبحانه لكن لا على أن يكون مدار النهي الجمع المذكور بل على أنّ أولئك جامعون لها متّصفون بكلّها".[3]

و" سمَّى دينهم هوى؛ لعدم استناده إلى مستند ولكنّه إرضاءً للهوى. والهوى غلب إطلاقه على محبّة الملائم العاجل الذي عاقبته ضرر".[4]

1- الهدايات المستنبطة:

ﭠ- يستفاد من الآيات،" أنّ من الظلم أن يُقدِم أحد على الإفتاء في الدّين ما لم يكن قد غلب على ظنّه أنَّه يفتي بالصّواب الذي يُرضي الله، وذلك إنْ كان مجتهداً فبالِاستناد إلى الدّليل الّذي يغلب على ظنّه مصادفته لمراد الله تعالى، وإن كان مقلّداً فبالِاستناد إلى ما يغلب على ظنّه أنَّه مذهب إمامه الّذي قلَّده".[5]

ﭡ- من لطف الله بهذه الأمة، أن أباح لهم في حال الضرورة كل محرّم؛ رحمة منه لهم وستراً لتقصيرهم.[6]

ﭢ- بطلان الِاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي والِاستمرار فيها.[7]

---

1 - ينظر الشوكاني، فتح القدير، دار الفكر: 176/2.

2 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار عالم الكتب: 130/7.

3 - أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 458/2.

4 - ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 154/8.

5 - ابن عاشور، المصدر السابق: 145/8.

6 - ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 731/2.

7 - ينظر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم: 137/2.

ﺷﻤ- الحكمة في عدم هداية الخلق كلّهم مع قدرة الله تعالى على ذلك، هو التكليف والإبتلاء.[1]

يستفاد من الآيات،" أنّ ما حرّمه المشركون لم يحرّمه الله عز وجل على لسان موسى ولا لسان محمد، وهذان هما اللذان جاءا بكتاب فيه الحلال والحرام، كما قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿92﴾﴾[سورة الأنعام: الآية ﻳﺮﻱ] وقوله سبحانه أيضا: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿49﴾﴾[سورة القصص: الآية ﻳﺸﻢ]".[2]

ﻟﻪ- كان العرب يثبتون القدر، ويقرّون أنّ الله خالق كلّ شيء...إلخ، وذمُّ الله تعالى لهم كان على احتجاجهم بالقدر على إبطال الأمر والنهي.[3]

ﻟﻲ- جادل الله تعالى المشركين في قوله: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ الآية بطريق السبر والتقسيم، وهو نوع من الأنواع المصطلح عليها في علم الجدل.[4]

ﺑﻲ- تدلّ الآية الأخيرة، عَلَى أَنَّ الشَّاهِدَ إذَا قَالَ مَا قَامَ الدَّلِيلُ عَلَى بُطْلَانِهِ، فَلَا تُقْبَلُ شَهَادَتُهُ.[5]

2- مناسبة المطلب لسابقه:

يقول الإمام أبو السعود(982هـ): ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ﴾ تمهيد لما سيأتي من تفصيل أحوال الأنعام".[6] فمهّدت الآيات السابقة لكون الله هو المنشئ والرازق، حتى يفهموا لماذا له حق التحليل والتحريم وحده، وأنّ متعلقات ذلك مبيّن في الكتب المنزلة على الرسل.

3- مناسبة المطلب لموضوع السورة:

لمّا كان موضوع السورة الكريمة مجادلة المشركين في لازم الربوبيّة بمظاهر العلم والقدرة، كان هذا المطلب مناسبا له تماما؛ إذ ظهرت مجادلة الله لهم في استعمال منهج السبر

---

[1] - ينظر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم: 137/2.

[2] - ابن تيمية، مجموع الفتاوي، المكتب الإسلامي السعودي: 19/ 183.

[3] - ينظر ابن تيمية، تفسير ابن تيمية- الجامع لكلام ابن تيمية في التفسير-، دار ابن الجوزي: 112/8.

[4] - ينظر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي: ص744.

[5] - ينظر ابن العربي، أحكام القرآن، تخريج وتعليق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1424هـ-2003م: 297/2.

[6] - أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 451/2.

والتقسيم، والأخبار الصادقة التي لا يمكن لهم تكذيبها بحال، وطلب الدليل اليقيني لا الظني، وبيّنت أنّ لله وحده الأدلّة القواطع التي لو شاء الله لهدهم إليها ثم لآمنوا أجمعين. كما أنّ الأوامر والنواهي التي ذُكرت في آيات المطلب، لا تكون إلا من لدن قادر عليم حكيم، نافذ جزاءه، كما كان نافذا في الأقوام السابقة.

المطلب الثاني: أصول المحرمات في كلّ الشرائع.

[من الآية 151 إلى الآية 153]

1- تفسير الآيات:

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (152) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (153) ﴾[سورة الأنعام: الآيات 151-152].

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151) ﴾.

أ- المناسبة:

استئناف ابتدائي للاِنتقال من إبطال تحريم ما ادّعوا تحريمه من لحوم الأنعام، إلى دعوتهم لمعرفة المحرّمات، التي علمُها حقّ، وهو أحقّ بأنْ يعلموه ممّا اختلقوا من افترائهم وموّهوا بجدلهم. والمناسبة لهذا الاِنتقال ظاهرة؛ فالمقام مقامُ تعليم وإرشاد، ولذلك ابتدئ بأمر

الرّسول عليه الصّلاة والسّلام بفعل القول استرعاء للأسماع.[1]

ب- المعنى:

أي:" قل، يا محمد، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام، الزاعمين أنّ الله حرّم عليهم ما هم محرِّموه...: تعالوا، أيّها القوم، أقرأ عليكم ما حرّم ربّكم حقًّا يقينًا، لا الباطل تخرُّصًا، تخرُّصَكم على الله الكذبَ والفريةَ ظنًّا، ولكن وحيًا من الله أوحاه إليّ، وتنزيلا أنزله عليّ: أن لا تشركوا بالله شيئًا من خلقه، ولا تعدلوا به الأوثان والأصنام، ولا تعبدوا شيئًا سواه. ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، يقول: وأوصى بالوالدين إحسانًا، وحذف "أوصى" و"أمر"، لدلالة الكلام عليه ومعرفة السامع بمعناه".[2] والملاحظ عن الإمام الطبري(رحمه الله) أنّه يستحضر في- أغلب الأحيان- المعاني السابقة المؤثرة في تفسير الآية وبيان أبعادها.

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ لمّا أوصى تعالى ببرّ الآباء والأجداد، عطف على ذلك الإحسان إلى الأبناء والأحفاد؛ وذلك أنّهم كانوا يقتلون أولادهم كما سَوَّلت لهم الشياطين ذلك، فكانوا يئدون البنات خَشْيَةَ العار، وربما قتلوا بعض الذكور خيفةَ الإفتقار.[3]

يقول ابن عاشور(رحمه الله):" وجملة: ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ معترضة، مستأنفة، علّة للنّهي عن قتلهم، إبطالاً لمعذرتهم؛ لأنّ الفقر قد جعلوه عذراً لقتل الأولاد. ومع كون الفقر لا يصلح أن يكون داعياً لقتل النّفس، فقد بيّن الله أنّه لمّا خَلَق الأولاد فقد قدّر رزقهم، فمن الحماقة أن يظنّ الأب أنّ عجزه عن رزقهم يخوّله قتلهم، وكان الأجدر به أن يكتسِبَ لهم".[4]

﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ وفيها خمسة أقوال:" أحدها: أنّ الفواحش الزنا، وما ظهر منه الإعلان به وما بطن الإستسرار به. والثاني: أنّ ما ظهر الخمر ونكاح المحرّمات وما بطن الزنا. والثالث: أنّ ما ظهر الخمر وما بطن الزنا. والرابع: أنّه عام في

---

[1] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 155/8.

[2] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 215/12.

[3] – ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة: 361/3.

[4] – ابن عاشور، المصدر السابق: 159/8.

الفواحش وظاهرها علانيتها وباطنها سرّها. والخامس: أنّ ما ظهر أفعال الجوارح وما بطن اعتقاد القلوب".[1]

والأقوال الثلاثة الأولى، داخلة في القولين الأخيرين. وحاصل المعنى أنّ الكلّ محرّم.

ويقرّر الطبري أنّ:" الدليل الظاهر من التنزيل، على النهي عن ظاهر كل فاحشة وباطنها، ولا خبر يقطع العذرَ، بأنّه عنى به بعض دون جميع. وغير جائز إحالة ظاهر كتاب الله إلى باطن، إلا بحجّة يجب التسليم لها".[2] وهذا الأصل من أهمّ الأصول التي يبني عليها الطبري تفسيره واختياراته.

ولهذا جاء في صحيح البخاري عن عبد الله قال:" **سَأَلْتُ النَّبِيَ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ:" أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًا وَهُوَ خَلَقَكَ". قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ:" وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ". قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: "أَنْ تُزَانِي حَلِيلَةَ جَارِكَ"**.[3]

﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ** ﴾ وهذا مما نصّ تبارك وتعالى على النهي عنه تأكيدًا، وإلا فهو داخل في النهي عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن.[4]

أخرج البخاري(رحمه الله) عن عبد الله قال: **قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: اَلنَّفْسَ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالْمُفَارِقُ لِدِينِهِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ"**.[5]

﴿ **ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ تذييل جعل نهاية للآية، فأومأ إلى تنهية نوع من المحرّمات، وهو المحرّمات الرّاجع تحريمها إلى إصلاح الحالة الاجتماعيّة للأمّة، بإصلاح

---

[1] – ابن الجوزي، زاد المسير، المكتب الإسلامي: 148/3.

[2] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 218/12.

[3] – رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى:" فَلاَ تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَادَ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ" رقم4207، دار الهدى: 1626/4.

[4] – ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة: 362/3.

[5] – رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الديّات، باب:" **أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ**" رقم6484، دار الهدى: 2521/6.

الإعتقاد، وحفظ نظام العائلة والإنكفاف عن المفاسد، وحفظ النّوع بترك التّقاتل".[1]

وأضاف الرازي(ﷺ) معنى آخر إذ يقول:" ثم إنّه تعالى لمّا بيّن أحوال هذه الأقسام الخمسة أتبعه باللفظ الذي يقرّب إلى القلب القبول فقال: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ لما في هذه اللفظة من اللطف والرأفة وكل ذلك ليكون المكلَّف [به] أقرب إلى القبول. ثم أتبعه بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: لكي تعقلوا فوائد هذه التكاليف ومنافعها في الدين والدنيا".[2]

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿152﴾﴾.

أ- المناسبة:

يقول الإمام الرازي مبيّنا العلاقة بين هذه الآية وسابقتها:" اعلم أنّه تعالى ذكر في الآية الأولى خمسة أنواع من التكاليف وهي أمور ظاهرة جليّة لا حاجة فيها إلى الفكر والاجتهاد، ثم ذكر تعالى في هذه الآية أربعة أنواع من التكاليف وهي أمور خفيّة يحتاج المرء العاقل في معرفته بمقدارها، إلى التفكّر والتأمّل والإجتهاد".[3]

وهي عطف على الجملة التي فَسَّرت فعل: ﴿أَتْلُ﴾ [سورة الأنعام: الآية151]؛ عطف محرّمات ترجع إلى حفظ قواعد التّعامل بين الناس لإقامة قواعد الجامعة الإسلاميّة ومدنيّتها وتحقيق ثقة النّاس بعضهم ببعض.[4]

وينبّه البقاعي(885هـ) إلى مناسبة أخرى بقوله:" ولمّا كان المال عديل الروح من حيث إنّه لا قوام لها إلا به، ابتدأ الآية التي تليها بالأموال، ولمّا كان أعظمها خطراً وحرمة مال اليتيم لضعفه وقلّة ناصره، ابتدأ به فنهى عن قربه فضلاً عن أكله أو شربه".[5]

---

[1] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 162/8.

[2] – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 191/13.

[3] – الرازي، المصدر السابق: 192/13.

[4] – ينظر ابن عاشور، المصدر نفسه.

[5] – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 742/2.

ب- المعنى:

أي: ولا تقربوا مال اليتيم إلا بما فيه صلاحه وتثميره؛ حتى استحكام قوة شبابه وسنّه.[1]

﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾ نقل ابن كثير عن الشعبي ومالك، وغير واحد من السلف أنّ معناها: حتى يحتلم واستبعد المعاني الأخرى.[2]

﴿ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ثم" ثنى بالمقادير على وجه يعمّ فقال: ﴿ وَأَوْفُواْ ﴾ أي: أتمّوا. ﴿ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ ﴾؛ لأنّهما الحكم في أموال الأيتام وغيرهم".[3]

يقول الطبري(رحمه الله): "يقول تعالى ذكره: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ وأن أوفوا الكيل والميزان. يقول: لا تبخسوا الناس الكيلَ إذا كلتموهم، والوزنَ إذا وزنتموهم، ولكن أوفوهم حقوقهم. وإيفاؤهم ذلك، إعطاؤهم حقوقهم تامّة ﴿ بِٱلْقِسْطِ ﴾، يعني بالعدل".[4]

﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ أي:" من اجتهد في أداء الحق وأخذه، فإن أخطأ بعد استفراغ وسعه وبذل جهده فلا حرج عليه".[5]

﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ " يأمر تعالى بالعدل في الفعال والمقال، على القريب والبعيد، والله تعالى يأمر بالعدل لكل أحد، في كل وقت، وفي كل حال".[6]

و" ثلّث بالعدل في القول؛ لأنّه الحكم على الأموال وغيرها".[7]

---

[1] – ينظر الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 222/12.

[2] – ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة: 364/3.

[3] – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 742/2.

[4] – الطبري، المصدر السابق: 224/12.

[5] – ابن كثير، المصدر نفسه.

[6] – ابن كثير، المصدر السابق: 365/3.

[7] – البقاعي، المصدر نفسه.

ويقول ابن عاشور (رحمه الله): " هذا جامعٌ كلّ المعاملات بين النّاس بواسطة الكلام وهي الشّهادة، والقضاء، والتّعديل، والتّجريح، والمشاورة، والصّلح بين النّاس، والأخبار المخبِرة عن صفات الأشياء في المعاملات: من صفات المبيعات، والمؤاجرات، والعيوب وفي الوعود، والوصايا، والأيمان؛ وكذلك المدائح والشّتائم كالقذف، فكلّ ذلك داخل فيما يصدر عن القول. والعدل في ذلك أن لا يكون في القول شيء من الاِعتداء على الحقوق".[1]

﴿ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ﴾ و" عهد الله يشتمل على ما عهده إلى الخلق وأوصاهم به، وعلى ما أوجبه الإنسان على نفسه من نذر وغيره".[2]

﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ " يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: قل للعادلين بالله الأوثان والأصنام من قومك: هذه الأمور التي ذكرت لكم في هاتين الآيتين، هي الأشياء التي عهد إلينا ربنا، ووصاكم بها ربكم، وأمركم بالعمل بها، لا بالبحائر... وقتل الأولاد... واتباع خطوات الشيطان. ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ يقول: أمركم بهذه الأمور التي أمركم بها في هاتين الآيتين...؛ لتتذكروا عواقبَ أمركم، وخطأ ما أنتم عليه مقيمون، فتنزجروا عنها، وترتدعوا وتُنيبوا إلى طاعة ربكم".[3]

وذيّل بقوله: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾؛" لأنّ هذه المطالب الأربعة عُرف بين العرب أنّها محامد، فالأمر بها، والتّحريض عليها تذكير بما عرفوه في شأنها ولكنّهم تناسوه بغلبة الهوى وغشاوة الشّرك على قلوبهم".[4]

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (153) ﴾

---

[1] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 166/8.

[2] – ابن الجوزي، زاد المسير، المكتب الإسلامي: 151/3.

[3] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 226/12.

[4] – ابن عاشور، المصدر السابق: 170/8.

أ- المناسبة:

يقول الإمام الرازي(رحمه الله):" لمّا بيّن في الآيتين المتقدّمتين ما وصّى به، أجمل في آخره إجمالاً يقتضي دخول ما تقدّم فيه ودخول سائر الشريعة فيه".[1]

ويضيف البقاعي(رحمه الله) قوله:" ولمّا قرّر هذه الشرائع، نبّه على تعظيمها بالخصوص على وجه يعمّ جميع ما ذُكر في السورة بل وفي غيرها، فقال عاطفاً على ما تقديره -عطفاً على المنهيات وأضداد المأمورات على وجه يشمل سائر الشريعة- : ولا تزيغوا عن سبيلي.[2]

ويفصّل ابن عاشور(رحمه الله) في المناسبة أكثر إذ يقول:" الواو عاطفة على جملة: ﴿ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾[سورة الأنعام: الآية ١٥١] لتماثل المعطوفات في أغراض الخطاب وترتيبه، وفي تخلّل التّذييلات التي عَقِبت تلك الأغراض بقوله: ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾[سورة الأنعام: الآية ١٥١] ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[سورة الأنعام: الآية ١٥٢] ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ وهذا كلام جامع لِاتباع ما يجيء إلى الرسولﷺ من الوحي في القرآن".[3]

ب- المعنى:

أي: وهذا الذي وصّاكم به ربكم، أيّها الناس، في هاتين الآيتين، وأمركم بالوفاء به، هو طريقه ودينه الذي ارتضاه لعباده، قويمًا لا اعوجاج به عن الحق.[4]

﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾ أي:" فاتبعوا جملته وتفصيله ولا تعدلوا عنه فتقعوا في الضلالات".[5]

﴿ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ أي:" لتتّقوا الله في أنفسكم فلا تهلكوها، وتحذروا ربّكم

---

1 - الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 4/14.

2 - ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 743/2.

3 - ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 171/8.

4 - ينظر الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 228/12.

5 - الرازي، المصدر نفسه.

فيها فلا تسخطوه عليها، فيحلّ بكم نقمته وعذابه".[1]

والكلام تذييلُ تكرير لمِثْليه السّابقين. وجعل الرّجاء للتّقوى؛ لأنّ هذه السّبيل تحتوي على ترك المحرّمات، وتزيد بما تحتوي عليه من فعل الصّالحات، فإذا اتَّبعها السّالك فقد صار من المتّقين، أي: الذين اتَّصفوا بالتَّقوى بمعناها الشّرعي.[2]

ج- **الهدايات المستنبطة:**

أ- أخرج الحاكم(رحمه الله) في مستدركه عن عبد الله بن خليفة قال:" **سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: فِي الْأَنْعَامِ آيَاتٍ مُحْكَمَاتٍ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾**".[3]

ب- يقول صاحب المحرّر الوجيز:" وهذه الآية ﴿ **هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ** ﴾ [الآية] تُعلم أهل الأهواء والبدع والشذوذ في الفروع وغير ذلك من أهل التعمّق في الجدل والخوض في الكلام هذه كلها عرضة للزلل ومظنّة لسوء المعتقد".[4]

ج- بيّنت الآيتان نوعين من المحرّمات: نوع راجع تحريمها إلى إصلاح الحالة الاِجتماعيّة للأمّة، بإصلاح الإعتقاد، وحفظ نظام العائلة والاِنكفاف عن المفاسد، وحفظ النّوع بترك التّقاتل. ونوع راجع إلى حفظ قواعد التّعامل بين النّاس لإقامة قواعد الجامعة الإسلاميّة ومدنيتها وتحقيق ثقة النّاس بعضهم ببعض.[5] وتحلي المسلم بهذه الأخلاق مع نفسه، ومع غيره من المسلمين وغير المسلمين؛ يجعل من الأمّة المسلمة، خير أمّة أخرجت للناس، بدل التقهقر الذي تعيشه، والذي يجلب لها الضعف والألم والاِحتقار.

د- جاءت الوصايا بأسلوب التلقين- وهو أحد أسلوبي السورة-؛ لأنّها وقعت كنتائج بعد مقدّمات من البراهين القطعية؛ فتكون هذه الوصايا كنتائج حتميّة لتلك البراهين.[6]

---

[1] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 229/12.

[2] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 174/8-175.

[3] – الحاكم، المستدرك مع تعليقات الذهبي، دار الكتب العلمية: 347/2. قال الحاكم:" هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". وعلّق عليه الذهبي في التلخيص بقوله: صحيح.

[4] – ابن عطية، المحرر الوجيز، دار الكتب العلمية: 365/2.

[5] – ينظر ابن عاشور، المصدر السابق: 162/8.

[6] – ينظر محمود شلتوت، تفسير القرآن (الأجزاء العشرة الأولى)، دار الشروق: ص395-396.

هـ- الترفّق في الخطاب أولى في الموعظة. كما أنّ توجيه الدعوة باسم الربوبيّة من بواعث قبولها.[1]

ي- يتمثّل صراط الله المستقيم، في أن يفرد الناس الله سبحانه بالربوبيّة، ويدينوا له وحده بالعبوديّة، وأن يعلموا أنّ الحاكمية لله وحده، وأن يدينوا لهذه الحاكمية في حياتهم الواقعية.[2]

ير- مناسبة المطلب لسابقه:

يقول الأمام البقاعي(ﻫﺘﻴﻲﻫ): " لمّا أبطل دينهم كلّه أصولاً وفروعاً في التحريم والإشراك، وبيّن فساده بالدلائل النيّرة، ناسب أن يخبرهم بالدين الحقّ ممّا حرّمه الملك الذي له الخلق والأمر ومن غيره؛ فليس التحريم لأحد غيره".[3]

3- مناسبة المطلب لموضوع السورة:

لمّا جادلت الآيات السابقات المشركين في بيان من له حقّ العبادة ومن له حقّ التشريع، وجاءت بالبراهين المختلفة وردّت على الشبهات المختلَقة. وبيّنت العقوبة التي تلحق من أشرك بالله غيره في ذلك؛ سواء بعبادة الأصنام، أو بعبادة شياطين الإنس والجن؛ بالإصغاء إليهم وطاعتهم في التحليل والتحريم، ناسب أن تأتي هذه الآيات وبأسلوب التلقين، لتعلّم جميع الناس ما أحلّه الله الخالق الرازق لعباده، وما حرّمه عليهم. وليس لأحد غيره ذلك؛ لأنّه أعلم بما خلق، وأعلم بما يصلُح لمن سخّر له كلّ ما خلق.

4- خلاصة المبحث:

ينقسم هذا المبحث إلى مطلبين الأوّل منهما كالتمهيد بالنسبة للثاني؛ إذ أبطل الأوّل افتراءات المشركين بالأدلّة القاطعة، وقدّم الثاني نتيجة لذلك، البديل وهو أصول المحرّمات في الإسلام وفي كلّ الشرائع.

وقد احتوت الأدلّة المبسوطة على منهج السبر والتقسيم، الذي تخلّله وصف المشركين بالظلم؛ لِافترائهم وإضلالهم الناس. وعلى اقتصار المحرّمات على ما أوحاه الله لرسوله، وعلى ما حرّمه على اليهود لبغيهم. وعلى نقض قولهم في المشيئة بغير علم. وطلب الشهود على افتراءاتهم.

---

[1] - ينظر محمود شلتوت، تفسير القرآن (الأجزاء العشرة الأولى)، دار الشروق: ص397.

[2] - ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: 1234/2.

[3] - البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 740/2.

أما أصول ما حرّمه الله عز وجل على عباده، فقد تعلّق بأمرين: أوّلها: إصلاح الحالة الاِجتماعية للناس والمتمثّلة في نبذ الشرك، والأمر ببرّ الوالدين، وحرمة قتل الأولاد، وقتل النفس، والاِقتراب من الفواحش. وثانيها: حفظ قواعد التعامل بين الناس وتتمثل في المحافظة على مال اليتيم، وإيفاء الكيل، والعدل في القول، والوفاء بالعهد، واتباع صراط الله المستقيم وعدم التفرّق عنه.

فقد قطعت هذه الآيات الطريق أمام المشركين ببيان سخف افتراءاتهم، وردّها بالأدلّة الواضحة، ثم تقرير أصول المحرّمات على شكل عشر وصايا لعلّهم يعقلون ويتذكّرون ويتّقون.

المبحث الثالث: الاِحتجاج على المشركين بإنزال القرآن، وبيان حقيقة العبودية والجزاء وتقرير الاِستخلاف في الأرض.

[من الآية 154 إلى الآية 165]

ينقسم هذا المبحث إلى مطلبين، في الأول منهما احتجاج على المشركين بإنزال القرآن، ووعيد لمن يصدفون عن هديه. وفي الثاني تلقينٌ لحقيقة العبودية والربوبيّة وبيانٌ لجزاء المشركين، وتقريرٌ للاِستخلاف.

المطلب الأول: الاِحتجاج على المشركين بإنزال القرآن، وتوعّد من يصدفون عن هديه.

[من الآية 154 إلى الآية 160]

1- تفسير الآيات:

﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿154﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿155﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿156﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿157﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿158﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿159﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [سورة الأنعام: الآيات 154-160].

﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿154﴾ ﴾

أ- المناسبة:

ذُكر للآية مناسبات متباينة تبعا لاِختلافهم في المعنى منها:

أنّه" لمّا أخبر الله تعالى عن القرآن بقوله: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ ﴾ [سورة الأنعام: الآية 153] عطف بمدح التوراة ورسولها، فقال: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ وكثيرًا ما يقرن سبحانه بين ذكر القرآن والتوراة".[1]

و" أنّ التكاليف التسعة المذكورة في الآية المتقدمّة، لا يجوز اختلافها بحسب اختلاف الشرائع، بل هي أحكام واجبة الثبوت من أوّل زمان التكليف إلى قيام القيامة".[2]

وكذلك" كلام مسوق من جهته تعالى تقريرا للوصيّة وتحقيقا لها وتمهيدا لما يعقبه من ذكر إنزال القرآن المجيد".[3]

ب- المعنى:

ومعنى الكلام كما يقول ابن عاشور (سميسمترهـ):" وفوْق ذلك فهذا كتاب أنزلناه مبارك جمع فيه ما أوتيه موسى عليه السّلام...وما في القرآن: الذي هو مصدّق لما بين يديه ومهيمن عليه؛ إن اتَّبعتموه واتَّقيتم رَحمناكم ولا معذرة لكم".[4]

ويقول أيضا موضّحا معنى هذه الآية المشكلة:" ومناسبة هذا الاِنتقال: ما ذُكر من صراط الله الذي هو الإسلام، فإنّ المشركين لمّا كذّبوا دعوة الإسلام ذكَّرهم الله بأنَّه أتى موسى عليه السّلام الكتاب كما اشتهر بينهم حسبما بيّناه عند قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ ﴾ الآية [سورة الأنعام: الآية تري]... لينتقل إلى ذكر القرآن والتّحريض على اتباعه فيكون التّذكير بكتاب موسى عليه السّلام تمهيداً لذلك الغرض".[5] وهذا المعنى يتلاءم مع المناسبة الثالثة التي ذكرها أبو السعود(982هـ).

---

[1] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة: 368/3.

[2] – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 4/14.

[3] – أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 462/2.

[4] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 175/8.

[5] – ابن عاشور، المصدر السابق: 176/8.

﴿ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا ﴾ أي:" ثم آتينا موسى التوراة تمامًا لنعمنا عنده وأيادينا قِبَله، تتم به كرامتنا عليه على إحسانه وطاعته ربَّه وقيامه بما كلّفه من شرائع دينه، وتبيينًا لكلّ ما بقومه وأتباعه إليه الحاجة من أمر دينهم".[1]

﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي:" وهدًى لمن اتبعه، ورحمة لمن كان منهم ضالا لينجيه الله به من الضلالة، وليؤمن بلقاء ربه إذا سمع مواعظ الله التي وعظ بها خلقه فيه، فيرتدع عما هو عليه مقيمٌ من الكفر به، وبلقائه بعد مماته".[2]

وفيه مَدْحٌ لكتاب موسى عليه السلام الذي أنزله الله عليه.[3]

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿155﴾ ﴾.

أ- المناسبة:

تظهر مناسبة الآية لما قبلها في أنّه" لمّا بيّن أنّ إنزال الكتب رحمة منه لأنّ غايتها الدلالة على مُنزِلها فتمتثل [الأمم] أوامره وتتقى مناهيه وزواجره، بيّن أنّه لم يخص تلك الأمم بذلك، بل أنزل على هذه الأمّة كتاباً ولم يرض لها كونه مثل تلك الكتب، بل جعله أعظمها بركة وأبينها دلالة".[4]

ب- المعنى:

يقول الإمام الرازي(ت606هـ):" لا شك أنّ المراد هو القرآن وفائدة وصفه بأنّه مبارك أنّه ثابت لا يتطرّق إليه النسخ كما في الكتابين أو المراد أنّه كثير الخير والنفع".[5]

﴿ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ أي: فاجعلوه إمامًا تتّبعونه وتعملون بما فيه، أيها الناس. واحذروا الله في أنفسكم، أن تضيّعوا العمل بما فيه، وتتعدّوا حدودَه، وتستحلُّوا محارمه؛ كي ترحموا، فتنجوا من عذاب الله، وأليم عقابه.[6]

---

[1] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 237/12.

[2] – الطبري، المصدر السابق: 238/12.

[3] – ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة: 369/3.

[4] – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 747/2.

[5] – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 5/41.

[6] – ينظر الطبري، المصدر السابق: 238/12-239.

﴿ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ ١٥٦ ﴾

أ- المناسبة:

" لمّا بيّن بعض صفات القرآن، بيّن هنا المراد من إنزاله، وهو إقامة الحجّة البالغة عليهم".[1]

وجاءت ﴿ أَن تَقُولُوٓاْ ﴾ في موضع التّعليل لفعل ﴿ أَنزَلۡنَٰهُ ﴾ من الآية السابقة.[2]

ب- المعنى:

يقول الإمام الطبري(رحمه الله):" معنى الكلام: وهذا كتاب أنزلناه مبارك لئلا تقولوا: ﴿ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا ﴾".[3]

و" المراد بهذه الآيات إثبات الحجّة عليهم بإنزال القرآن على محمد؛ كي لا يقولوا يوم القيامة إنّ التوراة والإنجيل أنزلا على طائفتين من قبلنا، وكنّا غافلين عمّا فيهما فقطع الله عذرهم بإنزال القرآن عليهم".[4]

﴿ وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ ﴾ أي:" وما كنّا نفهم ما يقولون؛ لأنّهم ليسوا بلساننا، ونحن مع ذلك في شغل وغفلة عمّا هم فيه".[5]

والدراسة: القراءة بمعاودة للحفظ أو للتأمّل... والغفلة: السّهو الحاصل من عدم التفطّن، أي: لم نهتمّ بما احتوت عليه كتبهم فنقتدي بهديها؛ فكان مجيء القرآن منبّها لهم للهدي الكامل ومغنِياً عن دراسة كتبهم".[6]

﴿ أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ ١٥٧ ﴾

---

[1] – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 748/2.

[2] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 179/8.

[3] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 240/12.

[4] – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 6/14.

[5] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة: 370/3.

[6] – ابن عاشور، المصدر السابق: 181/8.

أ- المناسبة:

وقوله ﴿ أَوْ تَقُولُواْ ﴾ عطف على﴿ أَن تَقُولُوٓاْ ﴾ في الآية السابقة.[1]

والكلام تدرّج في الِإعتلال جاء على ما تكنّه نفوس العرب من شفوفهم بأنفسهم على بقيّة الأمم، وتطلّعهم إلى معالي الأمور.[2]

ب- المعنى:

ومعنى الآية:" أو: لئلا يقولوا: لو أنّا أُنزل علينا الكتاب كما أُنزل على هاتين الطائفتين من قبلنا، فأمرنا فيه ونُهينا، وبُيِّن لنا فيه خطأ ما نحن فيه من صوابه...لكنّا أشدَّ استقامة على طريق الحقّ، واتباعًا للكتاب، وأحسن عملا بما فيه، من الطائفتين اللتين أُنزل عليهما الكتاب من قبلنا".[3]

﴿ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْۚ ﴾ أي: لأهدى" إلى الحق الذي هو المقصد الأقصى، أو إلى ما في تضاعيفه من جلائل الأحكام والشرائع ودقائقها؛ لحدّة أذهاننا وثقابة أفهامنا ولذلك تلقّفنا من فنون العلم كالقصص والأخبار والخطب... ونحن أميّون".[4]

وفي" الإعراب عن هذا الِاعتلال منهم تلقين لهم، وإيقاظ لأفهامهم أن يغتبطوا بالقرآن، ويفهموا ما يعود عليهم به من الفضل والشّرف بين الأمم".[5]

ولذلك سبّب عن العلّتين السابقتين قوله:[6] ﴿ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ يقول:" فقد جاءكم من الله على لسان محمدﷺ النبي العربي قرآن عظيم، فيه بيان للحلال والحرام، وهدى لما في القلوب، ورحمة من الله بعباده الذين يتّبعونه ويقتفون ما فيه".[7]

" فالقرآن بيّنة على أنَّه من عند الله لإعجازه بلغاء العرب، وهو هدي بما اشتمل عليه من الإرشاد إلى طرق الخير، وهو رحمة بما جاء به من شريعة سمحة لا حرج فيها، فهي مقيمة

---

[1] – ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 463/2.

[2] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 181/8.

[3] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 242/12–243.

[4] – أبو السعود، المصدر نفسه.

[5] – ابن عاشور، المصدر نفسه.

[6] – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 748/2.

[7] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة: 370/3.

لصلاح الأمّة مع التّيسير. وهذا من أعجب التّشريع وهو أدلّ على أنّه من أمر العليم بكلّ شيء".[1]

وفي الكلام تنبيه على أنّ بيان هذه السورة في النهاية؛ لأنّها سورة أصول الدين. وهي بيّنة؛ لأنّها حجّة ظاهرة بلسان المشركين ولغتهم.[2]

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ﴾ أي: لم ينتفع بما جاء به الرسول، ولا اتبع ما أرسل به، ولا ترك غيره، بل صدف عن اتباع آيات الله، أي: صرف الناس وصدّهم عن ذلك، قاله السدي. وقوله هاهنا فيه قوة؛ لأنّ الآية مثل ما تقدّم في أوّل السورة: ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ ﴾ [سورة الأنعام: الآية ٢٦].[3]

﴿ سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴾ يقول:" سيثيب الله الذين يعرضون عن آياته وحججه ولا يتدبّرونها، ولا يتعرّفون حقيقتها فيؤمنوا بما دلّتهم عليه من توحيد الله، وحقيقة نبوّة نبيّه، وصدّق ما جاءهم به من عند ربّهم، شديد العقاب؛ وذلك عذاب النّار التي أعدّها الله لكفرة خلقه به... جزاء بما كانوا يعرضون عن آياته في الدنيا، فلا يقبلون ما جاءهم به نبيّهم محمدﷺ".[4]

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ (158) ﴾.

أ- المناسبة:

يقول الإمام الرازي(٦٠٦هـ):" واعلم أنّه تعالى لمّا بيّن أنّه إنّما أنزل الكتاب إزالة للعذر وإزاحة للعلّة، بيّن أنّهم لا يؤمنون ألبتّة وشرح أحوالاً توجب اليأس عن دخولهم في الإيمان فقال: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ ".[5]

---

[1] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 182/8.

[2] – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 748/2.

[3] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة: 370/3.

[4] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 244/12–245.

[5] – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 6/14.

والآية استئناف بياني نشأ في قوله: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٥٧]، وهو يحتمل الوعيد إذا نشأ عن جملة ﴿ سَنَجْزِي ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا ﴾. ويحتمل التهكّم إذا نشأ عن قوله: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ﴾.[1]

ب– المعنى:

يقول الطبري(٣١٠هـ):" يقول جل ثناؤه: هل ينتظر هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام، إلا أن تأتيهم الملائكة بالموت فتقبض أرواحهم. أو أن يأتيهم ربك، يا محمد، بين خلقه في موقف القيامة... أو أن يأتيهم بعضُ آيات ربك، وذلك فيما قال أهل التأويل: طلوعُ الشمس من مغربها".[2]

﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾" مستأنفة استئنافاً بيانياً تذكيراً لهم بأنّ الإنتظار والتريّث عن الإيمان وخِيمُ العاقبة؛ لأنَّه مهدّد بما يمنع من التّدارك عند النّدامة، فإمَّا أن يعقبه الموت والحساب، وإمّا أن يعقبه مجيء آية من آيات الله... فلا تبقى فسحة لتدارك ما فات".[3]

﴿ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ منها كما يقول ابن عاشور(١٣٩٣هـ):" ما يختصّ بالمشركين وهو ما هدّدهم الله به من نزول العذاب بهم في الدّنيا، كما نزل بالأمم من قبلهم، ومنها آيات عامّة للنّاس أجمعين، وهو ما يُعرف بأشراط السّاعة، أي الأشراط الكبرى".[4]

ومعنى هذه الآية أيضا:" أنّ أشراط الساعة إذا ظهرت، ذهب أوان التكليف عندها؛ فلم ينفع الإيمان نفساً ما آمنت قبل ذلك وما كسبت في إيمانها خيراً قبل ذلك".[5]

ويقول الإمام البغوي(٥١٦هـ):" يريد: لا يقبل إيمان كافر ولا توبة فاسق".[6]

---

[1] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 183/8.

[2] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 245/12.

[3] – ابن عاشور، المصدر السابق: 186/8.

[4] – ابن عاشور، المصدر السابق: 190/8.

[5] – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 7/14.

[6] – البغوي، معالم التنزيل، دار طيبة: 207/3.

روى البخاري(ي هـ) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال:" **قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَذَاكَ حِينَ:﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾**".[1]

﴿ **قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ** ﴾ أي:" قل، يا محمد، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام: انتظروا أن تأتيكم الملائكة بالموت فتقبض أرواحكم، أو أن يأتي ربّكم لفصل القضاء بيننا وبينكم في موقف القيامة، أو أن يأتيكم طلوع الشمس من مغربها، فتطوى صحف الأعمال، ولا ينفعكم إيمانكم حينئذ إن آمنتم، حتى تعلموا حينئذ المحقَّ منّا من المبطل... ومَنْ الناجي منّا ومنكم ومَنْ الهالك. إنّا منتظرون ذلك، ليجزل الله لنا ثوابه على طاعتنا إياه، وإخلاصنا العبادة له، وإفرادنا [إياه] بالربوبية دون ما سواه، ويفصل بيننا وبينكم بالحقّ، وهو خير الفاصلين".[2]

﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿159﴾** ﴾

أ- المناسبة:

الآية" استئناف جاء عقب الوعيد كالنّتيجة والفذلكة؛ لأنّ الله لمّا قال لرسوله ﷺ ﴿ **قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ** ﴾[سورة الأنعام: الآية] أعقب ذلك بأنّ الفريقين متباينان مُتجافيان في مدّة الإنتظار".[3]

ويذكر أبو السعود(هـ) مناسبة أخرى إذ يعتبر الآية" استئناف لبيان أحوال أهل الكتابين إثر بيان حال المشركين أي: بدّدوه وبعّضوه فتمسّك بكلّ بعض منه فرقة منهم".[4]

---

[1] – رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: "**لا يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا**"، رقم4359، دار الهدى، 1697/4.

[2] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 267/12.

[3] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 191/8.

[4] – أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 468/2.

ب- **المعنى:**

في ﴿ فَرَّقُواْ ﴾ قراءتين" قرأ حمزة والكسائي "فارقوا" بالألف والباقون "الّذِينَ ، ومعنى القراءتين عند التحقيق واحد لأنّ الذي فرّق دينه بمعنى أنّه أقرّ ببعض وأنكر بعضاً فقد فارقه في الحقيقة".[1]

يقول الإمام الطبري(رحمه الله) في معنى الآية جامعا بين مضمون المناسبتين:" فكان من فارق دينه الذي بعث به صلى الله عليه وسلم من مشرك ووثنيّ يهودي ونصرانيّ ومتحنِّف، مبتدع قد ابتدع في الدين ما ضلّ به عن الصراط المستقيم والدين القيّم ملّة إبراهيم المسلم، فهو بريء من محمد صلى الله عليه وسلم، ومحمد منه بريء، وهو داخل في عموم قوله:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾".[2]

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ يتحدّث الطبري عن معنى الآية بقوله:" أنا الذي إليَّ أمر هؤلاء المشركين الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعًا، والمبتدعة من أمّتك الذين ضلّوا عن سبيلك، دونك ودون كل أحد. إمّا بالعقوبة؛ إن أقاموا على ضلالتهم وفُرْقتهم دينهم فأهلكهم بها. وإمّا بالعفو عنهم بالتوبة عليهم والتفضّل مني عليهم".[3]

فلمّا دلّت الآية السابقة على التبرّي منهم وعدم مخالطتهم، جاء الإستئناف البياني بقوله:

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾. وصيغة القصر لقلب اعتقاد السائل المتردّد، أي: إنّما أمرهم إلى الله لا إلى الرّسولﷺ ولا إلى غيره، وهذا إنذار شديد، والمراد بأمرهم: عملهم الذي استحقوا به الجزاء والعقوبة.[4]

ويرى الرازي(رحمه الله) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ أنّها" فيما يتّصل بالإمهال

[1] – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 7/14.

[2] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 271/12.

[3] – الطبري، المصدر السابق: 274/12.

[4] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 192/8.

والأنظار والإستئصال والإهلاك".[1]

﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ يقول الإمام أبو السعود(ﷺ): "عبّر عن إظهاره بالتنبئة لما بينهما من الملابسة؛ في أنّهما سببان للعلم تنبيها على أنّهم كانوا جاهلين بحال ما ارتكبوه غافلين عن سوء عاقبته. أي: يظهر لهم على رءوس الأشهاد ويعلّمهم أي شيء شنيع كانوا يفعلونه في الدنيا على الاِستمرار ويرتّب عليه ما يليق به من الجزاء".[2]

﴿مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿160﴾﴾

أ- المناسبة:

هذه الآية الكريمة" مفصّلة لما أجمل في الآية الأخرى".[3] وقد ذكرت الآية السابقة أنّ أمرهم إلى الله سبحانه.

وهي" استئناف ابتدائي جرى على عرف القرآن في الاِنتقال بين الأغراض؛ انتقل من الكلام على الوعيد إلى الوعد. والكلام تذييل جامع لأحوال الفريقين اللذين اقتضاهما قوله عز وجل: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾[سورة الأنعام: الآية ١٥٨]".[4]

ب- المعنى:

ذكر المفسّرون" في الحسنة والسيئة هاهنا قولان: أحدهما: أنّ الحسنة قول "لا إله إلا الله" والسيئة "الشرك". والثاني: أنّه عام في كلّ حسنة وسيّئة".[5]

ويستبعد الرازي(ﷺ) المعنى الأوّل بقوله:" قال بعضهم الحسنة قول "لا إله إلا الله" والسيئة هي الشرك، وهذا بعيد بل يجب أن يكون محمولاً على العموم؛ إمّا تمسكاً باللفظ،

---

[1] – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 8/14.

[2] – أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 468/2.

[3] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة: 378/3.

[4] – ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 195/8.

[5] – ابن الجوزي، زاد المسير، المكتب الإسلامي: 159/3.

وإمّا لأجل أنّه حكم مرتّب على وصف مناسب له فيقتضي كون الحكم معللاً بذلك الوصف فوجب أن يعمّ لعموم العلّة".[1]

﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ و" لمّا كانت المماثلة لا يلزم كونها من كلّ وجه وإن كانت ظاهرة في ذلك لا سيّما في هذه العبارة، صرّح بما هو ظاهره لأنّه أطيب للنفس وأسكن للروع فقال:

﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ أي بكونها مثلها في الوحدة، وإن كانت أكبر أو من جنس أشدّ من جنسها ونحو ذلك، بل المماثلة موجودة في الكم والكيف، فلا ينقص أحد في ثواب ولا يزاد في عقاب".[2]

ولابن عاشور (سميسمترهـ) رأي لطيف في هذه الفاصلة إذ يقول:" والضّمير يعود إلى من جاء بالسيّئة إظهار للعدل؛ فلذلك سجّل الله عليهم بأنّ هذا لا ظلم فيه ليُنصِفوا من أنفسهم. وأمَّا عدّ عود الضّميرين إلى الفريقين فلا يناسب فريق أصحاب الحسنات، لأنَّه لا يحسن أن يقال للذي أُكرم وأفيض عليه الخير إنَّه غير مظلوم".[3]

تر– الهدايات المستنبطة:

تر– في هذه الآيات" دليل على أنّ علم القرآن أجلّ العلوم وأبركها وأوسعها، وأنّه به تحصل الهداية إلى الصراط المستقيم، هداية تامّة لا يحتاج معها إلى تخرّص المتكلمين، ولا إلى أفكار المتفلسفين، ولا لغير ذلك من علوم الأوّلين والآخرين".[4]

ير– تحثّ الآيات" على أن تكون كلمة المسلمين واحدة، وأن لا يتفرقوا في الدين، ولا يبتدعوا البدع".[5]

سمـ– يقول رشيد رضا (شملهسمترهـ):" لاِفتراق هذه الأمّة في دينها وما تبعه من ضعفها في دنياها، أربعة أسباب كليّة: تر– السياسة والتنازع على الملك. ير– عصبيّة الجنس والنسب.

---

[1] – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 8/14.

[2] – البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 751/2.

[3] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 197/8.

[4] – السعدي، تيسير الكريم الرحمان، مؤسسة الرسالة: ص244.

[5] – الرازي، المصدر نفسه.

سه- عصبيّة المذاهب في الفروع والأصول. شه- القول في دين الله بالرأي. وهناك سبب خامس قد دخل في كلّ منها وهو دسائس أعداء هذا الدين وكيدهم له".[1]

ير- **مناسبة المطلب لسابقه:**

تر- كما أمر الله تعالى اتباع مضمون الوصايا العشر المذكورة في الآيات السابقة، والتي ذُكرت في كلّ الشرائع السماويّة، أمر باتباع القرآن الدال على صدقه في نفسه؛ فهو حجّة ظاهرة، يهدي القلوب للخير، وفيه ما هو رحمة بالعباد.

ير- يقول البقاعي(لهتيتيه) عن قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ** ﴾ [سورة الأنعام: الآية ني لهتر]:" والآية -مع ما تقدم من مقتضياتها- تعليل لقوله: ﴿ **وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ** ﴾ [سورة الأنعام: الآية سه لهتر]".[2]

سه- **مناسبة المطلب لموضوع السورة:**

لما كان من أهم عناصر موضوع السورة هو مجادلة المشركين، ناسب أن تحتج عليهم هذه الآيات بإنزال القرآن وجعله مباركا وهدى ورحمة لمن آمن به؛ قطعا لتعليلاتهم. كما ناسب ذلك أن يقرّر الله سبحانه ظلم من كذّب بهذه الحجّة البيّنة وصدف عنها، وأن يحثّ الجميع إلى سرعة الإيمان به قبل الجزاء، وأن يرغّب في ذلك.

المطلب الثاني: تلقين حقيقة العبودية والربوبيّة والجزاء، وتقرير الاِستخلاف.

[من الآية 161 إلى الآية 165].

1- تفسير الآيات:

﴿ **قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ (161) قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ (163) قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ**

[1] - تفسير القرآن الحكيم، رشيد رضا، دار الكتب العلمية: 8/190-191.

[2] - البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 2/751.

فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿164﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿165﴾ ﴾ [سورة الأنعام: الآيات 161– 165].

﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿161﴾ ﴾

أ- المناسبة:

يقول الإمام ابن عاشور(رحمه الله) عن مناسبة هذه الآية للتي قبلها:" استئناف ابتدائي للاِنتقال من مجادلة المشركين، وما تخلّلها، إلى فذلكة ما أُمر به الرّسولﷺ في هذا الشّأن، غَلقاً لباب المجادلة مع المعرضين، وإعلاناً بأنّه قد تقلّد لنفسه ما كان يجادلهم فيه ليتقلّدوه وأنَّه ثابت على ما جاءهم به، وأنّ إعراضهم لا يزلزله عن الحقّ".[1]

كما يمكن أن يكون من المناسبة، أنّه لمّا ختم في الآيات السابقة بالتحذير الذي لا شيء أقوم منه ولا أعدل، أمر الله عز وجل نبيّه ﷺ بالإعلان بأمره، وأن يصف دينه الذي شرّعه له وهداه إليه بما فيه من المحاسن تحبيباً فيه وحثاً عليه؛ ولأنّ ذلك من نتيجة هذه السورة.[2]

ب- المعنى:

أي: يقول تعالى ذكره لنبيهﷺ بأن يقول لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنامَ: إنّ ربي أرشدني إلى الطريق القويم، هو الدين الذي ابتعثني به، وذلك الحنيفية المسلمة، دين إبراهيم الذي ما كان من المشركين بالله؛ يعبد الأصنام.[3]

ويضيف أبو السعود(رحمه الله) في معنى الآية قوله:" وتصدير الجملة بحرف التحقيق لإظهار كمال الاِعتناء بمضمونها. والتعرّض لعنوان الربوبيّة مع الإضافة إلى ضميره لمزيد تشريف، أي: قل لأولئك المفرّقين أرشدني ربي بالوحي وبما نصب في الآفاق والأنفس من الآيات التكوينية، إلى صراط مستقيم موصل إلى الحق".[4]

[1] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 197/8.

[2] – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 752/2.

[3] – ينظر الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 181/12–182.

[4] – أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 469/2.

ومعنى" كون الإسلام ملّةَ إبراهيم: أنَّه جاء بالأصول التي هي شريعة إبراهيم وهي: التّوحيد، ومسايرة الفطرة، والشّكر، والسّماحة، وإعلان الحقّ".[1]

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) ﴾

أ- المناسبة:

الآية" استئناف أيضاً، يتنزّل منزلة التّفريع عن الأوّل، إلاّ أنّه استؤنف للإشارة إلى أنّه غرض مستقلّ مُهِمّ في ذاته، وإن كان متفرّعاً عن غيره، وحاصل ما تضمّنه هو الإخلاص لله في العبادة، وهو متفرّع عن التّوحيد"[2]

ومن المناسبة أيضا، أنّه كما عرّف تعالى نبيّه ﷺ الدين المستقيم، عرّفه كيف يقوم به ويؤديه؛ والآية تدلّ على أنّه يؤديه مع الإخلاص.[3]

وكذلك، أنّ الآية السابقة تتعلّق بأصول الشرائع، وتتعلّق هذه الآية بفروعها.[4]

ب- المعنى:

يقول الإمام ابن كثير(رحمه الله) في معنى الآية:" يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه، أنّه مخالف لهم في ذلك، فإنّ صلاته لله ونسكه على اسمه وحده لا شريك له...؛ فإنّ المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها، فأمره الله تعالى بمخالفتهم والاِنحراف عمّا هم فيه، والإقبال بالقصد والنيّة والعزم على الإخلاص لله تعالى".[5]

و"بقوله: ﴿ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) ﴾ تحقّق معنى الإسلام الذي أصله الإلقاء بالنّفس إلى المُسْلَم له، وهو المعنى الذي اقتضاه قوله: ﴿ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾ ... [سورة آل عمران: الآية 20]، وهو معنى الحنيفية الذي حكاه. الله تعالى عن إبراهيم عليه

---

[1] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 200/8.

[2] – ابن عاشور، المصدر نفسه.

[3] – ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 10/14.

[4] – ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 469/2.

[5] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة: 381/3-382.

السّلام في قوله: ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ كما في [سورة البقرة: الآية ١٣١]".[1]

﴿ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣ ﴾

أ- المناسبة:

جملة: ﴿ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ ﴾ عطف على جملة ﴿ إِنَّ صَلَاتِي ﴾؛ فهذا ممّا أمر بأن يقوله.[2]

وكذلك لمّا أعلم في الآية السابقة أنّه يستحقّ العبادة وغيرها لذاته وصفاته، ومن كلّ أحد؛ لإنعامه عليه، أعلم في هذه الآية أنّه يستحقّ ذلك وحده فقال: ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ﴾.[3]

ب- المعنى:

أي:" ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ﴾ في شيء من ذلك[من صلاة ونسك ومحيا وممات] من خلقه، ولا لشيء منهم فيه نصيب؛ لأنه لا ينبغي أن يكون ذلك إلا له خالصًا.

﴿ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ ﴾ يقول: وبذلك أمرني ربي. ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ يقول: وأنا أوّل من أقرَّ وأذْعن وخضع من هذه الأمة لربه بأن ذلك كذلك".[4]

ومعنى الآية كذلك، أنَّه كما هداه، أمره بما هو شكر على تلك الهداية. وإنَّما أعيد هنا لأنَّه لما أضاف الصّلاة وما عطف عليها لنفسه، وجعلها لله تعالى، أعقبها بأنّه هَدْي من الله تعالى.[5]

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ " لبيان مسارعته عليه السلام إلى الإمتثال بما أُمر به وأنّ ما أُمر به ليس من خصائصه عليه السلام بل الكلّ مأمورون به ويَقتدي به عليه السلام

[1] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 203/8.
[2] – ينظر ابن عاشور، المصدر السابق: 204/8.
[3] – ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 752/2–753.
[4] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 283/12.
[5] – ينظر ابن عاشور، المصدر نفسه.

من أسلم منهم".[1]

﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (164) ﴾

أ- **المناسبة:**

" استئناف ثالث، مفتتح بالأمر بالقول، يتنزّل منزلة النّتيجة لما قبله".[2]

والآية" فيها الأمر بإخلاص التوكّل، كما تضمّنت الآية التي قبلها إخلاص العبادة له لا شريك له. وهذا المعنى يقرن بالآخر كثيرًا".[3]

ب- **المعنى:**

يقول ابن كثير(ﷺ):" يقول تعالى: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين بالله في إخلاص العبادة له والتوكّل عليه: ﴿ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي ﴾ أي: أطلب ربّا سواه، وهو ربّ كلّ شيء، يَرُبّنِي ويحفظني ويكلؤني ويدبّر أمري، أي: لا أتوكّل إلا عليه، ولا أنيب إلا إليه؛ لأنه رب كل شيء ومليكه، وله الخلق والأمر".[4]

و" إنّما قيل: ﴿ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ولم يقل: وهو ربّي؛ لإثبات أنّه ربّه بطريق الاِستدلال لكونه إثباتَ حكم عام يشمل المقصودَ الخاصّ، ولإفادة أنّ أربابهم غير حقيقة بالربوبيّة لأنّها مربوبة أيضاً لله تعالى".[5]

﴿ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾" وإنّما يعني بذلك المشركين الذين أمرَ الله نبيّهﷺ أن يقول هذا القول لهم. يقول: قل لهم: إنّا لسنا مأخوذين

---

[1] – أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 469/2.

[2] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 205/8.

[3] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة: 383/3.

[4] – ابن كثير، المصدر نفسه.

[5] – ابن عاشور، المصدر السابق: 206/8.

بآثامكم، وعليكم عقوبة إجرامكم، ولنا جزاء أعمالنا. وهذا كما أمره الله جل ثناؤه في موضع آخر أن يقول لهم: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ سورة الكافرون: الآية ﴿٦﴾]".[1]

والآية" إخبار عن الواقع يوم القيامة في جزاء الله تعالى وحكمه وعدله، أنّ النفوس إنّما تجازى بأعمالها إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، وأنّه لا يُحمل من خطيئة أحد على أحد. وهذا من عدله تعالى".[2]

﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ أي:" اعملوا على مكانتكم إنّا عاملون على ما نحن عليه، فستعرضون ونعرض عليه، وينبّئنا وإياكم بأعمالنا وأعمالكم، وما كنا نختلف فيه في الدار الدنيا".[3]

ومعناها أيضا"﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ ﴾ في الدنيا، ﴿ تَخْتَلِفُونَ ﴾ من الأديان والملل، إذ كان بعضكم يدين باليهودية، وبعضٌ بالنصرانية، وبعض بالمجوسية، وبعض بعبادة الأصنام وادِّعاء الشركاء مع الله والأنداد، ثم يجازي جميعَكم بما كان يعمل في الدنيا من خير أو شر، فتعلموا حينئذ من المحسنُ منَّا والمسيء".[4]

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾

أ- المناسبة:

لمّا قرّرت الآية السابقة توحيد الربوبيّة في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ وغيرها، قرّرت هذه الآية ذلك أيضا في قوله عز وجل:﴿ إِنَّ رَبَّكَ ﴾.

ولمّا قرّرت الآية السابق الجزاء في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ أكّدت ذلك في هذه الآية بقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

---

[1] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 286/12.

[2] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة: 383/3-384.

[3] – ابن كثير المصدر السابق: 384/3.

[4] – الطبري، المصدر السابق: 287/12.

ب- المعنى:

يقول الإمام الرازي(رحمه الله):" اعلم أنّ في قوله ﴿ جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ وجوهاً: أحدها: جعلهم خلائف الأرض؛ لأن محمداًﷺ خاتم النبيّين فخلفت أمّته سائر الأمم وثانيها: جعلهم يخلف بعضهم بعضاً وثالثها: أنّهم خلفاء الله في أرضه يملكونها ويتصرّفون فيها".[1]

﴿ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ ﴾ أي:" فاوت بينكم في الأرزاق والأخلاق، والمحاسن والمساوي، والمناظر والأشكال والألوان، وله الحكمة في ذلك".[2]

﴿ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ ﴾ يعني :" ليختبركم فيما خوَّلكم من فضله ومنحكم من رزقه؛ فيعلم المطيع له منكم فيما أمره به ونهاه عنه، والعاصي، ومن المؤدِّي ممّا آتاه الحقّ الذي أمره بأدائه منه، والمفرِّط في أدائه".[3]

وقد روى مسلم(رحمه الله) في صحيحه، من حديث أبي نَضْرة، عن أبي سعيد الخدري، عن النبيﷺ قال:" **إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**".[4]

﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴾ " تذييل للكلام، وإيذان بأنّ المقصود منه العمل والامتثال؛ فلذلك جمع هنا بين صفة ﴿ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ وصفة ﴿ لَغَفُورٞ ﴾ ليناسب جميع ما حوته هذه السّورة".[5]

ومن لطائف القرآن" الاقتصار في وصف ﴿ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ على موكِّد واحد، وتعزيز وصف "الغفور الرحيم"، بمؤكدات ثلاثة وهي "إنّ"، و"لام الابتداء"، و"التّوكيد اللّفظي"؛ لأنّ

---

[1] – الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: 12/14.

[2] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة: 384/3.

[3] – الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 289/12.

[4] – رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة في النساء، رقم2742، دار إحياء التراث العربي: 2098/4.

[5] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 211/8.

"الرّحيم" يؤكِّد معنى "الغفور"؛ ليُطمئِن أهل العمل الصّالح إلى مغفرة الله ورحمته، وليَسْتَدعي أهلَ الإعراض والصدوف، إلى الإقلاع عمّا هم فيه".[1]

وهذه الآية الجامعة التي خُتمت بها السورة، تبيّن عقيدة التوحيد التي تُجرِّد الإنسان من التحكّم في الكون وتسييره كيفما شاء. وتقرّر أنّ الله سبحانه هو خالق الوجود، وهو خالق القوانين والسنن التي تحكمه؛ وجاعل الإنسان خليفة في الأرض بقدرته وإرادته، ولا يتصوّر ذلك إلا بتأييده بالفطرة السليمة وبمناط التكليف، وبرَفْع الناس بعضهم فوق بعض درجات بقهره. وبابتلائهم فيما آتاهم بعلمه وحكمته وقدرته. وجزائهم بالحسنة والسيئة، وتغليب رحمته وعفوه على عقابه، ما يجسّد العلاقة المطّردة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألهية، وذلك بعد إرسال الرسل عليهم السلام، وإنزال الكتب لهداية الناس. والذي هذه صفاته لهو الأحق بالعبادة لا غيره. فجمعت الآية بين تقرير توحيد الربوبيّة ولازمه من توحيد الألهية- الذي يحدّد الغاية من خلق الإنسان- وتقرير النبوّة، والجزاء.

- **الهدايات المستنبطة:**

- أمر الله تعالى أن يكون الدعاء له وحده والصلاة له وحده؛ ذلك أنّ الصلاة تجمع هذا وهذا.[2]

- كثيرا ما يقرن تعالى في القرآن بين كونه "غفورا رحيما" وبين كونه "سريع العقاب" في الآيات المشتملة على الترغيب والترهيب، فتارة يدعو عباده إليه بالرغبة وصفة الجنّة والترغيب فيما لديه، وتارة يدعوهم إليه بالرهبة وذكر النار وأنكالها وعذابها والقيامة وأهوالها، وتارة بهذا وبهذا ليَنْجَع في كُلّ بحَسَبِه.[3]

- إلى جانب السنن الكثيرة التي ذكرتها السورة، ذكرت الخاتمة سنّة أخرى وهي رفع الناس بعضهم فوق بعض درجات؛ لحكمة الاِبتلاء وامتحان الناس فيما آتاهم.

- **مناسبة المطلب لسابقه:**

- لمّا وَصف بالتفرّق أهل الضلال الدال على بطلان مذاهبها واعوجاجها، بيّن هنا أنّه سينبّئهم بما كانوا مختلفين فيه.[4]

---

[1] - ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 212/8.

[2] - ينظر ابن تيمية، مجموع الفتاوى، المكتب الإسلامي السعودي: 27/367-369.

[3] - ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة: 385/3.

[4] - ينظر البقاعي، نظم الدرر، دار الكتب العلمية: 752/2.

ير- أمر الله سبحانه رسولهﷺفي هذه الآيات أن يبيّن لهم ما هو عليه من الدين الحقّ، الذي يدّعون أنّهم عليه وقد فارقوه بالكلّية كما تقرّره الآيات السابقة.[1]

سه- قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ الآية [سورة الأنعام: الآية 153] مبيّن بقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ﴾ الآية [سورة الأنعام: الآية 155] وزيد بيانا بقوله عز وجل: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا﴾ الآية [سورة الأنعام: الآية 161]؛ ليبيّن أنّ هذا الدّين إنّما جاء به الرّسولﷺ بهدي من الله، وأنّه جعله ديناً قيّماً على قواعد ملّة إبراهيم عليه السّلام.[2]

شه- مناسبة المطلب لموضوع السورة:

لمّا كان موضوع السورة "مجادلة المشركين في لازم الربوبية، بمظاهر من العلم والقدرة"، ناسب أن تُختم هذه السورة بكلام جامع؛ يبيّن أنّ الصراط المستقيم هو دين الإسلام، دين إبراهيم عليه السلام، والذي هدى الله تعالى إليه رسوله ﷺ وأمره من خلاله إخلاص العبادة له، والتوكّل عليه مخالفا بذلك المشركين، وعلى المستخلفين في الأرض الاِقتداء به في ذلك. كما ذكرت الآيات أهم مظهر من مظاهر علمه وقدرته والمتمثّل في تأكيد الجزاء، وتقرير قهره فوق عباده من خلال جعل الإنسان خليفة وابتلائه في ما آتاه.

ـه- خلاصة المبحث:

بين مطلبي المبحث علاقة المقدّمة بالنتيجة؛ فبعد الاِحتجاج على المشركين بإنزال القرآن الذي هو أعظم حجّة، وقطع تعليلاتهم الممكنة، وبيّن جزاء الصدود بعد هذه الآية، وأن إيمانهم لا ينفعهم إذا جاءت أشراط الساعة، وشرح طريقة المحاسبة الرحيمة يوم القيامة؛ بمقابلة الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها مرغّبا في الخيرات، وبيّن أنّ الرسولﷺ ليس منهم لأنّهم بدّلوا دينهم وكانوا شيعا، وقرّر بهذا أنّهم غافلون عن معجزة القرآن. لُقّن الرسولﷺ في المطلب الثاني ما يبيّنه لهم فيما يتعلّق بإيمانه في مقابل صدودهم؛ فصلاته ونسكه ومحياه ومماته لله تعالى؛ لأنّه لا شريك له في ربوبيّته، وبالتالي فهو لا شريك له في إخلاص العبادة. وهو مأمور بذلك وحيا، وهو أوّل من يتّبع هذا الوحي وأوّل من يستسلم له.

---

[1] - ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية: 468/2-469.

[2] - ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون: 197/8-198.

كما لُقّن أن ينفي عن نفسه أن يبغ ربا سوى الله؛ لأنّه ربّ كلّ شيء. والنبي أيضا غير محاسب ولا مسؤول عما يفعله غيره، والكل راجع إلى الله الذي يتكفّل بإنبائهم فيما اختلفوا فيه بعد تفريق دينهم.

وخُتم المطلب بتقرير مهمّة الإنسان التي هي الاِستخلاف، وبيان الحكمة منه وهي الإبتلاء. وتقرير نتيجة لذلك كون الله سبحانه سريع العقاب للمشركين، وأكّد عفوه ورحمته للتوّابين وللمؤمنين.

يعتبر المبحث خاتمة للسورة؛ فقد تحدّث عن كتاب الله الذي هو أعظم حجة، فيه هدى ورحمة، وفيه تفصيل ما يجعل المشركين بلقاء ربّهم يؤمنون. كما تحدّث عن إخلاصه عليه الصلاة والسلام لله في العبادة للاِقتداء به في ذلك والذي هو مقصد هذا الدين. وجاءت الجزئيات التي تخدم هذين الأمرين بأسلوب الترغيب والترهيب، والاِستفهام الإنكاري، وكانت الأدلّة المستعملة توحي بكونها آخر الأدلة في سلسلة البراهين التي جاءت بها السورة في مجادلة مشركي مكّة.

خاتمة الفصل:

- تربط مباحث هذا الفصل علاقة التفصيل في الأدلّة وتنويعها؛ من أدلّة حسيّة تعرض عجائب الكون، إلى أدلّة عقليّة تتبّع مناهج متنوّعة للوصول إلى الحقيقة: كمنهج السبر والتقسيم، إلى تقرير الأخبار الصادقة، ويتعلّق الأمر بما حرّم على اليهود لبغيهم. ثم إلى دليل إنزال الكتب التي نزلت هدى ورحمة، والتي تدلّ على مصدرها لمن تدبّرها. إلى استعمال منهج قطع التعليلات وحصار المشركين حتى لا تكون لهم حجّة يوم القيامة فيما يتعلّق بنزول القرآن عليهم. وبعد كلّ هذه الأدلّة القاطعة، تأتي النتيجة والتي تحوي الدعوة إلى الاِقتداء بالنبيﷺ صاحب الرسالة في إخلاصه العبادة لله، كما تتضمن ما يؤكّد البعث وقاعدة "لا تزر وازرة وزر أخرى"، وتبيّن مهمة الإنسان في الأرض والحكمة منها.
- خاطبت آيات الفصل العقل، ووضعت أمام المشركين المناهج العقلية، ومظاهر الخلق الحسيّة لإقناعهم، كذلك خاطبت القلب باستعمال أسلوب الترغيب والترهيب، والاِستفهام الإنكاري، وتأكيد الرحمة الإلهيّة في العقاب.

خاتمة

خاتمة:

أهم النتائج المستفادة من البحث ما يلي:

من جهة الشكل والبناء:

1- بيّنت دراسة الوحدة الموضوعية في "سورة الأنعام" تناسق السورة؛ فآياتها وأجزاؤها جاءت متناسبة نظما ومعنى؛ ليتحقّق بذلك نقض قول من يرى أنّ القرآن في جملته عبارة عن أشتات من الأفكار المتنوّعة عولجت بطريقة غير منظّمة، وبانعدام التجانس والربط الطبيعي بين المواد التي تتناولها السورة.

2- تؤكّد الدراسة ما قاله بعض المتقدّمين، وما توصّلت إليه بعض البحوث من أنّ السورة تنقسم إلى مقدّمة وموضوع وخاتمة، وأنّ المناسبة بين المقدّمة والخاتمة عنصر أساسي في تحديد المحور الرئيس.

3- تنفي الدراسة قول من يقول بوجود نفس العلاقة بين الآيات المتجاورة والأجزاء المتتالية في السورة؛ إذ أنّ آياتها ومقاطعها تربطها علاقات متباينة؛ فهي علاقة العموم والخصوص مرّة، وعلاقة المقدّمة والنتيجة تارة، وعلاقة الإجمال والتفصيل تارة أخرى.

4- جاءت آيات السورة طويلة، ربما لكونها نزلت في آخر الفترة المكيّة -كما قرّرت الدراسة- ولجمعها بين التأصيل للعقيدة، والحديث عن كليّات الشريعة وأصولها.

من جهة المضمون:

1- يخاطب القرآن عند استدلاله على التوحيد العقل والقلب معا؛ بالأدلّة البرهانيّة التي أساسها المبادئ الأوّليّة للعقل، وبالأساليب البلاغيّة المتنوّعة، حتى يؤتي الخطاب أكله في تطبيق محتواه؛ من عبادة الله وحده بالمفهوم العام للعبادة، لا بالمفهوم المشهور من صلاة وذكر فقط.

2- تنقسم "سورة الأنعام" إلى قسمين موضوع القسم الأوّل:" مجادلة المشركين في قواعد التوحيد"، وموضوع الثاني:" مجادلة المشركين في أصول التشريع"، ليجمعهما موضوع رئيس هو "مجادلة المشركين في لازم الربوبيّة بمظاهر صفتي العلم والقدرة". ومجموع هذه العناصر يتمخض عنه ما يلي:

أ) الدعوة إلى الحقّ – وهو دين الإسلام في هذه السورة- يُؤسّس لها انطلاقا من أمرين:

- تصحيح المعتقدات؛ -بإرساء القواعد الأساسيّة، وتصحيح المفاهيم وبيان بطلان ما يخالفها- يجعل التفكير سليما؛ لا يتزعزع بنزول الطوارئ. ويجعل الإنسان يتعامل مع المستجدات بثبات وثقة وحكمة. وهذا ما جعل الصحابة يستديرون في صلاتهم إلى الكعبة فور سماعهم المنادي ينادي بتحويل القبلة. وما جعل أبا بكر رضي الله عنه يصدّق بإسراء النبيﷺ قبل أن يسمع كل القصّة منه.

- تصحيح الجزئيات العمليّة التي تخرم هذه القواعد؛ بمناهج وطرق جدليّة متنوّعة، تنوّع المواضيع والبشر، وبحسب الزمان والمكان.

ب) لا انفصال بين المعتقد وتطبيق مضامينه؛ إذ يلتقي الإيمان والعمل لتشكيل شخصيّة المسلم المخاطب بفهم التكاليف وتطبيقها والدعوة إليها.

ج) توحيد الألوهيّة لازم عن توحيد الربوبيّة؛ ويعني عبادة الله بفعل المأمور وترك المنهي عنه، ولا تقتصر العبادة على ما يعتري القلوب من خشية ورجاء وغيرها، ولا ما كان بين العبد وربّه من صلاة وحجّ...إلخ؛ حتى يحقّق الإنسان معنى الِإستخلاف المنوط به وهو ما ختمت به السورة.

التوصيات:

تبعا للنتائج السابقة يخرج البحث بالتوصيات التالية:

1- بذل الوسع من أجل تدريس مادة العقيدة الإسلاميّة في الجامعات وغيرها، باتباع منهج القرآن في بناءها، والتأصيل لها من خلال المباحث التي أثارها، وربطها بالفروع. لأنّ الِإبتعاد عن هذا المنهج الربّاني كان سببا فيما تعانيه الأمّة المسلمة منذ قرون. وهو المنهج الذي يحتاجه دارس العقيدة الإسلامية؛ ليقوم بالدور المنوط به في إصلاح المجتمع. فالإيمان الصحيح هو الدافع وهو الأساس في تطبيق شريعة الله في هذه الحياة.

2- تكثيف البحوث التي تخدم تطوّر مصطلح "العبادة"، وتتبُع ذلك من خلل تاريخ المذاهب الفقهية، وملاحظة ما إذا كان لذلك أثر في تقسيم الشريعة إلى عبادات ومعاملات، أو في الفصل بين العقيدة والشريعة.

3- لكل سورة شخصيّتها وتعالج موضوعها من جهة معيّنة، وإن اتفقت مع غيرها في الموضوع العام. وعلى الدراسات الأكاديمية تحديد ذلك بدقّة -قدر المستطاع- وألا تعوّل فقط على ما ألّف وذكر في الكتب العامة؛ لأنّه يتسم معظمه بالعموم.

وفي الختام، أرجو أن يكون عملي هذا خالصا لوجهه تعالى، وأن يكون قد ساهم في إرساء لبنة من لبنات إصلاح المجتمع المسلم بتوجيهه نحو قرآنه.

آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

الفهارس

فهرس الآيات الكريمة

الآيات	اسم السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	[سورة الفاتحة: الآية 2]	43
﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا ﴾	[سورة البقرة : الآية 28]	83
﴿ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	[سورة البقرة: الآية ترسمتر]	381
﴿ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ ﴾	[سورة البقرة: الآية 214]	38
﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾	[سورة البقرة: الآية 257]	215
﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾	[سورة آل عمران: الآية18]	115
﴿ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ ﴾	[سورة آل عمران: الآية برير]	380
﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾	[سورة آل عمران: الآية 28]	86
﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾	[سورة آل عمران: الآية 96]	6
﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ ﴾	[سورة آل عمران: الآية 164]	93
﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ ﴾	[سورة النساء: الآية شمير]	348
﴿ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ﴾	[سورة النساء: الآية 42]	120
﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾	[سورة النساء: الآية 87]	127
﴿ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ ﴾	[سورة النساء: الآية 140]	183
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾	[سورة المائدة : الآية2]	45
﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ ﴾	[سورة المائدة : الآية 3]	45
﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ ﴾	[سورة المائدة: الآية 13]	44

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ﴾	[سورة المائدة: الآية 17]	44
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا﴾	[سورة المائدة: الآية 20]	46
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾	[سورة المائدة: الآية 64]	44
﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ﴾	[سورة المائدة : الآية 81]	105
﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾	[سورة المائدة : الآية 110]	46
﴿قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾	[سورة المائدة: الآية 119]	47
﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾	[سورة المائدة : الآية 120]	47
﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾	[سورة الأعراف: الآية 38]	317
﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾	[سورة الأنفال : الآية 23]	124
﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾	[سورة الأنفال: الآية 31]	235
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾	[سورة يونس: الآية 3]	69
﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾	[سورة يونس: الآية 36]	288
﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾	[سورة هود :الآية 8]	
﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾	[سورة هود :الآية 54]	209
﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾	[سورة الرعد: الآية 11]	175
﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾	[سورة الرعد: الآية 21]	152
﴿مَا تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا﴾	[سورة الحجر : الآية 8]	93

مُّنظَرِينَ ﴾		
﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾	[سورة الحجر : الآية11]	99
﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ ﴾	[سورة الحجر: الآية 66]	167
﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾	[سورة الحجر: الآية 94]	39
﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴾	[سورة الكهف: الآية سمير– شمير]	279
﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾	[سورة الكهف: الآية 49]	179
﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى ﴾	[سورة الكهف: الآية بر ﮬ]	258
﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾	[سورة مريم : الآية 71]	115
﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾	[سورة طه: الآية 14]	68
﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾	[سورة الأنبياء: الآية 17]	223
﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾	[سورة الأنبياء: الآية 28]	152
﴿ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾	[سورة المؤمنون: الآية57]	152
﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾	[سورة يونس: الآية 3].	69
﴿لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	[سورة المؤمنون: الآيات84–85]	69
﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ ﴾	[سورة المؤمنون: الآية 101]	238

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾	[سورة المؤمنون: الآية 115]	126
﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ﴾	[سورة الفرقان: الآية22]	93
﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾	[سورة الشعراء : الآيات 5– 6]	88
﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾	[سورة النمل: الآية 14]	131
﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾	[سورة القصص: الآية ي]	165
﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾	[سورة القصص: الآية يشم]	356
﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾	[سورة العنكبوت: الآية لهير]	238
﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾	[سورة العنكبوت: الآية 51]	156
﴿مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾	[سورة الأحزاب : الآية 38]	115
﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ﴾	[سورة يس: الآية11]	153
﴿لِّتُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾	[سورة يس: الآية 70]	133
﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾	[سورة الصافات: الآية ي لهتر]	258
﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾	[سورة الصافات: الآيات 171– 173]	132
﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾	[سورة ص: الآية 5]	69
﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾	[سورة الزمر: الآية 65].	154

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	[سورة الزمر : الآية 75]	143
﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾	[سورة غافر : الآية 28]	36
﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾	[سورة الشورى: الآية 23]	181
﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾	[سورة الفتح: الآية 29]	115
﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾	[سورة ق: الآية 45]	152
﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾	[سورة الطور : الآية 15]	125
﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	[سورة الحديد: الآية 3]	167
﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾	[سورة المجادلة: الآية 21]	132
﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾	[سورة الطلاق: الآية 3]	115
﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾	[سورة الملك: الآية شمر]	263
﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾	[سورة الانفطار : الآيتين 10-11]	173
﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾	[سورة الكافرون: الآية لي]	383

فهرس أطراف الأحاديث النبوية والآثار

الحديث	الصفحة
" .... إِذَا سَرَّكَ أَنْ تَعْلَمَ جَهلَ الْعَرَبِ ....."	30
" .... (أَعُوذُ بِوَجْهِكَ). قَالَ: ﴿ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ ...... "	178
" .... أَفْضَلُ الْذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَا اللهُ وَأَفْضَلُ الْدُّعَاءِ الْحَمْدُ للهِ .... "	69
" .... أُنْزِلَ الْقُرْآنُ خَمْسًا خَمْسًا إِلَّا سُورَةُ الْأَنْعَامْ ......"	14
" .... إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ......"	270
" .... إن الدنيا حُلْوَة خَضِرَة وإن الله مُسْتَخْلِفكم فيها لينظر ...... "	384
" .... بَلِّغُوا عَنِي و لَوْ آيَة؛ و حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيل ....."	116
" .... رَأَيْتُ جَهَنَمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا ...... "	33
" .... الْطَّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانِ......."	69
" .... لا تقوم السّاعة حتّى تطلع الشمس من مغربها ......"	374
" .... لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ...."	359
" .... لَقَدْ شَيَّعَ هَذِهِ الْسُورَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَا سَدَّ الْأُفُقَ ...."	15
" .... لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلِكُمْ لَيُمَشَّطُ بِمِشَاطِ الَحَدِيدِ ...... "	37

" .... لَمَا قَضَى اللهَ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنده فَوْقَ الْعَرْشْ ....."	157
" .... مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهُنَ إلاَّ الله ......"	164
" .... نَزَلَتْ سُورَةُ الْأَنْعَامِ وَمَعَهَا مَوْكِبٌ ......"	14
" .... نَزَلَتْ عَلَيَّ سُورَةُ الْأَنْعَامِ جُمْلَةً وَاحِدَةً يُشَيِّعُهَا......"	14

فهرس الأعلام المترجم لهم

اسم العلم	الصفحة
ابن الحصار (611هـ)	19
سعيد حوى(1409هـ)	87
سيد قطب(1386هـ)	60
الشاطبي(790هـ)	26
أبو الشيخ (369هـ)	15
ابن عاشور (1393هـ)	112
عبد الحميد الفراهي (1349هـ)	42
الكفوي(1094هـ)	4
محمد بن عبد الله دراز (1377هـ)	42
الملّا القاري(1014 هـ)	70
هبة الله بن سلام (410هـ)	22

فهرس المصادر
والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم على رواية ورش.

كتب التفسير

1. أحمد الشرقاوي وآخرون، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، http://www.sharjah.ac.ae

2. الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، د ت.

3. ابن باديس، تفسير ابن باديس، دار المعارف، الجزائر، دط، 1991.

4. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، دار الفكر، بيروت، 1405هـ- 1985م. وكذلك دار طيبة.

5. البقاعي، برهان الدين أبي الحسن ابراهيم ابن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، خرج آياته وأحاديثه: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ-1995م.

6. أبو بكر، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1424هـ-2003م.

7. ابن تيمية، تفسير ابن تيمية- الجامع لكلام ابن تيمية في التفسير-، تحقيق إياد ابن عبد اللطيف ابن ابراهيم القيسي، راجعه سعد ابن فواز صميل، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1432هـ.

8. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، ط 1، دمشق، دت.

9. أبو حيان، محمد ابن يوسف الأندلسي، البحر المحيط، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1422هـ-2001م.

10.زغلول النجار، تأملات في كتاب الله، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1429هـ- 2008م.

11.الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود ابن عمر الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر، دب، دط، 1399هـ- 1979م. وكذلك دار المعرفة ودار إحياء التراث العربي.

12.السعدي، عبد الرحمان بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمان بن معلاّ اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420هـ-2000م.

13.أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ- 1999م.

14.سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام، القاهرة، ط5، 1419هـ-1999م.

15.السمرقندي، أبو الليث نصر ابن محمد ابن محمد ابن إبراهيم، بحر العلوم، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ-1993م

16. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت والقاهرة، ط8، 1399هـ-1979م.

17.السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر، الدر المنثور في التفسير المأثور (وهو مختصر تفسير ترجمان القرآن)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424هـ-2004م.

18.الشوكاني، محمد ابن علي ابن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، راجع أصوله: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، ط3، 1414هـ-1979م. وكذلك دار الفكر.

19.الطبري، محمد ابن جرير ابن يزيد ابن كثير ابن غالب الآملي أبو جعفر، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، دب، ط1، 1420هـ-2000م.

20.ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل احمد سعيد رمضان حسن ومحمد المتولي الدسوقي حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2011م.

21.ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، دط، دت. وكذلك الدار التونسية.

22.العثيمين، محمد بن صالح، تفسير القرآن الكريم (سورة الكهف)، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1423هـ.

23.ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله، أحكام القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، دط، بيروت، دت.

24. عز الدين، عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي، تفسير القرآن، اختصار النكت للماوردي، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، ط1، 1416هـ-1996م.

25. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، 1413هـ- 1993م.

26.فخر الدين الرازي، محمد ابن ضياء الدين عمر، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ-2000م. وكذلك دار إحياء التراث العربي.

27.القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، دط، 1423هـ -2003م.

28.القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، 1405هـ-1985م.

29.ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 1425هـ- 2004م. وكذلك دار الأندلس ودار الحديث.

30.متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، أخبار اليوم(قطاع الثقافة)، مصر، دط، دت.

31.محمد عزة دروزة، التفسير الحديث -مرتب حسب نزول القرآن-، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط2، 1383هـ.

32.محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم- الأجزاء العشرة الأولى- ، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1413هـ- 1992م.

33.محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، تخريج وشرح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـ- 1999م. وكذلك دار المعرفة.

34.محمود شلتوت، تفسير القرآن الكريم- الأجزاء العشرة الأولى-، دار الشروق، بيروت والقاهرة، ط9، 1402هـ -1982م.

35.مقاتل بن سليمان، أبو الحسن بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، تفسير مقاتل، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ- 2003م.

36.وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، دمشق، ط9، 1428هـ-2007م.

كتب الحديث وعلومه

1. أحمد أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المسند، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد وأخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ-2001م .

2. الألباني، محمد ناصر الدين ، صحيح سنن أبي داود، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1419هـ-1998م.

3. الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن أبي داود، مكتبة المعارف، ط1، الرياض، 1419هـ- 1998م.

4. البخاري، أبو عبد الله محمد ابن إسماعيل الجعفي، صحيح البخاري، ضبط وتخريج: مصطفى ديب البغا، دار الهدى، عين مليلة، دط، 1992م.

5. البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ

6. الترمذي، محمد بن عيسى ابن سورة بن موسى بن الضحاك، سنن الترمذي، تحقيق: ابراهيم عطوة عوض، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395هـ -1975م.

7. الحاكم، محمد بن عبد الله أبو عبد الله، النيسابوري، المستدرك على الصحيحين مع تعليقات الذهبي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ-1990م

8. ابن حجر، أحمد ابن علي العسقلاني، تقريب التهذيب، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1415هـ-1995م.

9. ابن حجر، أحمد ابن علي العسقلاني، فتح الباري، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن الباز، دار المعرفة، بيروت، دط، دت.

10. أبو داود، سليمان ابن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر، بيروت، دط، دت.

11. أبو داود، سليمان ابن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر، دط، دب، دت.

12. ابن صلاح، أبو عمرو عثمان ابن عبد الرحمان الشهرزوري، مقدمة ابن صلاح، تعليق وتخريج: أبو عبد الرحمان صلاح ابن محمد ابن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت.

13.الطبراني سليمان بن أحمد بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، المعجم الصغير، تحقيق: عبد الرحمان عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، دط، دت.

14.الطبراني، سليمان بن أحمد بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، المعجم الكبير، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط2، 1404هـ–1983م.

15.ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: أ. مصطفى بن أحمد العلوي، مكتبة الأوس، المدينة، دط، 1387هـ– 1967م.

16.مالك، ابن انس، الموطأ، تحقيق: سليم بن عبد الهلالي، مكتبة الفرقان، ط1، 1424هـ.

17.مسلم، ابن حجاج أبو الحسن القشيري النيسبوري، صحيح مسلم، تحقيق: فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، دت.

18.ابن الملقن، عمر بن علي بن أحمد بن السّراج، المُقنِعُ في علوم الحديث، تحقيق: أحمد فتحي حجازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1433هـ– 2012م.

19.الهيثمي، أبو الحسن نورالدين علي بن أبي بكر بن سليمان، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، دط، 1994م.

20.هيفاء عبد العزيز الأشرفي، الشرح الموضوعي للحديث الشريف– دراسة نظرية تطبيقية–، دار السلام، القاهرة، ط1، 1433هـ–2012م.

علوم القرآن والدراسات قرآنية

1. ابتسام عمر العموري، المختارات من المناسبات بين السورة والآيات، مركز تدبر للدراسات والاستشارات، ط1، 1436هـ –2015م.

2. أحمد رحماني، التفسير الموضوعي نظريةً وتطبيقًا، منشورات جامعية، باتنة، دط، دت.

3. بكري، شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن، دار العلم للملايين، لبنان، دط، 1994م.

4. تعريف الدارسين بمنهاج المفسرين لصلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط1، 1423هـ –2002م

5. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، تحقيق: حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط 1، 1408هـ–1987م

6. دراز، محمد عبد الله، النبأ العظيم –نظرات جديدة في القرآن–، دار القلم، الكويت، ط6، 1405هـ–1984م.

7. دراز، محمد عبد الله، مدخل إلى القرآن الكريم، ترجمة: محمد عبد العظيم، دار القلم، الكويت، ط1، 1404هـ–1984م.

8. ابن زبير، أبو جعفر بن ابراهيم الغرناطي، البرهان في ترتيب سور القرآن، دراسة وتحقيق: محمد شعباني، دط، 1410 هـ – 1996م.

9. الزركشي، بدر الدين محمد ابن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1376هـ–1975م. وكذلك دار الفكر.

10.السيوطي، أسرار ترتيب القرآن، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، دت.

11.السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: فواز أحمد زمرْلي، دار الكتاب العربي، بيروت، دط، 1432هـ– 2011م.

12.صلاح عبد الفتاح الخالدي، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق –دراسة نظرية وتطبيقية مرفقة بنماذج ولطائف التفسير الموضوعي–، دار النفائس، الأردن، ط1، 1418هـ–1997م.

13.صلاح عبد الفتاح الخالدي، القصص القرآني، عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلم، دمشق، ط1، 1419هـ – 1998م.

14.صلاح عبد الفتاح الخالدي، المنهج الحركي في ظلال القرآن، دار الشهاب، باتنة، دط، دت.

15.صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم، دمشق، ط1، 1423هـ –2002م.

16.صلاح عبد الفتاح الخالدي، مفاتيح التعامل مع القرآن، دار القلم، دمشق، ط 2، 1415هـ – 1994م.

17.عبد الحميد الفراهي، مفردات القرآن ونظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية، تحقيق وشرح د. محمد احمل أيوب الإصلاحي، دار العرب الإسلامي، ط1، 2002م.

18.عبد الرزاق حسين أحمد، المكي والمدني في القرآن الكريم، دار ابن عفان، القاهرة، ط1، 1420هـ – 1999م.

19.عبد الستار، فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، بور سعيد، ط2، 1411هـ –1991م.

20.عبد العزيز بن الدردير، التفسير الموضوعي لآيات التوحيد في القرآن الكريم، مكتبة القرآن، القاهرة، دط، دت.

21.عبد الله بن يوسف الجديع، مقدمات أساسية في علوم القرآن، توزيع مؤسسة الريان، بريطانيا، ط1، 1412هـ–2001م.

22.عدنان محمد زرزور، المدخل إلى التفسير القرآن وعلومه، دار القلم، دمشق، ط2، 1419هـ–1995م.

23.عشراتي سليمان، الخطاب القرآني، مقارنة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، المنشورات الجامعية، الجزائر، دط، 1998م.

24.غنايم، محمد نبيل، بحوث ونماذج من التفسير الموضوعي، دد، القاهرة، دط، دت.

25.غنايم، محمد نبيل، دراسات في التفسير، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1417هـ–1995م.

26.فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، اتجاهات التفسير في القرآن الرابع عشر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 3، صفر 1418هـ–1997م

27.فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، صفر 1414هـ.

28.فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 3، 1407هـ.

29. الكيلاني، إبراهيم زيد، تصور الألهية كما تعرضه سورة الأنعام، مكتبة الأقصى، عمان، ط1، 1416هـ –1981م.

30.لطفي فكري محمد الجودي، جماليات الخطاب في النص القرآني، قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وأليات التكوين، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 1435هـ– 2014م.

31.المثنى عبد الفتاح محمود، نظرية السياق القرآني– دراسة تأصيلية دلالية نقدية–، دار وائل، الأردن، ط1، 2007م.

32.محمد أحمد الأشقر، الدراسات الأدبية لأسلوب القرآن الكريم في العصر الحديث، دار وائل للنشر والتوزيع، ط1، 2003م.

33.محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، دار التعارف، بيروت، دط، دت.

34.محمد بن عبد الكريم الجزائري، من توجيهات القرآن العظيم من خلال تفسير سورتي الفاتحة والبقرة، جمعية الدعوى الإسلامية العالمية، طرابلس، ط1، 2003م.

35.مرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني، أطيب النشر في تفسير الوصايا العشر، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، دط، دت.

36.مسعود فلوسي، الشيخ محمد الغزالي رائد منهج التفسير الموضوعي في العصر الحديث، دار الوفاء، المنصورة، ط1، 1421هـ–2000م.

37.مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق، ط5، 1428هـ – 2007م.

38.هبة الله بن سلامة، الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تخريج وتعليق: مصطفى ديب البغا، مطبعة اليمامة للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1407هـ –1987م.

39.يوسف محمد، النص القرآني عند الزركشي بين الفهم والتذوق، دار العلم والإيمان للنشر، مصر، ط1، 2009م.

40.محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن الكريم، دار القلم، دمشق، ط3، 1421هـ-2000م.

41.فايز الخطيب، عوامل فساد الأمم -كما يصورها القرآن الكريم-، الطريق للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008م.

العقيدة الإسلامية

1. ابراهيم خضير الشمري، الوسطية في العقيدة الإسلامية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ-2005م

2. الأشعري، أبو الحسن، الإبانة في أصول الديانة، دار القادري، ط1، بيروت، 1412هـ- 1991م.

3. أبو بكر محمد زكريا، الشرك في القديم والحديث، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1422هـ-2001م.

4. ابن تيمية، أحمد الحراني، اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: محمد حامد الفقهي، دار المعرفة، بيروت، دط، دت.

5. ابن تيمية، أحمد الحراني، كتاب الإيمان، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 1416هـ-1995م .

6. ابن حجر، أحمد آل بوطامي ابن علي، العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية، دار منهاج السنة، مصر، ط1، 1415هـ- 1994م.

7. ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد الأندلسي، الكشف عن مناهج الأدلة عن عقائد الملّة، تقديم وتعليق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1423هـ-2002م.

8. عبد الله بن عبد القادر التليدي، كتاب دلائل التوحيد، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 1460هـ-1999م

9. العثيمين، محمد بن صالح، شرح العقيدة الواسطية، دار الثريا للنشر، السعودية، ط1، 1419هـ-1998م.

10. علي المُلاّ القاري، منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر ومعه التعليق الميسر على شرح الفقه الأكبر: وهبي سليمان غاوجي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1419هـ-1998م.

11. فوزية بنت عبد اللطيف بن كامل الكردي، تحقيق العبودية بمعرفة الأسماء والصفات، دار طيبة، ط1، 1421هـ.

12. القاسمي، جمال الدين، دلائل التوحيد، دار النفائس، بيروت، ط1، 1412هـ-1991م.

13. اللالكائي، ابن الحسن بن منصور الطبري، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة- من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين-، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1426هـ-2005م.

14. محمد بن عبد الرحمن الخمّيس، أصول الدين عند أبي حنيفة، دار الصميعي، ط1، السعودية، 1416هـ-1996م.

15. مصطفى سعيد الخن ومحي الدين ديب متو، العقيدة الإسلامية -أركانها، حقيقتها، مفسداتها-، دار ابن كثير، دمشق، ط4، 1423هـ-2003م.

16. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، تجريد التوحيد المفيد، تعليق وتحقيق: ياسين بن علي بن سالم الحوشبي العدني، دار عمر ابن الخطاب، القاهرة، ط1، 1428هـ-2008م

17. يوسف القرضاوي، فصول في العقيدة بين السلف والخلف، مكتبة وهبة، ط1، 1426هـ-2005م.

السيرة النبوية

1. البوطي، محمد سعيد رمضان، فقه السيرة النبوية، دار الفكر، دمشق، ط11، 1412هـ- 1991م.

2. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، دلائل النبوّة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الريان للتراث، القاهرة، ط 1، 1408هـ– 1988م.

3. ابن سعد، محمد ابن سعد بن منيع البصري الزهري أبو عبد الله، الطبقات الكبرى، تقديم: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دط، دت.

4. ابن هشام، سيرة ابن هشام، http://www.al-islam.com.

دراسات عامة

1. ابراهيم عوضين، البيان القصصي في القرآن الكريم، دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام، الرياض، ط2، 1410هـ–1990م.

2. بدوية بنت محمد بن حسن العثمان، من بلاغة القرآن الكريم في مجادلة منكري البعث، دار الراية، نواقشط، ط1، 1417هـ.

3. ابن تيمية، أحمد الحراني، مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع: عبد الرحمان محمد ابن قاسم، المكتب التعليمي السعودي، الرباط، دط، دت.

4. حمد بن إبراهيم العثمان، أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة، مكتبة ابن القيم، الكويت، ط1، 1422هـ–2001م.

5. داود سلمان السعدي، أسرار الكون في القرآن، دار الحرف العربي، بيروت، ط2، 1420هـ–1999م.

6. راشد سعيد شهوان، السنن الربانية في التصور الإسلامي، الأكاديميون للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1430هـ– 2009م.

7. السامرائي، عبد القدوس بن أسامة، أثر القرآن في سلوك المجتمع المسلم، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري، دبي، ط1، 1420هـ –2002م

8. الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم ابن موسى، الموافقات في أصول الشريعة، اعتنى بضبطه: محمد عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1395هـ– 1975م. وكذلك دار الكتب العلمية.

9. عبد الرحمان حبنك الميداني، فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دار القلم، دمشق، ط1، 1417هـ–1996م.

10. عبد الكريم بكار، نحو فهم اعمق للواقع الإسلامي، دار القلم، دمشق، ط3، 1432هـ– 2004م.

11. عبيدات، عبد الكريم، الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة، دار النفائس، الأردن، ط1، 1420هـ–2000م.

12. محمد أبو زهرة، تاريخ الجدل، دار الفكر العربي، د ب، د ط، دت.

13. محمد بن عبد العزيز بن عبد الله المسند، أساليب المجرمين في التصدي لدعوة المرسلين وعاقبة ذلك في ضوء القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1422هـ–2001م.

14. محمد رجب البيومي، البيان القرآني، الدار المصرية اللبنانية، ط1، شوال 1421هـ–يناير 2001م.

15. محمود يعقوبي، المنطق الفطري في القرآن الكريم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2000م.

اللغة والمعاجم

1. – الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ضبط: هيثم طعيمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1423هـ – 2002م.

– الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، ط1، 1412هـ.

2. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق: أحمد عبد الرحمان مخيمر، دار الكتب العربية، ط1، بيروت، 1425هـ–2004م.

3. أشرف طه أبو الذهب، المعجم الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1423هـ–2002م.

4. التهانوي، محمد علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996م.

5. جبران مسعود، الرائد، دار العلم للملايين، ط8، بيروت، 2001م.

6. جبران مسعود، المعجم اللغوي الأحدث والأسهل، دار العلم للملايين، ط8، يونيو 2001.

7. الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، تحقيق: ابراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405هـ.

8. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دط، 1982م.

9. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: إيميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـ- 1999م.

10.أبي زكريا يحي بن زياد الفراء، معاني القرآن، تحقيق: محمد علي النجار، ط3، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1424هـ-2002م.

11.سميح دغيم، موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي، مكتبة ناشرون، دب، ط1، 1998م.

12. ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا، مجمل اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1406هـ-1986م.

13. ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1414هـ -1991م.

14.الفراهيدي، أبو عبد الرحمان الخليل ابن أحمد، العين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، دت.

15.فريد جبر وآخرون، موسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت، 1996م.

16.الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار العلم للجميع، بيروت، دط، دت.

17.الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري، المصباح المنير في غريب شرح الكبير للرافعي، نوبِليس، دب، دط، دت.

18.كافي الكفاة، الصاحب إسماعيل ابن عباد، المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسين آل ياسين، عالم الكتب، ط1، 1414هـ- 1994م.

19.الكفوي أبو البقاء، الكليات، معجم في مصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1413هـ-1993م.

20.محمد هادي اللحام وآخرون، القاموس، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2005م

21. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، دت.

22.مهدي أسعد عرعار، جدل اللفظ والمعنى دراسة دلالة الكلمة العربية، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، 2002م.

23.نكري، عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد، دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاح الفنون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ-2000م.

التراجم

1. الداوودي، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت.
2. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي، دار العلم للملايين، لبنان، ط 15، مايو 2002م.
3. عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1414هـ-1993م
4. كامل سلمان الجبوري، معجم الأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ-2003م

5. مخلوف، محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، الطبعة السلفية، القاهرة، د ط، 1349هـ.

6. معجم المفسرين، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، ط2، 1406هـ-1986م

7. المنذري، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم، التكملة لوفيات النقلة، تحقيق: د- بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط1، 1408هـ- 1988م

الرسائل العلمية

1. أيمن بن نبيه بن غنام المغربي، السنن الإلهية في تغيير المجتمعات في ضوء القرآن الكريم-جمعا ودراسة-، رسالة ماجستير، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، 1428هـ.

2. خلود بنت خالد بن حسين باوزير، الوحدة الموضوعية بين المؤيدين والمعارضين-دراسة تأصيلية مقارنة-، رسلة ماجستير، السعودية، جامعة أم القرى، 1436هـ- 2015م.

3. دنيازاد سايغ، دلائل التوحيد وتأثيره في الحياة في القرآن الكريم-سورة الأنعام نموذجا-، رسالة ماجستير، الجزائر-قسنطينة-، جامعة الأمير عبد القادر، علوم الإسلامية، 2006م.

4. رياض عميراوي، الوحدة الموضوعية في سورة الحج، رسالة ماجستير، الجزائر -قسنطينة-، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 1430هـ-2009م.

5. سمية شباطة، الأبعاد الوظيفية للإيمان، رسالة ماجستير، الجزائر- باتنة-، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، 1427هـ- 2006م.

6. عمر حيدوسي، السنن الإلهية وتفسير القرآن الكريم في العصر الحديث، رسالة دكتوراه، الجزائر-باتنة-، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، 1433هـ- 2012م.

7. قاسمي السعيد، المنهج القرآني في بناء العقيدة، رسالة دكتوراه، الجزائر – باتنة –، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، 1435هـ- 2014م.

8. محي الدين بن عمار، الوحدة الموضوعية للسور القرآنية عند الشيخ محمود شلتوت من خلال تفسيره " تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى"، رسالة ماجستير، الجزائر –قسنطينة–، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 1428هـ- 2008م.

9. محي الدين بن عمار، جهود محمد عبد الله دراز في التفسير الموضوعي– دراسة وتحليل–، رسالة دكتوراه، الجزائر –باتنة–، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، 1433هـ- 2012م.

10. نورة بن حسن، التفسير الموضوعي –سورة البقرة أنموذجا–، رسالة ماجستير، الجزائر –باتنة–، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، 1422هـ- 2001م.

11. يزيد غربي، الوحدة الموضوعية في سورة النمل، رسالة ماجستير، الجزائر– قسنطينة–، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 1433- 1434هـ/2012- 2013م.

المقالات العلمية:

1. أحمد عويز العلي، قراءة نقدية في الرؤية البنائية للنص القرآني عند محمود البستاني، مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد 7، 2008م.

2. زياد خليل الدغامين، البعد الواقعي في العمل التفسيري، مجلة التجديد، العدد4، ربيع الثاني 1416هـ- أغسطس 1998م.

3. شوكت محمد العمري، أساليب القرآن الكريم في تنمية التفكير، – نموذج سورة الشورى–، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 52، ذو الحجة 1423هـ- مارس 2003 م.

4. عبد الحميد بو كعباش، التقعيد التفسيري المعاصر... تكرار السابق وغياب الحاضر، مجلة الإحياء، العدد6، 1423هـ-2002م.

– عبد الحميد بو كعباش، التفسير والتصورات السائدة، مجلة الإحياء، العدد7، 1424هـ- 2003م.

5. عناية الله إبلاغ، الإيمان في القرآن الكريم–الصيغ، الدلالات، المعاني، دراسة مقارنة–، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 41، ربيع الأول 1421هـ– يونيو 2000م.

مواقع الأنترنيت

http://www.shamela.us/index.php/author

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
مقدمة	أ
الفصل التمهيدي	1
المبحث الأول: معنى الوَحدة الموضوعية.	3
المبحث الثاني: مدخل إلى السورة.	13
الباب الأول: مجادلة المشركين في قواعد التوحيد	75
الفصل الأول: استحقاق الحمد لله وحده ومظاهر الإمتراء والعدول به تعالى	76
المبحث الأول:[الافتتاحية] استحقاق الحمد لله تعالى وعاقبة الاستهزاء	80
المطلب االثاني: عاقبة الاستهزاء	86
المبحث الثاني: مظاهر الِامتراء والعدول بالله تعالى	92
المطلب الأول: بعض شبهات المعاندين وردها	92
المطلب الثاني: سنة الله في الأنبياء ومخالفيهم وبعض دلائل التوحيد	95
المطلب الثالث: حقيقة الألهيّة	101
خاتمة الفصل	108
الفصل الثاني: القدرة الإلهية وعلمه تعالى وحكمته	110
المبحث الأول: تفصيل لمظاهر القهر والعلم والحكمة.	112
المطلب الأول: ما يتفرع عن القدرة والعلم من الشهادة بين العباد.	112
المطلب الثاني: أصناف المكذبين ومواجهتهم بمصيرهم يوم البعث	117
المطلب الثالث: مجمل حال المكذّبين وحقيقة الدنيا	126

المطلب الرابع: تسليّة الرسول ببيان سنّة الله في الأنبياء وحقيقة المكذّبين........129
المطلب الخامس: علاقة القدرة والمشيئة بإنزال الآيات 135
المطلب السادس: دليل الفطرة وسبب آخر في أخذ الأمم 139
المطلب السابع: من مظاهر القدرة الإلهية وتحديد مهمة الرسل 145
المطلب الثامن: تعليم الله النبيﷺ معاملة المؤمنين وبيان سنّة الإِفتتان...........151
المطلب التاسع: مباينة النبيﷺ للمشركين في الدين، وبيان بعض مناطات كمال علم الله وعظيم قدرته..160
المبحث الثاني: إجمال لبعض ما تعلّق بمظاهر القهر والعلم والحكمة...........172
المطلب الأول: بعض مظاهر قهر الله لعباده و شهادة الفطرة على توحيده. 172
المطلب الثاني: موقف المشركين من الآيات وبيان القرآن للتعامل الصحيح معهم..180
المطلب الثالث: منهج المؤمنين في العبادة وذكر بعض صفات الله الموجبة لذلك..187
خاتمة الفصل...197
الفصل الثالث: الإِستدلال بقصة ابراهيم على التوحيد..............................199
المبحث الأول: حجّة إبراهيم على قومه..201
المطلب الأول: إبطال ربوبيّة وألوهيّة الأجرام السماوية. 201
المطلب الثاني: بين الخوف والأمن...208
المبحث الثاني: تعداد لبعض الأنبياء وبيان هداهم وبعض أحكام الرسالة. 217
المطلب الأول: تعداد بعض الأنبياء وتخصيصهم ببعض الصفات......................217
المطلب الثاني: بين الهدى والشرك...222
المبحث الثالث: إنكار الرسالة شركٌ وظلمٌ يستحق العقاب..........................228

المطلب الأول: كفر من أنكر بعثة الرسل وإنزال الكتب........................228
المطلب الثاني: ظلم من افترى الكذب على الله وعقابه........................235
خاتمة الفصل..242
الباب الثاني: مجادلة المشركين في أصول التشريع..........................243
الفصل الأول: بيان ثلاث مواقف للمشركين وتقرير ضلالها........................244
المبحث الأول[المقدّمة]:بعض مظاهر الخلق الدالّة على صفتي العلم والقدرة........247
المبحث الثاني: جعلهم لله شركاء من الجن وخرقهم له البنين........................257
المطلب الأول: تنزيه الله عن شركاء الجن واتخاذ البنين........................257
المطلب الثاني: التنبيه إلى بعض الجزئيات في التعامل مع المشركين. 267
المبحث الثالث: قسمهم بالإيمان إن جاءت الآيات. 274
المطلب الأول: بيانُ كذب المشركين في قسمهم..............................274
المطلب الثاني: تقرير سنّة عداوة شياطين الإنس والجن للأنبياء. 281
المطلب الثالث: الأمر بأكل ما ذُكر اسم الله عليه وعدم طاعة أولياء الشياطين. ...290
المطلب الرابع: تثبيت النبيّ ﷺ والمؤمنين أمام مكر أكابر المجرمين. 299
المطلب الخامس: سنّة موالاة الظالمين بعضهم بعضا، وشهادتهم على أنفسهم يوم التناد...309
المطلب السادس: تلقينٌ لبعض صفات الربوبيّة..............................316
المبحث الرابع: بعض جهالات العرب في الأنعام والحرث والأولاد....................326
خاتمة الفصل..335

الفصل الثاني: تنويع الحجج في ردّ ما حرّمه المشركون، وبيان أصول المحرّمات، وتقرير مهمّة الإنسان.. 336
المبحث الأوّل: بعض مظاهر الإنشاء والرزق.............................. 338
المبحث الثاني: إبطال ما افتراه المشركون بالحجّة، وبيان أصول المحرّمات في كلّ الشرائع. 345
المطلب الأوّل: إبطال ما افتراه المشركون على الله من التحليل والتحريم........... 345
المطلب الثاني: أصول المحرمات في كلّ الشرائع..................................... 358
المبحث الثالث: الاِحتجاج على المشركين بإنزال القرآن، وبيان حقيقة العبودية والجزاء وتقرير الاِستخلاف في الأرض.. 368
المطلب الأول: الاِحتجاج على المشركين بإنزال القرآن، وتوعّد من يصدفون عن هديه 368
المطلب الثاني: تلقين حقيقة العبودية والربوبيّة والجزاء، وتقرير الاِستخلاف...... 379
خاتمة الفصل 389
خاتمة... 390
الفهارس 394
فهرس الآيات الكريمة.. 395
فهرس أطراف الأحاديث النبوية والآثار.. 400
فهرس المحتويات 422

ملخص البحث باللغة العربية

يحمل البحث عنوان: "**الوحدة الموضوعيّة في سورة الأنعام**". ويجيب عن **الإشكالات الأساسية** التالية:

- ما هو موضوع السورة؛ وما هي الموضوعات الفرعية التي تصب فيه؟
- ما هي أهم الهدايات التي يمكن استنباطها من كل جزء من الآيات ويمس حياة الفرد والجماعة في كل مجالاتها؟

وهدفه: الوقوف مع آيات السورة للتعرّف على موضوعها الرئيس الذي تصبّ فيه كل الموضوعات الفرعيّة؛ للخروج من ذلك بتحليل موضوعي عميق ودراسة متكاملة تبدو معها السورة متناسقة الأجزاء. والتمكّن من خلال الموضوعات الفرعية من استنباط هدايات تكون حلا لبعض المشكلات.

وتضمّنت **الخاتمة** نتائج البحث وهي كالتالي:

من جهة الشكل والبناء:

1- بيّنت دراسة الوحدة الموضوعية في "سورة الأنعام" تناسق السورة؛ فآياتها وأجزاؤها جاءت متناسبة نظما ومعنى؛ ليتحقّق بذلك نقض قول من يرى أنّ القرآن في جملته عبارة عن أشتات من الأفكار المتنوّعة عولجت بطريقة غير منظّمة، وبانعدام التجانس والربط الطبيعي بين المواد التي تتناولها السورة.

2- تؤكّد الدراسة ما توصّلت إليه بعض البحوث من أنّ كل السور تنقسم إلى مقدّمة وموضوع وخاتمة. إلا أنّها تنفي قول من يقول بوجود نفس العلاقة بين الآيات المتجاورة والأجزاء المتتالية؛ إذ أنّ آياتها ومقاطعها تربطها علاقات متباينة؛ فهي علاقة العموم والخصوص مرّة، وعلاقة المقدّمة والنتيجة تارة، وعلاقة الإجمال والتفصيل تارة أخرى.

من جهة المضمون:

1. يخاطب القرآن عند استدلاله على التوحيد العقل والقلب معا؛ بالأدلّة البرهانيّة التي أساسها المبادئ الأوّليّة للعقل، وبالأساليب البلاغيّة المتنوّعة، حتى يؤتي الخطاب أكله في

تطبيق محتواه؛ من عبادة الله وحده بالمفهوم العام للعبادة، لا بالمفهوم المشهور من صلاة وذكر فقط.

2. تنقسم "سورة الأنعام" إلى قسمين موضوع القسم الأوّل:" مجادلة المشركين في قواعد التوحيد"، وموضوع الثاني:" مجادلة المشركين في أصول التشريع"، ليجمعهما موضوع رئيس هو "مجادلة المشركين في لازم الربوبيّة بمظاهر صفتي العلم والقدرة". ومجموع هذه العناصر يتمخض عنه ما يلي:

أ) لا انفصال بين المعتقد وتطبيق مضامينه؛ إذ يلتقي الإيمان والعمل لتشكيل شخصيّة المسلم المخاطب بفهم التكاليف وتطبيقها والدعوة إليها.

ب) توحيد الألهيّة لازم عن توحيد الربوبيّة؛ ويعني عبادة الله بفعل المأمور وترك المنهي عنه، ولا تقتصر العبادة على ما يعتري القلوب من خشية ورجاء وغيرها، ولا ما كان بين العبد وربّه من صلاة وحج...إلخ؛ حتى يحقّق الإنسان معنى الاِستخلاف المنوط به والذي ختمت به السورة.

ترجمة الملخص باللغة الإنجليزية

Summary

This research is entitled: " Thematic unity in Surah Al-An'am". It answers the following problems:

- Is the Surah coherent; are all of its verses and parts consistent?
- What is the most important guiding that can be deduced from every part of its verses, touching all of the aspects of the individual and collective life?

This research aims to meditate the verses of the Surah in order to determine its terminus and its principal theme in which all of the sub-themes flow in order to conclude with an objective and deep analysis and an integrated study where the Surah seems to be a coherent thermic unity.

The conclusion includes the research results and recommendations as follows:

In terms of form and structure:

1. The study of thermic unity in Surah Al-An'am showed the coherence of the surah; its verse and parts are consistent in terms of form and meaning, which contravening the belief that the entire Quran is sundries of diverse ideas addressed in a disorganized manner.
2. The study confirms the findings of some research that all of Surahs are divided into introduction, theme and conclusion. However, it denies the existence of the same correlation between adjacent verses and consecutive parts.

In terms of content:

1. The Holly Quran addresses, when proving monotheism, the mind and heart together by demonstrative evidence whose basis are initial principles of the mind, and by diverse rhetorical techniques so that the application of its content sees light.
2. No separation between belief and the application of its contents; faith and work get together to form the Muslim personality addressee by understand, apply and advocate to charges.

3. Monotheism is more necessary than monodeism; it means the worship of Allah by doing the allowed and abstaining from the prohibited in creed and provisions, which is intended by the surah from beginning to end.

ترجمة الملخص باللغة الفرنسية

Résumé:

La présente recherche est intitulée: "l'unité thématique dans la sourate Al-Ana'm. elle répond aux problématiques suivantes:

- La sourate est-elle cohérente? Tous ses versets et ses parties sont-ils adéquats?
- Quel est la plus importante orientation qui peut être déduite de chaque partie de ses versets, et qui touche tous les aspects de la vie individuelle et collective?

Cette recherche vise à méditer les versets de la sourate afin de déterminer son terminus et son thème principal dans lequel tous les sous-thèmes coulent afin de conclure avec une analyse objective et profonde et une étude intégrée où la sourate semble être une unité thématique cohérente.

La conclusion inclut les résultats de la recherche et les recommandations comme suit:

En termes de forme et de structure:

1. L'étude de l'unité thématique dans la sourate Al-An'am a montré la cohérence de la sourate; ses versets et ses parties sont cohérents en termes de la forme et de la signification, ce qui contrevient à la croyance que le Coran tout entier n'est de diverses idées dispersées et abordées de manière désorganisée.
2. L'étude confirme les résultats de certaines recherches que tous les sourates sont divisées en introduction, thème et conclusion. Cependant, il nie l'existence de la même corrélation entre les versets adjacents et les parties consécutives.

En termes de contenu:

1. Le Coran s'adresse, lors de la démonstration du monothéisme, à l'esprit et au cœur ensemble par des preuves démonstratives dont les bases sont les principes initiaux de l'esprit et par diverses techniques rhétoriques afin que l'application de son contenu voit la lumière.
2. Il n'y a aucune séparation entre la croyance et l'application de son contenu; La foi et le travail se réunissent pour former la

personnalité musulmane par la compréhension, l'application et l'invitation aux charges.

3. Le monothéisme est plus nécessaire que le monodéisme; cela signifie le culte d'Allah en faisant le permis et en s'abstenant de l'interdit dans la croyance et dans les provisions, ce qui visé par la sourate du début à la fin.